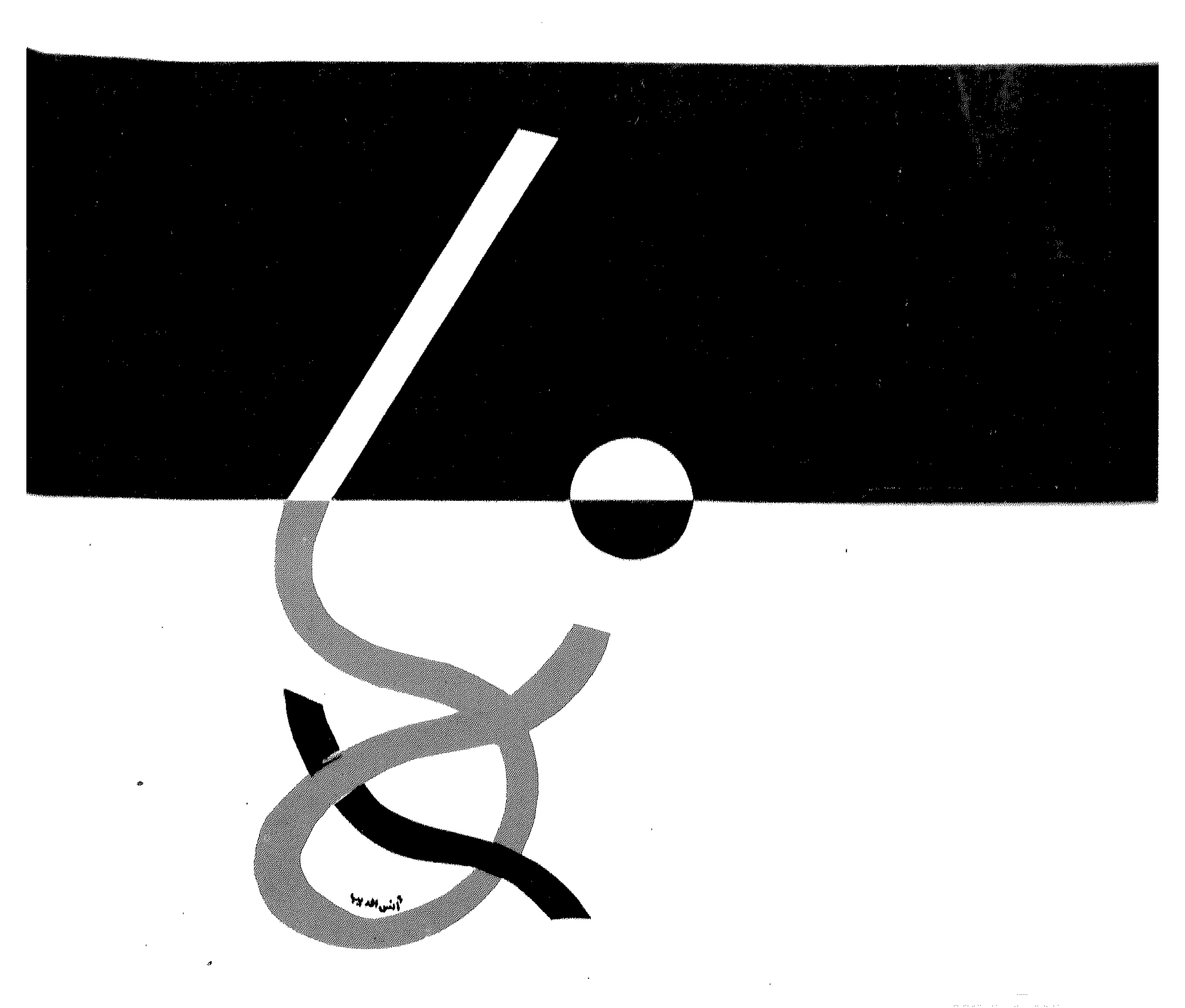
د. محمد على الشهارى



نظرة فى بعض قضايا الثورة اليمنية

مكتبة مدبولى

الدكتور
محمد علي الشهاري

نظرة في بعض قضايا الثورة اليمنية

الطبعـة الأولى

١٩٩٠

تصميم الغلاف : الفنان انس الديب

محتويات الكتاب

الموضـــوع صفحة

القسم الثالث ـــ حول احـــداث ١٣ يناير ١٩٨٦

اضـــــــاءة :

المقالات المبسوطة أمام القارىء الكريم كتب ونشر بعضها قبـل أحداث ١٣ ينـاير ١٩٨٦ المأساوية ، وبعضهـا كتب ونشر بعـدها (فى صحافة اليمن الديمقراطية) .

القليل منها يتحـدث عن ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ التى عصفت بها قـوى التآمر والتخريب الداخلية والخارجية ، فى وقت كانت فيـه الحركة الوطنية اليمنية ضعيفة العود ، غير موحـدة الكلمة ، وغير معبأة فى جبهة وطنية ديمقراطية عريضـة قادرة على احباط أعمـال التآمر والتخريب الرجعية والاستعمارية ، والمضى بالثورة نحـو انجاز مهامها الاستراتيجية فى التحرر الوطنى الكامل ، والتقـدم الاجتماعى الشامل ، وتحقيق اليمن الديمقراطى الموحـد .

أما أكثر هـذه المقالات فمنصب حـول ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ ، التى بفضل أداتها القيادية الملتحمة بجماهير الشعب الساحقة ، أمكن لها لا أن تتغلب فقط على شتى المحاولات الداخلية والخارجية التى هـدفت الى ضربها ، أو الانحراف بها ، أو عرقلة سيرها ، أو افراغها من محتواها ، أو جعلها تراوح فى مكانها ، وانما تمكنت أيضا من شـحذ وتطوير أداتها القيادية هـذه ، وتحويلها من حزب ديمقراطى ثورى الى حزب طليعى ، هـو الحزب الاشتراكى اليمنى ، الذى ضم الفصائل المتقـدمة التى تمخضت بها الحركة الوطنية اليمنية على امتداد تاريخها ، مما سهل تحول الثورة ذاتها من ثورة تحرر وطنى الى ثورة ديمقراطية ذات توجه اشـتراكى .

وبفضل هـذه الأداة القيادية الطليعية ، المدعومة من قبل حلفاء المسيرة الثورية العالمية ، وفى مقـدمتهم منظومة البلدان الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ، أمكن للثورة أيضا أن تتجاوز محنـة المحن التى واجهتها عبر تاريخها النضالى كله ، محنة « الصراع الداخلى فى الحزب » حسبما جاء فى البلاغ الصحفى الذى أصـدرته اللجنـة المركزية فى ختام دورتها الاعتيارية الكاملة الحادية عشرة التى عقـدت ما بين ٢٧ ـ ٢٩ ديسمبر ١٩٨٧ م ـ الذى بدلا من أن يحـل وفـق المبادىء والأسس التنظيمية اللينينية التى تمثل نسغ وقوام الأحزاب الطليعية فى كل مكان ، حسم بطريقة تآمرية تذكر « بانقلابات القصور » ، حيث جرى « اللجؤ الى استخدام أساليب العنف فى حـل الخـلافات الداخلية » ـ حسب صيغة البلاغ المشار اليه ، الأمر الذى فجر أحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ بكل ما ترتب عليها من حرب أهلية طاحنة ضروس كان يمكن أن تدمر التجربة الثورية الرائدة التى بشرت بها ثورة ١٤ أكتوبر وتأتى على النظام الديمقراطى الثورى الذى جسدها ، لولا أصالة هـذه التجربة وعمق انتمائها الى الجماهير والمستقبل ـ رغم حالات الاغتراب التى ولدتها هـذه الأحـداث بين النظـام وهـذه الجماهير والتى لا محيص من تجاوزها ـ ولولا وجود الأداة الطليعية القائدة لهـا التى تمكنت ، رغم كل ما تعرضت لـه من أزمات من الحفاظ على مصـير الثورة ، ومن رد غول قـوى التدخل الخارجية عنها ، مسنودة فى ذلك بالدعم غير المحـدود الذى قـدمه الحليف والصـديق : الاتحـاد السوفيتى ، وأخـذت الآن تراجع ملف تجربتها بنظرة انتقادية وتتهيأ لتنفيذ مشروع اصلاح اقتصادى ، وسياسى وثقافى شامل يشملها هى نفسها ، يساعد على حل أزمة العمـل الوطنى الديمقراطى وحل معضلة التعـددية السياسية .

أصالة التجربة الثورية وعمـق انتمائها الى جماهير الشعب والى المستقبل والى كل قـوى التقـدم والثورة فى العالم التى تمسك بزمام

المبادرة التاريخية بمقــدرة وجسارة ومهارة — هــذه الأصالة ، وهــذا العمق تجسدا أيضا فى الاستخلاصات التى خرجت بها اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى فى دورتها الآنفة الذكر ، والتى لا مفر من اثبات بعض منها فى هــذا السياق :

« لقــد وضعت اللجنة المركزية فى دورتها الحادية عشرة الاعتيادية الكاملة نصب أعينها أن النجاحات فى تعــزيز الجبهة الداخليــــة على المستويات الحربية والاقتصادية والأيديولوجية وعلى صعيد نشــاط أجهزة الدولة والحكومة والمنظمات الجماهيرية والابداعية هى الأساس المــادى الذى يمكن أن ترتكز عليه بقيــــة النشاطات والنجاحات على المستوى الخارجى •• وتأكيد أفضليات نظــام التوجــه الاشتراكى والنموذج الذى ينبغى أن تقــدمه تجربتنا الثورية لخــدمة أهــداف الحركة الثورية العربية وعلى نطــاق البلدان المتحررة ذات التوجــه الاشتراكى التى تواجه تعقيدات جمة على صعيد البناء الداخلى التقدمى ، وتجاوز عوامل التخلف والاحباط الناجمة عن ضعف مستوى التطــور الاقتصادى والاجتماعى والحضارى عموما •• وقــوة تأثير النزعات المتخلفة ، ووجود أساس موضوعى يدعم الاتجاهات المنحرفة اليسارية واليمينية على حـــد سواء ، ويسوغ علاقات التبعية الاقتصادية والارتهان السياسى للدوائر الرجعية والامبريالية •

ولقــد أكدت اللجنة المركزية أن الأساس الصلب لتحقق نجاحات ملموسة فى ابراز أفضليات نظام التوجــه الاشتراكى وتكريس قــدرته على تجاوز التخلف وتحقيق وتائر عالية فى خطى التطور الاقتصــادى والاجتماعى والثقافى انما تستقيم جميعا على توفر شروط وجــود الطليعة الثورية المنظمة الملتزمة بوعى ونضج بالنظرية الثورية وبالمصالح الطبقية للكادحين والمصلحة العليا للوطن والتى تجمع فى أن واحــد فى نشاطاتها ونضالاتها المختلفة بين المبدئية الراسخة والمرونة السياسية • ولتحقيق ذلك أكدت اللجنة المركزية على أهمية أن تقوم كامل مهامنا ونضالاتنا على

قاعـدة الدور القيادى للحزب وتصليبه وتعزيز دوره وتقـوية نفوذه بين أوساط الجماهير ، وتحـديد نشاطاته على أساس النموذج الرفيع والقـدرة الحسنة ، وتحسين أساليب وطرق عمله اليومى ، لان ذلك يشكل الأساس الراسخ لنجاحات الحزب فى قيادة عملية البناء التقدمية الشاملة ، وضمان ورسوخ هـذا النجاح على نحـو مضطرد ، حيث ينبغى أن يعطى الحزبيون المثل الساطع على روحهم الكفاحية العالية ، وانضباطهم الحـديدى ، وتفانيهم فى انجاز المهام التى يوكلها الحزب اليهم ، وتجسيد روح الطليعة الواعية المجربة المكافحة والناضجة فكريا وسياسيا ٠

وأشارت الى أنه ليست ممـا يليق بحزب ثورى يؤدى رسالته فى ظروف استثنائية وصعبة كظروفنا أن يتساهل أمام مظاهر التسيب وعـدم الانضباط وأداء المسؤوليات الحزبية ، لأننا لا نستطيع أن نتصـدى لكل ذلك الحشد الهائل من القضايا وتنفيذ مهامنا الجسيمة الا بتمتين تلاحم الحزب وخلق روابط رفيعة من التنظيم والانضباط الصارمين ، والوعى والكفاءة العاليين ٠

ووقفت اللجنة المركزية أمام عمـل الهيئات القيادية فى الحزب ومستوى تنفيذ المهمات المناطة بها ٠٠ ورأت أنه من الضرورى تعزيز عمل هذه الهيئات القيادية التى تمسك بيديها المفاصل الرئيسية للنشاط الحزبى والسياسى والاقتصادى فى أجهزة الحزب وأجهزة الدولة » (صحيفة ١٤ أكتوبر ١٩٨٧/١٢/٣٠) ٠ ومن الضرورى التنويه هنا الى أن وقفـة المراجعة والاصلاح والتصحيح لمسار التجربة ستدخل منعطفا جـديدا باستقصاء رأى الحزب والشعب فى مشروع الاصلاح الذى تقـدمت به قيادة الحزب ٠

وتتوقف المقالات أما قضية الوحـدة اليمنية ، وكيفية معالجـة الحركة الوطنية اليمنية لهـا ، وخاصة الجبهة القومية ، منذ أول مؤتمر لهـا حتى قيام الحزب الاشتراكى اليمنى ، وحتى الكونفرنس العـام للحزب ، موضحة فى نفس الوقت البعـد الوطنى والطبقى لقضية الوحدة

اليمنية ، ومؤكدة أن تحقيقها لا يمكن أن يتم الا ضمن المجرى التاريخى لحركة الثورة اليمنية ، وبما يتفق مع المصالح والمطامح الأساسية للقوى الاجتماعية الحية صانعة الثورة والوحـدة معـا ، والا فى ظل أجـواء واسعة من الحريات الديمقراطية لهـذه القـوى الاجتماعية صاحبة المصلحة فى قيام يمن ديمقراطى موحـد •

وقـد أعطت اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى عنـاية خاصة لهـذه القضية مبددة بذلك الرؤية الضبابية تجاهها التى يطرحها بعض المثقفين الاصلاحيين ، ومزكية النظرة الموضوعية والمبدئية والواقعية تجاههـا •

ولا محيص من ايراد الفقرات الخاصة بها التى تضمنها البـلاغ الآنف الذكر لدورتها الحادية عشرة :

« لقـد أعطت اللجنة المركزية اهتماما كبيرا للقضية الوطنية اليمنية ، وفى مقـدمتها اعادة تحقيق الوحـدة اليمنية كهـدف من أنبل وأعظم أهـداف شعبنا وثورتنا •

وأكدت على صحة موقف الحزب الاشتراكى اليمنى من هـذه المسألة ، والتى تضمنتها وثائقه وأدبياته ، وخاصة البرنامج السياسى للحزب ••• وأكدت أنه لا يصح النظر الى مضمون هـذه المسألة من خارج وحـدة أهـداف ثورتى سبتمبر وأكتوبر المجيدتين ومضامين الاتفاقيات الوحـدوية بين قيادتى شطرى الوطن اليمنى ، وخاصـة اتفاقية القاهرة وبيانى طرابلس والكويت •

وترى اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى أنه من الضرورى العمل فى ظـل الظروف الراهنة على أكثر من صعيد وبكل الاتجاهات من أجل خلق أجـواء آمنة ومستقرة بين الشطرين ، وتعزيز العلاقات السلمية وروح التفاهم الأخوى البنـاء كأساس سليم ومبدئى للتقـدم نحو تحقيق خطوات وحـدوية أخرى ، والتركيز على توسيع مجـالات التنسيق والتعاون المشترك بين الشطرين ، واقامة المشاريع الاقتصادية

والاجتماعية المشتركة ، وتنسيق الجهود فى مجال السياسة الخارجية ، بحيث تصير أساسا ماديا ثابتا لتحقيق الحلم العظيم للشعب اليمنى فى اعادة تحقيق وحدته على نحو من القوة والصلابة يستحيل معها تفكيك عرى هذه الوحدة ، وان الوحدة المطلوبة للشعب اليمنى هى الوحدة التى تقوم على تكريس مصالحه وفتح آفاق تطوره اللاحق ، وتمكينه من الاضطلاع بدوره الحقيقى فى دعم قضايا أمتنا العربية العادلة ، وكذا دعم البلدان المتحررة وحركات التحرر الوطنى فى العالم .. ان هذه هى الوحدة التى ستبقى وستترسخ على الدوام رغم الصعوبات الداخلية والخارجية .

ونوهت اللجنة المركزية الى أن الحزب الاشتراكى اليمنى قد انتهج سياسة وحدوية مبدئية صائبة ، وأن قيادة الشطر الجنوبى من الوطن كانت حريصة دائما على أن تكون الاتفاقيات الوحدوية بين الشطرين هى الأساس الذى ينبغى أن تتركز عليه الحوارات والاتفاقيات اللاحقة ، والعمل نحو تطويرها باستمرار ، لتهيئة وانضاج الشروط المادية والسياسية لقيام الكيان اليمنى الموحد والديمقراطى ، وان هذا هو السبيل القويم الذى ينبغى مواصلة السير عليه بدأب لا يعرف الفتور أو الكلل .

وعلى هذا الطريق أكدت اللجنة المركزية أن الشروع فى توحيد المنظمات الجماهيرية والابداعية فى شطرى الوطن هو من الاتجاهات البارزة للعمل الوحدوى والضمانة الأكيدة لأن تلعب الجماهير اليمنية دورها التاريخى فى اعادة تحقيق الوحدة كقضية عظيمة ونبيلة لهنا وبها ترتبط المصالح الحقيقية لجماهير الشعب .. ولا ينبغى اغفال القسط الذى حدده التاريخ للجماهير فى النضال من أجل اعادة تحقيق الوحدة اليمنية » . (المصدر السابق) .

من المهم الاشارة هنا الى أن تمتع هذه الجماهير عبر قواها السياسية من تشكيل أحزابها والتحالف الحر لهذه الأحزاب سيسهل أمر تحقيق الوحدة اليمنية .

القسم الأول

حـول ثـورة ٢٦ سـبتمبر

معاهـدة اول نوفمبر ١٩٢٨

كسرت الطـوق الاستعمارى
وارسـت حجر الأسـاس لصرح
الصـداقة اليمنيـة ـ السـوفيتية

كان الهـدف الرئيسى الذى وضعه الامام يحيى نصب عينه ، بعـد تسلمه السلطة فى نهاية عام ١٩١٨ على انقاض الحكم التركى ، هـو توسيع مملكته التى أسماها المملكة المتوكلية اليمنية بحيث تشمل اليمن كلها . هـذا الهـدف كان مبررا تاريخيا ومشروعا سياسيا فوق أنه كان يتناغم مع الوجهة الموضوعية لحركة الشعب النضالية المتطلعة نحو اعادة اقامة دولة اليمن المركزية الموحـدة المتحررة .

وكما كان يفعل دائما كبـار الاقطاعيين الذين يأنسون فى أنفسهم القـوة فانه سعى نحو التغلب على تجزؤ البلاد الى امارات ومشيخات صغيرة والى اقامة حكمه المطلق فيها .

(*) نشرت فى « الثورى » عـدد ١٢/١١/١٩٨٨ .

جاء هـذا المسعى التوحيدى فى وقت كان الاستعمار البريطانى قد بسط فيه حمايته على كل جنوب اليمن ، وكان السعوديون قد رفعوا فيه مطالبهم التوسعية الاقليمية على بعض الاقاليم الشمالية من الأراضى اليمنية . فى ظل مثل هـذه الظروف فان النزوع نحو توحيد اليمن — حتى ولو كان على رأس حركة التوحيد هـذه حاكم اقطاعى — قـد اتخذ شكلا أوليا لحركة ذات منحى تحريرى . حقا أن النظام الرجعى المتخلف الذى اقامه الامام يحيى ما كان له أن يوفر الشروط الداخليـة لتحقيق مثل هـذه المهمة الوطنية المشروعة والتقـدمية . وعـدا ذلك فان الامام يحيى كان يفتقد الدعم العالمى المساند لعملية التوحيد هذه . وعـدا الاتحاد السوفيتى ، الدولة الاشتراكية الوليـدة والوحيدة فى العالم ، والتى أعلنت تعاطفها مع مطالب الشعب اليمنى العادلة ومـع كفاحه من أجل اقامة دولته المستقلة الموحـدة ، فان جميـع الدول العظمى كانت تتابع أهـدافها الاستعمارية الصريحة ليس الا .

ومن الموقع الاستعمارى الذى ثبتت أقـدمها فيه على الشاطىء الغربى للبحر الأحمر كانت تتبع ايطاليا الفاشية بانتباه متزايد ذلك النزاع القائم بين الامام يحيى وانجلترا . وعن طريق تأييدها لمطالب الامام الخاصة بجنوب اليمن وبعسير ارادت النفاذ الى مملكته ذاتها ، واكتساب موقع نفوذ متميز فيها .

هـذا الطموح الاستعمارى مثل امتدادا تاريخيا لمحاولة سابقة كانت الامبريالية الايطالية قـد بذلتها فى مطلع القرن العشرين من أجل الحصول على قاعـدة بحرية فى باب المندب عند مدخل البحر الأحمر وبالذات على الساحل اليمنى . ومع صعود الفاشية الى السلطة استؤنف من جـديد هـذا الخط التوسعى ، وفى بادىء الأمر أعلنت ايطاليـا استعدادها لبناء مصنع ذخيرة فى اليمن ، بل واقامت محطة اذاعة فيها ، كما أرسلت أطباء . كانت النتيجة لمثل هذه السياسة الايطالية الملتوية

هو عقـد معاهـدة يمنية — ايطاليـة فى ٢ سبتمبر ١٩٢٦ ، اعترفت بمقتضاها ايطاليا — رياء — بالاستقلال الكامل للامام ولمملكته اليمنية وعلى أساسها التزمت الدولتان المتعاقـدتان بتسهيل التبادل التجارى بينهمـا •

نظرت الامبريالية البريطانية ، التى كانت تعتبر البحر الأحمر بحيرة بريطانية ، حيث أنها كانت تقبض على مدخله الشمالى فى قنـاة السويس ، وعلى عـدن فى الجنوب ، نظرت الى هـذا التطور بانزعاج ظاهر ، فقـد رأت فى المعاهـدة خطرا حقيقيا على قاعـدتها البحرية فى عـدن ، وعلى مصالحها الاستراتيجية فى السواحل اليمنية للبحـر الأحمر ، وعلى السوق اليمنية عموما التى كانت قـد غـدت تابعـة لهـا • وعـد ذلك فان لندن رأت أن هناك خطرا أبعـد يمكن أن ينشأ بعقـد المعاهـدة ، حيث ستتمكن ايطاليا فى حالة اندلاع الحرب من حصار الطريق البحرى الى الهند • كانت مطامع ايطاليا التوسعية معروفة جيدا لدى العاصمة التى لا تريد أن تغيب عـن امبراطوريتها الشمس فالحصول على موقع نفوذ متميز فى باب المنـدب ، وبسط السيطرة الايطالية على السواحل اليمنية ، سيتيح للفاشية الايطالية تسديد ضربة حاسمة الى مراكز الهيمنة البريطانية فى جنوب آسيا •

ساءت العلاقات أكثر بين الامام يحيى وايطاليا من جهـة وبين بريطانيا من جهة أخرى من خلال تردد نبأ غير رسمى عن أنه عقـد فى الحـديدة اتفاق سرى بين السيف محمد نجل الامام وبين غاسباريني فى ١ يونيو ١٩٢٧ اعترفت ايطاليا بمقتضاه بالامام يحيى حاكما على اليمن كلها بجميع حـدودها الجغرافية — التاريخية ، وزكت حقـه فى توحيد كل الأراضى اليمنية بدعم من صاحب الجـلالة ملك ايطاليـا ، والتزمت بتقـديم السلاح والذخيرة التى يحتاج اليها بأدنى الأسـعار ومقابل ذلك أعلن الامام بأنه — خلال فترة سريان هـذا الملحق السرى

— سيعطى ايطاليا أفضلية على جميع البلدان الأخرى فى اقامة مشاريع اقتصادية فى الأراضى اليمنية ، على أن يحتفظ لنفسه بحق جباية الضريبة منها وفــق الشريعة السارية فى بلاده . غير أن كلتــا الحكومتين اليمنية والايطالية كذبتا نبأ عقــد مثل هــذا الاتفاق السرى فور اشاعته .

وفى الامكان القول أن ابرام اتفاق سرى مكتوب ، وموقع عليه من قبل الحكومتين أمر غير محتمل . ان من أحــد الأسباب لذلك أن الاتفاق قضى بأن يتعاون الامام يحيى مع ايطاليا فى مكافحة تجارة العبيد . ومطلب كهــذا ما كان للامام يحيى — الذى كان معروفا بتمسكه بفهمه الخاص لمــا تبيحه وما لا تبيحه الشريعة الاسلامية — أن يقبله ناهيك أن تجارة العبيد كانت موجودة فى اليمن وظلت قائمة حتى وان كانت فى حــدود . غير أنه من المؤكد أن الايطاليين وعــدوا الامام بتأييد مطالبه فى اليمن كلها وبتقــديم السلاح له .

ومقابل ذلك سمح لهم بتصــدير سلعهم الى اليمن ، واعطــاهم امتيازات اقتصادية . كما أن مفاوضات قــد جرت بين الجانبين أمكن تسرب أخبارها فى حينه ، قادت الى أن ايطاليا رفضت الاعتراف بابن سعود كحاكم لعسير التى كان يصر الامام على تبعيته لليمن .

لقــد كان هــدف الامام يحيى من عقــده معاهــدة ١٩٢٦ مــع ايطاليا هو بلوغ حلمه المرتجى فى دحر البريطانيين من عــدن والمحميات ولذلك فانه تجاوب مع ايطاليا الفاشية ، ولا سيما عندما أظهرت استعدادها لتزويده بالسلاح . وقــد توثقت العلاقات بين الجانبين أكثر عندما بعث الامام نجله محمد حاكم الحــديدة فى مطلع يونيو ١٩٧٢ الى روما فى زيارة رسمية . وفى كلمته التى ألقاها الأمير امام موسولينى فى حفــل التكريم الذى اقيم على شرفه امتدح الدوتشى — سيد ايطاليــا غير المنازع — على المساعدات الايطالية ، وأعرب عن رغبة الامام فى الحصول على المزيد منها حتى تتمكن اليمن من الحفاظ على استقلالها .

فى ٢٠ فبراير ١٩٢٦ وضع حجر الأساس لمصنع السلاح الأول فى اليمن ، وفى مطلع عام ١٩٢٨ بدأ انتاج أولى أمشاط الرصاص منه وفى نفس الوقت اقامت ايطاليا أول مدرسة للطيران فى اليمن ، والى ايطاليا أرسل شباب يمنى لتعلم الطيران المدنى والعسكرى •

ومقابل ذلك حصلت حكومة الدوتشى الفاشية على امتياز احتكار تجارة البن لزمن معين ، ومنحت البضائع الايطالية أفضلية على غيرها ، واحتكرت ايطاليا بيع البترول لليمن لمدة خمس سنوات « والشركة العربية الايطالية » التى أسست على عجل صدرت فى عام ١٩٢٧ وحده الى مملكة الامام ٩٥٠٠٠ صفيحة بترول ، وهو ما يساوى ٧٠٪ من وارداتها من البترول • وتأسست شركات أخرى مثل الشركة الايطالية الاستعمارية و "S. A. N. E" •

وبفعل ذلك تأثرت التجارة البريطانيا من عدن الى مملكة اليمن بقوة • وقد اعتبر الامام أمر التجارة وتحويلها فى اتجاه آخر بمثابة مظاهرة ضد البريطانيين ، ولذلك فانه وجه تجارة بلاده لصالح الايطاليين عن طريق ارسال صادراتها عبر ميناء الحديدة الى ميناء مصوع التابع للمستعمرة الايطالية أريتريا •

هذا الواقع يثبت أنه أمكن لايطاليا الفاشية ، لا أن تحقق شيئا من النفوذ على الامام فقط ، بل أن تحصل على امتيازات اقتصادية •

غير أنه لا ينبغى أن يستنتج من ذلك أن ايطاليا حققت أهدافها التوسعية ، وتصور كهذا يناقض الحقيقة التاريخية • فلم تتمكن لا من الحصول على قاعدة فى السواحل اليمنية ، ولا أن تشكل تهديدا حقيقيا لاستقلال البلاد • وما كتبته الصحافة البريطانية فى مثل هذا الوقت عن أن الامام قد تحول الى مجرد أداة فى يد ايطاليا وأن بلاده

غـدت جزءا من الامبريطالية الايطالية لا يعـدو أن يكون تشـاؤما مقصودا • وفى الواقع فانه اتيح للامام يحيى — نتيجة حـذره الذى عرف به — أن يحتفظ بنفسه بعيدا عن عملية التطويق الخطيرة التى كانت تخطط لهـا ايطاليا الفاشية ، وأن يحافظ على حريته ، وعـدا ذلك فانه عرف مـع الوقت انها لا تملك لا القوة ولا الرغبة لمساعدته على أن يصبح حاكما لليمن كلها •

فى هـذا الظرف الصعب الذى عزمت فيه كل من الفاشية الايطالية والامبريالية البريطانية على أن « تلتهم » مملكته ، خطب الامام صداقة الاتحاد السوفيتى • أول اتصالات أجريت بينه وبين الكرملين تمت عام ١٩٢٦ من خلال البعثة السوفيتية فى جده ، وبعـدئذ وصلت بعثة تجارية سوفيتية صنعاء ، كما أحضرت السفن السوفيتية بترولا وسلعا أخرى الى اليمن ، قاد هـذا التقارب ، وبناء على طلب الامام ، الى عقـد معاهـدة صـداقة وتجارة بين البلدين فى ١ نوفمبر ١٩٢٨ لمدة عشر سنوات ، وقـع عليها فى موسكو فى ٢٣ يناير ١٩٢٩ بينما وقع عليهـا الامام فى ٢٤ يونيو ١٩٢٩ ، وهـو ذات اليوم الذى تم فيه تبـادل الوثيقة المكتوبة باللغة العربية ، ومنذئذ غـدا كريم حكيموف الذى كان أول سوفيتى يصل اليمن تمهيدا لوضع المعاهـدة ممثلا للاتحـاد السوفيتى فى كل من جـده وصنعاء • تنص المـادة الأولى من المعاهـدة على أنه « تعترف حكومة اتحـاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بالاستقلال الكامل المطلق لحكومة اليمن • ويقـدر امام اليمن وحكومته صورة الاحترام الخالص والنيات الجميلة التى تغمر بها حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية اليمن وشعبها وسـائر الشعوب الشرقية » • كما نصت المـادة الثانية على تسهيل التبادل التجارى بين الطرفين المتعاقـدين وعلى حـق الدخول والاقامة لرعايا الدولتين طبقا للأنظمة القائمة وتعاطى التجارة ، وحسب نص المـادة الخامسة فقـد أسميت المعاهـدة بـ « المعاهـدة الودية والصداقية والتجارية » •

ووفقا لهـــا أقيمت وكالة تجارية سوفيتية فى صنعاء كان حكيموف نفسه المسئول الأول فيها • (يقرأ نص المعاهـــدة فى كتاب عـــدنان الترسيسى : اليمن وحضارة العرب ، بيروت ص ٢٦١ — ٢٦٢) •

عززت المعاهـــدة اليمنية — السوفيتية موقف الامام يحيى ، وكانت بمثابة انذار موجـــه الى عنوان الامبرياليين الطامعين فى مملكة اليمن بضرورة احترام سيادتها •

ولم تكن المعاهـــدة بدون تأثير فى كل من لندن وروما • وعلى الفور بدأ بين الدولتين الامبرياليتين نوع من تبادل الآراء حـــول تحـــديد مصالحهما فى البحر الأحمر وفوق ذلك فان الفاشية الايطالية أخـــذت تدخل شيئا من التعـــديل على سياستها تجاه اليمن ، ومالت قـــدرا ما عن الامام يحيى ، وشخصت نحـــو ابن سعود الذى عقـــدت معه فى ١٠ فبراير ١٩٣٢ معاهـــدة صـــداقة وتجـــارة • وفى ١١ مايو ١٩٣٢ أعلن وزير الخارجية الايطالى م• جراندى أمام مجلس الشيوخ اعتراف ايطاليا بابن سعود كحاكم على كل المناطق الخاضعة له ، بما فيها عسير •

كان هـــذا التحول فى الموقف الايطالى من نتائج المعاهـــدة اليمنية — السوفيتية • فقـــد تلقت المطامع الاستعمارية الايطالية بذلك ضربة موجعة ، وعـــدا ذلك فان المعاهـــدة مكنت مملكة اليمن من التحرر من الضغط الاقتصادى لايطاليا • فقـــد قضى على احتكارها توريد البترول وعلى احتكارها التجارة الداخلية والخارجية لملكة الامام • فقـــد أقام الاتحاد السوفيتى معارض منظمة للأدوات الزراعية والمنتجات الزراعية ، وغيرها من السلع فى أنحاء البلاد ، وخاصة فى صنعاء والحـــديدة • وفى عام ١٩٢٩ زود الاتحاد السوفيتى المملكة اليمنية بما يزن ٦٠٠٠ طن من البنزين و ١٦٠٠ طن من السكر (٤٠٪ من واردات البلاد) و ٣٠٠٠ طن من الحبوب (٣٥٪ من الواردات) مقابل شروط دفع ميسرة •

وبذلك اتيح للاتحاد السوفيتى لا أن يكسر فقط احتكار واردات البترول الى المملكة اليمنية ، وانما تمكن أيضا من انتزاع الواردات الأساسية اليها خلال عامى ١٩٢٩ — ١٩٣٠ من أيدى الدولتين الامبرياليين ايطاليا ، وبريطانيا ، كما تمكن من أن يغطى حاجة البلاد الأساسية •

حاولت الامبريالكة اليابانية بدءا من عام ١٩٣٣ أن تخترق هـذه المنافسة التى فاز فيها الاتحاد السوفيتى • ومن خلال بيـع بضائعها بأسعار مخفضة ارادت أن يكون لهـا موطىء قـدم راسخ فى السوق اليمنى • وقـد أمكنها فى هـذا العام — ١٩٣٣ — أن تورد للمملكة ٨٥٪ من حاجتها الى النسيج • وبقية الـ ١٥٪ توزعتها كل من ايطاليـا وانجلترا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، (مجمل واردات البلاد بلغت ١٨٠٠٠ باله) •

كتب مؤلف ايطالى فى هـذا الوقت أن المنافسة اليابانية الخطيرة التى اكتسحت بلاد العرب ، واغرقت أسواقها بالمنتجات لا قبل لأحـد بمقاومتها ، وان الاتحاد السوفيتى لا يستطيع أن يمارس فى مملكة اليمن تجارة رابحة مجزية بفعل ذلك • ولكن لان الاتحاد السوفيتى لم يكن يبيع بضائعه بأسعار مخفضة فحسب ، وانما كقرض أيضا ، فانه أمكن له أن يدحر البضائع اليابانية ، كما كتب مؤلف ايطالى آخر ، وهـو ذات الرأى الذى دعم من قبل مؤلفين عرب • وعـدا ذلك فان الوكالة التجارية السوفيتية فى اليمـن وجهت ضربات أخرى ضـد الشركات الأجنبية التى كانت قـد أقيمت فيها •

كان الوضع كما يلى : لم يكن لدى التجار اليمنيين سوى معرفة زهيدة بالأسواق العالمية وبالتجارة الخارجية ، ولم يكن رأسمالهم الوطنى كافيا لتغطية تكاليف التصدير للبن اليمنى الى البلدان الأخرى ، ممـا أفسح المجال أمام أصحاب الأعمال الأجانب وأمام الشركات للنفـاذ

مباشرة آل مالكي مزارع البن . وكان هؤلا الأجانب يحصلون على البن فى الغالب عن طريق الغش لليمنيين الذين يجهلون مدى الطلب الخارجى على هـذه السلعة وعلى أسعارها العالمية . ولكن ليس البن ، وانما الجلود أيضا وغيرها من السلع اليمنية كانوا يحصلون عليها على هـذا النحو . لقـد كانوا هم الوسطاء الوحيدين بين مملكة اليمن وبين السوق الخارجى والذين عن طريقهم كان أصحاب مزارع البن والمنتجـون الآخرون يبيعون البن والمنتجـات الأخرى . غير أن الوكالة التجارية السوفيتية أخـذت تجلى هؤلاء التجار الأجانب المحتالين من السوق اليمنى عن طريق تلك الصلة المباشرة التى اقامتها مع الريف اليمنى ومع التجار الصغار ، حيث أخـذت تشترى البن والجلود مقابل السكر ، والرز ، والدقيق ، والخشب ، والنسيج ، والكبريت ، والغاز . وبذلك تمكنت من تثبيت الأسعار ، ومن توجيه ضربة الى الشركات الأجنبية الامبرياليـة .

وبذلك تحسنت أوضاع السكان . ولم تغفل البعثـة التجارية السوفيتية عن واقـع أن أصـحاب السـفن الغربيين كانت سـفنهم الصغيرة تتردد ما بين شواطىء البحر الأحمر ، وتكسب مبالغ خياليـة من نقـل بضائع التجار اليمنيين من عـدن الى الحـديدة ، ممـا قاد الى نهب هؤلاء التجار فقط . من هنا فان الاتحاد السوفيتى أمسك بزمام المبادرة لوضع حـد لعملية النهب هـذه . فسفنه التى كانت تعبر الخليج العربى وتلقى مراسيها أمام ميناء الحـديدة شرعت فى نقـل بضائع التجار اليمنيين مقابل أجـور شحن زهيدة وغير قابلة للمنافسة كما أخـذت تنقل الحجاج اليمنيين الى الحجاز .

بالمعاهـدة اليمنية — السوفيتية مزق الحصـار الاقتصادى والسياسى الذى ضربة الاستعماريون حول مملكة اليمن وبذلك عـزز وضعها العالمى اقتصاديا وسياسيا .

كانت معاهـدة نوفمبر ١٩٢٨ أول معاهـدة صـداقة وتجارة تعقـد بين بلد الاشتراكية الأول وبين أول بلد عربى على الاطلاق ، فوق أنها كانت احـدى المعاهـدات القليلة التى عقـدت بينه وبين بلدان الشرق •

كان كل من الاتحاد السوفيتى واليمن الشمالى يعانى من الحصار والعزلة اقتصاديا وسياسيا ، وكان ابرام المعاهـدة اختراقا لعمليـة الحصار هـذه وذا فائدة مزدوجة لكل من البلدين اللذين نشأت بينهما صـداقة وعلاقة تعاون ظلت تنمو مع الزمن •

كان الامام يحيى معروفا بخـوفه الذى يبلغ حـد الرعب من الأجنبى ، وكانت العزلة التى لاذ اليها احـدى الترجمات السياسية لهذه النزعـة الهروبية من العالم ، والانسحاب من ثم الى القرون الوسطى ، غير أن الوجه الوضاح والصادق الذى أطـل به الاتحاد السوفيتى على العالم ، وسياسته المؤيدة لحق الشعوب والأمم والأوطان فى تقرير مصائرها وتحقيق وحـدتها الاقليمية واقامة دولها المستقلة ، بعيدا عن أى تدخل خارجى ، أو أى نزعة الى الهيمنة والتحكم ، اقنعت حاكم اليمن الاقطاعى القروسطى أن العالم ليس مجرد غـابة للوحـوش الاستعمارية ، وأنه يضم دولا عظمى لا تكن سوى الخير للبشرية كلها ، ولا تريد لهـا سوى أن تعيش فى سلام وحرية •

ومن هنا سعيه غير مرة الى مد اليـد الى الاتحـاد السوفيتى ، ومطالبته بعقد معاهـدة صـداقة ومودة وتجارة معه يتساند بهـا فى مواجهة الضغط البريطانى عليه ، ويفلت بها من الحصار الايطالى الذى كان قـد شرع فى تطـويقه •

مثلت المعاهـدة حجر الزاوية الذى قام عليه صرح علاقات الصداقة والتعاون بين اليمن والاتحاد السوفيتى والذى ما برح يتسامق ويشمخ الى ذرى أكثر علوا وارتفاعا •

فى ديسمبر ١٩٣٨ طلب الامام يحيى تجديد المعاهدة ، ولم يتأخر الجواب بالموافقة ، حيث تسلمه فى ٢٨ يناير ١٩٣٩ رغم اضطرار البعثة السوفيتية الى مغادرة اليمن فى العام السابق بسبب نذر الحرب التى كانت تلوح فى الافق ، والتى ما لبثت ان اندلعت ، وكان موقف الامام يحيى خلالها أميل الى دول المحور بسبب علاقة العداء بينه وبين بريطانيــا .

فى عهد نجله الامام احمد جــددت المعاهــدة وبالذات فى ٣١ أكتوبر ١٩٥٥ ، بموجب اتفاق قضى أيضا بتبادل التمثيل الدبلوماسى .

عــدا العلاقات الدبلوماسية والتجارية ، فان مملكة الامام الأثرية لم تطمئن لتزويد جيشها بالسلاح الحــديث الا الى الاتحاد السوفيتى ، وتشيكوسلوفاكيا ، كما ان بعثاتها التعليمية كانت تتجه نحوهما ونحو البلدان الاشتراكيه الأخرى فقط ، اذا ما استثنينا بعض البلدان العربية كالعراق ، ولبنان ، ومصر .

وأهم المشاريع التى قامت فى البلاد لم تتحقق الا على يد الاتحاد السوفيتى والصين ، كمشروع بناء ميناء الحــديدة ومشروع الطريق الموصل بين الحــديدة وصنعاء .

حقا أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر ورياح الثورة العربية التى اخــذ يطرق شبحها أبواب الممالك الأثرية قــد الجــأ حاكم اليمــن الكهنوتى الى المضى فى طريق التعاون مع الاتحاد السوفيتى — بقــدر ما كان ذلك متاحا له — غير ان سمعة الاتحاد السوفيتى كبلد لا مآرب له فى بلدان الغير ولا مطمع له غير مساعدتها بقــدر ما تطلب هى ذلك وبقــدر ما يستطيع هــو أيضا ، والتقاليد الطيبة التى أرستها معاهدة الصداقة والتجارة هى العامل الأول الذى اقنع الحاكم الأثرى فى اليمن

بانه ليس هناك بديل للاتحاد السوفيتى اذا ما رغب فى ادخال شىء من التحديث على مملكته القروسطية .

ولم يكن الاتحاد السوفيتى غائبا عند قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، لقد كان سلاحه فى يد الثوار ، وكان مدربوه فى زند كل منهم جنبا الى جنب مع كل خبرة عسكرية وثورية اكتسبها هؤلاء الثوار على يد الثوار والخبراء المصريين والعراقيين ، واكتسبوها من تفجر الثورة الأم فى مصر والثورة الساعد فى العراق .

فى ٢١ مارس ١٩٦٤ عقد رئيس الجمهورية العربية اليمنية المشير عبد الله السلال أثناء زيارته للاتحاد السوفيتى معاهدة صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفيتى تعتبر تجديدا — ولكن بروح الثورة السبتمبرية هذه المرة — لمعاهدة نوفمبر ١٩٢٨ .

ولم يكن ابرام معاهدة الصداقة والتعاون اليمنية — السوفيتية التى أبرمها النظام الديمقراطى الثورى فى جنوب الوطن مع الاتحاد السوفيتى فى ٢٥ أكتوبر ١٩٧٩ والتى وقعها عنها الشهيد عبد الفتاح اسماعيل بمعزل عن هذا التراث الغنى من العلاقات الخصبة مع بلد الاشتراكية الأول ، وان تميزت بأنها قامت على أرضية جديدة تماما هى أرضية التحالف الاممى بين قوى الثورة العربية والعالمية .

كما أن ابرام العقيد على عبد الله صالح رئيس النظام فى الشطر الشمالى من اليمن لمعاهدة الصداقة والتعاون معه فى ٩ أكتوبر ١٩٨٤ أثناء زيارته لموسكو قد نصت ديباجتها صراحة بأنها امتداد لمعاهدة نوفمبر ١٩٢٨ التى جددت فى العهد الجمهورى .

يحق لليمن أن تعتز بأن تكون أول بلد عربى أدرك — حتى فى عهود التخلف والجهل والكهنوت — بأن صداقة الاتحاد السوفيتى هى احدى ركائز الحفاظ على الذات فى عالم البغى الاستعمارى . على أن للصداقة مع الاتحاد السوفيتى أبعادا أعمق وأشمل من ذلك بكثير لا يدركها الا الثوار ، الذين يقف الثوار اليمنيون فى صفوفهم الامامية .

علاقة ثورة ٢٦ سبتمبر
بكل من
حركة الأحرار التقليدية
والتجربة الناصرية

يمكن القول بأنه بقيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م أمكن انتزاع اليمن من واحد من أكثر أقبية القرون الوسطى ظلاما ووحشية ووضعها دفعة واحدة فى غمرة أضواء القرن العشرين ٠

كانت الثورة القذيفة الأولى التى لعلعت فى ليل الجزيرة البهيم ، وايقظتها من سباتها الطويل ٠

كانت بركانا أطاح بالقشرة العليا الجرانيتية الصلدة للمجتمع التى تكونت عبر ألف عام ، واستمدت قوتها ورسوخها وديمومتها لا من الوضع الطبقى الاقطاعى ـ القبلى الانتقالى الشائك المعقد فحسب ، وانما أيضا من دعوى حقها الالهى الكهنوتى فى الحكم ، هذه القشرة التى تمثلت فى النظام الامامى الثيوقراطى الاستبدادى الفردى ٠

(*) نشرت فى صحيفة « ١٤ اكتوبر » عدد ١٩٨٧/٩/٢٧ ٠

وكانت الثورة صحوة وطنية عامة غمرت الشعب اليمنى من أقصى شماله الى أقصى جنوبه ٠

وكانت دعـوة نضال لا ضـد حكم القرون الوسطى المظلم المتعفن فقط ، وانما أيضا ضـد الاحتلال الأجنبى للشطر الجنوبى من الوطن اليمنى الذى كان يمارسه طغاة القرن العشرين ٠

وكانت صيحة مدوية للشروع فى تحرير الوطن ، كل الوطن ، والعمل على توحيده ٠

وكانت الثورة موجة عاتية فى خضم الثورة العربية الهادر والمتجه نحو تحرير وتوحيد أقطار الوطن العربى ٠

وكانت واحـدا من المؤشرات على الانقلاب الثورى العام الذى أخـذ يشهده العالم النامى بعـد الحرب العالمية الثانية بفعل الانتصار على الفاشية وتضعضع مواقع الامبريالية العالمية ، وقيام المنظـومة الاشتراكية ، وانتشار ألوية حركة التحرر الوطنى العالمية ، وبروز دور الاتحاد السوفيتى على النطاق الدولى ٠

ذلك يعنى أن الثورة لم تكن مجرد امتداد تاريخى لحركة المعارضة التقليدية التى تعود جـذورها الى منتصف الثلاثينيات ، والتى رأت فى هزيمة الامام يحيى امام بريطانيا العظمى وابن سعود بتوقيعه معاهدتى ١٩٣٤ معهما دليل ضعف وعلامة اغراء بمقاومة حكمه وادخال الاصلاحات عليه حتى بالتعاون مع هـذين العـدوين ، والتى لم تطمح الى أكثر من اجراء تحسينات دستورية على النظام الامامى — الملكى القائم ، من شأنها أن توسع فقط قمة السلطة بحيث تتسع للأسر الاقطاعية المنافسة وشيوخ القبائل الذين قلصت سلطاتهم الاوتوقراطية على قبائلهم ، ولفئات

الارستقراطية الدينية الطـــامحة الى حظ أكبر فى السلطة ولعناصر البرجوازية الناشئة التى كانت تبحث لهـــا عن دور ما فى مملكة الأئمـــة المقفـــلة •

وحتى شعار الجمهورية الذى طرحته فى همس وحياء شديدين منذ عام ١٩٥٦ ، دون أن تتخلى عن نهجها التقليدى فى التعلق بأذيال هـــذا الأمير أو ذاك . وهـــو هنا الأمير البدر ، الذى راهنت عليه وعلقت الآمال عليه ضـــد عمه الحسن الساعى الى العرش ، حتى هـــذا الشعار لم يكن يحمل فى فهمها له دلالة ديمقراطية . فالمرشح لرئاسة الجمهورية فى الحركة القبلية ـــ السياسية المجهضة التى قادها عام ١٩٥٩ حسين بن ناصر الأحمر شيخ مشائخ قبيلة حاشد هـــو هـــذا الشيخ الاقطاعى المتزمت نفسه ، على أن ينوب عنه فى ادارتها أحـــد قاضيين : أما القاضى احمد السياغى ، أو القاضى عبد الرحمن الاريانى •

حقـــا كان لبعض العناصر التقليدية من حركة الأحرار اليمنيين القـــديمة ممن كانوا فى الداخل امثال القاضى عبد السلام صبره ، والقاضى عبد الرحمن الاريانى صلة ما بالخمائر الثورية الجـــديدة التى كانت تعـــد وتستعد للاطاحة بعرش بيت حميد الدين ، واقامة النظام الجمهورى الثورى على انقاضه ، كما كان هناك لبعض أبناء المشائخ أمثال آل ابو لحوم ـــ الذين كان اخوانهم أو آباؤهم كالشيخ سنان أبو لحوم من حركة المعارضة التقليدية ـــ دور معين عند قيام الثورة •

غير أن حركة الثورة نهضت أساسا على أكتاف قوى جـــديدة لم تدخل فى اطار حركة الأحرار ، ولا وقفت عند فكرها الاصـــــلاحى المحـــدود •

لقـــد كانت هـــذه القوى تتمثل فى ممثلى فئات البرجوازية الصغيرة والوسطى العسكرية والمدنية ، وفى بعض عناصر البرجوازية الـــكبيرة نسبيا •

لم تكن الطبقة البرجوازية الوسطى وراء الثورة • فلم تكن تسمح ظروف اليمن المغرقة فى التخلف والعزلة بظهور مثل هـذه الطبقة •

كانت الفئات الوسطى الواقعة ما بين الطبقات والتى كانت ما تزال آخـذة فى الكوين هى أساس الثورة :

كان المثقفون العسكريون هى أساس الثورة •

وكانت فئة البرجوازية التجارية هى قاعـدة هـذا الرمح •

ووسط العسكريين كان هناك تنظيم الضباط الأحرار ، الذى تشكل فى ديسمبر ١٩٦١ والذى مثل الحلقة الوسطى فى سلسلة القوى التى أعـدت للثورة ونفـذتها •

وبين العسكريين هؤلاء كان هناك المقـدم عبد الله جزيلان مدير الكلية الحربية ومدرسة الأسلحة ، والذى لم يكن عضوا أساسيا فى تنظيم الضباط الأحرار لحساسيات بينه وبين العنصر القيادى فيه وهو الملازم على عبد المغنى •

وبين هؤلاء العسكريين كان هناك الزعيم عبد الله السلال رئيس الحرس الملكى •

ووسط البرجوازية التجارية يبرز اسم عبد الغنى مطهر باعتباره أظهر وجـوهها •

وخارج الوطن يطل وجه الدكتور عبد الرحمن البيضانى الذى كان أميل الى التعبير عن البرجوازية الهجينة وعن موقف الأجهزة المصرية منه الى التعبير عن فئة اجتماعية محـددة داخل المجتمع اليمنى ، والذى كان مع ذلك شأن الأطراف الآنفـة الذكر ، التى لعبت هـذا الدور أو ذاك عند قيام الثـورة واحـدا من الشخصيات التى ليس فى الامكان اسقاط اسمها ، أيا كان الدور التخريبى الذى مارسه تجاه الثورة •

لم تكن فصائل الحركة الوطنية المنظمة ، ممثلة فى حركة القوميين العرب . ومنظمــة البعث العربى الاشــتراكى ، والاتحــاد الشعبى الديمقراطى . أو الشخصيات الوطنية والتقــدمية المستقلة بعيدة عن هــذه القــوى والفئات والعناصر العسكرية والمدنية التى نشطت من أجل اسقاط حكم بيتحميد الدين ؛ واقامة النظــــام الجمهورى على انقاضــــه .

غير أن تنظيم الضباط الأحرار والفئات والعناصر الأخرى التى تحملت معه عبء اطلاق شرارة الثورة لم تكن صلتهم بفصائل وعناصر الحركة الوطنية تتجاوز التأثر والتأثير المتبادل ، حيث بقى تنظيم الضباط الأحرار محافظا على سرية تكوينه . كما احتفظت الأطراف والعناصر الأخرى العاملة معه على خصوصية حركتها وسرية اتصالاتها الخاصة ، دون أن تخفى عن بعضها بعضا ما من شأنه أن يجمع بينها ، ويوحــد خطاها ، ويعزز عملها .

وكان ممــا يجمع بينها النظر الى قضيتها الوطنية اليمنية باعتبارها جزءا لا يتجزأ من القضية القومية العربية .

وكل المذكرات الشخصية أو الجماعية أو التصريحات الفردية لأى من هــذه الأطراف والعناصر تجمع على هــذه الحقائق المشار اليها .

يكفى أن نعود هنا الى ما سجله كتاب (أسرار ووثائق الثــورة اليمنية) ــ الطبعة الثانية ــ الذى أعــدته لجنة من تنظيم الضــباط الأحرار ، حيث جاء فيه أن شهر ديسمبر ١٩٦١ كان شهر « ميلاد تنظيم الضباط الأحرار ؛ وكان هــذا الشهر ــ للحقيقة والتاريخ ــ بالنسبة للطلائع العسكرية الوطنية والمثقفة هــو شهر الوقفة والتأمل لمــا يحــدث بالساحة اليمنية والقــومية (فشل محاولة اللقيــه وزميله ، ومؤامرة الانفصال للوحــدة المصرية السورية) . كذلك عــدم وجــود

الامكانية لدى القوة الحزبية والتجمعات الوطنية القيام بالتغيير المطلوب للبلاد ، لذلك كله ولحتمية سرعة التغيير اتقاء وأمنا وسلاما على اليمن والأمة العربية من الموجة التآمرية الرجعية الامبريالية ، خلقت قناعة جديدة لدى الجميع بضرورة سرعة بناء (تنظيم الضباط الأحرار) لاحباط المؤامرة الرجعية والامبريالية . هذا التنظيم فى أهدافه ومبادئه لا ينفصم عن المنطق القومي الوحدوى ، بل رافدا من روافد القومية والوحدة العربية ، لذلك فقد انصهر الجميع فى بوتقته ، وتوقف كل من كان منهم قد انتمى حزبيا عن النشاطات الحزبية ، فنشأ هذا التنظيم نشأة وطنية بحته ، وظل فى نفس الوقت منفتحا على كل المنظمات الحزبية والوطنية . وقد تطور هذا الانفتاح قبيل قيام الثورة بأسابيع الى تكليفات مشتركة ، وتوزيع مهام التنفيذ للثورة حتى تحقق النصر صبيحة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ » (ص ٩٨) .

(الصحيح أن يقال صبيحة الـ ٢٧ من سبتمبر ، حيث أن الثورة بدأت ليلة الاربعاء الـ ٢٦ من سبتمبر ، قبل منتصف الليل ، وأعلنت الجمهورية العربية اليمنية يوم ٢٧ سبتمبر — الباحث) .

ورغم تأثر الضباط الأحرار بالفكر الذى كانت تتبناه فصائل الحركة الوطنية اليمنية وتجاوزهم من ثم لفكر حركة الأحرار التقليدية ، الا أن تأثيرهم بالنهج الناصرى ، والتجربة الناصرية وشخصية جمال عبد الناصر ، كان هو الأعمق والأجلى ، حتى بدا أن مهمتهم فى اليمن ليس فحسب تحرير اليمن من حكم بيت حميد الدين ، والتمكين للتحرر من الاستعمار البريطانى الرابض فى جنوب الوطن ، وانما الاشتراك أيضا فى تقويم مسيرة الحركة القومية العربية التى اعوجت بفعل نكسة الوحدة المصرية — السورية .

يقول كتابهم الآنف الذكر فى هـذا الصـدد : « وكان الاتحاد اليمنى فى هـذه الأونة ، وحـدة شخصية (الزبيرى والنعمان) أرادا ان يرمزا الى الوحـدة الوطنية ، وان يجسدا استمرار حركة الأحرار التاريخية . بينما الواقـع يحبـل بأحـداث جـديدة . والتجمعـات الصغيرة تنشأ بين صفوف الضباط . وتسرى بين الجيل الجـديد . والمثقفين كحزب البعـث ، والقـوميين العرب . والشيوعيين العرب . وتحاول كل هـذه الفصائل الجـديدة أن تشق طريقها الى حياة سياسية جـديدة . وتطامح فى تغيير المجتمع اليمنى . وكانت هـذه التيارات تعمل على امتداد اليمن كله من الشمال الى الجنوب . ولم يكن ضباط الجيش أيضا بمناى عن هـذه التيارات . وان كان تاثرهم بالتجربة الناصرية فى مصر اقرب من الى أفكارهم من تفصيلات الأيديولوجيات المتصـارعة فى العالم العربى . وذلك فى فترة كانوا يشعرون فيها بعـدم قـدرة التيارات والأحزاب عن عمل مؤثر يغير مجرى الحياة السياسية . بينما الحياة السياسية فى الوطن العربى تدخل فى مرحلة جـديدة . بعـد انفصال سـوريا ، وخروجها من الجمهورية العربية المتحدة ، بعـد احتدام المعركة الاجتماعية داخل ج. ع. م. واتساع أفـق الثورة العربية الحـديثة » . (ص ٣٨ — ٣٩) .

لم يكن هناك تعارض بين القضية الوطنية اليمنيه والقضيه القومية العربية . وانما تداخل وتشابك وتكامل . بل ان الضباط الأحرار — شأن الأطراف والعناصر الأخرى التى شاركت فى تفجير الثورة — كان لديهم الاقتناع الراسخ بأن العامل الوطنى وحـده لا يكفى لقيام الثـورة ونجاحها ، وبأن العامل القومى العربى شرط أساسى ولا بديل لـه لتحقيق ذلك .

كان ما ترسب فى ذاكرتهم من الاحباطات والاخفاقات المتواليه التى لحقت بالمحاولات الانقلابية السابقة التى قادتها حركة المعارضة التقليدية

منذ عام ١٩٤٨ الى ١٩٥٩ هو الأساس فى تكون مثل هذا الاقتناع السياسى الراسخ بضرورة المساندة القومية الثورية لأى حدث ثورى حقيقى وناجح فى اليمن .

ولا تجمع مذكرات وتصريحات من أسهموا فى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ على شىء كما تجمع على هذه الحقيقة . ولسنا فى معرض تتبع أقوالهم فى هذا الصدد . فذلك يستحق بحثا مستقلا .

ونقتصر هنا على ايراد بعض ما جاء فى كتاب الضباط الأحرار فى هذا المجال — وهو ما يتفق مع اشارة المشير السلال عن « القيام بثورة السادس والعشرين من سبتمبر التى كان الانفصال — أى انفصال سوريا عن مصر من جملة أسبابها » — كما ورد فى اجاباته التى نشرتها صحيفة « الامل » فى ٢٢—٩—١٩٨٥ — حيث يوضحون : و « هنا تجدر الاشارة الى أنه مهما كانت الحوافز والأسباب والدوافع المحلية هى المحرك الفاعل للحماس الثورى والدفع نحو الخلاص والانعتاق ، فان تعاظم حركة الانبعاث القومى ونشاطها المتزايد فى محور حركات التحرر الوطنى العربية والعالمى ، ووضوح ملامح النضال على الساحة العربية والعالمية ، وتحديد أهدافه من قضايا سياسية مثل الحرية والاشتراكية والوحدة ، كما ظهر أثره فى الأهداف الستة — لولا ذلك لكانت ثورة السادس والعشرين من سبتمبر حركة تمرد أو انقلاب ربما لا يكتب له أن يعيش غير أيام محدودة كغيره من التجارب والمحاولات السابقة » . (ص ٤٦ — ٤٧) .

لقد أثبتت الحرب الأهلية والاستعمارية الضروس التى فرضتها الرجعية الملكية والرجعية السعودية والعربية والعالمية والاستعمار القديم والجديد على الثورة ، والتى وقفت فيها مصر عبد الناصر

الى جانبها بالمـال والرجال والعتاد حتى بلغ تعـداد جيشها فيها حوالى ٨٠ الفا — أثبتت ليس فقط صحة وصواب تقـدير الثوار اليمنيين هذا ، وانما أيضا الأهمية والمكانة العاليتين اللتين احتلتهما ثورة سبتمبر فى اطار النضال الثورى العام لحركة التحرر الوطنى العربية والعالمية .

ومن هنا أيضا ذلك الدعم السخى الذى قـدمه لهـا المعسكر الاشتراكى ، وخاصة الاتحاد السوفيتى ، والذى بلغ حـد التقـديم المجانى للأسلحة ووسائل النقل التى استخدمت فى حرب اليمن .

ملاحظـات حـول بحث

« حركتنـا ١٩٤٨ و ١٩٥٥

في الشطر الشمالي من اليمـن »

قرأت بتمعن وتقـدير بحث « حركتنا (١٩٤٨ و ١٩٥٥) ف الشطر الشمالى من الوطن اليمنى » الذىنشره الأخ ناجى محمد سعيد على ف « الثورى » ف ٢٨ـ٣ـ١٩٨٧ ، ونبه فيه الى أنه « خاص بالدعـاة السياسيين للحلقـة الابتدائية ف شـبكة التثقيف الحزبى لشهر أبريل ١٩٨٧ » •

وقـد تميز البحث بخلوه مما تتسم به الكتابات غير المتخصصة حـول هاتين الحركتين من عاطفيـة ورومانتيكية تصلحـان عنـد نظم الشعر ، غير أنه لا علاقة لهما بميدان البحث العلمى وقضايا التاريخ الذى اعتبره ماركس علم العلوم •

ومع ذلك ، بل من أجل ذلك : أرجـو أن يسمح لى بالتصويبات

والتدقيقات الآتية التى ربما كانت سرعة اعــداد البحث سببا فى خلو البحث منها أحيانا :

١ ــ جاء فى البحث : « فقــد وقع الامام يحيى على اتفاقية خيانة فى ٢٠ مايو ١٩٣٤ تنازل بموجبها عن ثلاث مناطق يمنية (•••) وفى فبراير ٢٩٣٤ وقع الامام يحيى على اتفاقية الحــدود مع بريطانيا بهدف الحفــاظ على الأوضاع الراهنة لمدة (٤٠ يوما) » (المراد ٤٠ عاما بكل تأكيــــد) •

ولأن « معاهــدة الصــداقة والتعـــــاون المتبادل بين اليمن وبريطانيا » ــ وهــذه هى التسمية الرسمية لهـا ــ قــد عقــدت فى ١١ فبراير ١٩٣٤ ، أى قبل « معاهــدة الطائف بين المملكة المتوكليــة اليمنية والمملكة العــربية السعودية » ــ وهــذه هى التسمية الرسمية أيضا ــ فقــد كان من الضرورى تقــديم ذكر المعاهــدة الأولى على الثانية من حيث الترتيب الزمنى والتاريخى لأن لذلك مغزاه وآثاره على مجــرى حركة الأحــداث التاريخيــة ، حيث كان فى ظن الامام يحيى بأنه بأقفال ملف النزاع مع بريطانيا على جنوب اليمن والاستسلام لها يمكن أن يتفرغ لفتح ملف النزاع الآخر الى نهايته ، بقطع النظر عمــا انتهت اليه الأمور فعلا فى كلتا الحالتين •

كما أن « معاهــدة الطائف » عقــدت فى ٦ صفر ١٣٥٣ هـ وهــو ما يصادف ١٩ مايو ١٩٣٤ وليس ٢٠ مايو ١٩٣٤ •

٢ ــ جاء فى البحث : « قــام الأمير « أحمد بن يحيى » ولى العهد بزيارة لعــدن لنفس الغرض ، وأكد لزعماء الجمعية بأنه على استعداد لاجراء اصلاحات فى البلاد لتجاوز سياسة العزلة ••• » •

وظاهر الصيغة يوحي بأنه قــد حــدث لقاء فعلى بين الأمير وبين

زعماء المعارضة ، وهو ما لم يحـدث نتيجة تحسب هؤلاء الزعماء بأن الأمير يضمر لهم شرا ، وبالذات النعمان والزبيرى •

ولذلك كان ينبغى توضيح أن التفاوض — اذا صح استخدام هذه العبارة — قـد جرى بطرق غير مباشرة عبر الوسطاء وعبر نشر مطالب الأحرار اليمنيين فى الصحافة •

٣ — تكررت فى البحث عبارات « المتنورة » و « المستنيرة » فى وصف « قيادة الحركة الاقطاعية » المعارضة لبيت حميد الدين من بيت الوزير « التى تحمل أهـدافا دستورية جديدة ، والتى تقف ضـد الحـكم المطـلق » •

كما تكررت عبارات مناقضة للأوصاف الأولى فى وصـف هـذه القيادة ، فهى حينا من طينة بيت حميد الدين الاقطاعى ، وتارة أخرى أكثر تزمتا منهم ، حيث يقول الكاتب : « فقـد كانت قيادة المعارضة من نفس الطبقة الارستقراطية التى ينتمى اليها الامام يحيى » ويقول أنه بعـد تنصيب عبد الله الوزير اماما بعـد الفتك بالامام يحيى فضل بعض « الأحرار » البقاء فى عـدن مؤقتا « خشية من الامام الجـديد ، لأنه صورة طبق الأصل للامام يحيى • وقـد قال النعمان : « هما من جيل واحـد ، ومدرسة واحـدة ، هـذا ان لم يكن أكثر تزمتـا من الأول فى الناحية الدينية » •

وبالعودة الى الوقائع المـادية يتأكد أن بيت الوزير الذين كانوا القادة الفعليين لحركة المعارضة داخل مملكة الأئمة هم البيت الثانى من حيث المحتد الارستقراطى ، ومن حيث الانتماء الاقطـاعى ، كما كانوا أقـوى بيت منافس لبيت حميد الدين على الامامة • وأن وصـف « الاستنارة » لا ينسحب عليهم •

أما تلك الشعارات ذات السمة الشوروية والليبرالية فكانت تعبر عن مطالب الفئة البرجوازية المعارضة الموجودة فى عدن وفى المهجر وعن نزوع فئة المثقفين الذين احتكوا بالخارج بشكل مباشر أو عن طريق الكتب والمجلات التى كانت تتسرب الى البلاد .

وقد قبل بيت الوزير بهذه الشعارات لمجرد الحصول على مبايعة زعماء هاتين الفئتين لهم بالامامة . وذلك ما اتضح جليا بعيد تربعهم للعرش . فلم يكتفوا بمنصب الامامة الذى كان من نصيب عبد الله بن أحمد الوزير ومنصب رئيس مجلس الوزراء الذى كان من نصيب على بن عبد الله الوزير ، وانما شرعوا فى فرض تسلطهم الاسرى منذ اللحظات الأولى ، وهو ما كتب عنه الأحرار فيما بعد ، وخاصة النعمان والزبيرى ، مما لا يتسع المجال لسرده هنا .

٤ — ناقض الكاتب نفسه أيضا حين أصبغ على حركة الأحرار صفة « الشعبية » وحين نزعها عنها ، ففى الحالة الأولى « أدركت قيادة المعارضة أنه لابد من استنهاض الجماهير اليمنية » « ووقفت الجماهير الشعبية الكادحة الى جانب قيادة الأحرار » « وعلى الرغم من عدم وجود صلات تنظيمية مباشرة مع الكادحين ، الا أنها حظيت بتأييد شعبى واسع » وفى الحالة الثانية « بذل الامام الجديد جهودا كبيرة لكسب تأييد الناس ، لأنه لم يلمس أى تعاطف الا فى الأوساط المحدودة من الطبقة الوسطى . وتمكن أبناء الامام المنتقلون من خلال أنصارهم أن يقودوا نشاطا فعالا ضد الامام الجديد ، حيث رفضت وحدات من الجيش النظامى دعم « عبد الله الوزير » ، واحتفظت بحيادها ، ولم تنحز للسلطة الجديدة » . ومن « الأسباب التى أدت الى فشل الحركة » :

« ١ — لم تكن الحركة منظمة ، ولم تسع الى أحداث تغيير كامل لجهاز الدولة القديم ، بل كانت حركة ارتجالية لم تضع تصورا مسبقا

عن شكل الدولة المقبلة ، وانما كان هــدفها العاجل القضاء على الامام واستبداله بالوزير •

٢ ـ انعزلت تنظيميا عن جماهير الشعب ، وذلك لعــدم قيــامها بتعبئة الجماهير لحثها على الدفاع عن الحكومة ولم يجر تنظيم الاتصالات بباقى مناطــق اليمن » •

« ٣ ـ الخلافات العميقة داخــل الحركة واكتشاف الكثيرين أن « عبد الله الوزير » لا يختلف عن « الامام يحيى » ، وان ثقته ضعيفة بالكثير من قيادات ورموز حركة الأحرار •• هــذا الخلاف أدى الى اضعاف الحركة فى مواجهة استعدادات وهجوم « أحمد ولى العهد » •

وكل الحقائق تؤكد أن هــذا الطرح الأخير هــو الصحيح ، وان حركة الأحرار لم تصل الى قاع المجتمع بسبب من طبيعة قيادتهـــا الارستقراطية الاقطاعية فى الداخل ، وأنها مثلت جناحا اقطاعيا معارضا للجنــاح الاقطاعى الحاكم ، وهــدفت الى توسع قاعــدة الحكم ، بحيث يتسع للجناحين معا ولمجمل الطبقة الاقطاعية ، مع الاحتفاظ للبرجوازية الناشئة التى كانت أساسا فى عــدن وفى المهجر بهامش محــدود فى السلطة الى جانب بعض المثقفين الدينيين •

٥ ـ تكرر وصف حركة الأحرار بأنها « حركة وطنية » • وتبعــا لذلك اعتبر العلاقة التى قامت بينها وبين الاستعمار البريطانيين علاقة فائدة متبادلة ومبررة ، حيث يقول تحت عنوان « موقف بريطانيا من الأحرار » : « ما زال هــذا الموضوع محط اختلاف (فى تصنيف العلاقة بين الجانبين) بين المؤرخين والكتــاب حتى الآن • فالبعض يؤيد رأى الدكتور محمد على الشهارى الذى يقول « أن حركة الأحرار كانت حركة عميلة لبريطانيا » معللا هــذا الرأى بالاتصالات التى كانت تتم بين

الأحرار وبريطانيا •• وهى الاتصالات التى فتحت المجال أمام الأحرار للقيام بنشاط واسع فى عـدن » •

« ونحن نرى أن المنطق التاريخى يقول « ان الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية والسياسية ، والعزلة والتهجين التى فرضها الامام يحيى حميد الدين على شعبنا اليمنى كانت ثقيلة » ••

« ولذا ظـل الشـعب اليمنى يبحث عن الاسـتقرار والازدهار والحياة الكريمة وأحـداث نهضة ثورية ، وكسر طوق العزلة ، والاتصال بالخارج • وعندما بدأت حركته الوطنية تعمل من أجل تحقيق طموحاته ، استخدم الامام أشنع الطرق للقضاء على قيادة الحركة • فبريطانيا أرادت الاستفادة من حركة الأحرار للضغط على الامام ، لأنه كان على خلاف معها بشأن قضية الجنوب ، وبسبب قيامه بتحريض للقبائل ضدها •• ففتحت بريطانيا عـدن للحركة الوطنية لتعرقل مساعى الامام ، وتمنعه من تنفيذ مشاريعه • هـذا من جانب ، ومن جانب آخر ، فقـد رأت حركة الأحرار فى موقف بريطانيا هـذا فرصة لتكثيف نشاطها السياسى والاعلامى ضـد الامام ، والقضاء عليه ، وتطوير اليمن ، لهـذا لجأت الى عـدن كخطوة أولى للقضاء على حكم الامام ، وتسلم زمام الأمور فى الشمال •• وفى هـذا أحـد الشواهد التى تؤكد التواصل العضوى بين نضال ومصير الشعب اليمنى فى الشمال والجنوب » •

« ولكن يجوز أن يكون بعض العملاء لبريطانيا لهم صلات بالأحرار مثل بعض الشخصيات البرجوازية التجارية التى كانت ترى فى عـدن مركزا تجاريا حيويا، ونادت بالعـدالة والحكم الذاتى فى بعض الأمور المدنية ، وحرية الصحافة • وهـذا يشكل حالة أرقى من الحكم المطلق للامام يحيى حميد الدين • ويبدو أن الدكتور الشهارى حاكم حركة ١٩٤٨ بمنطق زماننا هـذا • ولو حاكمها بزمانها والظروف التى انطلقت

فيها ، لكان الحكم عليها واقعيا من حيث كون الحركة قد مثلت قفزة متقدمة فى نضال الشعب اليمنى • ولا يمكن اعتبار نص فقرة « الميثاق المقدس » التى اعتبرت « بريطانيا جارة » كافيا لو صم حركة الأحرار بالخيانة » •

ونوجز ملاحظاتنا فى التالى : يضع الكاتب بين قوسين كلاما منسوبا الينا نقول فيه : « ان حركة الأحرار كانت حركة عميلة لبريطانيا » وكان ينبغى أن يذكر المصدر الذى اقتبس منه هذا الكلام • ويضع الكاتب بين قوسين كلاما منسوبا الى « الميثاق المقدس » جاء فيه — حسب قوله — اعتبار الأحرار « بريطانيا جارة » وينسب الينا وصمنا « حركة الأحرار بالخيانة » استنادا الى هذا النص •

وبمراجعتنا للميثاق المقدس لم نعثر على هذا النص ، كما أننا بمراجعتنا لما كتبناه حول حركة الأحرار لم نعثر على كلمتى « العمالة » و « الخيانة » فى وصفنا لحركة الأحرار •

ما قلناه فى كتاباتنا أنه كات هناك علاقة حقيقية بين الأحرار والبريطانيين وان البريطانيين راهنوا على الأحرار فى مد نفوذهم الى مملكة الأئمة المقفلة ، ولا سيما بعد أن تأكد لهم أن الأمريكيين يسعون بدأب الى فتحها عن طريق المراهنة على أنجال الامام من سيوف الاسلام ، وعلى رأسهم السيف عبد الله الذى حذر الأحرار من خطره وخطر مخططه على مشروعهم ، وأنه كان هناك من ثم صراع محتدم بين الاستعمار القديم والاستعمار الجديد على عرش بلقيس استخدم كل منهما فيه القوى السياسية التى قدمت نفسها له طواعيه واختيارا : الأحرار •• وسيوف الاسلام •

وفى المتحف البريطانى وثائق بالغة الأهمية فى هذا الصدد يمكن لأى باحث أن يعود اليها اذا ما أراد معرفة مدى العلاقة التى

كانت قائمة بين الأحرار والبريطانيين وغير ذلك من التفاصيل الحساسة .

أما تقـديم « النعمان » كبش فـداء واتهامه بالعمالة للبريطانيين وتبرئة غيره من التعامل معهم ـ وهـو ما بدا من حـديث الكاتب ، شأن ما فعله الذين يكتبون فى التاريخ حسب المزاج والهوى والحب والكره ـ فذلك ما كنا نؤثر ألا يقع فيه .

فالنعمان ، وان كان صندوق أسرار قضية الأحرار ، الا أن زعماء الأحرار الآخرين فى عـدن وصنعاء كانوا يعرفون المحتويات العـامة لهـذا الصـندوق ، وكانوا مشاركين فى رسـم خط العـلاقات مـع البريطانيين . ويبدو أن النعمان قـد كشف جميع هـذه المحتويات فى مذكراته التى يقال أنه أودعها الجامعة الأمريكية فى بيروت ، على ألا تنشر الا بعـد وفاته .

وأما تصوير هـذه العلاقة بين المستعمر البريطـانى وبين حركة معارضة لنظام آخر بأنها نوع من الاستفادة المتبادلة ، حيث ارادت بريطانيا « الاستفادة من حركة الأحرار للضغط على الامام » وحيث فتحت « بريطانيا عـدن للحركة الوطنية » من جهـة ، وحيث « رأت حركة الأحرار فى موقف بريطانيا هـذا فرصة » من جهة أخرى ـ أما مثل هذا التصوير للأمور فهو يقـدم مبررا خطيرا للتعامل والتعـاون بين أى مستعمر وبين أية قـوة سياسية بحجة النفع المتبادل .

فنحن هنا أمام حركة سياسية تريد الوصول الى السلطة وتجـد الدعم من قـوة استعمارية تحتل جزءا من وطنها . فهل العلاقة بين الجانبين ، أى بين دولة عظمى وبين حركة وطنية ـ حسب وصـف الكاتب لحركة الأحرار ـ هى مجرد علاقة نفع متبادل بالكمال والتمام ، ومن ثم فهى علاقة صحيحة وسليمة ولا شائبة تشوبها قط ؟ !

وحتى الدول التابعة تقول نفس الشيء ، فهى ترفض أن توصف بأنها تابعة لمتبوع ، وتعتبر نفسها دولا كاملة السيادة وأن العلاقة بينها وبين الاستعمار مجرد علاقة نفع متبادل !

وعندما يتعلق الأمر بحركة سياسية ما تزال تصارع من موقع المعارضة لبلوغ السلطة وتعثر على دعم لهـا من دولة استعمارية تحتل جزءا واسعا من أراضى وطنها ، فأن العلاقة بين الجانبين هى أكثر تعقيدا بكثير من علاقة دولة تابعة بدولة متبوعة .

وما يدعو للغرابة أكثر هـو اعتبار وجـود الأحرار فى عـدن ودعم البريطانيين الحاكمين لهم هـو « أحـد الشواهد التى تؤكـد التواصل بين نضال ومصير الشعب اليمنى فى الشمال والجنوب » ذلك أن الشعب فى الجنوب والشمال ظل مستبعدا من الحساب ، والذين تعاونوا مـع الأحرار فى عـدن كانوا عناصر محـدودة من السياسيين أمثال محمد على لقمان وغيره من العناصر المحسوبة على الادارة البريطـانية والتى لا علاقة لهـا بالشعب لا فى الجنوب ولا فى الشمال .

فى ضوء ذلك لا ندرى ما اذا كان الكاتب لا يزال يعتبر حركة الأحرار « حركة وطنية » .

أما نحن فنرى أن الوصف الصحيح لهـا هـو أنهـا « حركة اصلاحية » ارادت توسيع قاعـدة الحكم وادخال بعض التحسينات عليه ، بحيث يتسع لممثلى الطبقة الاقطاعية عموما ، مع اعطاء هامش صغير فيه لممثلى البرجوازية الناشئة « المهاجـرة » ولبعض المثقفين الدينيين ، ذلك أن تعبير « حركة وطنية » يطلق على تلك الحركات المناهضة للاستعمار وركائزه . وحركة الأحرار لم تكن من هـذا الصـنف من الحركات .

٦ — الذى قتل فى انقلاب ١٩٤٨ الى جانب الحسين ليس الحسن — كما جاء فى بحث الكاتب — وانما « المحسن » — وربما حدث تصحيف غير مقصود — كما أن الفضيل الورتلانى لم يكن زعيم الاخوان المسلمين — كما ذكر الباحث — وانما كان عضوا فى مكتب الارشاد للاخوان المسلمين ، ذلك أن زعيمهم — كما هو معروف — كان آنذاك هو حسن البنا •

٧ — ذكر الباحث أنه فى « عام ١٩٥٣ جرى تنظيم انقلاب للاطاحة بالامام ، وهو الانقلاب الذى لم يتعرض له أحد حتى الان بالدراسة والتحليل • وقام الامام بحركة واسعة من الاعدامات بين صفوف العناصر الوطنية العسكرية والمدنية ، كما لعب الأمير الحسن دورا قمعيا وحشيا ليثبت اخلاصه لأخيه أحمد » •

واعترف اننى وأحد من الناس الذين لم يسمعوا ويقرأوا شيئا عن حدوث انقلاب كهذا • لقد كنت عام ١٩٥٣ أشد ما أكون قربا من الأحرار ، سواء وأنا فى حجة ، أو عدن ،أو القاهرة ، وعلى رأس هؤلاء جميعا النعمان — أستاذى فى حجة — والزبيرى الذى كان قبلتنا فى القاهرة آنئذ • غير أن أحدا من هؤلاء لم يحدثنا عن قيام انقلاب فى هذا العام ، كما أنه لم يكتب أحد منهم عنه لا من قبل ولا من بعد •

ولذلك ستكون مفاجأة غير متوقعة لو أفادنا الكاتب عن المرجع الذى استقى منه حكاية هذا الانقلاب ، مع ذكر المدبرين له ••• الخ !

٨ — عند حديثه عن انقلاب ١٩٥٥ الذى تزعمه السيف عبد الله ابن يحيى حميد الدين سياسيا ، وتزعمه المقدم أحمد الثلايا عسكريا وردت الرواية الآتية : « وفى أبريل تحرك « محمد البدر » بقوات المتطوعين

نحـو « تعز » وتمكن من السيطرة على المدينة ومن اخراج والده من الأسر . حيث طلب الامام أحمد من الناس قتل المتمردين ... » .

وواقع الأمر أن انقلاب ١٩٥٥ كان قـد أحبط داخل تعز قبـل أن تصل القوى الى حشدها البدر من حجة لهـذا الغرض . واذا كانت هـذه القـوى القبلية أساسا وليس قـوات متطوعين — كما يذكر الكاتب — اذا كانت قـد تحركت فى أبريل نحـو تعز ، فأنه فى هـذا الوقت كان قـد انتهى كل شيء . بل أن شهر أبريل لم يهل الا وقـد استعاد الامام أحمد زمام الموقف ، وشرع فى ذبح خصومه .

وبعـد : فأننا رغم التصويبات والتدقيقات الآنفـة الذكر نحتفظ للباحث بالتقـدير لسعيه الهـادىء المتزن نحـو الحقيقة التاريخية . التى تظل بغية الطالبين لهـا ، المتسلحين من أجـل الوصول اليهـا بسلاحين اثنين لا بديل لهما : المـادة التاريخية ذاتها ، واستخدام المنهج العلمى فى تقييمها ، هذا المنهج الذى يطال المـاضى والحاضر والمستقبل ، والذى كما يرفض اسقاط الحاضر على المـاضى يرفض الباس المـاضى لبوس وشعارات الحاضر .

مذكرات تمجيد النفس
باسم وعلى حساب
ثورة ٢٦ سبتمبر(*)

الثورات — كل الثورات — تقوم تعبيرا عن التناقضات الاجتماعية والسياسية التى تكون قد بلغت حدا تصبح معه الثورة هى الحل الحاسم لمثل هذه التناقضات. وفى كل ثورة هناك طبقة كاملة التكوين أو ناقصة التكوين تكون وراءها ، وتطبع الحكم الجديد بطابعها ، وللمنظمات السياسية والعسكرية أدوار هامة فى قيادة هذه الثورات وفى اعادة تنظيم المجتمع من جديد .

والأفراد القياديون فى هذه المنظمات لهم دور مؤكد فيها ، بقدر ما يتوفر فيهم من مؤهلات وكفاءات قيادية سياسية وفكرية وتنظيمية ، وبقدر ما يتمتعون به من جاذبية شخصية ومناقب ذاتية محببة ، وشعبية واسعة . ولكن المنظمات والأفراد لا يستطيعون أن يصنعوا

(*) نشرت فى « الثورى » عدد ١٩٨١/٩/٢٢ .

الثورات بعيدا عن الطبقة التى تكون الثورة أساسا فى صالحها ، وبدون التفاف الجماهير الشعبية الواسعة حولهم وحولها ٠

وثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ فى شمال الوطن اليمنى هى واحـدة من هـذه الثورات التى كانت وراءها الفئـات الوسطى والعليـا والصغيرة من البرجوازية الناشئة المدنيـة والعسكرية الرافضـة للحكم المطلق الاقطاعى الكهنوتى ، والطامحة الى تفتيح مسام المجتمع ، واخراجه من العزلة المطبقة التى فرضت عليه ، واطلاقه فى طريق الحياة التى يعيشها الناس فى القرن العشرين ٠

والخمس سنوات الأولى من الحكم الثورى أفصحت بجلاء عن الطابع العـام الوطنى الديمقراطى التحـديثى للثورة ، والذى تمثـل فى خوضها حربا ضروسا مدعومة بمصر الناصرية ضـد قـوى الثورة المضادة الملكية وقـوى الرجعية العربية والاستعمار المساندة والموجهـة وفى دعمها لثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ فى جنـــوب الوطن اليمنى ضـد الاستعمار البريطانى ومن أجل تحقيق الوحـدة اليمنية ، وفى ادخالها بعض الاصلاحات الديمقراطية ، وفى خطها العام الوطنى التحررى ٠

واللحظات التاريخية السابقة واللاحقة لقيام الثورة ، لحظـات التحضير لهـا ، ولحظات قيامها والأيام والأسابيع والأشهر التاليـة لقيامها — أى ما يمكن تسميته اجمالا بزمن الثورة الساخن — هـذه اللحظات أو الزمن الثورى هـو أخطر حلقة فى تاريخ كل ثورة ، وان كانت هـذه الحلقة لا تقرر مصير الثورة ، ذلك أن ما يحـدد مصيرها نهائيا هو قـدرتها على تغيير بنية المجتمع القـديمة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا ، واستبدالها بأخرى متقـدمة ٠

غير أن مدار الحـديث هنا محصور فى التطرق الى الحلقة الأولى من قيام ثورة سبتمبر ، وهى الحلقة التى دارت حـولها أساسا المذكرات

التى أصــدرتها حتى الآن بعض الشخصيات التى ساهمت بهـذا الدور أو ذاك عند وبعـد قيام الثورة والشهادات التى سجلت حـول ذات الفترة من قبل بعض المشاركين فيها .

ان ما يفاجأ به المرء فى هـذه المذكرات هـو أنهـا لا تتخـذ من ثورة سبتمبر الحـدث موضوعا لهـا ، وانما تتخـذ من ذات الكاتب صاحب المذكرات عنوانا لهـا .. ومدارا لمجمل الأحـداث التى تكون قـد مرت بالثورة ، سواء خلال وجوده فى السلطة أو بعـد خروجـه منهـا .

والهـدف الذى يتوخاه أصحاب المذكرات هؤلاء هـو أن يصور كل واحـد منهم نفسه بأنه فارس الثورة المغوار ، وبطالها الحقيقى ، الذى بدونه ما كان لهـا أن تقوم قطّ .

وحتى يتحقق هـذا الهـدف يلجـأ كل منهم الى الغمط من دور رفاقه فى الثورة ، والى الحط من شأن ما أسهموا به ، بل والى تسفيه أشخاصهم ، وطعنهم حتى فى رجولتهم وثوريتهم .

والغريب أن هـذا النمط من الكتابات لا يقـدم باعتباره مذكرات شخصية ، حتى يهون الأمر ، ولو بعض الشىء ، ويتحمل القارىء عبء حـديث الكاتب عن نفسه بالحق والباطل ، وانما تقـدم باعتبارها تاريخا للثورة ، بل والتاريخ السرى والمجهول لها ، الذى لا يجـده المرء فى كتاب عادى حول تاريخ الثورة !

وكل صاحب مذكرات يريد أن يقنع القارىء بأن مذكراته هـو هى التاريخ الصحيح والحقيقى للثورة ، وما عـداها من مذكرات ادعاء فى ادعاء ، وكذب فى كذب ، وخـداع وتضليل للرأى العام .

وأكثر من ذلك فان أصحاب المذكرات يتطرقون الى ذكر أحداث لم تقع ، أو تصويرها على نحو معكوس تماما ، مما يجعل القارىء المتابع لأحداث ثورة سبتمبر التى عاشها بنفسه يقف موقف المتشكك فى مدى صحة كل ما جاء فى هذه المذكرات ، باستثناء تلك الوقائع التى يتضح اجماعهم عليها وتؤيدها الأدلة المادية ، ويشهد عليها الرأى العام كله .

ولن يواجه المؤرخ المختص كبير عناء عند قراءته وتمحيصه لهذه المذكرات ، واكتشاف الطابع الذاتى المسرف لها ، وخلوها تماما من روح المعالجة الموضوعية ، وروح الانصاف .

فالحديث الطنان الرنان ، بل والزاعق والصارخ عن النفس ، والتمجيد المفرط لها والذى يبلغ حد العشق لها ، حد النرجسية ، وأسلوب الطعن والتجريح فى أدوار وأشخاص الآخرين ممن أسهموا بهذا القسط أو ذاك فى الثورة — كل ذلك يجعل القارىء العادى — ناهيك عن المتخصص — يتعامل مع هذه المذكرات منذ أول سطر الى آخر سطر بحذر شديد ، ويرفض بسهولة النظر اليها باعتبارها تحمل مادة أمينة تصلح للرجوع اليها ، والاستشهاد بها ، لمعرفة وقائع الثورة وأدوار كل من شاركوا فيها .

أول هذه المذكرات التى لم يتحرج صاحبها : اللواء عبد الله جزيلان ، من تسميتها (التاريخ السرى للثورة اليمنية) صدرت عام ١٩٧٧ ، وآخرها — حتى الآن — هو كتاب الدكتور عبد الرحمن البيضانى الذى حمل عنوانا فضفاضا (أزمة الأمة العربية وثورة اليمن) والذى صدر عام ١٩٨٤ .

ولربما انطوى كتاب (أسرار ووثائق الثورة اليمنية) الذى صدرت طبعتان منه حتى الآن ، الأخيرة منهما موسعة بعض الشىء — على بعض

الوثائق الهامة التى تميط اللثام قبل الثورة وبعـدها عن دور مصر فيها ، كما تنطوى على أسماء الضباط الأحرار الذين كانوا أهم جماعة منظمة بعض الشيء شاركت بدور رئيسى فى قيام الثورة . ولربما كان ايراد هـذه القائمة بأسماء الضباط الأحرار ردا مقصودا على اللواء جزيلان الذى أنكر تماما وجـود شيء اسمه « تنظيم الضباط الأحرار » انطلاقا من تصوير نفسه كمدير للكلية الحربية بأنه كان الآمر الناهى لجميع الضباط الذين كانوا دونه فى الرتبة العسكرية ، وانه كان المسير والموجه لهم عند قيام الثورة وللقيام بها !

واذا كان كتاب الضباط الأحرار قـد حاول جاهـدا تجنب الوقوع فى منزلق الحـديث عن الذات ، نظرا لانه ينطق باسم جماعة ، فانه لم يستطع أن يكون حـذرا بذات القـدر عند الحـديث عن وجهة نظر الضباط الأحرار السياسية تجاه اليمن والوطن العربى والعالم ، حيث نلمس هنا بوضوح ظاهر نوعا من التضخم لطريقة تفكير الضباط الأحرار آنذاك .

ولأنه ليست هناك محاضر لاجتماعاتهم ، ولان تقـديمهم لوجهـة نظرهم هـذه لم يكن موثقا بالتالى ، فان ما كتبوه فى هـذا الصـدد لا يخلو من التأثر بأدبيات الحركة الوطنية اليمنية وشعاراتها ، بقطـع النظر عمـا اذا كان هـذا التأثر النظرى قـد لقى أو يلقى تجسيده العمـلى .

ومع ذلك فان مذكرات الضباط الأحرار الجماعية هـذه أفضل بما لا يقاس من المذكرات الفردية الطافحة بالحـديث عن النفس ، وبالنيل من أدوار وأشخاص الآخرين .

واذا كان الضباط الأحرار قـد حـددوا نوع الصلة التى أقاموها مع عبد الله السلال رئيس الحرس الملكى آنذاك ، ونوع الدور الذى

نهض به صبيحة قيام الثورة ، ولم ينكروا من خلال بعض الوثائق الملحقة بكتابهم الخلاف الذى شجر بينهم وبين السلال ، بعد أن تسلم رئاسة الجمهورية وقيادة الجيش ، فان جزيلان والبيضانى تعمدا تقديمه بصورة غير دقيقة ، يبدو معها كما لو كانت تسيره الأحداث ، وان الصدفة وحدها هى التى وضعته فى دست الحكم ، اضافة إلى مسايرته للارادة المصرية الحاكمة والمتحكمة .

وايا كانت المآخذ على عهد الثورة الأول ، فان دوره فى الثورة وتسلمه زمام أمرها طيلة سنيها الأولى التى انتهت بقيام انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ الرجعى قد جعل من فترة حكمه الوطنى المسنود بدعم مصر الناصرية — أيا كانت المآخذ أيضا على هذا الدور — فترة الثورة المجيدة .

والواقع أن المشير عبد الله السلال لم يبادر حتى الآن الى كتابة مذكراته ، رغم كل ما تعرض له دوره وشخصه من طعن وتجريح ، وان كان يقال أنه ينوى بالاستعانة بابنه العقيد على عبد الله السلال الذى كان أحد ضباط الثورة أيضا سد هذا الفراغ ، على الأقل دفاعا عن النفس ، وحتى لا تظل الكلمة فقط لمن كتبوا مذكراتهم حتى الآن ، بكل ما انطوت عليه من اشادة بالنفس ، وغمط الأدوار الآخرين ، وعلى رأسهم المشير السلال .

وكما نال اللواء جزيلان من البيضانى ، فان الأخير نال منه . ولسنا فى حاجة الى أن نضع بين قوسين هجاء كل منهما فى الآخر ، وان كان يظل معروفا أن دور جزيلان فى الثورة مما لا يمكن انكاره ، وان كان ليس الدور الذى يعطيه هو لنفسه . وليس فى الأمر ما يدعو للغرابة ، فكلمة الشخص عن نفسه شىء وكلمة التاريخ شىء آخر .

وكما لم يكن جزيلان حارس الثورة ، فلم يكن كذلك البيضانى

الذى صور نفسه فى كتابه أنه صانع الأحداث فى اليمن حتى ابان العهد الامامى ، وانه هو الذى كان وراء اقناع هذا العهد ببناء ميناء الحديدة واستقدم السلاح السوفيتى ،وشق طريق الحديدة — صنعاء ، تمهيدا لقيام الثورة التى أقنع صديقه السادات بضرورة قيامها ، ليقنع هذا عبد الناصر بذلك ، لتقوم من ثم الثورة وفق تخطيطه وتصميمه ، وليتولى تصحيح كل خروج عن ذلك فور وصوله الى اليمن ثالث قيام الثورة ، فيعيد تشكيل مجلس قيادة الثورة والحكومة بما يكفل له أن يكون الرجل الثانى بعد السلال ، وبما يؤدى الى « المساواة الطائفية » بين الزيود والشوافع ، باعتبار ذلك قمة ما تسعى اليه الثورة وما قامت من أجله !!

أما اختلاق أو تزوير أو عكس الأحداث الكبيرة والصغيرة فى كتاب البيضانى فهو شهادة أخرى يقدمها لمن لم يعرفوه من الجيل الذى نشأ بعد الثورة ، والذى سيعرف حقائق تاريخ الثورة من مصادرها عند كتابة هذا التاريخ على يد المؤرخين العلميين . وحينئذ لابد أن يحظى البيضانى ببضعة أسطر فى هذا التاريخ ، رغم كل الأدوار التخريبية التى لعبها ضد الثورة اليمنية عموما ، والتى أشرت الى بعض منها فى كتابى (عبد الناصر وثورة اليمن) .

على أن من حقى هنا أن أنفى زعم البيضانى أننى عملت « مديرا لمكتب الأستاذ نعمان عندما تولى رئاسة الوزارة » ذلك أن العكس تماما هو ما حدث ، وهو ما يعرفه البيضانى جيدا ، حيث أننى لم أرفض حكومة النعمان فحسب ، وانما قاومتها أيضا بالمنشورات العديدة فى تعز ، بل وبالتحرك السياسى الذى بلغ حد التمرد عليها بالاشتراك مع عبد القوى حاميم وقاسم غالب وحركة القوميين العرب وآخرين من الشباب التقدمى وبلغ حد ضربنا بالأسلحة الثقيلة فى « الراهدة » مما اضطرنا الى الفرار الى عدن ، ومنها الى القاهرة ، حيث

استقبلنا البيضانى نفسه فى المطار ، وحيث مكثنا فى القاهرة الى أن سقطت حكومة مؤتمر خمـر ، حكومة النعمـان ، حكومة الاقطـاع والكمبرادور •

بقى أن أقـول أن كتاب (ثورة ٢٦ سبتمبر — دراسات وشهادات التاريخ) الصادر عام ١٩٨٢ لا تخلو بعض شهادات الضباط الأحرار الواردة فيه فيه من الفائدة • والذى يدقق فيها بعين فاحصة يجـد تصحيحا ليس فقط لرواية جزيلان والبيضانى عن بعض الوقائع التى أوردها ، ومنها ما ذكرناه آنفا ، وانما أيضا اجابات عن بعض الأسئلة الهامة ، مثل لمـاذا لم يتمكن تنظيم الضباط الأحرار من ترشيح رئيس لمجلس قيادة الثورة من بينهم ، ولجأوا الى الجائفى أولا ، فلما تلكـأ لجأوا الى السلال •

وقبل أن أنهى هـذا العـرض الموجـز والمبتسر عن المذكرات والشهادات المتعلقة بثورة سبتمبر تنبغى الاشارة الى أن القضـية الوحيدة التى لا خلاف عليها بين أصحابها هى دور مصر عبد الناصر تجاه الثورة ، سواء قبل قيامها أو أثناء الوجود المصرى فى اليمن ، والذى يجمع الجميع بأنه بدونه ما كان للثورة أن تقوم فى الوقت الذى قامت فيه ، وان تصمد فى مواجهة جبهة رجعية استعمارية عريضـة شرسـة •

ثـورة ٢٦ سـبتمبر ١٩٦٢

التى أخـرجت اليمـن من

قبـوها التـاريخى المظـلم

الى حيـــاة العصر(*)

لا تتجلى الأهمية التاريخية الخارقة لذلك المشهد المضيىء المبهر الذى فاجأت به اليمن العالم كله صباح ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ وهى تعلن قيام ثورتها وتزف اليه ميلاد جمهوريتها ، الا بالقاء نظرة ولو عابرة الى الوراء على تلك الخلفية التاريخية المظلمة المطبقة التى ظلت تلفها قرونا وقرونا كادت تنسى النـاس وجـودها ، وتلغى حضورها الفعلى على الأرض .

كانت اليمن واحـدا من البلدان القليلة فى العالم التى طال ليـل محنتها ، واستمرت فترة ركودها التاريخى ، بل والانقطاع التاريخى فى مجرى تطورها ، أمدا قياسيا من الزمن . لقـد دخلت هـذا النفق التاريخى المعتم الطويل وظلت تتخبط فيه منذ أن انقسمت طبقة التبابعة والأقيال على نفسها وراحت تتحارب فيما بينها بين ، ممزقة كيان الدولة

(*) نشرت فى « الثورى » .

الحميرية العظيمة ، ومنذ طمع فيها الغزاة أكثر بفعل ذلك ، الأمر الذى أدى الى اهمال رعاية سدودها ، وعلى رأسها سد مارب الشهير ، والى فقدان سيطرتها على طرق التجارة العالمية البحرية والبرية الغربية والشرقية ، التى كانت تمسك بمفاصلها ما بين الهند والصين والبحر الأبيض المتوسط ، والى انهيار دولتها المركزية وحضارتها الزراعية — التجارية ، وهجرة أبنائها •

ذلك ما ألمح اليه انجلز فى رسالة له الى ماركس : « بهذا يصبح واضحا الذى لا يفهم بغير ذلك ، وهو أن مناطق بكاملها كانت مزروعة بشكل رائع ، هى اليوم صحراء مهملة (تدمر ، والبطراء ، وخرائب اليمن ، وعدد من المناطق فى مصر وفارس والهند) • وبهذا يتضح أنه كانت تكفى حرب تدميرية واحدة ليفرغ بلد من سكانه وتتحطم مدنيته لمئات السنين » •

هكذا منذ القرن السادس الميلادى — على الأقل — والى القرن التاسع عشر ظلت اليمن ترحف فى أعماق كهفها التاريخى • ولم يكن من شأن الاحتلال البريطانى لجنوبها ، والاحتلال العثمانى لشمالها ، سوى أن يزيدا من شقائها التاريخى ، وأن يضاعفا من محنتها الاجتماعية ، وان يكرسا — فوق ذلك — تجزئتها •

ولم تتمكن المملكة اليمنية التى قامت مع نهاية الحرب العالمية الأولى على انقاض الحكم التركى فى الشمال — بعد حروب تحرير أسطورية — من الخروج بهذا الجزء من اليمن من نفقه التاريخى المظلم الطويل ، وراحت تكبه فيه على وجهه ، وتزيد بذلك من حالة الركود التاريخى • وبسياسة العزلة التى انتهجتها لم تشدد فحسب حالة لانقطاع التاريخى عن مجرى التطور العام ، وانما حرم اليمن أيضا من أن يعيش ويتنفس هواء القرن العشرين •

وبذلك حول الأئمة الطغاة المغرقون فى الرجعية والتخلف والبلادة استقلال شمال اليمن الى استقلال عقيم . وكماجاء فى كتابنا « الخروج من نفق الاغتراب واحـداث ثورة ثقافية فى اليمن » : « وامعـانا فى سياسة الجمود التى طبقوها حيال الشعب فرض الأئمة عزلة سياسية خانقة ، قاتلة على البلاد ، وحولوا الاستقلال — وراء جـدرانها الصماء العازلة — الى مجرد شكل نموذجى معبر عن تزمتهم وانغلاقهم ، والى صورة نمطية لتخلفهم وتحجرهم ، والى رمز حى لارتعابهم واقشعرازهم من حضارة العصر ، وقيمة ، وأفكاره ، ومنجزاته ، وتياراته التى رأوا فيها تهـديدا مباشرا لقاعـدة حكمهم الاقطاعية — الكهنوتية ، ونذيرا موجها ضـد بنيته الأيديولوجية والسياسية الغيبية المضللة ، ولذلك فان علم الاستقلال تحول فى ظل الجمود الخانق ، والعزلة القاتلة الى مجرد ثوب كفن سياسى ، طووا فيه حياة شعب بكامله ، وشيعوه بأيديهم بين لفائف تمائمهم ، وبخور دجلهم ، وساقوه — مكبا على وجهه — فى رحلة جنائزية وطويلة ، رحلة الشقاء والعـذاب ، والدموع والدماء ، والموت البطيىء التى دامت حوالى خمسين عاما ، تساقطت خلالهـا قوافل عـديدة ومتتابعة من أبناء الشعب بفعل الجوع والمرض .

وهكذا بدلا من أن تصبح اليمن فى ظـل الاستقلال وبفضله أرض نهضة وخصب ونماء ، بقيت أرض تخلف وقحط وبلاء . واذا كانت قـد دخلت التاريخ فى المـاضى باعتبارها « مقبرة الغزاة الأتراك » فأنها قـد أخـذت تتحول تحت حكم بيت حميد الدين الظالم الجاهل الى كهف موحش مظلم ، يطمس من العين نورها ، ويسكت من الحياة نبضها ، ويحكم على الشعب بالقعود والشـلل ، وعلى حركة التاريخ بالتوقف والتجمد » (ص ١٣ — ١٤) .

وما كان فى امكان حكم له كل هـذه الملامح القروسطية الكالحة أن يوفر حتى الحـد الأدنى من شروط النضال من أجل تحرير جنوب

اليمن من الاحتلال البريطانى ، واعادة وحـدة اليمن الطبيعية • وعلى صخرته تحطمت الموجات الباسلة التى اندفعت جنوبا وشمالا من أجـل التحرر والتوحيد أكثر مما تحطمت بفعـل قـوة الخصم الخارجى ، الامبريالى والطـامع •

وما كان فى امكان حكم متخلف ثيوقراطى تعيس كهـذا أن يولـد سوى حركة اصلاحية ذات لبوس دينية لا تطمح فى أكثر من توسـيع قمة الحكم « الملكى » بحيث يدخلها ممثلو الطبقة الاقطاعية « كـكل » ، ويتمكنون جميعا من ترميم النظام الأثرى المتهالك ، ومن الاستعانة حتى بالأمصال « الخارجية » للحفاظ على بقائه واصلاحه •

فقط منذ منتصف الخمسينيات ، وفى ظـل النهوض الثورى القومى المتعاظم الذى تواكب مع قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر ، بدأت الساحة اليمنية تشهد طلائع الحركة الوطنية اليمنية المناهضة للاستعمار والاستبداد والداعية للوحـدة اليمنية والتى كان الجيش فى الشمال قـد غـدا أحـد بؤرها ، وكان بذلك الرافعة التاريخية لليمن من قبوها التاريخى المظلم الطويل •

هكذا يمكن القول بأنه بقيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ أمكن انتزاع اليمن من واحـد من أكثر أقبيه القرون الوسطى ظـلاما ووحشية ، ووضعها دفعة واحـدة فى غمرة أضواء القرن العشرين •

كانت الثورة القذيفة الأولى التى لعلعت فى ليل الجزيرة الهيم ، وأيقظتها من سباتها الطويل •

كانت بركانا أطاح بالقشرة العليا الجرانيتية الصلدة للمجتمع التى تكونت عبر ألف عام ، واستمدت قوتها ورسـوخها وديمومتها لا من الوضع الطبقى الاقطاعى ـ القبلى الانتقالى الشائك العقـد فحسب ،

وانما أيضا من دعوى حقها الالهى الكهنوتى فى الحكم ، هــذه القشرة التى تمثلت فى النظام الامامى التيوقراطى الاستبدادى الفردى .

وكانت الثورة صحوة وطنية عامة غمرت الشعب اليمنى من أقصى شماله الى أقصى جنوبه .

وكانت دعوة نضال لا ضـــد حكم القرون الوسطى المظلم المتمعنن فقط ، وانما أيضا ضـــد الاحتلال الأجنبى للشطر الجنوبى من الوطن اليمن الذى كان يمارسه طغاة القرن العشرين .

وكانت صيحة مدوية للشروع فى تحــرير الوطن ، كل الوطن ، والعمل على توحيده .

وكانت الثورة موجة عارمة فى خضم الثورة العربية الهادر والمتجه نحو تحرير وتوحيد أقطار الوطن العربى .

وكانت واحــدا من المؤشرات على الانقلاب الثورى العام الــذى أخــذ يشهده العالم النامى بعــد الحرب العالمية الثانية بفعل الانتصار على الفاشية وتضعضع مواقع الامبريالية العالمية ، وقيام المنظــومة الاشتراكية ، وانتشار ألوية حركة التحرر الوطنى العالمية ، وبروز دور الاتحاد السوفيتى على النطاق الدولى .

ذلك يعنى أن الثورة لم تكن مجرد امتداد تاريخى لحركة المعارضة التقليدية التى تعــود جــذورها الى منتصف الثلاثينيات ، والتى رأت فى هزيمة الامام يحيى امام بريطانيا العظمى وابن سعود بتوقيعــه معاهــدتى ١٩٣٤ معهما دليل ضعف وعامل اغراء بمقاومة حكمه وادخال الاصلاحات عليه حتى بالتعاون مع هــذين العــدوين ، والتى لم تطمح الى اكثر من اجراء تحسينات دستورية على النظام الامامى ـ الملكى

القائم ، من شأنها أن توسع فقط قمة السلطة بحيث تتسع للاسر الاقطاعية المنافسة وشيوخ القبائل الذين قلصت سلطاتهم الأوتوقراطية على قبائلهم ، والفئات الارستقراطية الدينية الطامحة الى حظ أكبر فى السلطة ، ولعناصر البرجوازية الناشئة التى كانت تبحث لهـا عن دور ما فى مملكة الأئمة المقفلة .

وحتى شعار الجمهورية الذى طرحته فى همس وحياء شديدين منذ عام ١٩٥٦ ، دون أن تتخلى عن نهجها التقليدى فى التعلق بأذيال هـذا الأمير أو ذاك ، وهـو هنا الأمير البدر الذى راهنت عليه وعلقت الآمال عليه ضـد عمه الحسن الساعى الى العرش ، حتى هـذا الشعار لم يكن يحمل فى فهمها له دلالة ديمقراطية . فالمرشح لرئاسة الجمهورية فى الحركة القبلية — السياسية المجهضة التى قادها عام ١٩٥٩ حسين بن ناصر الأحمر شيخ مشائخ قبيلة حاشد هـو هـذا الشيخ الاقطاعى المتزمت نفسه ، على أن ينوب عنه فى ادارتها أحـد قاضيين : اما القاضى أحمد السياغى ، أو القاضى عبد الرحمن الأريانى .

حقا كان لبعض العناصر التقليـدية من حركة الأحرار اليمنيين القـديمة ممن كانوا فى الداخل أمثال القاضى عبد السلام صـبره ، والقاضى عبد الرحمن الأريانى صلة ما بالخمائر الثورية الجـديدة التى كانت تعـد وتستعد للاطاحة بعرش بيت حميد الدين ، واقامة النظام الجمهورى الثورى على انقاضه ، كما كان هناك لبعض أبناء المشائخ ، أمثال آل أبو لحوم ، — الذين كان اخـوانهم أو آباؤهم كالشيخ سنان أبو لحوم من حركة المعارضة التقليدية — دور معين عند قيام الثورة .

غير أن حركة الثورة نهضت أساسا على أكتاف قـوى جـديدة لم تدخل فى إطار حركة الأحرار ، ولا وقفت عند فكرها الاصلاحى المحدود .

لقــد كانت هــذه القوى تتمثل فى ممثلى فئات البرجوازية الصغيرة والوسطى العسكرية والمدنية ، وفى بعض عناصر البرجوازية الكبيرة نســبيا •

لم تكن الطبقة البرجوازية الوسطى وراء الثورة • فلم تكن تسمح ظروف اليمن المغرقة فى التخلف والعزلة بظهور مثل هــذه الطبقة •

كانت الفئات الوسطى الواقعة ما بين الطبقات والتى كانت ما تزال آخــذة فى التكون هى أساس الثورة :

كان المثقفون العسكريون هم رأس رمح الثورة •

وكانت فئة البرجوازية التجارية هى قاعــدة هــذا الرمح •

ووسط العسكريين كان هناك « تنظيم الضباط الأحرار » الذى تشكل فى ديسمبر ١٩٦١ والذى مثل الحلقة الوسطى فى سلسلة القــوى التى أعــدت للثورة ونفــذتها •

وبين العسكريين هؤلاء كان هناك المقــدم عبد الله جزيلان مدير الكلية الحربية ، ومدرسة الأسلحة ، والذى لم يكن عضوا أساسيا فى تنظيم الضباط الأحرار لحساسيات بينه وبين العنصر القيادى فيه وهو الملازم على عبد المغنى •

وبين هؤلاء العسكريين كان هناك الزعيم عبد الله السلال رئيس الحرس الملكى •

ووسط البرجوازية التجارية يبرز اسم عبد الغنى مطهر باعتباره أظهر وجــوهها •

وخارج الوطن يطل وجـه الدكتور عبد الرحمن البيضانى الذى كان أميل الى التعبير عن البرجوازية الهجينه وعن موقف الأجهزة المصرية منه الى التعبير عن فئة اجتماعية محـددة داخل المجتمع اليمنى ، والذى كان مع ذلك شأن الأطراف الآنفة الذكر ، التى لعبت هـذا الدور أو ذاك عند قيام الثورة — واحـدا من الشخصيات التى ليس فى الامكان اسقاط اسمها ، أيا كان الدور التخريبى الذى مارسه تجاه الثورة .

لم تكن فصائل الحركة الوطنية المنظمة ، ممثلة فى حركة القوميين العرب ، ومنظمة البعث العربى الاشتراكى ، والاتحـاد الشـعبى الديمقراطى ، أو الشخصيات الوطنية والتقـدمية المستقلة ، بعيدة عن هـذه القوى والفئات والعناصر العسكرية والمدنية التى نشطت من أجل اسـقاط حكم بيت حميد الدين ، واقامة النظام الجمهورى على انقاضـه .

غير أن « تنظيم الضباط الأحرار » والفئات والعناصر الأخرى التى تحملت معه عبء اطلاق شرارة الثورة لم تكن صلتهم بفصائل وعناصر الحركة الوطنية تتجاوز التأثر والتأثير المتبـادل ، حيث بقى « تنظيم الضباط الأحرار » محافظا على سرية تكوينه ، كمـا احتفظت الأطراف والعناصر الأخرى العاملة معه على خصوصية حركتها وسرية اتصالاتها الخاصة ، دون أن تخفى عن بعضها بعضا ما من شأنه أن يجمع بينها ، ويوحـد خطاها ، ويعزز عملها .

وكان مما يجمع بينها النظر الى قضيتها الوطنية اليمنية باعتبارها جزءا لا يتجزأ من القضية القومية العربية .

وكل المذكرات الشخصية أو الجماعية أو التصريحات الفردية لأى من هـذه الأطراف والعناصر تجمع على هـذه الحقائق المشار اليها .

يكفى أن نعود هنا الى ما شمله كتاب « أسرار ووثائق الثـورة اليمنية » ـ الطبعة الثانية ـ الذى أعـدته لجنة من تنظيم الضـباط الأحرار حيث جاء فيه أن شهر ديسمبر ١٩٦١ كان « شهر ميلاد تنظيم الضـباط الأحرار وكان هـذا الشهر ـ للحقيقة والتاريخ ـ بالنسبة للطلائع العسكرية الوطنية والمثقفة هـو شهر الوقفة والتأمل لمـا يحـدث بالساحة اليمنية والقومية (فشل محاولة اللقية وزميليـه ، ومؤامرة الانفصال للوحـدة المصرية السورية) ، كذلك عـدم وجـود الامكانية لدى القوة الحزبية والتجمعات الوطنية للقيام بالتغيير المطلوب للبلاد • لذلك كله ، ولحتمية سرعة التغيير اتقاء وأمنا وسلاما على اليمن والأمة العربية من الموجة التآمرية الرجعية الامبريالية ، خلقت قناعة جـديدة لدى الجميع بضرورة سرعة بناء (تنظيم الضباط الأحرار) لاحباط المؤامرة الرجعيـة والامبريالية • هـذا التنظيم فى أهـدافه ومبادئه لا ينفصم عن المنطلق القـومى الوحـدوى ، بل رافـدا من روافـد القومية والوحـدة العربية ، لذلك فقـد انصهر الجميع فى بوتقته ، وتوقف كل من كان منهم قـد انتمى حزبيـا عن النشاطات الحزبية ، فنشأ هـذا التنظيم نشأة وطنية بحته ، وظل فى نفس الوقت منفتحا على كل المنظمات الحزبية والوطنية • وقـد تطور هـذا الانفتاح قبيل قيام الثورة بأسابيع الى تكليفات مشتركة ، وتوزيع مهام التنفيذ للثورة حتى تحقق النصر صبيحة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ » • (ص ٩٨) •

(الصحيح أن يقال صبيحة الـ ٢٧ من سبتمبر ، حيث أن الثورة بدأت ليلة الاربعاء الـ ٢٦ من سبتمبر ، قبل منتصف الليل ، وأعلنت الجمهورية العربية اليمنية يوم ٢٧ سبتمبر ـ الباحث) •

ورغم تأثر الضباط الأحرار بالفكر الذى كان تتبناه فصائل الحركة الوطنية اليمنية ، وتجاوزهم من ثم لفكر حركة الأحرار التقليدية ، الا أن

تأثرهم بالنهج الناصرى ، والتجربة الناصرية ، وشخصية جمال عبد الناصر ، كان هو الأعمق والأجلى ، حتى بدا أن مهمتهم فى اليمن ليس فحسب تحرير اليمن من حكم بيت حميد الدين ، والتمكين للتحرر من الاستعمار البريطانى الرابض فى جنوب الوطن ، وانما الاشتراك أيضا فى تقويم مسيرة الحركة القومية العربية التى أعوجت بفعل نكسة الوحدة المصرية — السورية •

يقول كتابهم الآنف الذكر فى هذا الصدد : « وكان الاتحاد اليمنى فى هذه الآونة ، وحدة شخصية (الزبيرى والنعمان) أرادا أن يرمزا الى الوحدة الوطنية ، وأن يجسدا استمرار حركة الأحرار التاريخية ، بينما الواقع يحبل بأحداث جديدة ، والتجمعات الصغيرة تنشأ بين صفوف الضباط ، وتسرى بين الجيل الجديد والمثقفين كحركة البعث ، والقوميين العرب ، والشيوعيين العرب ، وتحاول كل هذه الفصائل الجديدة أن تشق طريقها الى حياة سياسية جديدة ، وتطمح فى تغيير المجتمع اليمنى • وكانت هذه التيارات تعمل على امتداد اليمن كله من الشمال الى الجنوب • ولم يكن ضباط الجيش أيضا بمنأى عن هذه التيارات ، وان كان تأثرهم بالتجربة الناصرية فى مصر أقرب الى أفكارهم من تفصيلات الأيديولوجيات المتصارعة فى العالم العربى • وذلك فى فترة كانوا يشعرون فيها بعدم قدرة التيارات والأحزاب عن عمل مؤثر يغير مجرى الحياة السياسية بينما الحياة السياسية فى الوطن العربى تدخل فى مرحلة جديدة ، بعد انفصال سوريا ، وخروجها من الجمهورية العربية المتحدة ، بعد احتدام المعركة الاجتماعية داخل ج• ع• م• ، واتساع افق الثورة العربية الحديثة » •
(ص ٣٨ — ٣٩) •

لم يكن هناك تعارض بين القضية الوطنية اليمنية والقضية القومية العربية ، وانما تداخل وتشابك وتكامل • بل أن الضباط الأحرار

— شأن الأطراف والعناصر الأخرى التى شاركت فى تفجير الثورة — كان لديهم الاقتناع الراسخ بأن العامل الوطنى وحده لا يكفى لقيام الثورة ونجاحها ، وأن العامل القومى العربى شرط أساسى ولا بديل له لتحقيق ذلك .

كان ما ترسب فى ذاكرتهم من الاحباطات والاخفاقات المتوالية التى لحقت بالمحاولات الانقلابية السابقة التى قادتها حركة المعارضة التقليدية منذ عام ١٩٤٨ الى عام ٢٩٥٩ هو الأساس فى تكون مثل هذا الاقتناع السياسى الراسخ بضرورة المساندة القومية الثورية لأى حدث ثورى حقيقى وناجح فى اليمن .

ولا تجمع مذكرات وتصريحات من أسهموا فى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ كما تجمع على هذه الحقيقة . ولسنا فى معرض تتبع أقوالهم فى هذا الصدد . فذلك يستحق بحثا مستقلا . ونقتصر هنا على ما جاء فى كتاب الضباط الأحرار فى هذا المجال — وهو ما يتفق مع اشارة المشير السلال عن « القيام بثورة السادس والعشرين من سبتمبر التى كان الانفصال — أى انفصال سوريا — عن مصر من جملة أسبابها » — كما ورد فى اجاباته التى نشرتها صحيفة « الأمل » فى ٢٢—٩—١٩٨٥ — حيث يوضحون : « وهنا تجدر الاشارة الى أنه مهما كانت الحوافز والأسباب والدوافع المحلية هى المحرك الفاعل للحماس الثورى والدفع نحو الخلاص والانعتاق فأن تعاظم حركة الانبعاث القومى ونشاطها المتزايد فى محور حركات التحرر الوطنى العربية والعالمية ، ووضوح ملامح النضال على الساحة العربية والعالمية ، وتحديد أهدافه من قضايا سياسية مثل الحرية والاشتراكية والوحدة كما ظهر أثره فى الأهداف الستة — لولا ذلك لكانت ثورة السادس والعشرين من سبتمبر حركة تمرد أو انقلاب ربما لا يكتب له أن يعيش

غير أيام محـــدودة كغيره من التجـــارب والمحـــاولات السابقة »
(ص ٤٦ — ٤٧) •

لقــد أثبتت الحرب الأهلية والاستعمارية الضروس التى فرضتها الرجعية الملكية والرجعية السعودية والعربية والعالميـــة والاستعمار القــديم والجــديد على الثورة والتى وقفت فيها مصر عبد الناصر الى جانبها بالمــال والرجال والعتاد حتى بلغ تعــداد جيشها فيها حوالى ٨٠ ألفا ، أثبتت ليس فقط صحة وصواب تقــدير الثوار اليمنيين هذا ، وانما أيضا الأهمية والمكانة العالميتين اللتين احتلتهما ثورة سبتمبر فى

ومن هنا أيضا ذلك الدعم السخى الذى قــدمه لهــا المعســكر اطار النضال الثورى العام لحركة التحرر الوطنى العربية والعالمية • الاشتراكى وخاصة الاتحاد السوفيتى ، والذى بلــغ حــد التقــديم المجانى للأسلحة ووسائل النقل التى استخدمت فى حرب اليمن •

واذا كانت ثورة ٢٦ سبتمبر قــد مثلت نقطة تحول فى مضمــار المواجهة بين قــوى الثورة العربية بقيادة مصر الناصرية ، وبين قــوى الثورة المضادة العربية والعالمية ، فأنها كانت — بالأحرى — رأس الجسر الذى تدفقت عبره طاقات النضـــال الوطنى المختزنة والمحتبسة ضــد الاستعمار البريطانى فى جنوب الوطن ، هــذا الجسر الذى مثلته عمليا ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ بقيادة الجبهة القومية •

بقيام ثورة ١٤ أكتوبر غــدت اليمن كلها ساحة المواجهة الأولى والأساسية فى الوطن العربى كله ، التى استقطبت كل قوى المرحــلة التاريخية فى جبهة مواجهة قومية شاملة وغير مسبوقة •

بثورتى سبتمبر وأكتوبر خرجت اليمن نهائيا من حالة الركــود التاريخى ، والانقطاع التاريخى عن مجرى حركة التطور العالمية • وبها

أقفل نهائيا ملف التخلف المزرى الذى امتد منذ القرن السادس الميلادى — على الأقل — الى مطالع النصف الثانى من القرن العشرين •

وبهما بدأ من جـديد انتماء اليمن الى نفسها وتاريخها ودورها التأسيسى فى حضارة العرب الاسلامية الشامخة ، والى أمتها الآخـذة فى الانبعاث القومى ، والى عصرها الانسانى كله •

بهما بدأت — وعلى أسس جـديدة — رحلة السعى نحـو بنـاء شخصية اليمن الوطنية الحـديثة ، نحو اقامة كيانها الوطنى الديمقراطى الموحـد •

وبهما بدأت ثورتها الاجتماعية ضـد كل قـوى القهر الاجتماعى والسياسى ، ومن أجل جعل الشعب مالك مصيره ، ومكيف مسيرته ، وبانى حضارته الجـديدة •

وبهما دخلت اليمن — من الباب الأوسع — وعلى نحو جـديد هـذه المرة — حياة أمتها العربية ، والتحمت بمسيرتها القومية التحررية الهادفة نحو بناء الشخصية القومية العربية الجـديدة ، وبناء الدولة العربية الديمقراطية الموحـدة •

وبهما غـدت اليمن مرة أخرى — وعلى نحـو مختلف أيضا — صاحبة صوت مسموع فى عالمها ، وذات كلمة يصغى اليها ، وحركة يسمع دبيبها فى الخافقين •

وما تلك مجتمعة غير مؤشرات أولية لـما ستغدو عليه اليمن غدا !

وما تلك سـوى البوادر المبـكرة للمشهد التاريخى المهيب الـذى سترسمه اليمن ، وللدور التاريخى المنتظر الذى ستلعبه على مسرح التاريخ العربى المعاصر ، وعلى مسرح العصر !

لقـد انطلقت ثورة سبتمبر الشرارة التى ما لبثت أن تحـولت الى حريق بقيام ثورة ١٤ أكتوبر •

ولن يكون بعيدا — تاريخيا — ذلك اليوم الذى يتحول فيه وهج النيران الى ضوء غامر بهيج يملأ حياة اليمن كلها بالعزة السياسية ، والوحـدة الوطنية ، والعـدالة الاجتماعية ، والنهضة الحضارية !

مــــن ملــــف

التـــآمر الأمريكى على اليمـــن(*)

زيارة جـــورج بوش نائب الرئيس الأمريكى لصنعاء وبعض دول الجزيرة العربية والخليج ، والتى بدأها فى ٥ـــ٤ـــ١٩٨٦ م ، بهـــدف زيادة الحرب العراقية ـــ الايرانية اشتعالا ، وخلق بؤر توتر ومواقـــد حرب جـــديدة ، وحبك المكائد والدسائس ، ونشر الفتن والقـــلاقل ، تمكينا للنفوذ والهيمنة الامبرالية الأمريكية من التوســـع والتوطـــد ـــ هـــذه الزيارة تحتم فتح ملف التوسع الأمريكى تجـــــاه اليمن منـــذ عشرينيات هـــذا القرن وحتى اليوم .

فمنذ قيام دولة الأئمة فى الشطر الشمالى من اليمن مع نهـــاية الحرب العالمية الأولى والاستعمار الأمريكى يتطلع الى الحصول على موقع قـــدم فيها ينافس ويواجه به النفوذ البريطانى الذى كان قـــد

(*) نشرت فى صحيفة « صوت العمال » فى ١٩٧١/١/٥ .

تملك جنوب اليمن منذ وقت مبكر ، ويعترض به خط التعاون الذى كان قد بدأ مع الاتحاد السوفيتى بعقد معاهدة نوفمبر ١٩٢٨ .

ولهذا الغرض قدمت بعثة أمريكا الى صنعاء فى نهاية العشرينيات ، حاملة عرضا بالتنقيب عن ثروات البلاد .

كان الخوف على العرش أحد العوامل التى حملت الامام يحيى على رفض العرض ، رغم استمرار المحاولة معه حتى مطالع الثلاثينيات .

وذات البعثة التى اخفقت مهمتها فى بلاط الامامة نجحت مهمتها هذه فى مكان آخر ، من حيث قامت شركة « أرامكو » .

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية كررت الامبريالية الأمريكية المحاولة . غير انها لم تفلح فى أكثر من عقد اتفاقية تجارية — قنصلية فى ٤ مايو ١٩٤٦ م .

منذئذ راهنت واشنطن على « سيوف الاسلام » من أنجال الامام ، وعلى رأسهم « سيف الاسلام » عبد الله الذى عين مندوبا لليمن فى الأمم المتحدة ، والذى أعلن غير مرة أنه لا بديل عن التعاون مع أمريكا وعقد اتفاقية للتنقيب عن البترول معها ، بغية الخروج باليمن من طوق العزلة والتخلف ، والانتقال بها الى مصاف الدول « المتحضرة » !!

ومع مقتل الامام يحيى وتسلم نجله أحمد السلطة عادت الامبريالية الأمريكية الى قرع أبواب الامامة الأثرية المقفلة فى اصرار عنيد على الا يفتحها سواها !!

كان أهم « انجاز » حققته فى عهده دخول « النقطة الرابعة » التى كان همها معقودا على كسب حاشية الامام ، واستقطاب رجاله الذين يشغلون مواقع حساسة فى الدولة .

وبعقـد اتفاقية للتنقيب عن البترول ، حتى ولو لم تنفـذ عمليا ، بدا أن حظ واشنطن مع الامام الجـديد أفضل من حظها مع سابقه !

ومع مطلع الستينيات بدا واضحا أن النفوذ الأمريكى قـد تغلغل فى بلاط الأئمة ، وان الأمر لا يتطلب أكثر من الدفـع بأحـد الأمراء الطامحين الى سدة العرش ، لتبدأ « الحقبـة الأمريكية » فى اليمن ، وليبدأ معها النفـوذ البريطانى فى جنوب اليمن فى الكسوف ، مفسحا المجال أمام النفوذ الأمريكى !

« ان الاستعمار البريطانى لا يزال هـو العـدو الأول فى المنطقة . ولكن هناك قوى خارجية أخرى استعمارية وطامعة أصبحت تشـكل اليوم تهديدا جديا مباشرا لشعبنا ، وفى مقدمتها الاستعمار الأمركيى ، حصن الرجعية العالميـة والسند الرئيسى لقـوى الشر والعـدوان والاستغلال فى العالم . ففى العامين الأخيرين حـدث انعطاف واسـع فى سياسة حكومة الشمال نحو الغرب ، ونحو أمريكا بصفة خاصة . وقـد حصل الاحتكايون الأمريكيون على مواقـع اقتصادية هامة فى الشمال ، وهم يحاولون الان بمساعدة العنصار الموالية لهم بين الزمرة الحاكمة من الممثلين والخـدم المطيعين لقـوى الاقطـاع والرجعية وبواسطة عمليات الضغط والرشوة كسب الوقت للتطـويح بالاستقلال وتحقيق السيطرة الأمريكية التامة . ولا شك أن وقـوع اليمن المستقل تحت خطر الاستعمار الأمريكى يعنى زيادة مأساة شعبنا فى الشمال ، واطالة ليله بانتظار الفجر ، ويعنى بالتالى تصفية القضية الوطنية فى الجنوب » ـ كما جاء فى الميثاق الوطنى للاتحاد الشعبى الديمقراطى ص ٧ ـ ٨ .

كان قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م عملية اجهاض لهـذا المشروع الأمريكى الذى كان قيـد الاعـداد ، وكان من ثم لطمـة قاسية للبيت

الأبيض ، حاول الرد عليها بأسلوبين : مناصرة قوى الثورة المضادة التى أرادت اعادة الملكية ، والاعتراف بالجمهورية بغية التآمر على خطها الثورى من الداخل • وظلت هذه السياسة المزدوجة للاستعمار الأمريكى قائمة حتى تم قطع العلاقات الدبلوماسية مع واشنطن بفعل مؤامرتها السافرة على الثورة والأمة العربية بدعمها للعدوان الصهيونى على مصر وسوريا الذى أدى الى نكسة ٥ يونيو ٢٩٦٧ م • على أن حلقة هامة من حلقات التآمر على ثورة سبتمبر سبقت نكسة يونيو هذه لا مفر من التوقف عندها •

كان واضحا لحكومة الثورة أن « النقطة الرابعة » الأمريكية التى كان مقرها فى عاصمة البلاد الثانية « تعز » تحولت الى وكر خطر للتآمر على الثورة ، مستغلة الامتيازات الممنوحة لها ، والأسلحة والأجهزة التى كانت تدخلها سرا الى البلاد ، ومنذ سبتمبر ١٩٦٣ كان هناك تفكير فى الغاء الاتفاقية التى عقدت فى ٨ نوفمبر ١٩٥٩ بين حكومة الامام ووكالة التنمية الأمريكية بعد أن تأكد قيام بعثتها بالتجسس وبالاتصال بالملكيين ، وبعد أن قامت مظاهرة عارمة ضدها فى تعز •

وفى مطلع ديسمبر ١٩٦٦ بادرت الحكومة اليمنية الى اعتقال عدد من موظفى النقطة الرابعة الأمريكية ، واتهمتها بالتآمر وبجمع المعلومات ، وتجنيد الجواسيس ضد الحكومة الثورية ، وطلبت منها تسليم مشروعاتها الى المسئولين ، أو تغادر البلاد ، كما قطعت أجهزة اللاسلكى التى كانت تمتلكها ، وتمكنها من الاتصال بأعوانها داخل وخارج البلاد •

وفى منتصف أبريل ١٩٦٧ قبضت سلطات الأمن فى الراهدة على موظف أمريكى يعمل بالنقطة الرابعة كان قادما من عدن يدعى تشارلز بيجاليف ، حيث عثر فى سيارته على ثلاث بنادق ، وبندقية خرطوشة للصيد ، و ١٤٤ طلقة ، وآلة تصوير •

وفى ٢٥ أبريل ١٩٦٧ م القت سلطات الأمن القبض على أمريكيين يعملان فى النقطة الرابعة يدعيان ستيف ليابس وهارولد هارتمان كانا قـد أطلقا فى ذات اليوم أربع طلقات من مدفع بازوكا على مخـازن للذخيرة فى تعز وعلى القيادة العربية ، والكلية الحربية بغية « نسف المدينة وسكانها » — كما قال بيان الحكومة اليمنية — غير أنه لم يسفر عن أكثر من مقتل جندى يمنى وآخر مصرى واصابة مصريين بجراح .

وفى الوقت الذى اكتسحت فيه تعز مظاهرة معادية لأمريكا هاجمت دار القنصلية الأمريكية والنقطة الرابعة اتخـذت الحكومة الثـورية التى كان يرأسها رئيس الجمهورية المشير عبد الله السلال اجراءات حازمة قررت بها محاكمة الأمريكيين المرتكبين للحادث وطرد العناصر الأمريكية الخطرة ، والغت الاتفاقية الموقعة عام ١٩٥٩ م مع « الوكالة الأمريكية لمشروعات التنمية الدولية » التى كانت تتمتع بامتيازات كبيرة من ضمنها طائرة تابعة للنقطة الرابعة كانت تقوم بعمليات استكشاف وتجسس واتصالات بالعملاء .

جاء فى بيان الحكومة : « لقـد اتضح فيما مضى أن وكالة التنمية الدولية الأمريكية فى اليمن كانت وراء معظم المخربين وبالرغم من توجيه نظر المسئولين الأمريكيين الى خطورة ما يقوم به أفراد هـذه الهيئة من أعمال تخريبية الا أنها استمرت فى مخططها » .

ثم يشير البيان الى الحادث ويعلق عليه : « ولولا لطف الله لكانت كارثة مروعة تنقض على مدينة تعز بأهلها الآمنين » .

ويقول أن تفتيش « معسكر الهيئة أثبت وجـود طلقات بازوكا من نفس النوع الذى استعمل ضـد مخازن الذخيرة كما وجـد فى نفس المعسكر أجهزة لاسلكية غير مرخص بها وكذلك أسلحة أخرى محظور استـيرادها » .

ويضيف : « وقــد قامت مظاهرة سلمية فى تعز استنكارا لهــذا الاعتداء خــلال تشييع جنازة ضحاياه •

وأثناء مرور المظاهرات السلمية أمام مبنى الوكالة قام بعض أفراد المكتب باطلاق الرصاص على المتظاهرين • ولولا يقظــة رجال الأمن وحرصهم على المواطنين لكانت الكارثة » •

ويختتم البيان بمثل هــذا الموقف الحازم .

« وازاء هــذه الأحــداث ونظرا لــا تكرر من هــذه الهيئــة من مخالفات صارخة تهــدد سلامة وأمن البلاد فقــد قررت حكومة ج• ع• ى• ما يلى :

أولا : انهاء العمل بالاتفاقية المبرمة مــع وكالة التنمية الأمريكيه فى ٨ نوفمبر ١٩٥٩ م ،وكذلك جميع الاتفاقيات والملاحق المتفرعة عنها •

ثانيا : سحب الترخيص لطائرة هــذه الهيئة •

ثالثا : ابعاد العناصر المخربة من موظفى هــذه الهيئة من الجمهورية العربية اليمنية فورا ، استنادا الى حـــق الحكومة الصريح باتخـــاذ الاجراءات اللازمة بتوفير الأمن لأراضيها •

رابعا : تقــديم المسئولين عن هــذا الاعتداء الى السلطة القضائية المختصة للجمهورية طبقا للقوانين المحلية النافــذة بها » (قناة الجزيرة ٢٩ـ٤ـ١٩٦٧ و ٣٠ـ٤ـ١٩٦٧ م) •

لم تعبأ الحكومة اليمنية برد الفعل الأمريكى الذى تمثل فى اعلان عن قطع المعونة الاقتصادية عن الجمهورية والتى كانت تبلغ ثلاثة مليون دولار فى العام ، وفى التلويح بسحب اعتراف أمريكا بالجمهورية ان لم تطلق سراح الأمريكيين اللذين يتمتعان بالحصانة الدبلوماسية •

فقــد انكرت الحكومة اليمنية أن يكونا متمتعــين بمثل هــذه الحصــــانة ورفضت الانذار الأمريكى المتعلق بســــحب الاعتراف بالجمهورية •

وقال السلال : « لقــد تآمروا ولمــا اتكشفوا انذروا • ونحــن لا نقبل التآمر ولا نقبل الانذار » وأضاف : « يريدون تخليص المتآمرين ولا يهتمون بمصير ضحاياهم ، كانما حرية الأمريكيين — حتى وان قتــلوا — أهم من دمــاء الآخرين — حتى وان اهــدرت بالغــدر والجريمة — » (فتاة الجزيرة ٢—٥—١٩٦٧ م و ٧—٥—١٩٦٧ م) •

ازاء هــذا الموقف الحاسم سحب الأمريكيون تهــديدهم كمــا سحبوا أكثر من مائة أمريكى من اليمن ، فى الوقت الذى أطلقت فيــه الحكومة الثورية سراح الموظفين الأمريكيين بطلب من الحليفة مصر ، حيث أن الهــدف الأساسى تحقق وهــو انكشاف تآمر الوكالة الدولية الأمريكية — كما كتبت « الأهرام » •

تلك مجرد صــفحة من ملف التآمر الأمريكى على الثورة اليمنية بشقيها — ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م وثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م — أما فتح الملف بكامله فسيتطلب وقفةمطولة ، ذلك أن التآمر الأمريكى عليها استمر بعــد نكسة يونيو ٦٧ م — وربما تصاعد واشتد — ولا يزال مستمرا حتى اليوم •

جبهــة وطنية ديمقراطية عريضــة(*)

لم تكن الظروف الموضوعية والسياسية ناضجة وملحــــة ، بل وضاغطة ، من أجــل قيام تحالف وطنى ديمقراطى واســع ، كما هى عليه اليوم .

فالهجمة الامبريالية ــ الصهيونية ــ الرجعية الموجهة ضــد شعوب أمتنا العربية ، والشعوب النامية عموما ، لم تبلغ هــذا المــــدى من التصاعد والسعار الذى بلغته منذ مطلع الثمانينيات .

والاتجاه الرئيسى لهــذه الهجمة مصوب الى حركة التحــــرر الوطنى العربية ، بما فيها حركة التحرر الوطنى اليمنية ، هــذه الهجمة التى بلغت حــد زرع القواعــد العسكرية للامبريالية ، وعلى رأســها الامبريالية الأمريكية ، فى السعودية ، وسلطنة عمان ، والصومال ، ومصر ، وكينيا ، وحــد تحريك الأساطيل ، وقوى التدخل السريع الأمريكية الى

(*) نشرت فى صحيفة « صوت العمال » فى ١٩٨٧/١١/٣ .

المنطقة ، والعودة الى أساليب الاستعمار القـديم فى القهر والاملاء ، والى سياسة توتير الموقف العالمى عن طريق خلق بؤر توتر فى أكثر من مكان وسياسة الحرب الباردة و « حافة الهاوية » التى انتهجها الاستعمار الأمريكى فى فترات سابقة ، وعاد اليها بشكل محموم وغير مسبوق ، مستثمرا فى ذلك الحرب العراقية — الايرانية •

غير أن جبهة الامبريالية والصهيونية والرجعية ليست مطلقة اليد فى المنطقة ، ففى مواجهتها تقف حركة الشعوب المناضلة من أجل سيادتها واستقلالها ، وحقها فى الحيـــاة والعيش بكرامة ، والمضى على درب الحضارة والتقـدم •

وتنتصب شعوب أمتنا العربية ، وفى مقـدمتها حركاتها التحررية ، فى قلب هـذه المعركة الوطنيـــة — الاجتماعية ضـــد الامبريالية والصهيونية والرجعية ، مسنودة فى ذلك بقوى الثورة العالمية ، وفى طليعتها الاتحـــاد السوفيتى •

ومنذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م التى أعلنت قيام الجمهورية العربية اليمنية ، وفتحت النار من خلال قيام ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م — الامتداد الحى والمتفجر لهـا — على الوجود البريطانى فى جنـوب الوطن — منذئذ ، وشعبنا اليمنى وحركته التحررية ، يرابطان فى منطقة الوسط من هـذه الدائرة الوطنية الملتهبة •

حقا تمكنت قـوى الثورة المضادة — رغم التغلب عليها فى معارك الحرب الأهلية — الاستعمارية الضروس التى فرضت على شعبنا اليمنى حـوالى خمس سنوات — تمكنت — عن طريق الغزو السياسى الداخلى ، والاحتواء الرجعى — الاستعمارى الخارجى — من الحاق نكسة خطيرة بثورة ٢٦ سبتمبر الأم ، عندما تمكنت فى ظل النكسة القومية العامة فى

٥ يونيو ١٩٦٧ م ومن خلال انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ م الاقطاعى الرجعى ، من مد نفوذها الى عاصمة اليمن التلميذة صنعاء ومن تكريس وتوسيع هذا النفوذ بعد اتفاق التصالح المشئوم فى جده مع نهاية مارس ١٩٧٠ م الذى تم مع الملكيين — ما عدا بيت حميد الدين — والذى فتح البلاد على مصاريعها للزحف السعودى الأمريكى •

غير أن الوليد الثورى الحى ، ثورة ١٤ أكتوبر ، مدعوما بالحركة الوطنية اليمنية عموما ، لم يتغلب فقط على كل محاولات الاحتواء الخارجية ، والاجهاض الداخلية وانما مضى أيضا بعد تحقيق الاستقلال الوطنى لجنوب الوطن فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ م من نصر الى نصر ، حيث تمكن بخطوة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ م التصحيحية من التغلب على التيار الانتهازى اليمنى الانفصالى ، وتمكن بحركة ٢٦ يونيو ١٩٧٨ م التقدمية من الاجهاز على التيار الانتهازى اليسارى الانعزالى ، ومن ثم من اقامة نظام وطنى ديمقراطى وحدوى ، كما تمكن آخر الأمر من عبور محنة ١٣ يناير ١٩٨٦ م الدامية •

وكما أن النكسة الوطنية التى حلت بثورة سبتمبر لم تكن مفصولة عن النكسة القومية العامة التى حلت بالثورة العربية ، بما فيها قاعدتها مصر الناصرية التى وقفت الى جانب كل الثورات العربية ، وعلى رأسها الثورة اليمنية ، فان أسباب هذه النكسة لا تعود الى قوى الثورة المضادة وحدها ، وانما أيضا الى أسباب ذاتية تتعلق بقوى الثورة اليمنية نفسها •

فهذه القوى — بفعل التناقضات الذاتية بين التيارات القومية المتواجدة فى الساحة اليمنية ، وبينها وبين القوى اليسارية ، وبفعل التناقض بين السبتمبريين أنفسهم ، وعدم الوضوح النظرى لدى قيادة الثورة ، وعدم وجود برنامج سياسى ، وعدم الاهتمام بايجاد

علاقات وصيغة تحالف وطنى ديمقراطى تجمع شتى القوى الثورية داخل السلطة وخارجها — بفعل ذلك كله •• وبسبب السياسة السلبية ازاء القوى الوطنية التى انتهجتها القيادة المصرية فى اليمن ذات النهج اليمنى المتآمر على نهج عبد الناصر القومى التقـدمى ، فأنه ما كان ممكنـا لهـذه القوى الوطنية أن تصنع وحـدة نضالية تجمع أطراف الحركة الوطنية اليمنية ، وبالتالى ما كان فى امكانها — فى ظـل تمزقها وتناحرها — ان تحول دون أن تندحر ثورة سبتمبر ، وأن يتمكن العـدو الخارجى والأجنبى من افـراغ جمهوريتها من كل محتـوى تحـررى وطنى — ديمقراطى ، وان يحول شمال الوطن الى رأس جسر للوثوب على النظام الديمقراطى فى جنوبه ، بعـد أن أسهمت ثورة سبتمبر الأم فى ولادته وعمدت من خلال الكفاح الوطنى المشترك مع ثواره وحـدة الشـعب الوطنية فى الدماء •

لقـد كان غياب الوحـدة الوطنية بين فصائل الثورة وبين قـوى الجـديد والتطـوير عمـوما ، هـو المعضلة التى رافقت سير الحركة الوطنية اليمنية منذ نشوئها فى منتصف الخمسينيات ، والتى ما تزال تمثل التحـدى الحقيقى أمامها فى الوقت الراهن •

حقا أمكن أن تتحـد بعض الفصائل فى هـذا الشكل أو ذاك من أشكال الاتحاد سواء فى شكل تنظيم سياسى واحـد ، كما كان الحـال بالنسبة للتنظيم السياسى الموحـد — الجبهة القومية الذى أمكن أن يتطور الى حزب طليعى واحـد ، هـو الحزب الاشتراكى اليمنى الحاكم فى الشطر الجنوبى من الوطن ، أو فى شـكل جبهـة وطنية ديمقراطية مناضلة فى الشطر الشمالى منه •

غير أن الوحـدة الوطنية الكاملة والجامعة لشتى أطراف الحركة الوطنية والشعبية اليمنية والتى تمثـل شرطا سياسيا حاسما لبـلوغ الوحـدة اليمنية ظلت بعيدة عن التحقيق •

واذا كان كل من شطرى اليمن قـــد مضى — ابتداء من نوفمبر ١٩٦٧ م شهر الاستقلال الوطنى لجنـــوب الوطن ، وشهر الانقـــلاب الاقطاعى فى شماله — فى خط اجتماعى وسياسى متعارض مع الآخر ، حيث مضى جنوب الوطن وبالذات بعـــد حركة ٢٢ يونيو التصحيحية فى طريق التطور الرأسمالى الكمبرادورى المشوه والتابع ، ممـــا حتم فى طريق التطور اللارأسمالى ، طريق التقدم الاجتماعى ، ومضى شماله قيام تنظيم سياسى واحـــد فى جنوب الوطن ، كشكل خاص من أشكال الوحـــدة الوطنية والثوية فيه ، تتلاءم مع مستوى التطورالاجتماعى الذى بلغه ، وحتم فى نفس الوقت قيام جبهة وطنية ديمقراطية فى شمال الوطن كقالب سياسى لا غنى عنــــه لحشد كل التنظيمات السياسية والجماهيرية ، وكل القوى والعناصر الوطنية المختلفة فيه ، فان هـــذا النمط من التوحيد الوطنى هنا وهناك لم يكن يعـــدو أن يكون خطوات على طريق الوحـــدة الوطنية والثورية الشاملة على مستوى الوطن التى تمثل أساسا راسخا من أسس تحقيق الوحـــدة اليمنية فى ظـــل نظام وطنى ديمقراطى تقـــدمى .

ان القضية العاجلة والملحة التى تطرح نفسها على قـــوى الثورة اليمنية هى توسيع اطار الجبهة الوطنية الديمقراطية القائمة ، بحيث تغـــدو تجسيدا حيا للقوى الفاعلة والحية فى المجتمع ، قـــوى العمـــال والفلاحين والمثقفين الوطنيين والجنود والضباط الوطنيين البرجوازية الصغيرة والوسطى الوطنية وكل عنصر وطنى معـــاد للقـــوى الرجعية والاستعمارية ، أيا كان انتماؤه الطبقى ، بما فى ذلك المشائخ ورجالات الدين الذين يتخـــذون نفس الموقف .

وكما تتسع هـــذه الجبهة لكل هـــذه الطبقات والشرائح الاجتماعية المتضررة ، فانها تستوعب كل المنظمات السياسية الوطنية وكل التنظيمات

الجماهيرية والنقابية القائمة ، والتى يمكن ويجب أن تقوم فى المستقبل ، بل وتتسع للمشائخ ورجالات الدين الوطنيين .

وذلك يعنى أن مثل هـذه الجبهة تتسع لكل الرؤى الأيديولوجية والاتجاهات السياسية ، ذات الصبغة الوطنية التحررية ، والتوجـه الاجتماعى التقدمى ، تمهيدا لقيام الجبهة الوطنية الديمقراطية العريضة على نطاق الساحة اليمنية كلها .

أن الاختلاف فى الرأى بين الفصائل الوطنية والقـوى الثورية لا يحول دون وصولها الى هـذا الشكل أو ذاك من أشكال التحالف الوطنى الذى يقوم على أساس القاسم المشترك بينها ، بل أنه سبب وجود وقيام الجبهات الوطنية ، فى كل وأى مكان ، بما فى ذلك سـاحة الوطن ، الذى تبـدو صيغة الجبهة الوطنية الديمقراطية العريضة أكثر الصيغ ملاءمة لظروفه الاجتماعية والسياسية ، توطئـة لقيـام اليمن الديمقراطى الموحـد .

ولا ينبغى أن تكون أحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ م سببا للتمزق ، وانما داعيا الى المزيد من التماسك والتلاحم .

القسم الثانى

حـــول تجـــربة الثـــورة

فى اليمـــن الديمقراطية

أبعـاد وآفـاق الاسـتقلال

التى بشر بهـا

« الميثاق الوطنى » للجبهة القـومية(*)

كانت قوات ابراهيم باشا ، نجل محمد على باشا حاكم مصر قـد بلغت ميناء المخا ، تهيؤا للزحف نحو عـدن ، ووضع اليمن كلها تحت ادارة والده الذى كانت طموحاته واصـلاحاته التحـديثية لمصر ، وتطلعاته نحـو اقامة دولة عربية مستقلة تضم كل الناطقين بالضـاد ـ حسب تعبير ابراهيم باشا ـ قـد استحقت تقـدير ماركس الـذى وصفه « بالشخص الوحيد » الذى كان فى وسعه أن يتوصل الى استبدال « العمامة المفتخرة » لتركيا القروسطية « برأس حقيقى » بالاستناد الى مصر التى وصفها « بالقسم الوحيد الذى كان ذا قوة حيوية آنذاك » فى الامبراطورية العثمانية كلها ، (راجع : لوتسكى تاريخ الأقطـار العربية الحـديث ، دار التقـدم ، موسكو ، ٧٤ ـ ٧٥) .

فى هـذا الوقت سارعت بريطانيا الى قطع الطريق على محمد على باشا ، ووضع حـد لطموحاته ، وبادرت الى احتلال عـدن فى ١٩ يناير

(*) نشرت فى « الثورى » فى ١٩٨٨/١٢/٣ .

١٨٣٩ ، واضطرته لا الى الخروج من اليمن والجزيرة العربية فحسب ، وانما من الشام أيضا ، حيث حصرته داخل وادى النيل ، وحيث وقعت مصر نفسها منذ عام ١٨٤١ فى قبضة النفوذ البريطانى ، وبذلك « تبعت مصر » — كما قال ماركس وانجلز — « للانكليز أكثر من أى جهـــة أخـــرى » •

(المصـــدر السابق ، ص ١٤٥) — وغـــدا البحر الأحمر — عمليا — بحيرة انجليزية •

وما كان للانتفاضات المتلاحقة والمتفرقة التى اشتعلت ضـــد بريطانيا — سيدة البحار — والتى طمحت الى تحرير عـــدن ، والتى استمرت الى عام ١٨٥٨ — ما كان لهـــا أن تغير من طبيعة الوضـــع ، وبالتالى من طبيعة القرن الذى اتسم بالتوســـع الأوروبى ، وبالذات التوسع البريطانى فى كل مكان من المعمورة •

وما كان للامبراطورية العثمانية ذاتها ، التى عادت فى موجتين — عام ١٨٤٩ وعام ١٨٧٢ الى احتلال الجزء الشمالى من اليمن ، والتى طالبت بمد سيادتها الى جنوب اليمن ، ما كان لهـــا أن تغير من طبيعة الوضع ، رغم اقفالها باب المندب خلال الحرب العالمية الأولى وتلغيمه بواسطة بواخر ألمـــانية ، وتقـــدم جيشها ، بمساعدة بعض الفصائل الشعبية اليمنية الى منطقة الشيخ عثمان ، حيث أمكن لنجـــدة بريطانيا أحضرت من السويس عبور باب المندب ، واحتلال رأس الشيخ سعيد بعـــد تحطيم الاستحكامات التركية فيه ، وايقاف الزحف التركى حتى نهاية الحرب لصالح بريطانيا وحلفائها المنتصرين •

وما كان للدولة اليمنية الاقطاعية المتخلفـــة المفتقدة للاحساس بايقاع العصر والتى قامت على انقاض الحكم التركى مع نهاية عـــام

١٩١٨ أن توفر الشروط التاريخية والاجتماعية والسياسية لتحرير جنوب اليمن وغيره من المناطق المغتصبة فى شمال اليمن ، وتوحيدها من ثم بالوطن الأم ، حيث اضطرت الى توقيع معاهدتى صنعاء والطائف اللتين اعترفت بمقتضاهما بالأمر الواقع • والانتفاضات المتقطعة زمانيا ، والمحدودة مكانيا ، والمنعزلة عن بعضها بعضا ، التى شهدها جنوب اليمن حتى الخمسينيات سواء فى الريف أو مدينة عدن ، كان لها معنى واحد ، هو أن الشعب متمسك بحقه فى ممارسة حياته الحرة على أرضه وأنه يرفض استمرار الوجود الأجنبى فيها ، غير أن اللحظة التاريخية التى يستطيع فيها ان ينتزع حريته ، ويستعيد سيادته ، ويحقق استقلاله لم تكن قد دنت بعد •

لقد اثبتت الخبرة التاريخية أن قاعدة استعمارية عالمية كعدن تمكنت من خلالها بريطانيا من احكام قبضتها على الخليج العربى ومن ضرب أى تحرك ثورى عربى — وهو ما اتضح أيضا أبان العدوان الثلاثى على السويس عام ١٩٥٦ — ومن اخضاع شرق أفريقيا ومن ، تعزيز نفوذها شرق السويس عموما ، ليس بالامكان تحريرها الا بتوافر عوامل وطنية وقومية وعالمية متضافرة •

وبتصدع الجبهة الامبريالية العالمية خلال الحرب العالمية الثانية ، وتضعضع مكانة بريطانيا زعيمة الاستعمار القديم ، وظهور المعسكر الاشتراكى ، وسطوع دور الاتحاد السوفيتى ليس فحسب فى انزال الهزيمة الساحقة بدول المحور الفاشية بل وفى بزوغ نجم الاشتراكية على أنحاء واسعة من أوروبا وآسيا بدءا من برلين وانتهاء ببكين ، وفى دعم حركات التحرر الوطنى العالمية ، اضافة الى اشتداد ساعد الطبقة العاملة والحركات الديمقراطية فى الغرب نفسه ، وتفجر الثورات العربية ، وخاصة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر وبروز الحركة الوطنية اليمنية ، وتحول عدن ذاتها الى مركز رئيسى لها ، وتصدر الطبقة

العاملة اليمنية الوليدة طيلة الخمسينيات ، وخاصة منذ اضرابات مارس ١٩٥٦ ، وانتظامها فى حركة نقابية منظمة ، واندلاع ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ فى شمال الوطن ، وانخراط جماهير الشعب اليمنى من صعده الى عدن فى الدفاع عنها ، واندفاع مصر عبد الناصر بكل ثقلها السياسى والعسكرى والقومى والعالمى الى الساحة اليمنية انتصارا لها ، وفتحا للنار على قاعدة الوجود البريطانى فى عدن ، وطموحا الى تحرير وتوحيد الوطن العربى تحت قيادة بطله القومى جمال عبد الناصر — بذلك كله تراكمت وتوافرت العوامل الوطنية والقومية والعالمية الملائمة لبدء نضال تحررى شامل وناضج ضد الاستعمار البريطانى ، واخراجه من النقطة التى دخل منها ، ومن ثم تحقيق استقلال جنوب الوطن .

كانت « الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل » هى الناتج الطبيعى والنضالى لمجمل هذه العوامل الوطنية والقومية والعالمية ، والتى وعت اللحظة التاريخية المناسبة للشروع فى الامساك بزمام المبادرة الوطنية ، واطلاق شرارة الثورة ضد برج الاستعمار البريطانى فى عدن .

كانت الجبهة القومية التى كان فرع حركة القوميين العرب يمثل عمودها الفقرى تتمتع بميزات أهلتها لان تكون هى المرشحة تاريخيا لاعطاء اشارة الثورة المسلحة وقيادتها حتى النهاية . فهى التنظيم الوحيد الذى كان له وجود فى عموم الريف والمدن ، وبذلك كانت أقوى رابطا وطنى يشد أطراف جنوب اليمن الذى كان المستعمر قد أسرف فى تفتيته وتمزيقه ، وعمق الولاءات القبلية والعشائرية فيه . وكانت هى التنظيم الجماهيرى الذى شمل الطبقات والفئات العريضة والمضطهده ، من العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والوسطى ، وكانت بذلك اطارا ملائما لتحالف وطنى شعبى ثورى كانت حركة الأحداث تتولى بلورته وصقله وتعميقه وتطويره .

ان تكون الشرارة الأولى قـد انطلقت من ردفان ضد الاستعمار البريطانى بفعل محاولة جنوده نزع أسلحة المقاتلين الردفانيين الذين عادوا لتوهم من شمال الوطن بعـد أن أدوا واجبهم هناك فى الدفاع عن الثورة ، فذلك لا يعـدو أن يكون سببا ظاهرا . أما السبب العميق فهـو الرفض الوطنى لوجـود المستعمر ، ناهيك أن تشكيل القبـائل الذى أطلق الشرارة فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ بقيادة الشيخ راجح بن غالب لبوزة وقـدم مـع رفاقه حياته لهـذا الاستهلاك المسلح والفـدائى للثورة كان أحـد الأطراف التى تشكلت منها الجبهة القومية .

وكما جاء فى « الميثاق الوطنى » للجبهة القومية فان « الثـورة المسلحة انطلقت فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ بأول مجموعة ثورية من تشكيل القبائل فى ردفان » .

« ان تكوين الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتـل كتنظيم ثورى تحمل بجرأة وشجاعة تفجير الثورة الشعبية المسلحة ضـد الاستعمار والحكم السلطانى الرجعى ، وحقق للشـعب ارادته الثورية التى أطلقت شرارة الثورة فى ١٤ أكتوبر .

واستطاعت الجبهة بما شملته من قطاعات شعبية واسعة وبمـا تميزت به من تنظيم ثورى شامل لكل المنطقة دون استثناء وتحطيمها للحواجز المصطنعة التى أوجـدها الاستعمار ان توسع المعركة المسلحة لتشمل كل مناطق الجنوب تقريبا حتى قلب القاعـدة البريطانية فى عدن ، (ص ٦٥ — ٦٦) .

وتنظيم الجبهة القومية رغم أن مجال نشاطها العملى والمباشر هو التصـدى للاستعمار البريطانى فى جنوب الوطن الا أنه كان مرتبطا بفرع حركة القوميين العرب فى اليمن عموما ، ومرتبطا بحركة القوميين

العرب بمركزها القومى فى بيروت ، ومتحالفا مع الحركة الناصرية التى كانت تقـود الحركة القومية العربية كلها ــ بقطع النظر عما حـدث بعـد وضع « الميثاق الوطنى » فى يونيو ١٩٦٥ من توتر فى العلاقات مـع مصر ــ •

هـذا الظرف الوطنى السعيد ، ممثلا فى ثورة سبتمبر ، وهـذا الظرف القومى الذهبى الذى تمثل فى تحالف حركة القوميين العرب ــ بما فيها الجبهة القومية ــ مع الحركة الناصرية ، وفى انتقـال مصر الناصرية بكل ثقلها الى اليمن ، وفى تأييدها لقيام الجبهة القومية ولشنها الكفاح المسلح ضـد الاستعمار البريطانى ــ كل ذلك عزز من الميزات الوطنية والقومية التى حالفت الجبهة القومية ، والتى تفردت بها بين التنظيمات الوطنية الأخرى •

ذلك ما أوضحه أيضا « الميثاق الوطنى » عند اشارته الى ان قيام ثورة ٢٦ سبتمبر قـد « أوجـد للحركة الوطنية الثورية قاعـدة للتحرك وحليفا طبيعيا ظلت تنشده خلال سنين (سنى) النضـال الطويل • ان هـذه الثورة فجرت فى أوساط الشعب فى الجنوب حماسا لا نظير له للنضال ، حيث هبت جماعات كبيرة وحملت السلاح للذود عن الثورة وحمايتها من تآمر الرجعية والاستعمار » •

« ان وصول القوات العربية لحماية الثورة والحفاظ على مكاسبها •• كل ذلك قلب الأوضاع السائدة فى المنطقة •• ووفر فى الوقت نفسه الشروط والموضوعية الأساسية لاندلاع الثورة فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م » (ص ٦١ ــ ٦٢) •

وكان تنظيم الجبهة القومية يدرك أهمية وجود المنظومة الاشتراكية فى قيام ونجاح ثورات التحرر الوطنى الديمقراطى ــ بقطع النظر عن

وجود تيار فيه كان يقيمها تقييما سلبيا ، حيث كان الرجحان — للجناح الديمقراطى الثورى حتى من قبـل الاستقلال وهـو ما أعرب عنـه بوضوح « الميثاق الوطنى » الذى حمل بصمات هـذا الجناح » وهـو ما تجلى فى الصيغ المتعلقة بالبلدان الاشتراكية ، ومنها الصيغة التى جاء فيها : « ان انتصارات الثورة الاشتراكية فى بلدان كثيرة من العالم أدى الى تقسيم العالم الى معسكرين رأسمالى رجعى ، واشتراكى تقدمى ، وفضلا عن التجارب المفيدة التى قـدمتها هـذه الانتصارات للشعوب المستعمرة فقـد أصبح انتصار أية ثورة وطنية ذات محتوى اشتراكى فى أى قطر من العالم يعنى بالضرورة انتصارا حتميا للمعسكر الاشتراكى التقـدمى ، وتقليصـا لوجـود المعسكر الرأسمالى الاسـتعمارى » (ص ٥٥ — ٥٦) •

ان مجمل ما سبق يوضح ان العوامل الوطنية والقومية والعالميـة كانت قـد توافرت بالفعل لشن نضال ناجح من أجل تحقيق الاستقلال الوطنى لجنوب اليمن ، وان الجبهة القومية بالذات كانت التنظيم الوحيد الذى خـدمته هـذه العوامل أكثر من أى تنظيم آخر ، وانها بالتالى كانت المهيأة وحـدها لان تكون صاحبة الكلمة الأولى والطلقة الأولى ، ومن ثم صانعة الفعل التاريخى الذى توج بجـلاء المستعمر وتحقيق الاستقلال الوطنى • ولكن ماذا كان يعنى الاستقلال الوطنى من وجهة نظر الجبهة القومية ؟

أولا : كانت الجبهة القومية ترفض الاستقلال الشكلى الذى كان الاستعمار البريطانى يعـد به الأحزاب التقليدية والاصلاحية المعادية للكفاح المسلح ، وقـد تكفلت ثورة التحرير بـ « افشال كل مخططات الاستعمار ومشاريعه فى المنطقة • وقـد تجسد ذلك فى الهزيمة التى ألحقتها الثورة بمؤتمر مارس اللا دسـتورى عام ١٩٦٥ الذى دعى (دعا) الى عقـده وزير المستعمرات البريطانى مع ممثلى ولاية عـدن

والسلاطين وأحزاب عــدن السياسية الغير مشتركة (غير المشتركة) فى الثورة والمعادية لهــا » (ص ٦٨) ٠

ثانيا : كان الاستقلال السياسى الحقيقى يعنى فى نظر الجبهــة القومية رفض اقامة دولة انفصالية رجعية عميلة فى جنوب اليمن ، تكون ركيزة للمستعمر بعــد اخراج قــواته ، وتكون حجر عثرة على طريق الوحــدة اليمنية والوحــدة العربية ، وهــو ما كان قــد تمثل بالفعل فى دولة « اتحاد الجنوب العربى » التى كان قــد شرع فى اقامتهــا وضم عــدن اليها ٠

ومن هنا فان الجبهة القومية أعلنت وقوفها ضــد هــذا المخطط « الرامى الى ايجاد ما أسماه بدولة الجنوب العربى » الانفصــالية العميلة ، يدفع بها الى المجالات والمحافل الدولية للاعتراف بها والتلويح باستقلال مزيف تكون على قمتــه الرجعية المحليــة من المستوزرين والسلاطين الاقطاعيين ، يعيق به (الاستقلال المزيف — الكاتب) تطلع الجماهير وموجهها (وتوجيهها) الثورى ، ويحول دون تحقيق وحــدة الشعب العربى فى اقليم اليمن ، ويحــول دون اتجاهه الى الوحــدة العربية ، مستهدفا ابعاد المنطقة عن الركب العربى الثورى التحررى » (ص ٥٩) ٠

ثالثا : وكما ربطت الجبهة القومية التحرر السياسى من الاستعمار بالتحرر الاقتصادى منه ، فانها ربطت التحرر الوطنى بالتحرر الاجتماعى ، معتبرة أن الاستقلال الوطنى الكامل مرهون بالقضاء على الطبقــات والقوى الاجتماعية الاقطاعية والبرجوازية المشايعة للاستعمار وبأحداث تحولات اقتصادية واجتماعية ديمقراطية تكون فى صالح الجماهير الفقيرة والمضطهدة والمستغلة ٠

وهى أطروحة عامة تبنتها الجبهة القومية لا بالنسبة لجنوب اليمن فحسب ، وانما بالنسبة للوطن العربى كله ، وقــد صاغتها بشكل واضح ومحــدد على النحو التالى :

« ان نمـــو الطبقة البرجوازية والاقطاعية فى الوطن العربى ، وارتباطاتها المسبقة بالمصالح الاستعمارية ، أدى الى ظهور قوى وتكتلات سياسية ذات طابع رجعى استعمارى فى أقطار عربية معينة دفع هــذه القوى الى أن تحتفظ بالسلطة ، وتستحوذ على الحكم بعــد الاستقلال مباشرة ، وذلك فى غياب الطلائع الثورية الممثلة لجموع الشعب المحرومة .

ان عملية الصراع هــذه بين قــوى الرأسمالية المستغلة والاقطاع وبين قــوى الشعب الكادحة تستوجب الحرص الشــديد لان تتم بنضال ثورى يستهدف تحقيق أهــداف الجماهير حتى يتجنب الشــعب بمجموعة الدخول فى عملية خضوع رهيب لسيطرتها » (ص ٥٧ — ٥٨) .

أما بالنسبة لجنوب اليمن فقــد كانت صيغة الاطروحة كما يلى :

« لكن الاستعمار البريطانى فى جنوب اليمن قام بخلق قــوى اقطاعية رجعية متميزة وقــوى برجوازية لهــا مصالحها المتداخــلة معه ، وشكلت هــذه القوى الاجتماعية المستغلة ، ممثلة فى الأحزاب السياسية ، منذ البداية خطا معاديا للثورة المسلحة ، متخــذة أسلوب العمل السياسى السلمى وسيلة ضغط مباشر ، أملا منها لان يعطيهــا الاستعمار بعض التنازلات ، ويسلمها السلطة والحكم مقابل أن تقبل استمرار بعض مصالحه وتوقف مسيرة الثورة الهادفة الى القضاء على كيانهما ووجودهما معا » (ص ٧٣) .

رابعا : كان الاستقلال السياسى — من وجهة نظر الجبهة القومية — مدخلا الى اقامة دولة وطنية ديمقراطية متحررة متقــدمة فى جنوب

الوطن ، لا يستكمل بها فقط استقلال اليمن الذى ظل منقوصا منذ وطئت أقـدام المستعمر البريطانى عـدن ، وانما يتحقق بها أيضا خلق نموذج ثورى رائد فى اليمن يكون حافزا وملهما للحركة الوطنية اليمنية عموما للسير على هـداه فى نضالها من أجـل بلوغ الوحـدة اليمنية ، ومن ثم قيام الدولة اليمنية الموحـدة الوطنية الديمقراطية .

ولم يكن تحقيق الاستقلال مدخلا فحسب الى قيام دولة وطنية ديمقراطية فى الجنوب ، وبالتالى دولة يمنية موحـدة وطنية ديمقراطية وانما كان كذلك مدخلا لاقامة مجتمع الاشتراكية ، التى كانت تعنى فى هـذا الوقت « الاشتراكية الثورية » تمييزا لهـا عن الاشتراكية العلمية التى صعب تبنيها فى الميثاق ، رغم أن تحليله للوضوح الاجتماعى فى جنوب اليمن وفى الوطن العربى وفى العالم كان متاثرا بوضوح بنهج الاشتراكية العلمية . كثيرة هى الفقرات التى تؤكد ذلك كله ، ولسوف نختار من الميثاق بعضا منها : « ان الواقع الاجتماعى الذى ستحققه الثورة لابد أن تتولى فيه تنظيماتها الشعبية الثورية عملية توجيهه وبنائه فكريا واقتصاديا وعسكريا . ان هذا الواقع لن يتحقق الا متى تحمل كل مواطن ومواطنة المسئولية كاملة فى العمل والانتاج ، وعلى هذا الأساس يصبح من أهـداف الثورة الأساسية أن توفر فرص العمل لكل المواطنين بدون استثناء » .

« ان من أهم ظواهر المخططات الاقتصادية الاستعمارية هـو استحداث الفوارق بين المدن والريف وان من واجبات الثورة الأساسية من خلال مخططاتها للتنمية الاقتصادية والبناء الاجتماعى الثورى ان تغير هـذه الظاهرة التى سوف تتغير حتما بالتغيير الجـاد للعلاقات الاجتماعية السـائدة القـائمة على أسس اقتصـادية اسـتعمارية » (ص ٩٢ — ٩٣) .

ولابد فى هـذا الصـدد من « الاستفادة من تجربة العربية فى ضرورة وحـدة النضال الثورى لجماهير الشعب ذات المصلحة الحقيقية فى الثورة » ، حيث أنه بذلك « لا يقضى على كل أشكال الوجود الاستعمارى بكافة صوره فحسب ، انما يمكن (أيضا) هـذه الجماهير من أن تقوم باعادة بناء مجتمع سليم تسوده الحرية والديمقراطية والاشتراكية » ، وذلك يحتم أن تظل الجبهة القومية هى « الاطار التنظيمى الذى تتفاعل فيه كل قطاعات الشعب العاملة لتقود وتوجه وتعبر بحرية من خلاله عن ارادتها وأهـدافها واتجاهاتها أثنـاء مسيرة الثورة وفى مرحلة البنـاء الاجتماعى على طريق الاشتراكية » • (ص ٧٥ ، ٩٦) •

خامسا : وفى الوقت الذى انفتحت فيه الجبهة القومية وتعاونت — بقـدر ما سمحت بذلك التناقضات داخلها — مع القوى والمنظمات التقـدمية من أجل تحقيق الاستقلال الوطنى بكل الابعـاد الوطنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المترتبة عليه ، فأنهـا أدركت جيدا الدور الذى ينبغى أن تحتله الشغيلة — وبالذات العمـال والفلاحون وسط قوى التحالف الوطنى الديمقراطى •

كان « الاتحـاد الشعبى الديمقراطى » بقيادة عبد الله باذيب ، الذى قيم عاليا الرسالة الثورية التى نهضت بها الجبهة القومية ، وجمد تنظيمه بغية الوصول الى شكل راق من التحالف ومن ثم الاتحاد معها ، وسخر جريدته « الامل » لصالحها وصالح العملية الثورية فى اليمن عموما ، كان أبرز القوى السياسية المنظمة التى انفتحت عليها الجبهة القومية وتعاونت معها باخلاص لا يقل عن الاخلاص الذى تعاون به تنظيمه معها ، لاخلال فترة الكفاح المسلح فحسب ، وانما بعد الاستقلال أيضا • بل ان هذا التعاون تنامى وتطور ، وبالذات مع التيار الديمقراطى الثورى فيها الذى كان عبد الفتاح اسماعيل أبرز رموزه والذى كان يسير حثيثا نحـو الانتقال من مواقع الديمقراطية الثورية الى مواقع

الاشتراكية العلمية ، الأمر الذى عمق وعزز التقارب بين هـذا التيار وتيار باذيب المـاركسى •

ليست نادرة الصيغ التى تضمنها الميثاق ، والتى يتضح منها جليا أن الجبهة القومية اعتبرت العمال والفلاحين العمود الفقرى للتحالف الوطنى الديمقراطى لا من أجل نيل الاستقلال الوطنى فحسب ، وانما أيضا من أجل بناء الدولة النواة للشغيلة وعموم الكادحين فى جنـوب اليمن ، والتى ينبغى أن تكون مشتلا ديمقراطيا ثوريا نموذجيا رائدا وملهما للحقل الديمقراطى الثورى لدولة اليمن الموحـدة المتحررة •

« ان الطبقة العاملة التى تحملت مسئولياتها النضالية خلال مسيرة الثورة لا شك أن دورها فى مرحلة البناء الثورى أعظم من ذلك » •

« ان تنظيم جماهير الفلاحين وتوجيههم للقيام بدورهم كاملا فى مرحلة البناء الثورى الاجتماعى لابد أن يتم من خلال توطيد التحالف بينهم وبين الطبقة العاملة ، وتحقيق هـذا التحالف هـو وحـده الكفيل بتحقيق التقـدم الاجتماعى المنشود ، وعلى الثورة أن توجه جهودها الى تنظيم هـذه القطاعات الشعبية الثورية صاحبة المصلحة الأكيدة فى الثورة الاشتراكية بكافة السبل وبكل الوسائل » (ص ٩٣ ، ٩٤) •

سادسا : ان الجبهة القـومية التى كانت تعتبر نفسها النقيض الوطنى الطبقى للاستعمار والاقطاع و « الرأسمال المستغل » — حسب تعبير « الميثـاق الوطنى — والمعبر عن الحركة الجماهيرية ، والمجسد لمصالح العمال والفلاحين والقوى الاجتماعية الأخرى المنتجة ، كانت ترى أنه فى ظل دولة الاستقلال التى تطمح الى قيامها فى جنوب الوطن كركيزة للوحـدة اليمنية التى يجب « أن تتم على أسس شعبية سليمة » ، فانه لا مجال للتنمية الرأسمالية التقليدية ، وان المجال المتاح هـو

التنمية الاقتصادية ــ الاجتماعية المستقلة المخططة عبر قطاع عام ، بحيث يكون ناتج التنمية لصالح جماهير الشعب الفقيرة ، غير أن ذلك لا يعنى عــدم القبول بالرأسمال الأجنبى فى قطاعات معينة لا غنى لهــا عنه . « ان من أهم العوامل التى تخضع اقتصاديات البلاد المتخلفة للسيطرة الاقتصادية الأجنبية هى عــدم توفر الرأسمال القادر على تحويل ثروات البلاد الى طاقات انتاجية تستطيع مواجهــة الحاجات المتعــددة لدى الشعب فى طريقه نحو التقــدم .

لذلك فان وضع خطة شاملة لتوجيه الرأسمال الوطنى ، وتشجيع الشعب على الادخار ، والتوفير ، والحصول على المعونات والقروض الأجنبية غير المشروطة والسماح للاستثمارات الأجنبية فى بعض المجالات التى تتطلب خبرات عالية لا تتوفر فى البلاد ، ان ذلك من أهم الأسس لخلق اقتصاد وطنى سليم مستقل فى كافة المجالات يمكن الشــعب من اقامة صناعات تواجه حاجاته المختلفة والأساسية » (ص ٧٩ ، ٨٦ — ٨٧) .

هــذا الفكر الاجتماعى والسياسى المتقــدم الذى جسده « الميثاق الوطنى » والذى حــدد به أبعاد وآفاق دولة الاستقلال مثل البــذرة الصالحة التى ما لبثت أن زكت وربت وتفتحت واينعت بعــد الاستقلال ، وتحولت الى شجرة فكرية اجتماعية ــ سايسية باسقة أصلها ثابت فى الأرض ، وفرعها شامخ فى السماء . ولذلك فانه صعب على كل الأنواء والعواصف الداخلية والمحلية والخارجية اقتلاعها أو هصرها .

وبعــد فانه لم يكن بغير أساس وصف محمد على باشــا عــدن بأنها « عين اليمن » التى أخــذها الانجليز عام ١٨٣٩ . وبالاستقلال الذى انتزعته فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ استعادت اليمن عينها التى تبصر بها

اليـــوم طريق مستقبلها ، مستقبل التنمية الاقتصادية والاجتماعية المستقلة ، مستقبل التحالف الوطنى الديمقراطى الواسع ، مستقبل التقدم الاجتمـاعى ، والديمقراطية السياســية ، مستقبل التحرر الوطنى والاجتماعى معا ، مستقبل اليمن الديمقراطى الموحـد ، ذى التوجـه الاشتراكى ، والارتبـاط القومى التقـدمى ، والعـلاقات الانسانية الامميـة .

حصيلة أعمال الندوة العلمية

حول الثورة الوطنية الديمقراطية

وتجربة اليمن الديمقراطية(*)

انعقدت فى عدن خلال الفترة ما بين ١١ — ١٤ فبراير ١٩٨٤ ندوة علمية دعت اليها اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى ، وشاركت فيها — اضافة الى ممثلى الجانب اليمنى — وفود علمية من مختلف الأحزاب الشيوعية العربية ، ومن البلدان الاشتراكية والرأسمالية والنامية ، عدا الشخصيات المختصة .

وقد توزع برنامج أعمال الندوة العلمية التى حملت عنوان « الثورة الوطنية الديمقراطية (تجربة اليمن الديمقراطية) » الى ستة محاور كالتالى : القوانين العامة للثورة الوطنية الديمقراطية ، الثورة الوطنية الديمقراطية ... القوى المحركة وقضايا التحالفات ، مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية وشروط تحقيقها (التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية) ، طبيعة ودور السلطة السياسية فى انجاز الثورة الوطنية الديمقراطية ، دور ومكانة حزب الطبقة العاملة فى قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية ، دروس الخبرة الثورية لليمن الديمقراطية .

(*) نشرت فى صحيفة « ١٤ أكتوبر » فى ١٩٨٤/١/١١ .

وقد افتتحت الندوة بكلمة ضافية للأمين العام •

كان المشاركون فى الندوة يعودون اليها ويستشهدون بما جاء فيها • وقد أديرت الندوة على نحو ديمقراطى ومسئول ، وشاركت فى المداخلات والنقاشات العلمية التى جرت فيها مختلف الوفود والشخصيات •

وتم الاعراب فى خاتمتها عن الأهمية العلمية والسياسية الفائقة التى جسدتها •

ان أهم الاستخلاصات النظرية التى يمكن الخروج بها من مجمل أعمال الندوة تتمثل فيما يلى :

١ — أن الثورة الوطنية الديمقراطية فى البلدان النامية الآسيوية والافريقية والأمريكية اللاتينية تختلف عن الثورة الديمقراطية البرجوازية الكلاسيكية التى شهدها الغرب ، والتى تكونت خمائرها فى قلب المجتمع الاقطاعى ، وقادتها الطبقة الوسطى الجديدة الممثلة أساسا فى البرجوازية الفتية التى أطاحت بالمجتمع الرأسمالى ، وبلغت فى تطورها أعلى مرتبة لها ، وهى الرأسمالية الاحتكارية ، والامبريالية ، ورأسمالية الدولة الاحتكارية •

٢ — أن الثورات الوطنية الديمقراطية تستهدف بادىء ذى بدء تثبيت عملية التحرر من قوى الاحتلال الامبريالى والهيمنة الاستعمارية المباشرة واحباط مخططات الاستعمار الجديد واقامة دول وطنية مستقلة ، والقضاء على التخلف وتحقيق الذات القومية ، وانجاز مهام ذات صبغة بورجوازية ديمقراطية فى مرحلتها الأولى •

٣ — أن الثورات الوطنية الديمقراطية فى عصرنا الراهن الذى دشنه انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى بقيادة لينين العظيم ،

وكرسه قيام النظام الاشتراكى العالمى على اثر اندحار الفاشية ، عصر انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية ، تعتبر جزءا لا يتجزأ من العملية الثورية العالمية التى تمثل الطبقة العامة العالمية ، وخاصة نظامها الاشتراكى العالمى ، قطب الرحى فيها .

٤ — أن هـذه الثورات لا يمكن لهـا بلوغ كامل أهـدافها الا بالتحالف مـع قوى الثورة العالمية ، مجسدة فى المعسكر الاشتراكى ، وفى طليعته الاتحاد السوفيتى ، وأحزاب الطبقة العاملة فى البلـدان الرأسمالية المتطورة ، وسائر حركات التحرر الوطنى .

٥ — أنه فى هـذا العصر امتزج البعد الوطنى لهـذه الثورات مـع البعـد الديمقراطى لهـا امتزاجا تاما ، بحيث يستحيل تحقيق التحرر الوطنى من قيود الاستعمار القـديم والجـديد دون التحرر الاجتمـاعى والسـياسى من ركائزه الاقطـاعية وشـبه الاقطـاعية والكمبرادورية والأقسام الموالية له من البرجوازية الوطنية .

٦ — أن التجربة التاريخية أثبتت أن الثورات الديمقراطية التى قادتها البرجوازية الوطنية ، وخاصة الصغيرة والوسطى منها ، لم تستطع أن تبلغ كامل أهـدافها الموضوعة أمامها ، رغم الانجازات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التى حققتها ، ورغم الدور الدولى الذى قامت به .

٧ — أن ثورات هـذه البرجوازية الوطنية ، الصغيرة والوسطى ، رغم عمليات التحويل الاقتصادى والاجتماعى التى قامت بها فى المدينة والريف ، ورغم عمليات التصنيع والتنمية الاقتصادية التى حققتهـا بالتعاون مع المعسكر الاشتراكى ، وخاصة الاتحاد السوفيتى ، ورغم قيام قطاعات عامة ، وتعـاونية ومختلطة ، الا أنهـا حجبت الديمقراطية

السياسية عن الجماهير الشعبية ذات المصلحة العميقة فى مثل هـذه التحولات والانجازات ، والقادرة على حمايتها وتجـذيرها أكثر فأكثر • وحالت دون حشد وتعبئة هـذه الجماهير ، وخاصة العمال والفلاحين فى جبهة وطنية عريضة فعـالة . وفى تحـالف ديمقراطى ثورى مكين وحقيقى ، يقف سـدا منيعا فى وجه المؤامرات الداخلية والخارجية الرجعية والاستعمارية ، ويعمل على المضى بها قـدما الى الامام فى اتجاه انهاء التبعية السياسية والاقتصادية للاحتكارات والسوق والدول الامبريالية ، وتطوير الاقتصاد الوطنى ، وتحويله الى اقتصاد منتج متعـدد الأوجه ، واشاعة الحياة الديمقراطية فى البلاد ، ومن ثم اقامة نظام وطنى ديمقراطى ثورى حقيقى •

٨ — أن حجب الديمقراطية السياسية عن الجمـاهير الشعبية ، والحيلولة دون قيام تحالف وطنى ديمقراطى فعال وحقيقى فيما بينها ، وحرمان طليعتها الطبقية والسياسية ممثلة فى أحزاب الطبقة العاملة من حـق التنظيم السياسى المستقل ، أو تحجيمها ، والحـد من قـدرتها على الحركة السياسية والجماهيرية الطليقـة ، وتربية وتعبئة وتنظيم وقيادة الجماهير ، وفرض نوع من الحكم الفئوى التسلطى ، ان ذلك كله قـد أدى الى نتـائج مدمرة أضرت بمسار ومصـير الثورات الوطنية الديمقراطية ذاتهـا ، حيث مكن لنشوء برجـوازية جـديدة طفيلية وبيروقراطية ، مدنية وعسكرية ، والتى تكون أجنحة يمينية داخل النظام ذاته ، تمكنت فى بعض الحالات بالتعاون مع القوى الرجعية القـديمة والجـديدة ومع الدوائر الاستعمارية من الاطاحة بالنظـام الوطنى الديمقراطى ، أو من احتوائه ، تمهيدا للاطاحة به أو افراغه من محتواه •

٩ — أن التجربة أثبتت أن هـذا الطراز من الثورات البرجوازية الوطنية الديمقراطية التى تقودها البرجوازية الوطنية الصغيرة والوسطى . حتى وان رفعت رايات الاشتراكية القومية ، أو لوحت من بعـد براية

الاشتراكية العلمية ، فانها غير قادرة على تحقيق ثورة وطنية ديمقراطية راسخة ومنسجمة •

١٠ — أن الشواهد التاريخية أكدت فى مختلف القارات الثلاث ان انجاز كامل أهـداف الثورات الوطنية الديمقراطية ، وايجاد ثورات وطنية ديمقراطية منسجمة وحقيقية يتطلب شروطا أساسية وحاسمة أهمهـــا :

(أ) ايجاد تحالف وطنى ديمقراطى عريض وفعال يمثل العمال والفلاحون العمود الفقرى فيه ، ويضم المثقفين الثوريين والبرجوازية الصغيرة ، والأقسام الثورية من البرجوازية الوطنية •

(ب) توحيد الأقسام الطليعية من الديمقراطيين الثوريين الذين انتقلوا الى مواقع الاشتراكية العلمية ، مـع الاشتراكيين العلميين ، فى هـذا الشكل أو ذاك من أشـــكال التوحيد السياسى والتنظيمى ، تمهيدا لاقامة الحزب الطليعى •

(جـ) ضرورة اقامة الحزب الطليعى الممثل للطبقة العاملة وضرورة قيادته للتحالف الوطنى الديمقراطى الثورى •

(د) ضرورة حسم مسألة السلطة السياسية عن طريق الاستيلاء أو أخـذ هـذا التحالف بقيادة الحزب الطليعى السلطة فى يده ، واستخدامها فى اتجـــاه تعزيز الاستقلال السياسى ، وتحقيق التحرر الاقتصادى ، والوقوف بحسم فى وجـــه المؤامرات والمكائد الداخلية والخارجية للقوى الرجعيـــة والاستعمارية ، وفى اتجـاه انجـاز المهـام ذات الصـبغة البرجوازية الديمقراطية ، واجراء التحولات الاقتصـادية

والاجتماعية والسياسية والثقافيـــة وتحطيم جهـــاز الدولة القـــديم ، وايجاد جهاز جـــدد أدارى وتنفيذى وتشريعى وقضائى وبوليسى ونظامى ، بمـــا فى ذلك وضـــع دســـاتير وقوانين وأنظمة تجسد منحى الثـــورة الوطنى الديمقراطى الجـــذرى ، والعمل على تصنيع البلاد ، ومكننة الزراعـــة فيها وتحقيق التنمية الاقتصادية الشاملة والمستقلة ، ومن ثم ايجـــاد القاعـــدة المـــادية والتكنيكية لعملية التحـــول الاشتراكى .

(هـ) ضرورة اقامة تحالف وثيق مع الطبقة العاملة العالمية ، وعلى رأسها البلدان الاشتراكية التى انتصرت فيها رسالتها ، وفى مقـــدمتها الاتحاد السوفييتى ، حيث أنه بمثل هـــذا التحالف، وحـــدة يمكن لسلطة الثورة الوطنية الديمقراطية أن تحقق مجمل مهامها الآنفة الذكر ، وأن تمثل مرحـــلة انتقالية الى الاشتراكية وان تسير فى طريق التوجـــه الاشتراكى ، وان تحول الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكة .

ان ذلك كله يعنى أنه فقط بقيادي الطبقة العاملة ومن خلال حزبها الطليعى وبمراعاة الشروط الأخرى المذكورة أعلاه يمكن للثورة الوطنية الديمقراطية أن تحقق كامل أهـــدافها ، بما فى ذلك كانجاز المهام ذات الصبغة البرجوازية الديمقراطية ، وان تقترب شيئا فشيئا من مرحلتها العليا ، مرحلة الديمقراطية الشعبية ، مرحلة الانتقال الى الاشتراكية ، مرحلة التوجـــه الاشتراكى ، التى تنطوى على عناصر وجزئيات وشرائح وسمات من المرحلة السابقة الديمقراطية الثورية ، والمرحلة اللاحقـــة الاشتراكية الديمقراطية .

وقـــد أشارت المداخلات والنقاشات بارتياح عظيم الى أن تجربة

الثورة فى اليمن الديمقراطية قـد توفرت لهـا وفيها معظم الشروط الآنفـة الذكر ، مما مكنها من أن تصبح أحـد الأمثلة الثورية النموذجية والطليعية والرائدة للثورة الوطنية الديمقراطية الناجحة السائرة فى طريق التوجـه الاشتراكى •

وهى بذلك أحـد الاعلام الثورية الجـديدة الخفاقة التى ارتفعت فى السماء الآسيوية الافريقية الأمريكية اللاتينية المكتوب عليها ، المضى قـدما الى الامام حتى اقامة الاشتراكية ، والتى ترفرف من كمبوتشيا ولاوس وأفغانستان فى الشرق ، مرورا بأثيوبيا وموزمبيق وأنجـولا والكونغو الشعبية وبنين ، الى نيكاراجوا فى الغرب •

ان خصوصيات الثورة فى اليمن الديمقراطية هى من العمق والغنى بحيث جسدت ما هـو عام وضرورى لكل ثورة وطنية ديمقراطية حقيقية ومنسجمة وذات توجـه اشتراكى •

وان نجاح هـذه التجربة الثـورية الطليعية الريادية فى اليمن الديمقراطية ليؤكد على نحو خاص أن فى الامكان حـدوثها فى المنطقة العربية التى تنتمى اليها ، اذا ما تحققت ذات الشروط العامة اللازمة لنجاحهـا •

وأوضحت المداخلات والنقاشات أن صـيانة مثل هـذه التجربة الثورية النموذجية ، والعمل على المضى بها قـدما الى الامام ليس مهمة الثوريين والاشتراكية اليمنيين فقط ، وانما هى كذلك مهمة كل الثوريين والتقـدميين والاشتراكيين فى الوطن العربى ، وفى العالم •

خطـاب اليمـن الديمقراطيـة(*)

الثورة الاجتماعية العميقة الأصيلة لا تقف عند حـد فى تطورها وتقـدمها وتجـذرها . فهى دائما وابدا تكتسب اعمـاقا وأبعـادا جـديدة ، وتكتسى ملامح وسمات متجـددة .

وهى ــ أيا كانت الانجازات والمكاسب التى حققتها ، والانتصارات والأمجاد التى توجت بها هامتها ــ لا تقنع بها ، ولا تنام على أكاليل غارها ، وانما هى ترى فى ذلك مجرد محطات على الطريق الطويل الممتد بلا نهاية ، وطوابق فى صرح الثورة الذى لا يعرف لعـلوه وشموخه المتصاعد حـدا .

ومع ذلك فان المكاسب والانجازات والانتصارات والأمجـاد التى تكون قـد حققتها الثورة تمثل مبعث اعتزاز وافتخار بها ــ دونمـا غرور ــ ومصـدر ثقة والهام للثوريين لا غنى عنه .

(*) نشرت فى « الثورى » فى ١٩٨٤/٤/٢٨ .

وبتطبيق هـــذه القاعـــدة على ثورة ١٤ أكتوبر نرى ما هى المنجزات الأساسية التى حققتها ، والمحطات النضالية التى قطعتها ، والتى تمثل مصـــدر ثقة والهام لمواصلة النضال دون توقف ، بقـــدر ما تمثل مبعث اعتزاز بها — بدونما غرور — .

ثم ما هى العوامل والشروط التى ساعدت ثورة ١٤ أكتوبر على التقـــدم فى هـــذا المنحنى النضالى المتصاعد المتعاظم الذى ســـقطت دون بلوغه أو المضى فيـــه بدون توقف كثير من الثورات العربية وغير العـــربية ؟

ان ممـــا يلفت النظر انه فى الوقت الذى أصيبت فيه حركة الثورة والقومية العربية بزعامتها الناصرية بنكسة خطيرة فى ٥ يونيو ١٩٦٧ على يد العـــدو الصهيونى — الامبريالى كانت ثورة ١٤ أكتوبر تحقق احـــدى انتصاراتها العظيمة باحتياجها قلعة الاستعمار البريطانى : عـــدن ، واستيلائها عليها لمدة أسبوعين تقريبا .

وما يسترعى الانتباه أنه فى الوقت الذى نكست فيه رايات العديد من الثورات العربية ، وطويت فيه أعلام الكثير من الأنظمة الوطنية فى المنطقة العربية وخارجها ، كانت راية ثورة ١٤ أكتوبر ترتفع الى ذرى أكثر علوا وشموخا ، وكان نظامها الوطنى — الديمقراطى يزداد ترسخا وتجـــذرا .

ولم يمر نظام وطنى — ديمقراطى عربى بذات المعاناة السياسية الداخلية العميقة التى عاناها النظام الوطنى — الديمقراطى فى اليمن الديمقراطية ، ولم يخض غمار تجارب كتلك التى خاضها ، وخرج منها باستمرار منتصرا .

فعلى عكس الثورات العربية التى تمكنت الأجنحة اليمنية فيها من

العصف بها وبالأنظمة التى أقامتها هـذه الثورات ، فان الثورة فى اليمن الديمقراطية تمكنت من التطويح بالجناح اليمينى فيها بسرعة عجيبة ونجاح منقطع النظير •

وكانت الثورة فى اليمن الديمقراطية هى الوحيدة بين مجمـل الثورات العربية التى تمكن الجناح اليسارى الانتهازى من احتلال قمة السلطة فيها ، ومـع ذلك تمكنت الثورة من الخـلاص منه ، ومن كل تجاوزاته وانحرافاته التى جنحت به ـ رغم التطرف اليسارى ـ ذات اليمـين •

وكانت اليمن الديمقراطية هى البلد العربى الأول والوحيد الذى مضى حثيثا فى طريق انجاز كامل أهـداف الثورة الوطنية ـ الديمقراطية ، واقتحم بالفعل طريق التوجه الاشتراكى •

الام يعود هـذا السبق الثورى ، وهـذا الفتح التاريخى • الذى حققته اليمن الديمقراطية ؟

أن أول وأهم عامل ثورى كان وجود تنظيم سياسى أخـذ يتطور باستمرار ، ويكتسب سمات شعبية ، وابعادا أيديولوجية أعمق فأعمق ، وقـدرة هـذا التنظيم على نسج أوسع تحالف جماهيرى من حوله ، واقامة علاقات نضالية أوثق فأوثق مع قوى الثورة العالمية •

لقـد كان هـذا التنظيم ـ الجبهة القومية ـ المسنود بالفصائل الديمقراطية والتقـدمية الأخرى ، وبالمنظمات الجماهيرية ، هو الذى أنهى الحكم الفردى اليمينى الذى ارادت الزمرة الانتهـازية اليمينية اقامته على انقاض التنظيم ، وعلى حساب خطه الوطنى ـ الديمقراطى الذى أوضحته وثائقه ، وخاصة « الميثاق الوطنى » الذى وضع واقر فى يونيو ١٩٦٥ ـ أثناء فترة الكفاح المسلح ضـد المستعمر البريطانى ـ •

وكان هـذا التنظيم ــ التنظيم السياسى الموحـد ــ الجبهـه القومية الذى أصبح يضم كل فصائل العمل الديمقراطى ــ هو الذى وضع نهاية للحكم الفردى التعسفى الـذى حاولت طغمة الانتهـازية اليسارية اقامته على جثة التنظيم ، وضـد منحاه الاشتراكى العلمى •

وهـذا التنظيم الذى حقق نقلة نوعية بتحوله الى حزب من طراز جـديد ، حزب طليعى يمثل مصالح الطبقة العاملة وحلفائها من الفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الكادحة الأخرى ، حزب يتبنى أيديولوجية الاشتراكية العلمية والاممية للبروليتارية • ويعتمد على أوسع تحالف جماهيرى من حوله ــ ممثلا فى المنظمات الجماهيرية والمهنية ــ ويقيم أقـوى العلاقات الرفاقية مع أحزاب الاشتراكية العلمية ، والقـوى الثورية والديمقراطية فى العالم ، وفى مقـدمتها جميعا المعسكر الاشتراكى وفى طليعته الاتحاد السوفيتى ــ هـذا الحزب : الحزب الاشتراكى اليمنى ، هـو الذى يوجـه مسار الثورة • ويقود خطاها عليه ، ويكفل المضى بها قـدما الى الامام فى طريق اكمال مهامها الوطنية الديمقراطية • وطريق التوجـه الاشتراكى • وتحـويلها من ثم من ثورة وطنية ديمقراطية الى ثورة اشتراكية •

وكما أن الحزب هـو قائد مسيرة الثورة عبر شتى مراحلها الراهنة واللاحقة ، فهو صمام أمانها ، وصاحب الكلمة العليا والأولى والأخيرة فى كل شأن من شئونها •

ذلك ما يتميز به الحزب الاشتراكى اليمنى الذى يمثـل التتويج التنظيمى والفكرى والسياسى لمجمل التجارب التنظيمية التقـدمية التى عرفتها البلاد من قبل الثورة وبعـدها •

فهو الحزب العربى الرسمى الوحيد الذى امتزجت وانصهرت فيه

تنظيمات مختلفة النشأة تقاربت من بعضها بعضا عبر تجربة الكفـاح الثورى المشترك ضـد العـدو الطبقى والسياسى الداخلى والخارجى وخلال عملية بناء المجتمع الجـديد ، حتى بلغت حـد الاندماج والذوبان فى بوتقة تنظيمية واحـدة ، وفى رؤية أيديولوجية اشتراكية علميـة واحـدة ، وفى مسعى سياسى موحـد •

وعـدا ذلك فهو الحزب العربى الوحيد على الاطلاق ـ سـواء على المستوى الرسمى أو المستوى الشعبى ـ الذى جسد مثل هـذه التجربة الفريدة والمثيرة الداعية الى التعجب والاعجاب •

وهـو بذلك ، وبالتجربة الثورية ، الديمقراطية الناجحـة التى يقودها ، والتى شرعت تسير فى طريق التوجه الاشتراكى ، يمثل خطاب اليمن الديمقراطية ـ كتجسيد لمستقبل اليمن عموما ـ خطابها الخاص والمتميز •

هـو خطابها الذى يعبر عن خصائص ودقائق ومميزات تجربتها التنظيمية والثورية المعاصرة ، وخطابها « القومى » المتفرد حتى الآن والموجه الى الوطن العربى ، وخطابها الامى الموجه الى العالم كافة •

حقـا أنه خطاب لا يخرج عن سياق حركة التطـور التاريخى العامة التى غـدت معها الثورة الوطنية الديمقراطية جزءا لا يتجزأ من الثورة الاشتراكية العالمية الموجهة ضد الامبريالية والرأسمالية العالمية •

غير أن أصالة وعمق وغنى التجربة الثـورية اليمنية يتمثل فى التجسيد الحى والخلاق والخاص والمتميز لهـذا السياق التاريخى العام ، لهـذا المنحى لحركة التطور العالمية التى دشنها انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ، وأكدها قيام النظام الاشتراكى العالمى ، وعمقها انضمام ، فصائل ديمقراطية ثورية متلاحقة وعلى نحو متصاعد

ومتسارع فى مختلف أنحاء المعمورة . ولا سيما فى قارات آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية الى مركز الجاذبية لهـذا العصر : الاشتراكية العلمية ومبادئها الانسانية العظيمة .

أصالة هـذا الخطاب تتمثل فى ان الثورة احالت العـديد من السلطنات والامارات والمشيخات والقبائل المتناثرة المتنازعة التى زاد المستعمر نيران الفرقة والخصام فيما بينها ضراما — أحالتها مع عمال عـدن ومثقفيها الثوريين الى كتلة شعبية منصهرة متوهجة ، الى قذيفة ثورية قاطعة حارقة ، الى شعلة من اللهب المقـدس آتت بها على البقية الباقية من الامبراطورية التى لم تكن تغرب عنها الشمس . وجعلت ثالثة قواعـدها العالمية المزروعة فى عـدن هشيما تذروه الرياح . وصاغت بها الشعب فى اليمن الديمقراطية صياغة جـديدة . صياغة وطنيه شعبية متينة متماسكة متلاحمة لا تقبل التفتت ولا الاختراق لا من الداخـل ولا من الخارج ، واقامت بها دولتـــه المركزية الحـديثة . الوطنيـــة الديمقراطية الشعبية التى ترمز وتبشر بدولة اليمن المركزية الموحـــدة التقـدمية القادمة ، وقامت بعملية اقتحام وكشف غير مسبوقة ولا مالوفة فى المنطقة العربية كلها . إثبتت بهـــا صـــلاحية التربة العربية لاحتضان وتنمية اسمى الأفكار والمبادىء الانسانية التى تدفقت عن انبل الأدمغة البشرية وأملاها سير التطور التاريخى .

خطاب اليمن الديمقراطى البليغ هـذا لا يجعل من هـذا البلـد المقـدام ، وحزبه الطليعى الشجاع . مركز الثورة العربية ، وحادى الركب لزحفها المنتظر نحو الغـد . ولكنه يجعل منه ، المشتل الثـورى الأول . فى الحقل العربى كله ، المشتل الذى نمت وترعرعت فيه تجربة ثورية وطنية ديمقراطية شعبية ذات توجه اشتراكى علمى ، وانتمـاء بروليتارى أممى ، ومسلك نضالى حازم ومستقيم ضـــد الاستعمار والامبريالية والصهيونية والرجعية وكل قوى التخلف والظلام ، ومن

أجـل تحرير وتقـدم وتوحيد الوطن العربى على أسس ديمقراطية صريحة ، وبوجهة اشتراكية واضحة ، ومن أجل تحرير وتقـدم ووحـدة وسلام وسعادة البشرية جمعاء ٠

بذلك يمتلك المؤرخون الحق فى أن يكتبوا على راية الثورة الخفاقة التى ما برحت اليمن الديمقراطية تدفع بها الى آفاق تاريخية أبعـد فأبعـد انها كانت الراية التى كان لهـا فضل اقتحام أرض مجهولة ، لم تطأها قـدم نظام عربى من قبل ، أرض المستقبل العربى الوضاء ، وانها استحقت بذلك أن تحوز قصب السبق والريادة بين أمتها العربية قاطبـة ٠

أن الدور القيادى البارز الذى تلعبه اليمن الديمقراطية من أجـل توحيد فصائل الثورة الفلسطينية على أسس وطنية مناهضة لكل المشاريع والمخططات الاستسلامية ، ومن أجل رص صفوف قوى الثورة العربية عموما ، بغية استعادة زمام المبـادأة الثـورية والمبـادرة التاريخية ، والانطلاق بطاقة نضالية أعظم فى طريق التحرير والديمقراطية والتقـدم والوحـدة ، ان ذلك كله تعبير طبيعى عن المكانة الثورية المرموقة التى غـدت تحتلها اليمن الديمقراطية بين مجمل فصائل الثورة العربية ٠

ان السمعة الثـورية الرفيعـة المستوى التى تحظى بهـا اليمن الديمقراطية بين مختلف كتائب الثورة العالمية هى شهادة أممية على أن خطابها الثورى لم يبلغ إسماع العالم فقط ، وانما غـدا له أيضاً وقع عميق ورنين أخاذ ٠

لماذا تتساقط الأنظمة الوطنية

فى العالم النامى(*)

حركة التاريخ لا تسير فى خط دائرى ، ولا تقبل التراجع الى الخلف ، وانما تسير فى خط متصاعد متقدم أبدا ، رغم ما قد يحدث فى التاريخ من حروب دولية وأهلية تسقط بها أمبراطوريات ودول ، وتنتكس حضارات ، وتمحى ثقافات •

هناك قوانين موضوعية عامة تتحكم فى سير حركة التاريخ سواء وعاها الناس ، أم لم يعوها ، وبمقتضاها فان التاريخ يتحرك دائما الى الامام •

وكما أن النهر لا يعود الى منبعه قط ، ولا يملك الا أن يمضى فى حركة طبيعية متدفقة سلسة أو هادرة نحو مصبه ، فكذلك التاريخ لا يعود الى الوراء قط ، رغم حالات التراجع الظاهرية ، ورغم حالات الركود التاريخية الطويلة ، ورغم التوقف النسبى ، ورغم الكوارث الطبيعية والحروب المدمرة •

فلم يحدث قط فى التاريخ أن عادت تشكيلة اجتماعية —

(*) نشرت فى « الثورى » فى ٢١/٤/١٩٨٤ •

اقتصادية سابقة الى الحياء ، بعــد أن تجاوزتها تشكيلة اجتماعية ــ اقتصادية أكثر تقــدما منها ، ولم يدلنا التاريخ على حالة واحــــدة تراجع فيها المجتمع من النظام الاقطاعى الى النظام العبودى ، أو عاد فيها من المرحلة الرأسمالية الى المرحلة الاقطاعية ٠

ونفس الشىء يمــكن قــــوله ــ بالأحرى ــ بالنسبة للتشكيلة الاجتماعية الاشتراكية ، اذ ليس فى الامكان عودة أو اعادة أى بلـــد اشتراكى الى نظام الرأسمالية المقبور ٠

ان الردات التى حــدثت ولا تزال تحــدث للثورات تعود الى أن التشكيلة الاجتماعية ــ الاقتصادية التى بشرت بها الثورة أو طمحت الى اقامتها لا تكون قــد توافرت لهـــا كل عــوامل قيامها الموضوعية والذاتية ــ شــــأن ما حـــــدث بالنسبة لكومونة باريس التى جاءت والرأسمالية ما تزال فى عنفوانها ، وما حــدث كذلك للثورات المجهضة فى ألمــانيا والمجر بعــد الحرب العالمية الأولى مباشرة والتى لم تتوافر لهـــا الظروف المواتية التى توافرت لقيام ونجاح ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ٠

والنكسات التى منيت وما تزال تمنى بهـــا الثـــورات الوطنية الديمقراطية فى قارات آسيا وأفريقيا تعود الى أن هــذه الثورات ، وان حققت انجازات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية كبيرة ــ وبدرجات متفاوتة ــ الا أنها لم تفلت من شباك العلاقات الاقتصـــادية والاجتماعية والسياسية والأيديولوجية القــديمة ، كما لم تتحرر تماما من خيوط العنكبوت الاستعمارى ، ولا سيما من نفوذه الاقتصادى ٠

لقــد وقفت هــذه الثورات فى المنطقة الخطرة ، منطقة البين بين ، ولم تتمكن لا من الخلاص من المجتمع السابق للرأسمالية ، ولا من قطع

أو تجنب أو تجاوز طريق التطور الرأسمالى ، حتى تتمكن من المضى فى طريق التوجه الاشتراكى ، ومن ثم فى طريق بناء الاشتراكية .

حقا قامت بتحويلات اقتصادية واجتماعية هامة ، وانشأت قطاعا عاما للدولة ، وقطاعا مختلطا ، وقطاعا تعاونيا ، فى الوقت الذى ابقت فيه على الملكية الخاصة .

ولكن لان السلطة السياسية كانت بيد البرجوازية الصغيرة ، والى حد ما بيد البرجوازية المتوسطة ، ولان هذه بطبيعتها متذبذبة ، ولانها حجبت الديمقراطية عن الجماهير العريضة والفقيرة ، وحرمتها من حق التنظيم السياسى المستقل ، أو حجمت حركتها السياسية المستقلة ، ولانها لم تهتم باقامة حلف وطنى ديمقراطى عريض يجمعها مع هذه الجماهير ، ولا سيما مع العمال والفلاحين ، ولانها لم تقم تحالفا وثيقا ومتينا مع قوى الثورة خارج أوطانها ، وفى مقدمتها المعسكر الاشتراكى ، التى تمثل الحليف الطبيعى والمأمون لها — لذلك كله فانها لم توفر عوامل البقاء والنمو والتطور للأنظمتها الوطنية التى اقامتها .

وعدا ذلك فانه بسبب وجود الملكية الخاصة فى المدينة والريف ، ومضيها فى طريق النمو — بدونما حسيب أو رقيب — وبسبب نشوء بيروقراطية برجوازية مدنية وعسكرية ، وتحول قطاع من البرجوازية الصغيرة والوسطى الحاكمة الى جزء لا يتجزأ من هذه البرجوازية الطفيلية الجديدة ، من هذه الطبقة الجديدة الفاسدة والمفسدة ، وبفعل تعاون هذه الرجعية الجديدة مع الرجعية القديمة المتربصة ومع دوائر الاستعمار الجديد — لذلك كله أمكن للأجنحة اليمينية فى هذه الأنظمة أفراغها من محتواها الوطنى الديمقراطى ، وايقاف وضرب عملية التحول الاجتماعى ، ودفع البلاد من جديد فى طريق التطور الرأسمالى الطفيلى والمشوه والتابع .

من ذلك يتضح جليـا أن أنظمـة البرجوازية الصغيرة ، لم تقم تشكيلة اقتصادية ــ اجتماعية جـديدة تضمن لهـا ولثورتها البقـاء والاستمرار ، وتحول من ثم دون ارتدادها ، ذلك أنه ليس هناك تشكيلة بين بين ، وعلى مقاس البرجوازية الصغيرة .

ولكن عقدة البرجوازية الصغيرة انهـا لا تعى هـذه الحقيقة ، أو لا تريد أن تعيها . فهى تطمح الى اقامة نظام لا هـو « بالغربى » ولا « بالشرقى » لا هـو « بالرأسمالى » ولا « بالاشتراكى » .

هى تطمح الى تحقيق نمط خاص ومكيف من « الاشتراكية » ، نمط آسيوى ، أو أفريقى ، أو اسلامى ، أو عربى ، أو حتى نمط ثالث يتجاوز كلا من الرأسمالية والاشتراكية ، ويكون صالحا للعالم « الثالث » كلـــه ! .

وهـو طرح ليس بالجـديد ، فحتى روسـيا نصـف الآسيوية ظهرت فيها اتجاهات من هـذا القبيل ، كان « الشعبيون » أبرز رموزها ، قبل أن يكتسحهم تيار الاشتراكية العلمية بقيادة حزب البلاشفة .

وهى اتجاهات تعبر ــ فى آخر تحليل عن أيديولوجية وعقليـة وعزلة وضيق أفـق الفـلاح ، الفـلاح المتأخر ، المرتبط بقطعة الأرض الصغيرة ، المنكفىء وراء محراثه وبقرته ليل نهار ، والذى لذلك لا يرى أبعـد منها ، وأبعـد من أنفـه .

ومنذ عهد مؤسسى الاشتراكية العلمية اهتمت الحركة الاشتراكية العالمية إهتماما خاصا بوضع الفلاح ، وعملت على اخراجه من هـذا القبو الاقتصادى ــ الاجتماعى ــ السياسى ــ الروحى الذى وجـد نفسه فيه عبر التاريخ ، وذلك عن طريق اقامة جسر من التحالف بينـه وبين الطبقة الجـديدة التى ظهرت لأول مرة على مسرح التاريخ ،

الطبقة ذات الغريزة الثورية بحكم وضعها فى عملية الانتاج الاجتماعى الحديثة ، الطبقة البروليتارية ، شريطة أن تكون لها القيادة السياسية والأيديولوجية فى هذا التحالف ، وان يكون لها حزبها البروليتارى المستقل الحامل والمنفذ لمصالحها ورؤاها الاجتماعية والتاريخية ، والذى يمكن أن يتسع كذلك لكل القوى الكادحة الأخرى المؤمنة ببرنامجه واستراتيجيته الثورية •

وهذه القوى غير البروليتارية الأصل ، والتى تتبنى عن اقتناع وايمان هذا النهج البروليتارى وتعمل باخلاص وصدق من أجل تحقيقه ، هى قوى شريفة واعية ، سمت بها همتها وأخلاقيتها ونضجها الى حد خيانة مصالح طبقتها الضيقة والانانية ، والى حد الارتفاع الى مستوى المهمة التاريخية الجليلة والنبيلة التى رهن التاريخ أمر تحقيقها بالطبقة العاملة ، وحزبها الثورى الطليعى والتى بتحررها تحرر المجتمع كله ، وتلغى الطبقية من أساسها • معضلة البرجوازية الصغيرة انها لم تستطع أو لم ترد أن تعى هذه الحقيقة وتصورت أن لها مكانا خاصا فى التاريخ ، ورسالة تاريخية « خصوصية » •

ولم تع هذه البرجوازية — الا الأقسام الطليعية منها — أنه لا مكان خاصا بها فى التاريخ ، فهى اما أن تكون احتياطيا للرأسمالية وتوابعها فى العالم النامى ، أو حليفا شريفا للطبقة العاملة وانه كما أنه ليس هناك تشكيلة لا رأسمالية ولا اشتراكية ، تشكيلة وسط لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، فانه لا تشكيلة اجتماعية — اقتصادية خاصة أو « خصوصية » وجدت أو يمكن أن توجد فى التاريخ مفصلة على حجم البرجوازية الصغيرة ، ومصنوعة وفق مزاجها وهواها •

فهى كبرجوازية صغيرة كانت موجودة دائما عبر التاريخ ، وفى ظل كل التشكيلات التى أقامتها الطبقات الرئيسية فى المجتمع • وكانت دائما

مضطهدة ومسحوقة ، ومع ذلك فانها لم تستطع أن تقيم نظاما اجتماعيا خاصا بها ، لانه ليس فى الامكان اقامته من الأساس .

ان أقصى ما قامت به هـو مشاركتها فى الانتفاضات التى ثارت ضـد الطبقات الحاكمة ، والتى كانت تقمع باستمرار .

ان بيئة البرجوازية الصغيرة صالحة لان ينبثق منها أى وكل شىء . الا أن تقيم نظاما اشتراكيا .

انها بيئة معقـدة يمكن أن تنطلق منهـا كل التيارات والاتجاهات اليمينية واليسارية ، الانتهازية اليمينية والانتهازية اليسارية والاشتراكية والرأسمالية ، والديمقراطية والديكاتورية ، بل وحتى البـونابرتية والفاشـية .

ان الفرصة التاريخية الوحيدة المتاحة أمام البرجوازية الصغيرة للعب دور لائق ومشرف فى حياة العصر هى الارتباط بحركة التاريخ الصاعـدة وبقـوى التقـدم المسكة بزمام القيادة فيها ، ان ترتبط بالطبقة العاملة وحزبها الثورى ، بل أن تشارك مشاركة ايجابية وفعالة فى قيادة هـذه المسيرة التاريخية .

ولكن ذلك يقتضى منها أن تودع والى الابد أحلامها البائسة فى أن فى امكانها صنع نموذج اجتماعى خاص بها ، وأن فى امكانها ان تدخل التاريخ كصانعة تجربة ثورية مستقلة نموذجية متفردة لا شرقية ولا غربيـة !

لقـد ذهب رجال عظام ضحية هـذا الوهم من أمثال نهـرو ، وسوكارنو ، ونكروما ، وعبد الناصر ، وأخيرا سيكوتورى .

لقـــد انقلبت عليهم أنظمتهم التى أقاموها ، انقلبت عليهم فى حياتهم أو بعـد مماتهم مباشرة .

ان النكسات التى حلت بشعوبهم وبحركات التحرر فى بلدانهم وخارجها بفعل ذلك ، والتى ما تزال ترزح تحتها ، هى الدرس القاسى والبليغ لكل من يريد أن يعتبر بعبر التاريخ ، ولكل من لا يزال يراوده الشك أو يخامره الامل أو الوهم فى ان بامكانه — بعيدا عن الطبقة العاملة وحزبها الطليعى وبعيدا عن التحالف الوثيق مع العمال والفلاحين ، وبعيدا عن التآزر مع المعسكر الاشتراكى ، وفى طليعته الاتحاد السوفيتى — اقامة مجتمع متحرر متقدم تقدمى جديد •

ردة الأنظمة الثورية التى أقامتها البرجوازية الصغيرة ليست ردة عن تشكيلة اجتماعية متقدمة قد اقامتها بالفعل ، ذلك أنه ليس فى امكانها أن تقيم مثل هذه التشكيلة من الأساس ، وانما هى ردة عن « سياسة » تحررية وطنية ديمقراطية برجوازية صغيرة ،وعن تحولات ذات طابع ديمقراطى برجوازى صغير •

وامكانية أن تحدث مثل هذه الردة لكل نظام وطنى ديمقراطى تسيطر عليه البرجوازية الصغيرة واردة باستمرار وبدونما استثناء •

فقط تلك الأنظمة الوطنية الديمقراطية ذات التوجه الاشتراكى والتى يقودها حزب طليعى اشتراكى علمى ، وتعتمد على أوسع تحالف عمالى — فلاحى — ثورى ، وتقيم امتن العلاقات النضالية مع قوى الثورة فى العالم كله ، وفى مقدمتها المعسكر الاشتراكى ، وفى طليعته الاتحاد السوفيتى — هى وحدها القادرة على مواجهة كل المؤامرات الداخلية والخارجية على أنظمتها الثورية ، وعلى تحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ، ومن ثم على اقامة التشكيلة الاجتماعية — الاقتصادية الجديدة والمتقدمة التى لا تهزم ولا تغلب •

واليمن الديمقراطية هى مثل نموذجى وطليعى لهذا النمط من الأنظمة الثورية ، السائر بوعى وايمان ، وعزم وتصميم فى هذا الطريق •

من اجـــل ان يمضى حـــزب الطبقـــــة العـــاملة

قـــدما الى الامـــام(*)

الثورات الوطنية الديمقراطية هى اكثر الثورات تعقيدا وحـول مفهومها وطبيعتها واتجاهها وقواها احتدم نزاع فكرى وسياسى طويل فى حياة ماركس وانجلز . وفى عهـد لينين ، وما بعـد لينين . ولا يزال محتدما حتى اليوم . وهو نزاع يدور بين قوى تنتمى الى الاشتراكية ، فعلا ؛ وبعضها ينتمى اليها بالقـول .

وبعض هؤلاء المنتمين الى الاشتراكية بالقول اتخـذوا موقفـا من ثورات ١٨٤٨ و ١٨٤٩ الديمقراطية ؛ لم يؤد الا الى مساعدة قوى البرجوازية التى اجهضت هـذه الثورات وسدت آفاقها التاريخية ، ووجهت ضربات قاصمة الى الحركة البروليتارية التى لعبت دورا رئيسيا فى اشعال هـذه الثورات .

لقـد أرادوا حصر هـذه الثورات ضمن مفهومهم المحـدود ، ونظرتهم القاصرة ، وغاياتهم الصغيرة التى لم تستطع لذلك أن ترى الآفاق التاريخية الا بعـد لهـذه الثورات الديمقراطية .

(*) نشرت فى « الثورى » فى ١٩٨٤/٥/٥ .

حقا لعبوا بموقفهم هـذا دورا — ولو لم يكن بقصد مقصود — فى الحاق الهزيمة بهـذه الثورات الديمقراطية الواعـدة ، غير أن الحركة البروليتارية لفظتهم ، ومضت فى طريقها الحتمى طريق الثورة المستمرة التى لا تقنع بتحقيق الثورة الديمقراطية ، وانما تعمل على تحويلها الى ثورة اشتراكية •

عن هـذا النمط من الاشتراكيين بالأقوال ، والذين لا يحسنون غير الثرثرة بالثورية دون استيعاب لابعادها وأطـوارها التاريخية التى يتحتم عليها المرور بها ، كتب ماركس وانجلز بأن هـؤلاء « يبـذلون جهدهم أيضا لكى يحولوا دون أن يجرى أى شىء على العموم عـدا الثرثرة • انهم أولئك الذين أعاقوا الحركة لدى كل خطـوة فى سـنة ١٨٤٨ ، وسنة ١٨٤٩ ، بخوفهم من أى فعل كان ، وسـاقوا الحركة فى آخر الأمر الى هزيمة ، والذين لا يرون أبدا الرجعية ، ويتعجبون كثيرا لكونهم وقعوا فى المـأزق ، حيث لا تمكن المقـاومة ولا يمكن الهرب • انهم أولئك الناس بالذات الذين يريدون حصر التاريخ فى اطار أفقهم التافه والضيق ، ولكن الذين لا يحسب لهم التاريخ حسابا ابدا ، بل يواصل السير فى طريقه » • (ماركس — انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلـدات ، المجلـد ٣ ، الجزء ١ ، دار التقـدم ، موسـكو ١٩٨١ ، ص ١٠٤) •

حقا أن الحركة الاشتراكية قـد شدت هؤلاء الى تيارها ، وانهم وجـدوا أنفسهم يتحركون فى اتجاه التيار ، غير أنهم فى غمرة اندفاعه حاولوا بعثرته وتصريفه فى اتجاهات وقنوات غير الاتجـاه التاريخى المحـدد له ، وغير القناة الثورية التى شقها وتحرك فيها بالفعل •

لقـد كانوا متأثرين بالفكر البرجوازى والبرجوازى الصـغير الذى طبعوا عليـه ويحملوه معهم الى الحركة الاشتراكية • وبدلا من

استيعاب العلم الجديد الذى وضعوا أنفسهم تحت لوائه . واوهموا انهم يعملون على تغيير الواقع فى ضوئه ، فانهم راحوا يطوعون هذا العلم لمفاهيمهم السابقة ويخضعونه لتفسيراتهم الخاصة ، ويحولونه من ثم الى علم ممسوخ لا يمت الى العلم الاشتراكى بصلة ، ولا الى مجرى التطور الموضوعى بسبب .

ولانهم واثقون من أنفسهم كثيرا ، وليس لديهم أدنى شك فى حسن فهمهم لمجريات الأحداث ، فانهم لم يجدوا أنفسهم محتاجين الى اكتساب معرفة جديدة ، بل ربما جال فى خاطرهم بأنهم — بالسليقة وبالثورية الفطرية التى لا تحتاج الى بلورة وصقل وتهذيب وتشذيب — أدرى من سواهم بما ينفع الثورة وما يضرها .

وهم لذلك لا يرون ضرورة لمراجعة مسلماتهم ، وادخال مفردات جديدة الى قاموسهم .

وحتى ، وان بدا أن الكثرة ليست معهم ، فان ذلك لا يعدو أن يكون دليل تفردهم وتميزهم . وبأنهم نخبة ثورية ، وصفوة سياسية ، لا غنى لأحد عنها ، ولا تستقيم حياة الحركة والجماعة بدونها .

وكأى نخبة وصفوة تشعر بالتميز والتفرد ازاء سواها ، وحتى ازاء الحركة أو الجماعة التى تنتمى اليها ، فان أفرادها يشعر كل منهم أنه أكثر تميزا وتفردا من الآخر .

وقد صور ماركس وانجلز حالة هؤلاء الميؤوس منها ، وعدم حاجة الحركة الى امثالهم ، كما يلى : « وعوضا عن أن يتعمق كل امرىء بنفسه قبل كل شىء فى دراسة العلم الجديد ، حاول بنحو أو آخر أن يكيف هذا العلم لمفاهيمه التى استجلبها من الخارج ، وصاغ لنفسه بعجلة علما خاصا . وشرع يدعى فى الحال بتعليم الآخرين هذا العلم .

ولهذا كانت وجهات النظر عند هؤلاء السادة بعدد رؤوسهم تقريبا ، وعوضا عن اضفاء الوضوح على مسألة ما على الأقل ، خلقوا تشوشا لا يصدق ، ولكنه ، لحسن الحظ ، محصور كليا تقريبا فى وسطهم بالذات • وبوسع الحزب أن يستغنى كليا عن أمثال هؤلاء المنورين الذين يتلخص مبدؤهم الأساسى فى أن يعلموا الآخرين ما لم يتعلموه هم أنفسهم » • (المصدر السابق ، ص ١٠٥) •

وفى مطلع القرن العشرين حدث تجنحان داخل الحركة الاشتراكية الروسية — شأن ما حدث فى أوروبا عموما ، وان بدرجات متفاوتة — جناح يمينى يرى أن ما يواجه روسيا هو القيام بثورة ديمقراطية برجوازية شبيهة بتلك التى حدثت قبل ذلك فى الغرب ، وان على الاشتراكيين الروس أن يدعموا هذه الثورة ، دون أن يشاركوا فى السلطة فى حالة نجاحها ، وأن يظلوا فى المعارضة باستمرار حتى تنضج الظروف — فى ظل حكم البرجوازية — للقيام بثورة اشتراكية •

أما الجناح اليسارى فكان من رأيه القفز مباشرة لتحقيق الثورة الاشتراكية دون الحاجة الى المرور بمرحلة الثورة البرجوازية • وكان يقدر أن فى الامكان تحقيق ذلك بالعمال وحدهم ، ودون حاجة الى مشاركة الفلاحين فى هذه الثورة ، ذلك أن حياتهم الرتيبة الخاملة الجاهلة المتخلفة لا تستطيع أن تصنع منهم ثوارا وحلفاء للطبقة العاملة فى هذه الثورة الاشتراكية •

وقد تصدى لينين لكلا الجناحين ودمغ الأول بالانتهازية اليمينية ، كما دمغ الثانى بالانتهازية اليسارية ، وأثبت أن ما يواجه « روسيا الآسيوية » ليس ثورة اشتراكية ، وانما ثورة ديمقراطية برجوازية من طراز جديد ، أى أنها لا تشبه الثورة البرجوازية

الكلاسيكية التى شهدها الغرب ، وقادتها البرجوازية الليبرالية ، وأدت الى قيام نظام رأسمالى ما لبث أن تطور الى مرحلة الامبريالية ، وان هـذه الثورة الديمقراطية ذات محتوى شعبى أعمق ، وأن طابعهـا برجوازى فلاحى فى الأساس ، غير أن قيادتها ينبغى أن تكون فى يد حزب البروليتاريا المستقل الذى يمثل همزة الوصل بين الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية ، والذى فى امكانه أن يدفع الأولى حتى تنجز كامل مهامها ، ويحولها بالتالى الى ثورة اشتراكية .

ولان كلا الجناحين الانتهازيين لم يستطيعا استيعاب هـذا الطرح النظرى المعبر عن الضرورة التاريخية ذاتها ، والمجسد لحركة الواقع الاجتماعى نفسها ، ولانهما لم يكونا يملكان غير الجعجعة الكلامية ، والثرثرة اللفظية ، والنقـد بالعبارات الطنانة الفخمة للنظرية لينين ، واتهامها بالتحجر الفكرى ، واتهام لينين بالجمود النظرى لذلك فان لينين كل مضطرا دائمـا لتعرية ميـولهما الاصـلاحية والفوضـوية ، التقاعسية والمغامرة ، وتبيان انهما يرفضان النظرية العلمية أساسا ، وغير مستعدين لفهمها وتشربها والتقيد بها فى الممارسة العملية ، ومن ثم الاسهام فى دفعها الى الامام « وهكذا نرى أن العبارات الطنانة عن تحجر الفـكر ، وما الى ذلك ، تخفى وراءها عـدم الاهتمام بتطوير الفـكر النظرى ، والعجز عن تطويره . وما مثل الاشتراكيين ـ الديمقراطيين الروس الا بدليل جلى على ظاهرة أوروبية عامة (اشار اليها الماركسيون الألمـان أيضا منذ أمد بعيد) وهى أن حرية النقـد الذائعـة الصيت لا تعنى استبدال نظرية بأخرى بل تعنى التحرر من كل نظرية متكاملة ووليدة التفكير ، تعنى المذهب الاختيارى ، وانعـدام المبادىء » . (لينين ، ما العمل ؟ دار التقـدم موسكو ، ص ٢٥) .

ولم يكن هذا الضعف النظرى أو الرغبة فى عدم التقيد بالنظرية مستغربا ، ذلك أن هـذا النمط من الاشتراكيين لم يتبين النظرية ، وانما

شعارها ، لم يأخــذ بلبهــا وانما بشكلها ، لم تستهوه عاميتها المبررة بدراسة مجرى حركة التطور التاريخية ، وانما جاذبيتها •

وهكذا رافق اتساع الحركة الاشتراكية واقبال الناس عليهــا زرافات ووحــدانا هبوط فى مستوى الوعى بالنظرية الاشتراكية • وهى ظاهرة لم تقتصر على الحركة الاشتراكية الروسية ، وانما عرفتها العديد من مثيلاتها فى أوروبا وفى جميع القارات ، بما فى ذلك الوطن العربى •

فليس هناك من يشك فى التقــدم المطرد للحركة الاشتراكية منذ أيام لينين والى اليوم ، غير أن هــذا التقــدم « الحركة » لم يترافق بتقــدم فى مدى استيعاب « النظرية » ، على الأقل فى المراحل الأولى لنشوء الحركات والأحزاب الاشتراكية العلمية •

ان ذلك كله يؤكد مصداقية موضوع لينين فى هــذا الصــدد والتى تشمل كل الحركات الاشتراكية الوليدة : « ولابد لكل مطلع على وضع حركتنا الواقعى ، وان جزئيا ، من أن يلاحــظ ان انتشار المــاركسية الواسع قــد رافقه بعض الانحطــاط فى المستوى النظرى • فبسبب النجاحات العملية التى أحرزتها الحركة وبسبب أهميتها العملية انضم اليها كثيرون ضعيفون جــدا أو صفر من حيث الاعــداد النظرى » • (نفسه ، ص ٢٥) •

وليس هناك من يشك فى ضخامات الانجازات التى حققتها لحركة الاشتراكية فى اليمن ، غير أن هــذه الحركة وصلت فى تطورها ونموها مدى لابد معه لكى تواصل تقــدمها باطراد من وقفــــة مسئولة أمام النفس ، من مراجعة دقيقة لحصيلة التجربة ، ومن استشراف الافــق المفتوح بلا حــدود أمام التجربة الثــورية بمجملهــــا ، ومن تقييم الخطورة الثورية الفائقة التى يمثلها وجــود حزب اشتراكى علمى —

لأول مرة فى تاريخ وواقع الوطن العربى — على رأس السلطة الثورية ، وله امتن الصلات مع كل قــوى الثورة العالمية •

وبقــدر ما تعظم انجازات هــذا الحزب أو أى حزب اشتراكى علمى حاكم بقــدر ما تكون الحاجة ماسة دائما الى التضلع والتعمــق فى دراسة واستيعاب الفــكر الاشتراكى العلمى ، للتمكن من المضى باستقامة واطراد فى طريق التقــدم الاجتماعى ، ومن تجاوز كل منعطف تواجهه حركة التقــدم •

وبالدراسة المتأنية والدائبة والمستمرة للنظرية الثورية ، وبالتغيير الحثيث والعميق والجــذرى للواقع الاجتماعى تتكامل الشروط والعوامل الذاتية والموضوعية لانطلاق الثورة قــدما الى الامام •

لقــد قال لينين : « فاذا كان الرفاق « اليساريون »•••لا يتعلمون الآن كيفية التغلب حتى على مثل هــذه الصعوبة الصغيرة ، فان بالامكان القول عن يقين أنهم اما سيعجزون عن تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا ، ولن يستطيعوا فى نطاق واسع أن يخضعوا ويصلحوا المثقفين البرجوازيين والمؤسسات البرجوازية واما أنه سيتحتم عليهم أن يتمموا معارفهم فى استعجال ، وبهــذا الاستعجال سيعودون بضرر جسيم على قضــية البروليتاريا ، وسيرتكبون أخطاء تفوق المعتاد ، ويظهرون ضمنا وعجزا يتجاوز الحــد المتوسط ، وهلمجرا ، وقس على ذلك » • (نفســـه ص ١١) •

وليس هناك شك فى أن الحزب الاشتراكى اليمنى قــد بلغ حــدا من التطور يتيح له معالجة كل جوانب وملامح مشكلات التخلف والتقدم ، بما يتيح له الانطلاق قــدما الى الامام فى طريق التوجه الاشتراكى الذى اقتحمه بالفعل وتحويل الثورة الى ثورة اشتراكية ، ودفع اليمن كلها — خلال ذلك كله — على طريق الوحــدة الديمقراطية التقــدمية •

مسيرة ثورية ...

تاريخية متقدمة ...

أبدا(*)

العملية الثورية أكثر صعوبة وتعقيدا وخطورة من أية عملية جراحية • وأمهر طبيب فى الجراحة لا يمكن مقارنته بالثورى الذى يبقر بطن المجتمع القديم ليستخلص منه الكائن الاجتماعى الجديد • وأية معضلات قد يصادفها الطبيب الماهر وهو يجرى عملية قيصرية ليست شيئا اذا ما قورنت بالمعضلات التى يواجهها الثورى — حتى وان كان ثوريا محترفا — أثناء قيادته للعملية الثورية •

والعملية الثورية لا تتحقق دفعة واحدة ، وانما هى تمر بعدة أطوار ومراحل ، وتعقيداتها النابعة من طبيعتها أو من مقاومة خارجية لا تنتهى الا بانتصارها الكامل وبقيام ورسوخ النظام الاجتماعى الذى عملت على توليده وتخليقه ورسم سماته •

ولان العملية الثورية ، حتى وان جرت فى أقصى أنحاء الأرض ، تواجه ليس فحسب بالمصاعب الداخلية الناتجة عن تركة الماضى

(*) نشرت فى « الثورى » فى ١٩٨٤/٥/١٩ •

الثقيلة ، وعن نقص فى خبرة ودربة الثوار أنفسهم ، وانما أيضـــا بمؤامرات العـــدو الخارجى الذى تمثله فى عصرنا الراهن الامبريالية العالمية وحليفتها الصهيونية ، وركيزتها الرجعية الدولية — لذلك فانه ينبغى اعـداد الناس لصراع مرير وطويل متعـدد الألوان والظلال ، متشعب الميول والاتجاهات .

ان ذلك كما ينطبق على العملية الثورية الاشتراكية ، فانه يسرى بالأحرى على العملية الثورية الديمقراطية ذات الوجهة الاشتراكية .

وحين تقـود الطبقة العاملة العمليتين فانها لن تصطدم بمقاومة عـدوها الطبقى المكشوف ، البرجوازية المحلية والعالمية فقط ، وانمـا كذلك بضيق أفق بعض عناصر الطبقة العاملة ذاتها ، ناهيك عن تعثر ثورية عناصر من البرجوازية الصغيرة .

غير أنه عبر عملية التغيير الثورى تتوالد عناصر ، بل وأجيـال جـديدة لا تمت بصلة الى العناصر والأجيال الثورية السابقة الا بصفتها استمرارا ثوريا أكثر تطورا وأكثر قـدرة على بناء دعائم العهـد الجـديد . وفوق ذلك فان تربة الواقع الاجتماعى التى حرثتها الثورة تكون أكثر خصوبة وقابلية لاحتضان النظام الجـديد ، ومده بنسغ الحياة ومقومات النمو والتطور والاستمرار .

يلخص ماركس مراحل هـذه العملية الثورية بكل تعقيداتها بقوله أنه على الطبقة العاملة « ان تخوض نضالا طويلا ، وان تجتاز سلسلة كاملة من العمليات التاريخية التى تغير الظروف والناس تغييرا تاما . وما ينتظر الطبقة العاملة ليس بمثل عليا تحققها ، انما عليها أن تفسح فقط مجالا لعناصر المجتمع الجـديد التى تطورت فى احشاء المجتمع البرجوازى القـديم بسبيل الانهيار » . (ماركس — انجلس «منتخبات

فى ثلاثة مجلدات ، المجلد ٢ ، الجزء١ ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨١ ص ٢٦٩) .

وأيا كانت التعقيدات التى تمر بها العملية الثورية ، والعقبات التى تجتازها ، فان لواء النصر معقود — كحتمية تاريخية وثورية — للطبقة العاملة التى أوكل اليها مجرى التطور الاجتماعى ذاته تنفيذ حكم التاريخ فى نظام القهر والعبودية والاستغلال .

وفى هذا الصدد يورد ماركس مثل هذه المقارنة التاريخية البديعة والعميقة الدلالة : « وللانتقام من جرائم الطبقات الحاكمة كانت توجد فى ألمانيا فى القرون الوسطى محكمة سرية تسمى « محكمة فيما » . فاذا ما كان صليب أحمر مرسوما على بيت ما ، فقد كان الناس يعلمون أن صاحبه قد حكمت عليه (فيما — الكاتب) . أما الآن فان الصليب الأحمر الملغز مرسوم على جميع البيوت فى أوروبا . والتاريخ نفسه هو الآن القاضى ، أما منفذ حكمه فهو البروليتاريا » . (ماركس — انجلس ، منتخبات فى ثلاثة مجلدات ، المجلد ١ ، الجزء ٢ ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٠ ص ٢٤٩ — ٢٥٠) .

ولأن العصر الذى دشنته ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى غدا عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، عصر البروليتاريا العالمية ، عصر تطور حركات التحرر الوطنى وتحول الثورات الديمقراطية الى ثورات اشتراكية ، فان حكم التاريخ لم يعد مقصورا على أوروبا البرجوازية ، وانما غدا يشمل كل قارات الأرض ، المتطور والمتخلف منها ، الذى عرف الرأسمالية والرأسمالية الاحتكارية ، والذى ما يزال فى مرحلة ما قبل الرأسمالية ، أو فى مرحلة الرأسمالية الضعيفة أو المتوسطة التطور .

ولقد نفذ حكم التاريخ بالفعل فى أقطار عديدة من أوروبا

وآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وهناك أقطار أخرى تشحذ ثوراتها السلاح لتنفيذه فى أنظمتها الهرمة والمنخورة .

وحتى الثورات الوطنية التى اصيبت بالنكسة أو الردة بفعل قيادة البرجوازية الصغيرة الضيقة الافق لها فانها قدمت الدرس المفيد والبليغ الذى يتمعن فيه الثوار الطويلو النفس جيدا ، ويقدمون مغزاه لشعوبهم ، حتى يتسنى لها أن تعرف من واقع مرارة التجربة التى عاشتها ، وخيبة الامل الثورية التى منيت بها ، ان سبيل خلاصها وخلاص أوطانها لن يتحقق على يد أى فئة من فئات البراجوازية ، حتى الثورية منها ، ذلك أن ثوريتها محكومة بمصلحتها الطبقية الانانية ، وانما يتحقق على يدها هى ذاتها ، على يد جماهيرها الشعبية العريضة والفقيرة من عمال وفلاحين وكادحين ، على يد طلائعها التقدمية المدركة لمنحنى المسيرة التاريخية وللقوى الثورية الحية المحركة فيها .

ان أحزاب الاشتراكية العلمية فى الوطن العربى تحدد اليوم بوضوح قاطع الشروط الموضوعية والذاتية ، الداخلية والخارجية اللازمة للمضى بالثورات الوطنية الديمقراطية فى طريق انجاز كامل المهام الموضوعة أمامها ، وللانتقال من ثم الى مرحلة بناء الاشتراكية .

وبعثت من جديد مقولة لينين النظرية التى وضعها منذ مطلع القرن العشرين والتى كادت تنسى حتى من قبل أمثال خروشوف ، والتى جزم فيها بأنه فقط بقيادة الحزب البروليتارى المستقل وبانشاء أعرض تحالف جماهيرى عمالى — فلاحى ، وبالتلاحم مع الحركة الاشتراكية العالمية يمكن المضى بالثورات الديمقراطية الوطنية حتى أبعد غاياتها ، وجعلها من ثم خطوة فى اتجاه الاشتراكية ، وان الديمقراطى الثورى الحقيقى والاصيل هو الذى لا يشعر بالوجل من ذكر الاشتراكية ، وهو الذى لا يتقاعس عن المضى بالثورة الديمقراطية البرجوازية الى

الامام حتى تحقيق الاشتراكية ، وانه ليس هناك موقف وسط قط ، اذ أن الوسط هــو المستنقع ، هــو الغرق فى الوحل ، هــو التوقف ، هــو التراجع ، وهــو ما أثبتته النكسات المهينة والردات المذلة التى حاقت بانظمة وطنية ديمقراطية على رأسها النظام الهرمى الشامخ الذى اقامه عبد الناصر وانها بعــد وفاته حتى القواعــد .

منذ البــداية نبــه لينين الى أنه فقط المــاركسيون الارديباء ، والاشتراكيون الشوفينيون « لا يدركون (اذا بحثنا فى أسس رأيهم النظرية) ما هى الامبريالية ؟ ما هى الاحتكار الرأسمالية ؟ ما هى الدولة ؟ ما هى الديمقراطية الثورية ؟ لان من يفهم هــذا ، لابد أن يعترف بانه يستحيل السير الى أمام دون السير نحــو الاشتراكية » ذلك أن أى انجاز اجتماعى فى ظل الديمقراطية الثورية ، ومن أجل جماهير العمال والفلاحين، العمود الفقرى لهــذه الثورة ، وفى « مصلحة الديمقراطية الثورية » يكون حينئذ « على وجــه الضبط خطوة نحو الاشتراكية » . « أما أن يكون المرء ديمقراطيا ثوريا بالفعل . وآنذاك لا يجوز الخوف من الخطــوات نحــو الاشتراكية . واما أن يخالف الخطوات نحــو الاشتراكية ، ويشجبها على طريقة بليخانوف ودان وتشيرنوف بذرائع مفادها أن ثورتنا برجوازية ، وانه لا يجوز « ادخال » الاشتراكية ، وهلمجرا ، وآنذاك ينزلق حتما نحو كيرنسكى وميليوكوف وكورنيلوف ، أى يقمع بطريقة دواوينية رجعية المطامح « الديمقراطية الثورية » لدى جماهير العمال والفلاحين . ولا وسط ... لا يمكن المراوحة فى التاريخ على العموم ، وأثناء الحرب على الخصوص . انما يجب السير أما الى الامام وأما الى الوراء » . (لينين ، المختارات فى ١٠ مجلدات ، المجلد ٧ ، دار التقــدم ، موسكو ، ١٩٧٠ ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ ــ ٢١٦) .

ان ما حــذر منه لينين وما ارتكبته البرجوازية الصغيرة فى ظــل الديمقراطية الثورية التى اقامتها بقمعها بطريقة دواوينية وبوليسية

للمطامح الديمقراطية الثورية للعمال والفلاحين والمثقفين الثوريين هو الذى سهل مهمة قوى الردة الداخلية والخارجية فى ضرب أنظمتها الديمقراطية الثورية التى قادتها ٠

لقد كانت هذه الانتكاسات برهانا قاطعا على صحة مقولة لينين النظرية بأنه ليس هناك موقف وسط ، متأرجح ، بين بين ، وان الديمقراطية الثورية اما أن تتقدم نحو الاشتراكية ، أن تصبح خطوة نحوها — وذلك لن يتأتى الا بقيادة الحزب الاشتراكى العلمى لهما والا بتحالف وطيد يجمع العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة ، والا بتعاون وثيق مع الحركة الاشتراكية العالمية ، وخاصة فى البلدان التى تكون قد ظفرت بالسلطة فيها — وأما أن تمنى بالاخفاق الذريع ٠

ان التقدم المطرد الذى حققته الديمقراطيات الشعبية فى أوروبا وآسيا ، بقيادة أحزابها الاشتراكية العلمية ، التى تمكنت من القيام بأعمق الاصلاحات الديمقراطية الثورية قبل أن تنتقل الى المرحلة الاشتراكية ، وان السير الظافر للدول الوطنية الديمقراطية الحديثة التى تمسك بالقيادة فيها الأحزاب الطليعية ، التى أخذت تطور ثوراتها وتدفع بها فى طريق التوجه الاشتراكى — ان ذلك كله لهو البرهان التاريخى الذى لا يدحض على صحة المقولة اللينينية الآنفة الذكر والمتعلقة بتحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ، والتى تشكل جزءا لا يتجزأ من نظرية الاشتراكية العلمية ٠

ان اليمن الديمقراطية هى احدى الحقول الخصبة التى أثمر فيها هذا الفكر النظرى العلمى تجربة ثورية هى الأولى الواعدة والفريدة حتى الآن فى الوطن العربى كله ٠

ان هذه التجربة تثبت أن بلدا صغيرا ، ضعيف التطور ، شحيح الامكانيات ، قليل السكان ، بعيدا عن أن يكون أحد المراكز التاريخية

التقليدية للأمة التى ينتمى اليها ، يمكنه فى عصرنا الراهن ـ عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ـ أن يعوض كل عوامل الضعف والقصور الموضوعية ، اذا ما توافرت لـه عوامل النضوج الذاتيـة والمستوى الضرورى من الوعى والتنظيم ـ بالمفهوم الاشتراكى العلمى ـ واذا ما وضع يده فى يد القوى الثورية الحليفة فى العالم ، واذا ما تقيدت جميع كتائبه بالانضباط التنظيمى الصارم . والطاعة الحزبية الحديدية ، وسارت خلف قيادة أركانه الثورية تصنع البطولات ، وتجترح المعجزات .

والحزب الاشتراكى اليمنى القـائد لهـذه التجربة الريادية الشجاعة والملهمة يضع فى حسبانه ويستلهم دائما خبرة حزب لينين المجرب فى هـذا الصـدد ، التى أوجزها لينين بقـوله : « وتاريخ البلشفية وحـده خلال كامل عهد وجودها بامكانه أن يشرح شرحا وافيا لماذا استطاعت أن تبنى وتصون فى أصعب الظروف نظـام طـاعة حـديديا لابد منه لانتصار البروليتاريا . وقبل كل شىء نجـد هـذا السؤال ، وهـو : بم يدعم نظام الطاعة فى حزب البروليتاريا الثورى ؟ وبأى شىء يجرى تجريبه ؟ وبم يعزز ؟ أولا ، بوعى الطليعة البروليتارية ووفائها للثورة ، وبثباتها ، وبطولتها وروح التضحية عندها . وثانيا ، باستطاعتها الترابط والتقارب ، واذا شئتم الاندماج لحـد ما ، مـع أوسع جماهير الكادحين ، وفى الدور الأول مـع جماهير البروليتاريا ، وكذلك مع الجماهير الكادحة غير البروليتارية ، ثالثا بصحة القيـادة السياسية التى تقوم بهـا هـذه الطليعـة ، وبصحة استراتيجيتها وتكتيكها السياسيين ، شرط أن تقتنع أوسع الجماهير الكادحة بهـذه الصحة بتجربتها الخاصة ، وبدون هـذه الشروط لا يمكن تحقيق نظام الطاعة فى حزب ثورى كفء حقا ، ليكون حزب الطبقة المتقـدمة المدعوة الى اسقاط البرجوازية ، وتحويل المجتمع كـله » . (لينين ، مرض « اليسارية » الطفـولى فى الشيوعية) دار التقـدم ، موسـكو ، ص ١٠) .

خطـوة ١٢ يونيـو التصحيحية
وقيـام الحـزب الاشـتراكى اليمنى
حـدد المصـير التاريخى للثـورة(*)

ثورة ١٤ أكتوبر هى الثورة العربية الوحيدة حتى الآن التى عرفت كيف تخرج من عنق الزجاجة الضيق الذى اختنقت فيه كثير من الثورات العربية وغير العربية •

فبعـد الاستقلال مباشرة كان عليها أن تجيب على السؤال الطبيعى والحتمى الذى تواجهه كل ثورة تحرر وطنى الا وهـو : أى طريق ينبغى على الثورة أن تمضى فيه ؟ الطريق الاصلاحى البرجوازى الليبرالى الذى يدخـل بعض التحسينات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والادارية على البنية الاجتماعية ـ الاقتصادية الموروثة • ويلائم ما بين المصالح الاقطاعية وشبه الاقطاعية والقبلية ـ الابوية وبين مصالح البرجوازية الأجنبية والمحلية بما يكفل ايجاد صيغة للحكم وسطية ترضى كل القوى الاستعمارية والاقطاعية والبرجوازية ، وتكفل

(*) نشرت فى « الثورى » فى ١٩٨٤/٦/٢٣ •

مضى المجتمع فى طريق التطور التدريجى والبطىء ذى الصبغة الرأسمالية المشوهة والطفيلية والتابعة ، أم طريق الثـــورة الوطنية الديمقراطية الجـذرية التى تعتبر الاستقلال السياسى مجرد نقطة انطلاق نحــو التخلص النهـائى من تركة المـاضى الاستعمارى — الاقطـاعى — القبلى — الابوى — البرجـــوازى الكومبرادورى • ونحـو تحقيق الاستقلال الاقتصادى الكامل ، الذى يتحول أى استقلال سياسى بدونه الى مجرد استقلال شكلى يخفى تبعية من نمـــط جـديد للاستعمار الجـديد ، ونحو اعادة صياغة البنية الاجتماعية صـياغة جـذرية ، وتمكين الطبقات والفئات والقـوى الوطنية والشعبية التى حفرت مجرى التحرر الوطنى بأظافرها وسقته بدمائها واضاءته بوهج نضالها من أن تكون هى صاحبة السلطة والسيادة فى عهد الاستقلال ، وان تكون هى المتمتعة بثمراته •

ولقـــد انقسمت القوى السياسية فى البلاد انقساما حادا وفقـا لنوعية الاجابة التى قـدمتها على السؤال المطروح • وكان الانقسام أقـوى وأعمق وأوضح ما يكون داخل الجبهة القومية ذاتها التى قادت حركة التحرير فى الشطر الجنوبى من اليمن منذ اندلاع ثورة ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣ • لقـد تبنى الفريق المسك بأزمة السلطة المنحى الاصلاحى البرجوازى الليبرالى ، ومضى فيه باصرار وعناد ، بينما تبنى فريق الصف الثانى فى الجبهة القومية ومعـــه جماهير الجبهة والفصـــائل الديمقراطية والتقـدمية خارجها المنحى الثـورى الوطنى الديمقراطى الجـذرى •

ورغم أن المؤتمر الرابع للجبهة الذى عقـد فى مارس ١٩٦٨ قـد انتصر لهـذا المنحى واتخـذ قرارات واضحة حاسمة فى صـالحه ، فان الفريق اليمينى رفضها بقـوة واراد تصفية الحساب مع الفريق اليسارى بالقـوة المجردة ، وأقـدم لهـذا الغرض على قيادة انقلاب

فى ذات الشهر بالاستناد الى احتياطى الاستعمار انبريطانى فى الجيش وبدعم وتشجيع من الملحق العسكرى الأمريكى فى عــدن •

لقــد كان ذلك مظهرا واضحا للصراع الطبقى ــ السياسى الذى آخــذ يحتدم ويتفاقم فى البلاد بين البرجــوازية الاصلاحية اليمينية المتخالفة مع قــوى المجتمع القــديم والمتواطئة مع دوائر الاستعمار القــديم والجــديد وبين قــوى الشعب الثورية من عمــال وفلاحين ومثقفين ثوريين ــ عسكريين ومدنيين ــ وبرجوازية صغيرة •

ولم يدم الصراع طويلا ، حيث تمكنت قــوى الشعب الثورية فى ٢٢ يونيو ١٩٦٩ من القيام بخطوتها التصحيحية العظيمة التى أطاحت بها بالفريق اليمينى من السلطة والتنظيم السياسى ــ الجبهة القومية ، ومن اجهاض مشروعه السياسى الذى كان من شأنه أن يضع البــلاد فى فلك الاستعمار الجــديد ، وان يخضعها لحكم البرجوازية والاقطــاع والفلاحين الأغنياء والبيروقراطية العسكرية •

وبهــذه الخطوة الثورية المباركة وضعت البلاد على طريق التحويلات الجــذرية والحاسمة التى نسفت بها البنية الاجتماعية ــ الاقتصادية شبه الاقطاعية ــ شبه القبلية شبه البرجوازية ، ومزقت علاقات التبعية مع السوق الاستعمارية ، وأممت مصالح الاحتكارات الأجنبية الى جانب المصالح البرجوازية المحلية المرتبطة بهــا ، وضرب البناء الفــوقى السياسى ــ الادارى ــ العسكرى ــ البوليسى ــ الأيديولوجى ، واقيم بناء جــديد على انقاضه قادر على قيادة عملية التحويل الثورية لبنية المجتمع فى الاتجاه الوطنى الديمقراطى ، وعلى اعادة بناء الاقتصــاد الوطنى المستقل والمتطور وفــق خطط مدروسة وبما يكفل الارتفــاع بالمستوى المــادى والروحى لجماهير الشعب العريضة ذات المصلحة فى الثورة وبما يمكن من اقامة الأساس المــادى ــ التكنيكى وتطــوير

القــوى الاجتماعية ــ الطبقية الجــذرية الدافعة للمجتمع فى طريق انجــاز كامل أهــداف الثورة الوطنية الديمقراطية ، وفى طريق اقامة النظام الديمقراطى الشعبى ، وفى طريق التوجه الاشتراكى .

وكان انجاز هــذا المشروع السياسى الثورى الديمقراطى الطموح والواضح يقتضى اعادة تنظيم قــوى الثورة ، واعادة حشد الجماهير الشعبية . ومن أجــل ذلك جرى حوار ديمقراطى مسئول بعــد خطوة التصحيح مباشرة بين التنظيم السياسى ــ الجبهة القومية وبين الاتحاد الشعبى الديمقراطى وحزب الطليعة الشعبية انتهى بتوقيع اتفاقيــة ٥ فبراير ١٩٧٥ التى قضت بقيام تنظيم انتقالى اسمى التنظيم السياسى الموحــد ــ الجبهة القومية ، يمهــد لقيــــام حزب طليعى من طراز جــديد ، وهــو التنظيم الذى تشكل بالفعل فى أكتوبر من ذات العام .

ولقــد ساعد قيام هــذا التنظيم الانتقالى على حشد أوســع الجماهير الشعبية خلفه وخلف النظام الوطنى الديمقراطى الجــديد .

وكان واضحا لهــذا النظام الثورى ولأداته القيادية أنه ليس فى الامكان النهوض بكافة مهام الثورة الوطنية الديمقراطية والبلوغ بهــا الى المرحلة اللاحقة ، بدون دعم شامل مادى وتكنيكى وعسكرى وسياسى ومعنوى من كل قــوى الثورة فى العالم ، وخاصة من تلك التى تمكنت من اقامة النظام الاشتراكى ، وعلى رأسها وطن الاشتراكية الأول : الاتحاد السوفيتى .

وهكذا اقامت الثورة بعــد حركة التصحيح مباشرة جسرا من العلاقات المتينة والمتنوعة مع الاتحاد السوفيتى ، والدول الاشتراكية الأخرى ، ومع فصائل الثورة العربية والعالمية .

وبذلك كله خرجت ثورة ١٤ أكتوبر من عنق الزجاجة الضيق الذى

اختنقت فيه كثير من الثورات العربية وغير العربية ، وانطلقت بقـوة متعاظمة فى طريق التطور الاقتصادى ، والتقـدم الاجتماعى ، والنمو الثقافى ، واحتلت فى نفس الوقت مكانة مرموقة على صعيد النضـال العربى والعـالمى •

غير أن الثورة واجهت — على مستوى السلطة — خطرا محققا ، وذلك بحكم الخطـوات المتقـدمة التى قطعتها الثـورة وتجاوزت بهـا سواها من الأنظمة العربية الأخرى •

صحيح أن هـذا الخطر لا يختلف من حيث جـذوره الطبقية عن الأخطار التى واجهتها كثير من هـذه الأنظمة العربية وغير العربية ، وقادت الى ترنحها ومن ثم الى سقوطها • لقـد كان هـذا الخطر يتمثل فى ظهور نتوء برجوازى صغير مصاب بالتذبذب والتقلقل والتجنح فى مبدأ الأمر يسارا والميل آخر الأمر يمينا • ان ما يتميز به هـذا النمط من البرجوازية الصغيرة المتذبذبة هـو جنوحه الشديد — فى بداية الأمر — صوب اليسارية الى حـد الانتهازية • وهـذا النمط لم يعرفه أى نظام عربى وطنى قط •

وكأى تجنح يسارى ينطلق من أرضية تقليدية يمينية ، ومن أرضية قروية مصابة بالتشويش والفوضوية ، فانه كان لابد وان يتحول الى تجنح يمينى ، وان يميط بذلك عن هويته الطبقية وحقيقته السياسية •

غير أن تيار الثورة الوطنى الديمقراطى الجارف ما لبث أن عصف بهـذا النتوء اليسارى الانتهازى بعـد أن انكشف زيف يساريته . وظهر بوجهه اليمينى السافر والفاضح ، وقام بمحاولة انقلابية ضـد الثورة وتنظيمها السياسى فى ٢٥ يونيو ١٩٧٨ ، هـذه المحاولة التى أحبطت فى اليوم التالى مباشرة ، وكرست قوى الثورة بالانتصار فيها ثاني أهم منجزاتها بعـد خطوة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ •

فبهـذا المنجز الثورى العظيم فتح الطريق لقيام الحزب الطليعى ، الحزب الاشتراكى اليمنى ، الذى قام فى أكتوبر ١٩٧٨ ، كما فتح الطريق لاكمال مهام الثورة الوطنية الديمقراطية وللمضى فى طريق التوجـه الاشتراكى •

ان الدروس التى قـدمتها وتقـدمها تجربه الثـورة فى اليمـن الديمقراطية لهى من الأهمية والغنى والعمق بحيث لا تستطيع أى حركة ثورية عربية وغير عربية الا التوقف أمامها لتأملها واستلهامها والافادة منهـا •

ان سر نجاح هـذه التجربة يعود الى انها استرشدت فى نضالها بقوانين التحـول الاجتماعى الديمقراطى التى نبهت اليها الاشتراكية العلمية ، والتى أوضحت بجلاء أن التحقيق الكامل والمنسجم للثـورة الوطنية الديمقراطية والذى يجعـل منها من ثم خطـوة على طريق الاشتراكية غير ممكن الا اذا قاد هـذه الثـورة حزب طليعى يتبنى أيديولوجية الاشتراكية العلمية ، ويقيم أوسع تحالف جماهيرى لقوى العمال والفلاحين الكادحين والمثقفين الثـوريين والفئـات المناضـلة الأخرى ، وينشىء امتن العلاقات مع قوى الثورة العالمية وخاصة مـع البلدان التى تكون الطبقة العاملة قـد ظفرت بالسلطة فيها •

ولقـد انعكس الوعى بهـذه القوانين فى برنامج الحزب الاشتراكى اليمنى الذى جاء فيه : « ان حزبنا يرى أن الثورة الوطنية التحررية ، لكى تحقق كامل أهـدافها ، لابد لهـا من مواصلة السير بثبات ودون تردد فى عملية التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الجذرية ، بالاستناد الى أيديولوجية علمية ، ومن موقـع طبقى واضح • ان أيديولوجية الطبقة العاملة وتنظيمها الثورى ، هما الوحيدان القادران على تحقيق مهام التحرر الوطنى والتقـدم الاجتماعى بشكل ناجز ،

وهما الوحيدان القادران على لعب دور طليعى فى اطار التحالف الوطنى الطبقى العريض الذى يعبر عن مصالح الفئات الشعبية الكادحة بسواعدها وادمغتها ذات المصلحة فى الخلاص الكامل والنهائى من الاستغلال والاضطهاد والقهر الاجتماعى والقومى » . « وفى عصرنا ، عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية والذى تشكل فيه ثورات التحرر الوطنى العالمية جزءا من الثورة الاشتراكية على الصعيد العالمى ، وفى ظروف موازين القوى الدولية الراهنة بشكل خاص ، يستحيل على أى جزء من حركه التحرر الوطنى هذه فى أى منطقة من مناطق العالم ، أن يتمكن من انجاز مهماته دون اتخاذ موقف حازم وثابت ومنسجم فى العداء للامبريالية ، ودون التحالف مع الحركة الثورية العالمية وقوتها الأساسية المنظومة الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفياتى » . (ص ٣ ، ٩) .

على أن وجود حزب اشتراكى علمى على رأس العملية الثورية يجسد بحق نهج البروليتاريا وروحها ، هو اهم عامل داخلى يكفل تحول الثورة الديمقراطية الوطنية الى ثورة اشتراكية .

واذا كانت خطوة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ التصحيحية قد مثلت نقطة الانعطاف التاريخى للانطلاق بثورة ١٤ أكتوبر فى طريق انجاز واكمال مهام الثورة الوطنية الديمقراطية فان قيام الحزب الاشتراكى اليمنى قد مثل أهم شرط ذاتى للمضى بها الى النهاية ، ولتحويلها الى ثورة اشتراكية ، عبر النضال الدائب لتحقيق اليمن الديمقراطى الموحد المزدهر .

بقيام الحزب الاشتراكي اليمنى

اقتحمت ثورة ١٤ أكتوبر

آفاق التوجه الاشتراكى(*)

فى عصرنا الراهن ، عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، غدا غير ممكن حل المهام الاستراتيجية لحركات التحرر الوطنى فى العالم النامى الا عبر النضال الدائب والحازم والمستقيم ضد الامبريالية وركائزها المحلية .

وأثبتت التجارب التاريخية العديدة فى هذا العالم أن قيادة هذا النضال الى نهايته الظافرة غير ممكن ما لم تتسلم مركز القيادة فيه اكثر القوى جذرية وتقدمية فى المجتمع .

فالبرجوازية الصغيرة ـ أيا كانت ثوريتها ـ كما فشلت فى الغرب منذ قيام أول ثورة برجوازية ديمقراطية فيه تحت قيادتها عن المضى بهذه الثورة حتى نهايتها الطبيعية التى حلمت بها هى ذاتها ، وتركت مكانها فيها للبرجوازية الكبيرة وحلفائها من ملاكى الأرض ، فأن هذه البرجوازية الصغيرة فى الشرق التى قادت الثورات التحررية الوطنية الديمقراطية فيه لم تستطع مواصلة المسيرة الثورية وتحقيق أهدافها

(*) نشرت فى « الثورى » فى ١٩٨٤/١٠/١٢ .

الاستراتيجية فى التحرر الوطنى الكامل • والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المستقلة ، والتقـدم الاجتماعى الشامل ، والوحـدة القومية أو الوطنية الديمقراطية ، والحرية السياسية الحقيقية •

وحتى تلك الخطوات التى أمكن انجازها فى هـذا الاتجاه ما لبثت الامبريالية وركائزها الرجعية والاصلاحية المحلية أن التفت عليهـا واطاحت بهـا •

لقـد كانت الثغرات وقصور النظر فى نظام البرجوازية الصغيرة الثورية هى المنافـذ التى ولجت منها حركات الردة الرجعية هـذه التى وضـعت على رأس السـلطة قـوى البرجوازية الطفيليـة والكومبرادورية ، والبيروقراطية العسكرية والمدنيـة المتبرجزة التى أفقـدت بلدانها حتى ذلك القـدر من الاستقلال الوطنى الذى كانت قـد حققته ، واعادت ربطها بعجـلة التبعية الاقتصادية والمـالية والسياسية والعسكرية والثقافية للامبريالية العالمية •

ولن تفلت من ذات المصير أنظمة البرجوازية الصغيرة التى تعانى من ذات الخلل البنيوى ، والقصور الأيديولوجى ، وضيق الأفـق السياسى ، وروح التسلط الفئوى ، والتى ترفض فهم طبيعة العصر وحقيقة أنه حتى تحقيق مهام الثورة البرجوازية الديمقراطية غير ممكن بدون تكوين أوسع تحالف جماهيرى من العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والمثقفين الثوريين تشارك فيه بحرية كاملة الأحزاب والتنظيمات الثورية الممثلة للمصالح العامة والخاصة لقوى هـذا التحالف الواسع والعريض ، وبدون انبثاق نواة طليعية قيادية لهـذا التحالف تدرك جيدا أن تحقيق كامل مهام الثورة البرجوازية الديمقراطية مرتبـط ارتباطا عضويا ومصيريا بالمضى قـدما الى الامام ودون تلكؤ نحـو الاشتراكية ، وبدون التعاون الشامل الذى يبلغ حـد التحالف مع قوى

الثورة العمالية وفى طليعتها المعسكر الاشتراكى ، وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى ، حصن هـذه الثورة وقاعـدتها .

وفى الشرق ، كما فى الغرب ، لعبت الاتجاهات والميول الاشتراكيه الشوفينية والاصلاحية الوسطية ، والطفولية الموضوية ، ادوارا فى تضليل وتعطيل وعرقلة سير هـذه الثورات ، وفى الحيلولة دون تحقيق كامل أهـدافها الديمقراطية ، ودون تحويلها — بالطريق المبدئى الصحيح والمستقيم — الى ثورات اشتراكية .

وبذلك وقعـوا جميعـا فى الانتهازية السياسية والتكنيكية وعمى الشوفينية الوطنية والقومية التى لم تفـد منها سـوى البرجوازية المحلية والامبريالية العالمية .

ولم يقع فى هـذا الشرك مثقفون صغار ، وانما مثقفون ضخام ، كانوا ذات يوم من أساطين الفكر المـاركسى أمثال برنشتاين وكاوتسكى وبليخانوف وتروتسكى .

ومن قبل قيام ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى كان لينين قـد اعتبر الاشتراكيين الشوفينيين ، الاشتراكيين قولا والشوفينيين فعلا ، بأنهم « هم خصومنا الطبقيون . وقـد انتقلوا الى جانب البرجوازية » أما الوسط ، فهو اضـافة الى أنه لا يتقن غـير الثرثرة الـكلامية ، والديماجوجية الدعائية ، لا يمثل فئة اجتماعية محـددة ، وانما حالة عابرة وبقية زائلة من حقبة سياسية تجاوزتها حركة التطور الاجتماعى والثورى ، ذلك « ان « الوسط » انما هـو مملكة التعابير البرجوازية الصغيرة » وان ممثلية « اناس رتيبون ، فرضتهم علنية مهترئة ، وافسدهم جـو البرلـمانية ، ... الخ . موظفون اعتادوا المناصب الدافئة والعمل « المريح » وهم تاريخيا واقتصاديا لا يمثلون فئة خاصة ، بل

يمثلون فقط الانتقال من مرحلة ولت من مراحل الحركة العمالية ••• الى المرحلة الجـديدة التى غـدت موضوعيا ضرورية منذ الحرب لامبريالية العالمية الأولى التى دشنت عهـد الثـورة الاجتماعية » • (لينين ، موضوعات نيسان ، دار التقـدم ، موسكو ، ص ٥٦ ، ٥٧) •

وكما شبه لينين الوسطية الاصلاحية بالمستنقع الذى لا تفـوح منه سوى الروائح العطنة الكريهة المزكمة للانوف ، فانه شبه اليسارية الطفولية بالجرب الخبيث : « الجرب مرض مؤلم • وعندما يتملك جرب الجملة الثورية الناس ، فان مجرد مشاهدة هـذا المرض تتسبب بعذابات لا تطـاق •

فان الحقائق البسيطة الواضحة ، المفهومة الجلية ، التى تبـدو ثابتة لامراء فيها بالنسبة لكل ممثل عن الجماهير الكادحة ، انمـا يشوهها أولئك الذين أصيبوا بضرب من مرض الجرب المشار اليه آنفا • ولا يندر أن ينجم هـذا التشويه عن خـبرة الدوافع وأنباها وأسماها ، عن « مجرد » عـدم هضم بعض الحقائق النظرية ، أو عن ترديدها فى غير محلها بطريقة الأطفال الخرفاء ، بطريقة التلاميذة غير الواعية (فان هؤلاء القوم ، كما يقال ، « لا يعرفون كوعهم من بوعهم ») ، ولكن الجرب لا يكف من جراء ذلك عن أن يكون جربا خبيثا » •

ونبه لينين الى أن مرض الجملة الثورية لم يقـد الى غيرها هلاك الثورة • (لينين ، بصـدد الجملة الثورية ، دار التقـدم ، موسكو ، ص ٣٦ ، ٣٧) •

لقـد أوضح مجرى العملية الثورية فى العالم أن ثورية البرجوازية الصغيرة تضعف وتتدنى كلما ارتقت هـذه العملية درجة أعلى ، وكلما ظهرت فى ميدان النضال قـوة اجتماعية أكثر ثورية ، وأعظم فاعلية ، ففى الثورات البرجوازية الكبرى التى عرفها الغرب ، وعلى رأسـها

الثـورة الفرنسية ، كانت البرجـوازية الصغيرة ومثقفوها هي قائدة الزحف ، وصانعة التاريخ ، وان كانت لم تستطع الاحتفاظ بالسلطة ، حيث سقطت — في آخر الأمر — في يد البرجوازية الكبيرة وحلفائها من ملاك الأرض المتبرجزين . وعندما اقتحمت البروليتاريا معترك النضال بحيوية ثورية وهمة نضالية غير مسبوقتين خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر أصاب البرجوازية الصغيرة الهلع ، وتراجعت ثوريتها الى الوراء ، وولت وجهها شطر البرجوازية الكبيرة . وعندما أمسكت البروليتاريا الروسية بزمام المبـادرة التاريخية وفجرت ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى عام ١٩١٧ ، فان جميع ممثلي البرجوازية الصغيرة ، حتى أولئك الذين رفعوا رايات المـاركسية منهم والذين ارتدوا عنها عمليا ، وناصبوا الثورة العـداء ، أصبحوا مجرد أعوان للبرجوازية .

وكما كتب لينين فان « البرجوازية هي فعلا وبصورة طبيعية تسيطر حتما في النظام الرأسمالي سواء في بلد ملكي ، أم في أكثر الجمهوريات ديمقراطية ، وتتمتع حتما أيضا بمساندة البرجوازية العالمية . في حين أن البرجوازية الصغيرة — أي جميع أبطال الأممية الثانية والأممية « الثانية والنصف » — لا يمكن لهـا أن تكون ، بحكم جوهر القضية الاقتصادية ، الا تعبيرا عن العجز الطبقي . ومن هنا ترددات البرجوازية الصغيرة ، وجملها الطنانة الفارغة ، وهزالها . في عام ١٧٨٩ كان لا يزال في مستطاع البرجوازيين الصغار أن يكونوا ثوريين كبارا ، وفي عام ١٨٤٨ كانوا مدعاة للسخر والشفقة ، وفي ١٩١٧ — ١٩٢١ غدوا أعوانا للرجعية يثيرون الاشمئزاز وخـدما سافرين لهـا بحكم دورهم الحقيقي سواء كانوا يسمونهم تشيرنوف ، أو مارتوف ، أو كاوتسكي أو ماكدونالد ، ... الخ ... الخ » (لينين ، المختارات في ثلاثة مجلدات ، المجلد ٣ ، الجزء ٢ ، دار التقـدم ، مسكو ، ص ٢١٨ — ٢١٩) .

وما حـدث في الغرب حـدث ما يشبهه في الشرق العربي وتحديدا

الفارق ، فلقد لعبت البرجوازية الصغيرة أدوارا ثورية بارزة وقياديه فى حركات التحرر الوطنى وفى اقامة الأنظمــة الوطنية المستقلة ، وفى تجــديد المجتمع • غير أنه ما حادت تلوح أمامها راية قــوى اجتماعية وسياسية اكثر ثورية ، وابعــد همة ، واعظم طموحا — راية جمــاهير العمال والفلاحين الفقراء والمثقفين الاشتراكيين العلميين — حتى سارعت الى تمزيق هــذه الراية او طيها أو حجبها عن الأنظار ، وحتى لا تبقى فى الساح سوى رايتها التى على الجميع الانضواء تحتها •

والآن البرجوازية الصغيرة لا تستطيع أن تقيم تشكيلة اجتماعية « صغيرة » ولان الانتاج الصغير لابد له أن ينمو ويكبر ويتسع ، مهما اتخــذ من اجراءات ضــد الرأسمالية الكبيرة وحتى المتوسطة ، ولانه لابد للبرجوازية الصغيرة من حلفاء يسندونها فى السلطة حتى تتوازن فيها ، ولانها حجبت عن القــوى الاجتماعية والسياسية الأكثر ثورية وجــذرية حق التنظيم الحزبى المستقل ، أو حرمتها من حرية الحركة السياسية النشيطة والفعالة ، ورفضت اقامة تحالف جماهيرى منظم وديمقراطى وفعال معها ، يتيح لهــا المشاركة السياسية ليس فحسب فى الدفاع عن النظام ، وانما أيضا المشاركة فى السلطة واتخاذ القرار السياسى ، لذلك كله فانه كان لابد أن يسقط حكم البرجوازية الصغيرة وان يعتلى دست السلطة الحليف البرجوازى الأكبر الذى تكون ونمــا فى ظلها ، والمتمثل فى البيروقراطية العسكرية والمدنية — أى فى الطبقة الجــديدة — وفى تلك الأوساط من البرجوازية القــديمة التى قبعت فى الظــل بعض الوقت ، والتى أخــذت تنسج الخيوط وتتآمر مع الطبقة الجــديدة حتى أتيح لهما معا الانقضاض على السلطة واعادة عقــارب الساعة الى الوراء •

ليس هناك موقف وسط ، وليس هناك خيار ثالث من اجل تحقيق استراتيجية الثورة الوطنية الديمقراطية فى التحرر السياسى والاقتصادى

والعسكرى والثقافى • وفى التوحـد الوطنى والقومى ، وفى التقـدم الاجتماعى ، وفى الحرية السياسية ، اما أن تذهب البرجوازية الصغيرة مـع البرجوازية الكبيرة والطفيلية والبيروقراطية وتذهب سـلطاتها فى آخر الأمر ، أو أن تذهب مع جماهير العمال والفلاحين الفقراء وممثليهم الطبقيين ، وتضمن لنفسها مكانة اجتماعية ودورا تاريخيا •

والقبول بالخيار الأخير يعنى أن البرجوازية الصغيرة قـد وعت وعيا جيدا أن الطريق أمامها وحـدها مسدود ، وان الطريق الوحيد المفتوح تاريخيا هـو طريق السير بالثورة الوطنية الديمقراطية الى النهاية ، وتحويلها من ثم الى ثورة اشتراكية •

لقـد مضت بالفعل أقسام من هـذه البرجوازية فى هـذا الطريق • وبالذات تلك الأقسام الديمقراطية الثورية الطليعية التى تفتحت على الفكر الاشتراكى العلمى واسترشدت به •

واليمن الديمقراطية تستطيع أن تقدم نموذجا حيا وملهما فى هذا الصدد • وفى طريق انجاز كامل أهداف الثورة الوطنية الديمقراطية • طريق التحرر الوطنى والاجتماعى والديمقراطى والوحدة اليمنية التقدمية — فى هـذا الطريق يقودها اليوم حزب الاشتراكية العلمية ، والاممية البروليتارية ، الحزب الاشتراكى اليمنى الذى بقيامه اقتحمت الثورة بالفعل آفاق التوجـه الاشتراكى •

ولامكان للمنظمات الجماهيرية والمهنية والابداعية ولكل المثقفين والأدباء والكتاب وللصحفيين والفنانين والرسامين وكل مواطن شريف خارج هـذه المسيرة التاريخية الثورية الزاحفة المنطلقة الظافرة التى لا قبل لأحـد بمقاومتها ، أو تضليلها ، أو حرفها عن مجراها ، أو التعتيم والتشويش عليها •

وكما جاء فى افتتاحية مجلة (أدب ونقــد) التى يصــدرها (حزب التجمــع الوطنى التقــدمى الوحــدوى) فى مصر ، فان على المثقفين الثوريين خاصة أن يكونوا رسل الثقافة الرفيعة « وأن يكون دورهم ايجابيا ، فلا يشاركون فى تعمية ، ولا يتحولون الى أدوات للزيف ، وشعارات للتمويه ، فمن العيب جــداً أن يبقى كاتب شريف عضــوا فى اتحاد للكتاب لا يتبنى قضية جادة ، ولا يدعم موقف كاتب مناضل . ولا يعرف له أحــد نشاطا ؟ وان يبقوا على الحياد فى معركتنا السياسية وأى اصلاح يبدأ منها ويجيىء تابعا لهــا .

وان ادعاء الاستقلالية هنا لون من الانتهازية ، لا نرضاه لهم ، ولا يرضونه لأنفسهم » . (العــدد ٦ أغسطس ١٩٨٤) .

الحلقة المفقودة والمركزية

التى مسكت بها الثورة

فى اليمن الديمقراطية(*)

عند البحث والتنقيب عن السبب العميق — بين مجموعة من الأسباب — فى فشل أو اجهاض أو انتكاس العديد من الثورات الوطنية الديمقراطية التى شهدها « العالم الثالث » الممتد من آسيا الى أفريقيا الى أمريكا اللاتينية سيتضح أن هناك « حلقة مفقودة » لم تعثر عليها أو عجزت عن الامساك بها هذه الثورات ، مما أدى الى فقدانها السلسلة كلها .

فلقد أمكن لهذه الثورات أن تخرج جحافل المستعمر من بلدانها ، وان تنتزع استقلالها السياسى ، وتحقق سيادتها الوطنية . كما أمكنها أن توجه ضربات موجعة الى ركائزه المحلية ، الاقطاعية وشبه الاقطاعية والكومبرادورية ، وان تحدث تحولات اقتصادية واجتماعية وثقافية عظيمة ، وان تقيم دولا وطنية ديمقراطية متحررة ، وأن تنشىء علاقات متعددة الجوانب مع أقسام عديدة من قوى

(*) نشرت فى « الثورى » فى ١٣/٤/١٩٨٥ .

التحرر والتقــدم والاشتراكية فى العالم ، وخاصه مع بلدان المنظومة الاشتراكية ، وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى •

وانجبت هــذه الثورات قيادات تاريخية ضخمة من أمثال نهرو ، سوكارنو ، جمال عبد الناصر ، نيكروما ، سيكوتورى •

ومع ذلك فانه لم يقــدر لهــذه الثورات أن تمضى الى الامام ، بحيث تنجز كامل أهــداف الثورة الوطنية الديمقراطية ، وتضع أقدامها من ثم على عتبة التوجه الاشتراكى •

بل ان هــذه الثورات لم تستطع حتى الحفاظ على ما حققته من منجزات وما أحــدثته من تحولات •

فعبر المسيرة الثورية تكونت لبعض قــوى الثورة مصالح ، وتمكن منهم حب السلطة ، وتحولوا الى « طبقة جــديدة » لا هى مع العودة الى المــاضى ، ولا مع المضى نحو المستقبل ، طبقة هى أقرب الى أن تكون فئة مقفلة على نفسها ، محكومة بشروط حياتها الجــديدة ، معزولة عن حياة ومصالح جماهير الشعب العريضة •

وبحكم تواجــدها فى مختلف مؤسسات الدولة ، وهيمنتها على مواقع حساسة فيها ، وتحكمها فى مختلف المنظمات الجماهيرية ، ناهيك عن تحكمها فى حزب النظام الذى غالبا ما يكون تجمعا هلاميا لا تجانس فيه ، ولا هــوية محــددة لــه — لذلك كله فانه كان دائما من السهل على هــذه الفئة لا أن تحتوى الثورة فحسب ، ولا أن تفرغهـــا من محتواها فقط ، وانما أيضا أن تنقلب عليها وعلى قيــاداتها التاريخية العملاقة — ســواء فى حياتهم أو بعــد وفاتهم — وان تدفع ببلدانها فى طريق التطور الرأسمالى ، طريق التبعية الكاملة للرأسمالية الامبريالى ، طريق القمع الطبقى ، والقهر الاستعمارى •

غير أن الجناح الديمقراطى الثورى ليس بدون مسئولية عما آلت اليه الثورية . فعدم امساكه بقضية الثورة بكلتا اليدين . وعدم التقدم بها خطوات ابعد الى الامام . وعدم فرزه قوى الثورة من قوى الثورة المضادة ، وعدم تكتيل قوى الثورة فى جبهة شعبية عريضة ، وعدم بلورة طليعة حزبية قيادية من بين صفوفها . وعدم استرشاده . برؤية اجتماعية ثورية علمية متماسكة ، وعدم تمتين تحالفه مع قوى التحرر والتقدم والاشتراكية فى العالم ، واولا وقبل كل شىء مع معقل الثورة البروليتارية السامق : المنظومة الاشتراكية . وفى مقدمتها حصنها الحصين : الاتحاد السوفيتى . . ل ذلك مثل السبب العميق والأخير فى انتكاس هذه الثورات .

تلك هى الحلقة المفقودة التى عجزت عن العثور عليها وعن الامساك بها الثورات الوطنية الديمقراطية فى كثير من البلدان النامية . وهذه الحلقة المفقودة كانت هى ذاتها الحلقة المركزية فى السلسلة التى يعنى الامساك بها الامساك بالسلسلة كلها — كما قال لينين — .

ان غياب الحلقة المفقودة .. فقدان الحلقة المركزية .. قد ادى الى العجز عن السيطرة على السلسلة كلها ، الى العجز عن الحفاظ على الثورة ذاتها . ناهيك عن التحكم فى حركتها وفى مسارها الاجتماعى . ومنحاها التاريخى .

وكان من شأن ذلك كله أن يؤدى الى حركة الارتدادالثورى التى اتخذت ابعادا وأشكالا متباينة ، وفقا لعلاقات القوى داخل كل بلد .

وتبرز الثورة فى اليمن الديمقراطية كواحدة من الثورات الريادية التى عرفت كيف تمسك بهذه الحلقة المفقودة ، بهذه الحلقة المركزية فى السلسلة .

ومن هنا كانت قـدرتها على التغلب على المعضلات والعقبـات التى اعترضت سبيلها ٠

على أن مما تفردت به الثورة فى اليمن الديمقراطية هـو تغلبهـا على التجنحات اليمينية و « اليسارية » ، وهـو أمر لا تخلو منه التجارب الثورية ، وتناضل ضـده دون هوادة ٠

وبذلك برهنت هـذه الثورة على مدى اصالتها وحيويتها وفرادتها بين مجمل الثورات العربية التى لم تعان من غير داء واحـد هـو داء اليمين ، ومع ذلك لم يتمكن معظمها حتى الآن من استئصاله أو معالجته ٠

فيم تجلت الحلقة المفقودة فى اليمن الديمقراطية ، وكيف أمكنت السيطرة عليها ، وأمكن من ثم تأمين السيطرة على مجمل المسيرة الثورية ، والمضى بهـا قـدما الى الامام ، وازاحـة كل ما اعترض سـبيلها من عراقيـل ؟

كانت الجبهة القومية التى فجرت ثورة ١٤ أكتوبر وقادتها أقرب ما تكون الى جبهة شعبية عريضة تضم مناضلين من المدينة والريف وثوارا من مختلف الطبقات والفئات المقهورة ، بدءا من العمال ، مرورا بالفلاحين وانتهاء بالبرجوازية الصغيرة والوسطى ، هـذه الطبقات والفئات التى وحـدتها قضـية تحرير الوطن من المستعمر الدخـيل وركـائزه من السـلاطين والمستوزرين ومن مجمـل الطبقـة الاقطاعية والقوى الكومبرادورية الدائرة فى فلكه ، كما وحـدتها قضية الدفاع عن ثورة ٢٦ سبتمبر فى شمال الوطن ، وقضية توحيد التراب والشعب اليمنى فى ظـل جمهورية وطنية متحررة متقـدمة ٠

وحول الجبهة القومية التفت خيرة أبناء الشعب والصفوة المجربة من مثقفيه ٠ وبفضل ذلك — وفضل الدعم العربى والتقـدمى — أمكن

للجبهة القومية أن تقـدم نفسها كأصـدق وأقـوى ممثل لمصـالح وملامح الشعب فى التحرر والتقـدم والوحـدة •

وحتى عندما انتقل الدعم العربى الى صف « جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل » التى صنعتها المخابرات المصرية ، بغية احتواء الثورة وتطويعها لمخططاتها المريبة ، كانت الجبهة القومية قـد غـدت قطب الرحى فى ساحة الصراع ، وكانت قـد فازت بثقـة جماهير الشـعب العريضة ممـا صعب معه زحزحتها من الطريق •

وهكذا بفضل ثقلها الجماهيرى المرجح • ووقوف القوى الثورية الأخرى المنظمة وغير المنظمة الى جانبها • أمكن للجبهة القومية أن تقود ثورة التحرير حتى الظفر بالاستقلال الوطنى •

وعبر مرحلة التحرر الوطنى كان الصف القيادى الثانى فى الجبهة القومية قـد تعمق لديه الاحساس بمعاناة الشعب ، وتبلورت أمامه أكثر مصالحه الجـذرية . وأتيح له الاطلاع على بعض التجارب الثورية الرائدة فى العالم النامى ، وخاصة التجربة الثورية الكوبية •

ولذلك فان الصف القيادى الأول الذى أمسك بمقاليد السـلطه الأساسية فى الدولة الفتية . والذى أراد ادخـال بعض الاصلاحات الليبرالية المحـدودة ، ودفـع البلاد فى طريق التوجـه الرأسمالى بالاستعانه بالاحتياطى الاستعمارى فى الجيش والبوليس والادارة ، وربطها من ثم بعجلة الاستعمار الجـديد . هـذا الصف اليمينى الحاكم من الجبهة القومية لم يستطع حرف المسيرة الثورية فى الاتجاه الذى يريد •

وكانت تصفيته بحركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ التصحيحية برهانا جليا على أن التيار الغالب فى الجبهة القومية هـو التيار الديمقراطى الثورى

ذو التطلع الاشتراكى ، والمدعوم بقوة من كل الاشتراكيين المنظمين وغير المنظمين •

وبابرام اتفاق ٥ فبراير ١٩٧٥ وقيام التنظيم السياسى الموحد ــ الجبهة القومية فى أكتوبر من ذات العام على أساسه • هذا التنظيم الذى ضم الى جانب الجبهة القومية الاتحاد الشعبى الديمقراطى وحزب الطليعة الشعبية ، بذلك لم تتسع فحسب الجبهة الشعبية المنظمة التى تعتمد عليها الثورة ، وانما تحققت خطوة انتقالية بالغة الأهمية فى اتجاه اقامة حزب طليعى فى البلاد يكفل السير بالثورة الوطنية الديمقراطية حتى النهاية ، وتحويلها من ثم الى ثورة اشتراكية •

ولان التنظيم السياسى الموحد ــ الجبهة القومية كان قد غدا حصنا منيعا لقوى الثورة ــ رغم الصعاب التى مر بها ــ فانه لم يكن من السهل اختراقه أو حتى النيل منه •

وبذلك فتح الطريق لاقامة الحزب الطليعى ، حزب الطبقة العاملة ، حزب الشغيلة ، الحزب الاشتراكى اليمنى الذى أعلن عن قيامه فى أكتوبر من ذات العام •

وبقيام مثل هذا الحزب أخذت تتوفر الشروط الذاتية والسياسية ليس فقط لانجاز كامل مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، وانما أيضا للسير فى طريق التوجه الاشتراكى ، ولانضاج العوامل الموضوعية اللازمة لبناء الاشتراكية •

وبقيامه تبلور وتجسد النزوع الوطنى الوحدوى المستند ــ كما جاء فى برنامج الحزب ــ « على الموقف الأيديولوجى والطبقى الواضح » كما تجلى المنحى الوحدوى العربى القائم على التحالف مع « حركة الثورة العربية » وتجلى كذلك انتماؤه الوحدوى الاممى الذى يجعل

منه فصيلا فى جحفل الثورة العالمية . « وهـو فى نفس الوقت وحـدوى على الصعيد الاممى . ويناضل مـع شغيلة وكادحى شعوب العـالم فى حركة الثورة العالمية ضد الامبريالية والصهيونية والفاشية والعنصرية . ومن اجل التقـدم والديمقراطية والاشتراكية والسلم فى العالم » كما ينص برنامج الحزب ايضا . (ص ٣٣ ، ٣٤) .

من ذلك كله يتضح أن قيام الحزب الاشتراكى اليمنى كان تحولا كيفيا لتراكمات كمية سبقته برزت أكثر ما برزت بعـد قيام ثورة ١٤ أكتوبر وبعـد تكون الجبهة القومية ، وانه كان الذروة العليا فى التطور الذاتى لقوى الثورة اليمنية ، وانه كان أكمل وأنضج تعبير عن الحلقة المفقودة والمركزية التى امسكت بها الثورة ، وكان من ثم برهانا قاطعا على مدى اصالتها وفرادتها وقـدرتها على أن تكون مثلا رياديا يقتدى به .

القسم الثالث

حول أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦
واستمرار التجربة الثورية
فى اليمن الديمقراطية

مؤامرة ١٣ ينـاير ١٩٨٦
والعبرة المستخلصة منها(*)

معروفة المقـولة الليلنينية القائلة بأنه فى حزب الطبقـة العـاملة لا مجـال لغير الوحـدة الفكرية والتنظيمية الصارمة والحـديدية ، وأنه وان وجـدت ألوان وظلال ورؤى متنوعة حول هـذه القضية او تلك : فانها تظـل محكومة بهـذه الوحـدة الأيديولوجية والتنظيمية الراسخة والصلدة .

ولعلنا فى كل ما كتبناه كنا نتوخى هـذه المقولة الليلينينية .

ذلك يعنى أن أى خروج على وحـدة الحزب الفكرية والسياسية والتنظيمية تحت أى ذريعة كانت ، والاحتكام الى السلاح فى حـل القضايا الخلافية ، هـو تخل كامل عن نهج الطبقة العاملة ، وعـودة الى نهج البرجوازية .

وكان الظن أن هـذه المسألة المبدئية قـد غـدت من الأمور المسلم بها فى حزب طليعى كالحزب الاشتراكى اليمنى . لا سيما وأن هنـاك

(*) نشرت فى صحيفة « ١٤ اكتوبر » فى ١٩٨٦/٢/١٤ .

قرارا صريحا اتخـذه المكتب السياسى للحزب يخون فيه أى عضو فيه يلجـأ الى السلاح فى حل الخلاف الداخلى فى الحزب •

وكما قال الرفيق سالم صالح محمد الأمين العام المساعد للحزب الاشتراكى اليمنى سكرتير اللجنة المركزية فى المؤتمر الصحفى الذى حضره مراسلو الصحف والمجلات الأجنبية :

« فلو رأى على ناصر — على سبيل المثال — أن هناك خلافا فى المكتب السياسى ، كان بإمكانه طرح أسباب الخلاف على اللجنة المركزية واشراكها فى طرح التصورات لحل تلك الخلافات ، ولكنه فضل الأسلوب الخيانى والتآمرى باستعمال القوة واللجوء الى السلاح • رغم قرار المكتب السياسى فى يوليـو ١٩٨٥ ، الذى ينص على أن من لجـأ الى السلاح أو يهـدد به ، يعتبر خائنا للوطن وفى تعـداد الثورة المضادة » (صحيفة ١٤ أكتوبر ٤—٢—١٩٨٦) •

ولعلى كنت واحـدا من أبناء هـذا الشعب الذين لم يتصوروا قط أن يحـدث فى اليمن الديمقراطية — البلـد المثال والنموذج من حيث الأمن والاستقرار وطبيعة النظام والحزب الطليعى القائد — ان يحـدث فيها ما حـدث فى ١٣ يناير ١٩٨٦ •

كان أمرا مذهلا ، وفوق الاحتمال ، وأبعـد من الخيال ما فوجىء به الناس فى هـذا اليوم المشؤوم •

اذن فقـد وقعت الواقعة ، وزلزلت الأرض زلزالها ، وقال الناس مالها ؟ أعلى قمـة مسئولة فى الحزب والدولة تتصرف بدون مسئولية • تصـدر أحكاما بالموت على المخالفين لها فى الرأى فى قمـة الحزب والدولة ، وتتسبب فى زج البلاد فى حرب أهلية طاحنة ضروس سـقط خلالها آلاف القتلى والجرحى ، وهـدمت فيها منشآت ومؤسسات ،

وعم الخراب والدمار حتى بيوت الناس الخاصة ، وكادت نيران خزانات البترول والذخيرة المحترقة أن تلتهم عـدن بمن وبما فيها ، وشمل الرعب والهلع جميع الأهلين ، وانفتحت شهوة قـوى الاستعمار والرجعيـة فى محاولة لابتلاع النظـام الديمقراطى الثورى الذى بدا لهم أنه غـدا الآن فريسة سهلة الهضم •

عندما سألنى بعض الرفاق المسئولين فى لحظات كنت أشعر فيهـا بقـدر لاحـد له من المرارة تكاد تخنق الحلق لهول ما حـدث عن رأيى فى يناير ١٣ يناير كان فحـوى جـوابى : ولكن ما حقيقة ما جرى ؟ ما الذى أشعل الحريق ؟ ومن أضرم نيران الحرب ؟ ان من فعل ذلك فهـو مدان ، أيا كان •

لقـد قلت ذلك ولم أكن — بفعل عملية تعبئة مركزة بأن شـيئا ما سيحدث ضـد الأمين العام وضـد الشرعية الحزبيه والدستورية من أساسها — لم أكن قـد تحررت تماما من تأثير البيان الأول الذى كاد يخـدع الكثير من أمثالى من ذوى النيات الحسنة ، بل وكاد يخـدع دولا شقيقة وصـديقة ، هـذا البيان الذى صور بأن انقـلابا قـد حـدث بالفعل ضـد الشرعية الحزبية والدستورية ، تعرض خلاله أمين عام اللجنة المركزية ورئيس هيئة الرئاسة على ناصر محمـد لمحـاولة اغتيال ، وان المكتب السياسى قـد أصـدر حكما بالاعـدام على مدبرى الانقلاب ومحاولة الاغتيال هـذه ••• الخ •

على أنه ما لبثت الخـديعة الكبرى للرأى العام اليمنى والعربى والعالمى ان انكشفت ، وما لبثت الحقيقة الساطعة أن تجلت : ان ما حدث هـو العكس تماما • لقـد كان الذى قاد الانقلاب ضـد الشرعية الحزبية والدستورية ودبر عملية الاغتيال لأعضاء فى المكتب السياسى هـو الرجل الأول فى الحزب والدولة !!

أن تجلى هـذه الحقيقة لعب دورا أساسيا فى قلب موازين القوى وفى ارباك مدبرى هـذا الانقلاب الدموى . وفى نزع المصداقية عنهم أمام الرأى العام اليمنى والعربى والعالمى . وفى تحول حتى المتعاطفين معهم داخليا وخارجيا ــ تحولهم ضــدهم . وفى ارتعاش الأيدى التى حملت السلاح الى جانبهم ، وفى القائه آخر الأمر ، وفى الاعتراف بأنه غرر بهم .

وقــد نكتشف غـدا أنه ليس كل من أحاط بعلى ناصر أو تعاطف معه بصفته الحزبية والرسمية كان على علم بأنه سيصبح على رؤية مشهد مروع من الدم ، وبأن كارثة وطنية ستحل بالبلاد .

وعــدا الفئة التى غزلت خيوط المؤامرة ونفــذت الانقلاب الدموى والقت البلاد فى قعر فتنة عمياء ، وأغرقت الشعب والحزب والجيش والأمن والميليشيا فى بحر من الدم ، فانه ليس هناك من لم يرفع عقيرته بالأدانة الحازمة لهـذا العمل الدموى الشائن والفظيع ، بل أنه لا يمكن تصور أن يكون هناك وطنى حقيقى فى هـذا البلد لا يشجب بقــوة هـذه الجريمة الوطنية التى ارتكبت فى حــق الشعب والحزب .

قليلة هى الأوطان التى تعرضت لمثـــل ما تعرضت لــــه اليمن الديمقراطية من محنة مطبقة الانحاء كان يمـــكن أن تعصف بنظامها التقــدمى ، وثورتها الديمقراطية ، وحزبها الطليعى ، وأن تدمر وحدتها الوطنية ، وعلاقاتها القومية والاممية والعالمية وأن تحكم على دولتهــا الفتية بالزوال .

غير أن اليمن الديمقراطية التى عركتها الخطوب ، وأنضجتها نيران المعارك التى خاضتها منذ اندلاع ثورتها المقــدامة ، ثورة ١٤ أكتوبر والتى تعودت على اجتياز كل عقبة انتصبت فى طريقها ، وتصحيح كل اعوجاج طرأ على خطها النضالى ، وتمكنت من ثم من القيام بحركة ٢٢

يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ أقصت بها اليمين الانتهازى ، ومن التغلب على اليسار الانتهـازى بهبتها الثـورية فى ٢٦ يونيـو ١٩٧٨ — اليمن الديمقراطية هـذه أمكن لها — بفضل هـذا الرصيد النضالى الضخم وبفضل امتلاكها الحزب القائد لمسيرتها الكفاحية . الحزب الاشتراكى اليمنى — أن تقهر مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ الانقلابية الدموية التى حتى بصبغتها الدموية هـذه اتخـذت طابعا يمينيا واضحا .

ان أى حزب طليعى اشتراكى علمى — أيا كان رايه سابقا فى على ناصر وزمرته التى تلوثت أيديها بالفعل بدماء الحزب والشعب والجيش وتسببت فى الدمار الشامل الذى لحق بالممتلكات العامة والخاصـة — لا يمكن لـه الا أن يستنكر بقـوة هـذه الفعـلة النكراء ، وهـذه الجريمة الشنعاء .

ومن هنا تتابع اعلان الدول الشقيقة والصديقة . وفى مقـدمتها الدول الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ، لتضامنها مع الحزب الاشتراكى اليمنى بقيادته الجماعية وتأكيدها الوقوف الى جانبه ضـد أى تدخل خارجى رجعى — استعمارى فى شئونها الداخلية أو محاولة المساس بسيادتها الوطنية واستقلالها السياسى وخيارها الثورى .

حقا كانت الخسارة فادحة وغير مسبوقة . ولكنها ربما كانت ضريبة غالية كان على الثورة أن تدفعها حتى لا يفكر أحـد بعـد ذلك فى أنه يمكن أن يفرض رأيه على هيئات الحزب والدولة بقـوة السلاح وحتى يتأكد بشكل مطلق بأنه فى حزب طليعى اشتراكى علمى يقود بلاده فى طريق التوجه الاشتراكى وفى طريق تحويل الثـورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية لا بديل قط للمركزية الديمقراطية والقيادة الجماعيـة والنقـد والنقـد الذاتى ، وأنه من ثم لا مجال لاية نزعـة انفرادية استعلائية تحكمية .

أن أيديولوجية ومبادىء الحزب الطليعى ، حزب الطبقة العاملة ، هى أعلى واكمل تجسيد للديمقراطية سواء الديمقراطية داخل الحزب أو الديمقراطية للشعب • وبالتالى فانه غير جائز ولا مقبول على الاطلاق اشهار او استخدام السلاح فى حزب كهـذا لا ضـد احـد من أفراده وهيئاته — أيا كانت الخلافات فيه — ولا ضـد الشعب •

ولكن يبدو ان هـذه المقولة النظرية الصحيحة التى لم تعد موضع جـدل فى أحزاب الطبقة العاملة العريقة كانت تحتاج — فى بلد نام كاليمن الديمقراطية — الى تعميدها بالدم ، والدم الغزير ، لتأكيد أن الخروج عليها مكلف جـدا وباهظ الثمن للغاية •

يمكن القـول أن النظام الديمقراطى الثورى فى هـذا الجزء من الوطن اليمنى قـد صمد صمودا منقطع النظير أمام امتحان خطير وغير مشهود جوبه به كما لم يجابه به أى نظام مماثل فى العالم النامى كله ، عالم آسـيا وأفريقيـا وأمريكا اللاتينية ، وأنه قـدم بذلك درسـا تاريخيا بليغا لابد أن تفيد منه كل الأحزاب الطليعية فى هـذا العالم •

وبعـد هـذا النصر المؤزر الذى حققه الحزب الاشتراكى اليمنى فانه ورغم كلفته الفادحة والباهظة لا مجال للبكاء على الاطلاق وللاغراق فى الحزن على الشهداء ، فما من بيت فى اليمن الديمقراطية الا وبكى حتى النحيب ، وحزن حزن الدهر كله •

يكفى الجميع : الشهداء والأحياء ، أنهم قـدموا لنظامهم التقدمى المتفرد فى المنطقة تضحيات عالية ومتفردة فى مجمـل منطقـة التحرر الوطنى •

ان المهمة الجوهرية الموضوعة أمام الحزب والشعب هى الانغمار بذات الهمة والعزم فى مضمار العمل السلمى والبناء : فى الانتهاء بسرعة من آثار هـذه العاصفة الهوجاء ، وفى اعادة ترميم وتعمير ما دمرته ،

وفى تعميق وتوطيــــد وحــدة الحزب والشعب والجيش والمؤسسات الأمنية والشعبية والمنظمات الجماهيرية ، وفى مواصلة تجــذير وتوسيع الديمقراطية الحزبية والشعبية ، وفى المضى قــدما فى طريق انجاز كامل مهام الثورة الوطنية الديمقراطية — بما فى ذلك النضال الدائب من أجل تحقيق الوحــدة اليمنية على أسس سلمية وديمقراطية — وأولا وقبل كل شيء تعزيز استقلال وسيادة البلاد والتصدى لكل محاولة للتطاول عليهــــا •

ان شروط انجاز هــذه المهمة التاريخية كاملة غير منقوصة والتقدم فى ذات الوقت فى طريق التوجه الاشتراكى كانت وما تزال متوافرة • فهناك الحزب الطليعى القائد لهذه المسيرة الذى لم تزده المحنة الاصلابة وقــوة وقــدرة على الاضطلاع بمسئوليته التاريخية هــذه • وهناك الجماهير الشعبية — وعلى رأسها العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون — المندمجة فيه والملتفة من حوله • وهناك قــوى الثورة العالمية وفى مقــدمتها المنظومة الاشتراكية ، وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى •

ان تطبيع الأوضــا الداخليــة ، وسيادة الأمن والاستقرار من جــديد ، والحيلولة دون أى مظهر من مظاهر الفـــوضى والتخريب والتجاوز ، وانعقاد دورة اللجنــــة المركزية الاعتيادية الثالثـــة فى ٦—٢—١٩٨٦ ، وانتخابها أمينا عاما وأمينا عاما مساعدا وأعضــــاء اضافيين للمكتب السياسى ، وسد الثغرات الشاغرة فى بنيان الحــزب والدولة — ان كل ذلك يمثل المدخـــل الطبيعى للنهوض بمهمة الحزب المركزية والجوهرية هــذه •

فلتكن مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ التى تورط فيها على نصر محمــد وزمرته آخر المؤامرات •

ولتكن درسا بليغا ، وعبرة تاريخية •

ولترتفع راية الحزب الاشتراكى اليمنى الى ذرى أكثر عـلوا وسموا •

وليظل النظام النظام الديمقراطى فى جنوب الوطن نبراســـا وهاجا لكل حركات التحرر والتقــدم فى المنطقة •

تجربة الثـــورة فى اليمـــن الديمقراطية

نبض حى فى حبـــل وريد

الثـــورة العـــالمية(*)

رغم كل الشواهد والشهادات التى تؤكد أن اليمن الديمقراطيـــة تمكنت ـــ وبسرعة قياسية ـــ من الخروج من دوامة مؤامرة ١٣ يناير وأخـــذت تضمد جراحها ، وتراب الصـــدع الذى أصيب به بنـــاؤها الوطنى . وتعيد تعمير ما دمرته المؤامرة ، وتعمل على تصفية الآثار المـــادية والنفسية التى خلفتها ، وتعـــاود الوقـــوف على أقـــدامها ، وتستأنف سيرها التقـــدمى ، وتثبت جسور التحالف مع قوى الثورة العربية والعالمية ، وتؤكد استمرارها فى التمسك بقضية الوحـــدة اليمنية وبعلاقات حسن الجـــوار وسياسة التعايش السلمى مـــع الأنظمـــة الاجتماعية الأخرى ، فى نفس الوقت الذى تواصل فيه نهجها الثورى المعادى للاستعمار والصهيونية والرجعية والعنصرية ؛ والمناصر لجميع حركات التحرر والتقـــدم فى المنطقة وفى العالم ـــ رغم ذلك ما يزال الوضع فيها غير مفهـــوم تماما من قبل بعض القـــوى المؤمنة بقضـــية التقـــــدم .

(*) نشرت فى صحيفة « ١٤ أكتوبر » فى ١٩٨٦/٩/٨ .

وما من شك أن ما تبقى عالقا فى الأفق من سحب الزلزال المروع الذى ضرب اليمن الديمقراطية هـو السبب فى عـدم تمكن مثل هـذه القوى من رؤية الوضع الحقيقى فيها بعـد أن أفاقت من الصـدمة ، ونهضت من هـول الكارثة .

وهـذه الرؤية الضبابية أو الغـائمة هى التى صورت لبعض الأقـلام المعروفة بأن ما حـدث فى اليمن الديمقراطية هـو وأحـد من الانهيارات المـاساوية التى منيت بها الثورات العربية منذ نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وان نيزك الثورة اليمنية قـد هوى أخيرا ، وان الوعد الذى بشرت به قـد تحول الى برق خلب ، وأن تجربتها التى أريد لهـا أن تكون طليعية ورائده فى المنطقة العربية كلها قـد حال لونها وغرقت فى رمال الصحراء .

ووفق هـذه الرؤية الضبابية والغائمة فان زمن الثورة فى اليمن الديمقراطية قـد ولى ، وحل فيها « الزمن الردىء » الذى ساد ويسود الوطن العربى ، وتشابه الوضع فيها مع الوضع العربى العام الذى تمسك بخناقه الازمة ، وتطبق عليه المحنة ، ويلفه ليل النكسة .

هل لابد من ضرب الأمثال على مثل هـذا النمط من الرؤى التى تضع اليمن الديمقراطية ضمن الدائرة السوداء المحيطة بالأقطـار العربية ، المتحكمة فى أقـدار شعوبها ؟

لعلنا نكتفى بنموذجين اثنين :

فهاهى الكاتبة الصحفية المصرية المعروفة أمينة النقاش تكتب فى عـدد ٣٠ يوليو ١٩٨٦ من صحيفة الأهالى المصرية : « وتأتى زيارة رئيس الوزراء الاسرائيلى للمغرب وسط مناخ عربى متدهور بشكل عام . ففى عـدن اقتتل « الرفاق » وأغمد كل طرف من أطراف الصراع

خنجره فى ظهر الآخر . وانهارت تجربة الديمقراطية فى الكويت وتونس . وازدادت القبضة الأمريكية على مقـدرات السياسة المصرية فى أعقاب الأحـداث التى ترافقت وتلت خطف السفينة اكيلى لاورو . وزدادت السياسة العـدوانية الاسـرائيلية والأمريكية فى المنطقة بضرب مقـر منظمة التحرير فى تونس وضـرب ليبيا والعـدوان عليها ، وفشلت كل محاولات ايقاف الحرب الأهلية واحلال الوفاق الوطنى فى لبنان . وساد التوتر والخصام أجـواء المغرب العربى .

وها هو الشاعر الفلسطينى الشهير محمود درويش يقول الشىء ذاته فى رسالة موجهة الى الشاعر الفلسطينى الشهير أيضا سميح القاسم نشرتها مجـلة « فلسطين الثـورة » فى عـدد ٩-٨-١٩٨٦ ، ويتساءل : « أما لآخر هـذا الليل من آخر ؟ . ما علينا الا أن نستعد لاستقبال ليل أشد حلكة ، فان قاع هـذه الهاوية ذات الشق المفتوح من طنجة الى عـدن لا نهاية له . لا نهاية مرئية له ، ولكن لمن الهـاوية يا عزيزى ، لمن الهاوية ؟ » .

ويضيف محمود درويش أن كل شىء فى الوطن العربى من مراكش الى اليمن الديمقراطية غـدا عـدما فى عـدم . غـدا خاويا من كل قيمة . فارغا من كل معنى ، فاقـدا لكل وزن ، وأنه ليس هناك الا وهم وسراب وعبث ولا معقول . بل أن اللامعقول ذاته تحول بفعل انعـدام العقل الى معقول . والى صنمية لا يملك الناس الا القبول بها . والركوع أمامها : « لقـد أجلسوا الوهم على قـدميه . طوروا الوهم الى درجة الانتحار الذاتى . وحولوه الى صنم العبادة . هل بلغنا مرحلة اللامعقول ؟ كلا . لقـد تجاوزنا مرحلة اللامعقول بتحويله الى معقول الفنـاء وادمانه . أنظر ، اذا كان فى وسعك بعـد أن تنظر ، الى فردوس الصمت الممتد من طنجة الى عـدن .. واضحون كالفضيحة ، متساوون كالرمال . حكام كالعبيد وبلا قناع فى مسرح العبث المفتوح بلا قناع » .

ويشدد درويش فى أكثر من فقرة من رسالته أنه لا ينتظر من صديقه الشاعر جوابا عليه ، اذ لا جواب عليه ، اذ لا جواب هناك لدى أحد ، ولا نجدة يمكن انتظارها من أحد لاستنقاذ الوضع العربى مما هو فيه من حال التردى وليس هناك أفق مفتوح ، وانما صحراء قاحلة مجدبة لا خضرة فيها ولا ماء ، ولا طريق ، ولا أثر لأحد قط . « انى أطل على صحراء » !!

هذه اللوحة القائمة المعتمة للوضع العربى من مشرقه الى مغربه والتى لا ترى فيها حتى نقطة بيضاء واحدة ، والتى لا تترك لدى مطالعتها سوى الشعور بالتشاؤم والاحباط واليأس لا تعكس بالضرورة حقيقة الواقع العربى ، الذى يوجد فيه الأبيض الى جانب الأسود وما عداهما من ألوان الطيف ، وينتصب فيه الحق فى مواجهة الباطل ، والخير فى وجه الشر ، والجميل فى موازاة القبيح .

ذلك ما يقوله أيضا الشاعر الكبير سميح القاسم فى رائعته التى نشرتها له مجلة « أدب ونقد » القاهرية فى عدد يوليو ١٩٨٦ ، وكأنه يرد على صديقه الشاعر :

« أجل .. تتكاثر فى قاع نومى الافاعى ، أمد ذراعى الى كوكب فى الفضاء البعيد ، تحز البروق شرايين صدرى ، وأصرخ ، لا ألما .. صرختى شارتى أننى لا أزال على الأرض جسما وحزنا ، أمد ذراعى وأصرخ من لوعة ..

يا حبيبة عمرى نموت .. ولا لن نموت ..

أجل .. جسدى أمة .. ويدى دولة .. وفمى ثورة .. وأصابع كفى .. مزارع .. أوردتى منشآت .. جبينى مصانع .. أنفى جسور ..وساقى شوارع .. أذنى مدارس .. عينى بيوت ..

وانى اموت .. ولا .. لن اموت .. » .

« دونوا يا رفاق :

أنادى بماتنى فى تونس .. وفمى فى العراق .. وفى الشام ساقى الأخيرة .. وقلبى يخفق حيا وغضا هنالك تحت رمال الجزيرة ..

وزندى عرف البراق .. » .

« واعترف الآن :

قلبى قذيفة ! وكفى ملاك .. وروحى نظيفة .. وحزنى قبيح .. وصبرى جميل ..

ويقتلنى الصمت .. ماذا أقول ؟

ويقتلنى الذهول .. ماذا اقول ؟

« عبيد وقد ملئوا ! » .

ما أقول : لعصفورة أرهقتها العواصف .. والحسل فى العش .. والنار تحلق وجه الحقول ؟

« عبيد وقد ملئوا ! » .

ما أقول : لطفل يتيم .. وطفل قتيل .

« عبيد وقد ملئوا ! » .

ما أقول : لعمرى القصير .. وليلى الطويل » .

« حرام على السقوط تباعا على باب أسئلتى ، وحرام على طعامى ومائى اذا لم أرمم تضاريس وجهى ولم استعد شعلة الكبرياء .

حرام على ترابى .. حرام على سمائى » .

واذا ما ابتعــدنا عن لغة الشعر الى لغة النثر ، فاننا لن نبتعــد عن الحقيقة . والحقيقة التى عاشها ولا يزال يعيشها الوطن العربى ان هناك ثورة تقابلها ثورة مضادة ، وان هنــاك قــوى ثورية فى حالة اشتباك دائم ومتصل مع قــوى رجعية ــ أيا كان شكل هــذا الاشتباك وحجمه ومداه ــ وأن هناك أنظمة وطنية وأنظمة تابعة .

واليمن الديمقراطية كانت ولا تزال ليس نظاما وطنيا فقط ، وانما أيضا نظاما تقــدميا ، نظاما لا يخشى عواقب ايمانه الصريح والعلنى بالفكر الاشتراكى العلمى الذى يرى فيه نبراســه الهادى الى المستقبل السعيد والوضاء .

وهى ، تجسيدا لهــذا الايمان ، قــد انشأت الحزب الاشتراكى اليمنى الذى يتبنى هــذا الفكر ، ويعمل على تطبيقه وفق خصــوصية الواقــع اليمنى .

وهى ، انسجاما مع هــذا الفكر ، قــد رفضت لعبــــة الامساك بالعصــا من وسطها ، وادارت ظهرها لأيديولوجية البرجوازية الصغيرة بكل تلاوينها ، وأطاحت بكل ممثليها ، ناهيــــك عن ممثلى أيديولوجية البرجوازية المتوسطة .

وهى ، بتبنيها لهــذا الفكر الطبقى ــ الاممى ، لم تجــســد فيــه ما يشى بالتناقض بين ما هــو وطنى وما هــو أممى ، أو ما هــو قومى وما هــو أممى . فالمضطهدون الكادحون من العمال وحلفائهم لا يمكن أن يكونوا ــ رغم الانتماء الى شعوب وأمم مختلفة ــ الا اخــوانا بحكم المصلحة الاجتماعية ــ الطبقية التى توحــدهم ، والطموح الروحى الى الانعتاق من ربقة الظلم الاجتماعى والقومى الذ وطنى ، الذى يجمع فيما بينهم .

وفى الوقت الذى تعـد فيه اليمن الديمقراطية بالسير على طريق التوجـه الاشتراكى ، وتعمل على تحقيق وحـدة وطنها اليمنى على أسس ديمقراطية وتدعـو فيه الى وحـدة العرب القومية على أسس تقـدمية ، فانها تتاصر كل قضايا التحرر والتقـدم فى كل مكان ، وتؤكد فى الممارسة العملية صلتها الاممية الحميمة والوثيقـة بالبلـدان التى انتصرت فيها الطبقة العاملة ، وفى مقـدمتها وطن الاشتراكية الأول : الاتحاد السوفيتى •

ذلك ما أعلنته ومارسته اليمن الديمقراطية ، وما خاضت من أجله معارك طبقية ووطنية وأيديولوجية حاسمة ، تمكنت بها من أحباط كل محاولات التطاول على سيادتها الوطنية وخيارها التاريخى ، وتمكنت بها من التطويح باليمين الانتهازى واليسارى الانتهازى •

فعلام يستند اذن القول بأن الوضع فى اليمن الديمقراطية لم يعد يميزه شيء عن الأوضاع فى البلدان التقليدية أو الأوضاع فى البلدان التى ذهبت فيها الثورة ؟

أعلى ما حـدث فى ١٣ يناير ١٩٨٦ نتيجة لمؤامرة ١٣ يناير وما نجم عنه من أضرار مادية ومعنوية واجتماعية وسياسية ؟

ان ما حـدث كان عملية خروج على منطـق الشرعية الحزبية والدستورية ، حيث احتكم أحـد أطراف الصراع فى الحزب والدولة الى السلاح فى حل خلافه السياسى مـع الطرف الآخر ، وبذلك انفتح الباب واسعا أمام عملية صراع مسلح واسعة وهائلة كان يمكن أن تؤدى بالحزب والدولة والثورة ، وتفسح المجال لعملية تدخل خارجى تأتى على الأخضر واليابس ، وتسلم البلاد الى الاستعمار الجـديد وركائزه المحليـة •

أما لماذا لم يحدث ذلك — رغم التضحيات والخسائر والدمار والمآسى — فان ذلك يعود بالضبط الى أن نبض الثورة لم يتوقف — وما كان فى الامكان أن يتوقف — والى أن جذور نظامها التقدمى كانت قد غاصت فى باطن الأرض — وما كان من السهل اقتلاعها — والى أن مؤسسات الثورة الحزبية والرسمية والعسكرية والجماهيرية كانت قد ترسخت — وما كان يسيرا تحطيمها — •

وهذا الخروج على الشرعية الحزبية الدستورية بكل ما أدى اليه من أضرار بسمعة الحزب والنظام والتجربة الثورية ، وبكل ما عكسه من ظلال على أوضاع حركات التحرر والتقدم فى المنطقة العربية ، وبكل ما أحدثه من انزعاج وقلق لدى الحلفاء والشرفاء فى العالم كله ، وخاصة لدى المنظومة الاشتراكية ، وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى — هذا الخروج قد لقى الشجب الصريح ، كما لقى التقييم الدقيق ، من قبل هؤلاء جميعا •

فوفد الأحزاب الشيوعية العربية الذى زار عدن ما بين ٩ — ١٥ يونيو ١٩٨٦ ، أكد فى البيان المشترك مع الحزب الاشتراكى اليمنى « ان الأحزاب الشيوعية والعمالية فى البلدان العربية ، وقد اطلعت على ما تعرض له الحزب الاشتراكى اليمنى والنظام الوطنى التقدمى فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فى الثالث عشر من يناير ١٩٨٦ ، تشجب الأسلوب الدموى باستخدام السلاح لحل الخلافات الحزبية ، والذى ذهب ضحيته كوكبة من قادة الحزب الاشتراكى اليمنى ، وفى مقدمتهم الرفيق المناضل الشهيد عبد الفتاح اسماعيل ، وتعبر عن آلمها الشديد لما وقع ، اذ أنه لم يؤد فقط الى اضعاف الحزب الاشتراكى اليمنى ودوره البارز فى صفوف حركة التحرر الوطنى العربية فحسب ، بل واضعاف مواقع التقدم فى المنطقة بكاملها » صحيفة ١٤ أكتوبر ١٦—٦—١٩٨٦ م •

وجريدة « الازفستيا » الناطقة باسم الحكومة السوفيتية تنشر في ٢٠–٧–١٩٨٦ مقالا سياسيا هاما بمناسبة وصول وفد سوفيتي كبير في ذات اليوم الى عدن قالت فيه « وخلال الأعوام الأخيرة لم يتحقق في قيادة الحزب والدولة النضال المرجو بصدد تذليل النزعات السلبية التي نضجت في الحزب الاشتراكي اليمني ، وزادت تفاقما نتيجة لتجاهل مبادىء الروح الجماعية والديمقراطية الحزبية الداخلية وغلبة الصلات الشخصية والقبلية .

وفي يوم ١٣ كانون الثاني — يناير ١٩٨٦ تحولت الخلافات في القيادة الى محاولة للتخلص وفق الأساليب القسرية من قبل قسم من الشخصيات القيادية في الحزب والدولة . وبالنتيجة وقعت اليمن الجنوبية في هوة الازمة السياسية ، ودارت في عدن ومدن أخرى اصطدامات مسلحة قتلت أثناءها شخصيات بارزة بعضها أعضاء في المكتب السياسي واللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني ، ولحق ضرر جسيم بمجال الانتاج المادي والجيش . وهاجر بضعة آلوف من اليمانيين المغرر بهم والمضللين من البلاد وبشكل رئيسي الى اليمن الشمالية . وفر من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية أيضا علي نصر محمد الذي كان على رأس الحزب والدولة » .

بل ان الصحيفة السوفيتية تذهب مدى أبعد ، فهي لا تشجب أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ فحسب وانما تدين أيضا الأوساط الاستعمارية والرجعية ، وعلى رأسها أوساط المخابرات الأمريكية ، التي تعمدت تشويه حقيقة ما جرى وطمس أسبابه ، والنيل من النظام الديمقراطي الثوري نفسه ، اعرابا عن حنقها الشديد لان هذه الأحداث لم تؤد الى وأد التجربة الثورية ذاتها : « واستغلت قوى الامبريالية والرجعية هذه الأحداث بمثابة الاشارة الى العمل لغرض التشهير بتجربة البناء التقدمي في اليمن الديمقراطية وتقويض النظام القائم هناك .

وشددت النبرة فى الحملة المعادية لليمن الديمقراطية الخـدمات الخاصة الأمريكية وشخصيا رئيس وكالة المخابرات المركزية كيسى الذى لم يدخر وسعا فى تشويه الأسباب الحقيقية وطابع ما يجرى فى اليمن الديمقراطية • ولهـذا ليس من الصـدفة أن واشنطن لم يكن بوسعها ستر خيبة الامل عند تكوين قيادة جـديدة للحزب والدولة وعـدم اعلان التراجع عن نهج البلاد المستقل والتقـدمى فى السياسة الداخلية والخارجية وتمسكها بمبادىء عـدم الانحياز والتضامن العربى » (نقلا عن وكالة أنباء عـدن ، ٢١ـ٧ـ١٩٨٦ م) •

ومثل هـذه الاشادة بسياسة التضامن الامى والتآزر القومى ، والتحالف الثورى ، والتعايش السلمى ، وحسن الجوار ، التى سـار عليها الحزب بدأب واستمرار بعـد الأحـداث تضمنها أيضـا بيـان الأحزاب الشيوعية الآنف الذكر : « وتشيد أحزابنا بالنهج السياسى الخـارجى للحزب الاشتراكى اليمنى وجمهورية اليمـن الديمقراطية الشعبية القائم على تعزيز أواصر الصـداقه مـع الاتحـاد السوفيتى وبلدان المنظومة الاشتراكية ومع الدول والنظم التقـدمية العربية ، والمستند الى علاقات التعاون مع دول المنطقة على أساس حسن الجوار واحترام السيادة وعـدم التدخل فى الشئون الداخليه واحترام رغبـة شعوب المنطقة فى اختيار تطورها والعمل على اخلاء المنطقة من كافـة أشكال التواجـد الامبريالى والنفوذ الاستعمارى ، ومن أجل سيطرة شعوبها على مقـدراتها وثرواتها الطبيعية والحفاظ على الأمن والاستقرار اللازمين لتقـدم وتطور بلدان وشعوب المنطقة » (صحيفة ١٤ أكتوبر ١٦ـ٦ـ١٩٨٦ م) •

واذن فليست هناك لوحة حالكة السواد للوطن العربى ، ولا هاوية ذات شق مفتوح من طنجة الى عـدن ، وانما هناك معركة مفتوحة بين قـوى التقـدم وبين قـوى التأخر ، بين قـوى التحـرر العربية

المسنودة من قبل قــوى الثورة العالمية ، وفى مقــدمتها بلدان المنظومة الاشتراكية ، وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى ، وبين قــوى الرجعيــة والردة المدعــومة من قبــل كافة القــوى الامبرياليه ، وفى مقــدمتها الامبريالية الأمريكيه •

واليمن الديمقراطية ، وان كانت تشغل من الناحية الجغرافية موقعا من مواقع الأطراف فى بلاد العرب ، الا أنها من الناحيـــة الثورية ، تجاسرت على أن تكون الرائد المكتشف لطريق العرب الى المستقبل •

والمعارك والمحن التى واجهتها وستواجهها تعود بالضبط الى هذا الدور الصعب الذى ندبت نفسها له ، وكلفت نفسها حمل أعبائه •

ولكن هــل لاقى الرواد والمكتشفون الجغرافيون والاجتماعيون والثوريون عموما سوى المصاعب والمتاعب غير المسبوقة قبل أن يصلوا الى بغيتهم ويحصلوا على لقب الاستحقاق كرواد ومكتشفين • ولكم خيبت اليمن الديمقراطية من ظنوا بها الظنون ، وتصوروا أنها جشمت نفسها عبئا ثقيلا ينوء به كاهلها ، وأرادت اقتحام العقبة وما ادراك ما العقبة ! عقبة التخلف التاريخى المهول ، وعقبة المؤامرات الداخليـــة والخارجية المطبقة •

وعندما كانت اليمن الديمقراطية تقتحم فى سيرها النضالى المتصاعد والدائب منعطفا ثوريا جــديدا كانوا يتوهمون أو يأملون أن يتحــول الى منزلق ، وعندما كانت تقفز الى رأس حالق كانوا يعللون النفس بالمنى بأنها ستسقط منه لا محالة ، وعندما كان يسقط جناح فى التنظيم جناحا آخر كانوا يقولون : ها هى ثورتهم المراهقة تفقد أجنحتهــا جناحا بعــد آخر ، وبعــد حين لن تقــوى على التحليق ، ولن تملك الا الوقوع على الأرض ، حيث تنتظرها السكين !

ولكن اليمـن الديمقراطية كانت دائمـا تسقط المراهنـات تلـو المراهنات ، وتفسد جميع الحسابات والتكهنات ، وتنطلق من منعطف الى منعطف ، وتقفز من حالق الى حالق ، وتكتسب عبر تحليقها فى أفق الثورة ريشا جـديدا ، وقوادم جـديدة •

نعم •• ربما مرت باليمن الديمقراطية كوارث « يشيب من هولها الولدان » وتتنكسر لهـا الظهور العصية ، كأحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ وما تلاها من حرب أهلية بدأ أنها لن تبقى ولا تذر •• لا الحزب •• ولا الثورة •• ولا الجيش •• ولا الشعب ، وان كل ما أنجزته الثورة وكل ما قـدم من أجل الشعب سيتبدد هباء ، ويغـدو أثرا بعـد عين •

أن تخرج اليمن الديمقراطية من هول الكارثة — رغم كل ما خلفته من جراح وآلام ودمار — دون أن تفقـد نفسها ، وحزبها ، ونظامها وثورتها ، وجيشها ، وشعبها ، فان ذلك هـو البرهان الذى لا برهان بعـده بأنها ذات تجربة ثورية أصيلة عميقة غير قابلة للامحاء أو الزوال ، وأنها خيط متين فى نسيج العصر ، ونبض حى فى حبل وريد الثـورة العالميـة •

نظـــرة سريعـــة
فى بعض ما كتب حــول مسار
الثــورة فى اليمــن الديمقراطية
بعــد أحــداث ١٣ ينـــاير ١٩٨٦ الدامى(*)

كما دخلت اليمن الديمقراطية تاريخ العرب المعــاصر باعتبارها صاحبة أجرأ تجربة ثورية على الاطلاق ، فأنها دخلته باعتبارها صاحبة أعنف تجربة ثورية •

ودور العنف فى التاريخ معترف به • وهــو كما قــد يلعب دورا تدميريا حتى لحضارة بكاملها ، اذا ما ساعدته على ذلك شروط معينة ، فانه يمكن أن يساعد على خلق أو تثبيت بنية اجتماعية جــديدة رغم كل ما قــد يرتبط به من مأسى انسانية •

وثورة ١٤ أكتوبر فى جنوب اليمن واحــدة من الثورات الوطنية التحررية المعاصرة التى كتب عليها أن تولد وهى تنزف وألا يتوقف نزيفها حتى يستوى عودها ، ويكتمل بنيانها ، ويشمخ صرح نظامها التقدمى ، ويغــدو محصنا ممتنعا على كل القلاقل والزوابع الداخلية والخارجية •

(*) نشرت فى صحيفة « صوت العمال » فى عدة اعداد بعد الأحداث .

فبدون العنف الثـــورى المسلح ما كان ممكنا خروج المستعمر البريطـانى •

وبدون العنف الثورى المنظم ما كان ممكنا اسدال الستار على اليمين الانتهازى والقيام بحركة ٢٢ يونيو التصحيحية ١٩٦٩ التى فتحت الطريق لقلب بنية المجتمع التقليدية والمشوهة ، وللشروع فى صـياغة المجتمع التقـدمى الحـديث •

وبدون مواجهة العنف الديكتاتورى لليسار الانتهازى — الذى كان قـد تحول الى يمين انتهازى — بعنف ثورى مسلح ومنظم ما كان فى الامكان أن تواصل الثورة مسيرتها الديمقراطية ولا أن يقوم الحزب الطليعى القائد لها : الحزب الاشتراكى اليمنى •

وبالمثل يمكن القول أنه ما كان ممكنا أن تستقبل مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ الدموية بغير العنف الثورى المسلح والمنظم الذى ربما فاق فى قـوته واتساعه ومداه كل عنف سبقه ، نظرا للتراكمات والتفاعـلات الحادة والمتنوعة التى ظلت تغلي وتحتدم ويتصاعد منها البخار ، دون أن يبـذل جهد كاف وشامل لاحتوائها والتحكم فيها وتفريغها من شحنتها المنذرة بالتفجر والاشتعال •

هـذه المبارزة الدامية وغير المسبوقة فى تاريخ الثـورة ، والتى نزف خلالها من الدماء ودمر من العمران فى أسبوع من الزمن ما لم يحـدث مثله خلال تاريخ الثورة كله — هـذه المبارزة أوحت للبعض بأن ذلك لم يكن مجرد صراع بين جناحين فى الحزب حـول مسار الثورة وانما عـودة كاملة الى حروب القرون الوسطى بكل ملامحها القبليـة والهمجية ، وبكل تقاليدها فى الشجاعة والفروسية ، وأنه لا يميزها عن هـذه الحروب القـديمة الا استخدامها لأسلحة الحرب الحـديثة •

وهى مقارنة قـد يغرى بها واقع أن المجتمع فى اليمن الديمقراطية لم يمزق نهائيا شبكة العلاقات التقليدية الموروثه عن المجتمع الاقطاعى وما قبل الاقطاعى وأن النزعة الفئوية والمحلية والاقليمية المغلقـة التى يخلفها عادة مثل هـذا المجتمع التقليدى — ولا سيما فى غياب دولة مركزية حتى ولو اقطاعية — لم يقض عليها نهائيا ، وأن عملية تحـديث المجتمع وتعميق روح المواطنة وروح الوحدة الوطنية وترسيخ أعمدة الدولة المركزية الحـديثة الوطنية الديمقراطية عملية تاريخية كاملة لم تستكمل بعـد ، وأن « الميت يمسك بالحى ! » طيـلة فترة الانتقـال التاريخية هـذه ، وان الثورة — أى ثورة — لا تعانى من مشاكل النمو فحسب ، وانما من مشاكل التخلف أيضا ، وان تحطيم عادات وقيـود وأيديولوجيات المـاضى لا يتم دفعة واحـدة ، تماما كما أن عقبـات الحاضر لا يتسنى تذليلها بين عشية وضحاها •

ذلك ما نبه اليه ماركس أيضا : « وفضلا عن بلايا العهد الراهن ، نكابد جملة من البلايا الموروثة ، الناجمة عن كون أساليب الانتـاج القـديمة التى ولى زمنها ، ونفـذ مفعولها ، والعـلاقات الاجتماعية والسياسية الشائخة المطابقة لهـا لا تزال بالكد قائمة • فنحن لا نعانى من الأحياء وحسب ، بل من الموتى أيضا •• (الميت يمسك بالحى !) » (انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ٢ ، الجزء ١ ، دار التقدم ، موسـكو ١٩٨١ ص ٩٩) •

ولكن القـول بذلك شىء ، وتصور أن اليمن الديمقراطية لم تخرج من رحم المجتمع القـديم شىء آخر •

ووفقا لهـذا التصور المغلوط الذى يستند الى أحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ وما قادت اليه فأن اليمن الديمقراطية لم تغادر عهد البـداوة والجاهلية وعهد الملوك الصغار وشيوخ القرى الذين يدافع كل منهم عن

منطقة نفوذه واوتوقراطيته وانغلاقه ، وأن أحداث ١٣ يناير وما ترتب عليها هى ترجمة لهـذا الوضع ، وتعبير عن هـذا العهد ، وان اليمن الديمقراطية كشفت بذلك عن واقع انها ليست وارثة حضارة يمنية تليدة وان أبناءها ليسوا من نسل أولئك اليمنيين القـدماء العظماء الذين بنـوا هـذه الحضارة ، وان مفـاهيم الثـورية واليسارية واليمينية لا تصح عليهم .

ذلك ما يقوله أيضا وأحـد من شعراء اليمن المعروفين : محمـد الشرفى ، فى قصيدته : « عـدن .. الكارثة .. والسؤال الكبير » التى نشرتها مجلة « اليمن الجـديدة » الصنعانية فى عـدد يوليو ١٩٨٦ ، ص ١١٨ ـ ١٣٠) والتى نجتزىء منها الأبيات التالية :

« ولسنا كما قيل من سبأ أو معين
وان الذى جاء فى جبة الأنبياء
ومن جاء فى بزة المصلحين
ومن يدعى انه فى اليسار
ومن يدعى أنه فى اليمين
ومن قال : نحن مـع الكادحين
ومن قال : أنا مـع الثائرين
تساووا جميعا .. على أنهم
دمى كالدمى .. فى يد اللاعبين »

هـذه النظرة السوداوية المسرفة ليست مجرد حالة شعورية تملكت الشاعر تأثرا لمشهد الدماء الذى تفننت الاذاعات والصحف خارج اليمن ـ وبالذات فى الغرب والبلدان السائرة فى فلكه ـ فى وصفه الى حـد تصوير أن اليمن الديمقراطية تحـولت الى بلـد للأشباح والنسور والوحـوش وهوام الأرض .

وهى ليست مجرد شطحة من شطحات الشعراء المرهفى الحساسية الذين لا تتيح لهم حساسيتهم هذه تأمل الأمور من جديد فى روية وتؤدة ، ومحاكمتها محاكمة عقلية . واستبصار جانب الصواب من الخطأ فيها . ومعرفة دور كل من الظروف الموضوعية والذاتية فى حدوث ما حدث ، وتحديد مسئولية قوى التقدم والخير فى تقويم وتصويب المسيرة الثورية ، وفى التنبيه الى مكامن ومظان العلل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأيديولوجية والتنظيمية التى تسببت فى الاضطراب المأساوى الذى منيت به البلاد .

فهى نظرة أيديولوجية — كأى قول صيغ شعرا أو نثرا — يصح عليها الصواب والخطأ .

والأيديولوجية — أية أيديولوجية — هى تعبير عن مصالح وأفكار وحتى أوهام هذه الطبقة الاجتماعية أو تلك ، أيا كان الثوب الذى تظهر فيه ، حتى لو كان حلة قشيبة من الفن .

والارتكاز الى ما صاحب أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ من خشونة وقسوة ، وغلظة وفظاظة وفظاعة لتجريد شعب بكامله من قيم الثورة والثورية والخير والصلاح والاصلاح والرغبة الصادقة فى انتشال أبنائه من براثن التخلف والظلام والتبعية ، وانطلاقة وطنه فى طريق الحضارة والحداثة والتقدم والديمقراطية والاشتراكية والرخاء والسعادة ، ومن ثم انكار ان يكون هنالك يسار ثورى يواجه يمينا رجعيا ، أى انكار أن يكون هنالك تمايز اجتماعى بين الناس ، ينجم عنه صراع طبقى محتم بينهم . وتصوير أن اليسارى مجرد دمية يلعب بها الشرق ، شأن اليمينى الذى يلعب به الغرب — أقول أن الارتكاز الى هذه الأحداث لرسم مثل هذه الصورة اليائسة الكالحة المثيرة للنفور والتقزز والاحتقار للنفس والشعب والوطن والحياة وكل القيم الرفيعة لا يمكن أن تكون صادرة عن رؤية سليمة . ووجدان صحيح ، وضمير معافى .

ورؤية كهـذه ـ أيا كانت الدوافع والنوايا ـ لا تفيد منها غير قـوى التخلف والظلام التى مما يتفق مع مصالحها ورغبتها فى أن تظل هى السائدة انكار أن تكون هناك قـوى ثورية فى مواجهتها تعمل على احلال العـدل مكان الظلام ، والخير على أنقـاض الشر ، وعلى اشاعة أنوار الحرية والديمقراطية فى حياة الناس ٠

ويبدو أنه كان قـد استقر فى يقين الشاعر الشرفى حتى من قبـل أحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ بعام كامل أن معادلة قاتل أو مقتول هى التى ستسود فى اليمن الديمقراطية ، وأنه ليس هناك أو لم يعـد هناك مكان فيها لكل ما أعلنته من مبادىء وشعارات ثورية يجرى الصراع عليهـا وبسببها ٠

فهو يقـول فى ص ١٣٠ من ذات المجلة أنه كان قـد تنبأ منذ أوائل عام ١٩٨٥ فى قصيدة له بحـدوث ما حـدث فى ١٣ يناير ١٩٨٦ ٠

وممـا يلفت الانتباه أن رئيس تحرير مجلة « الحكمة » فى تعليقه على أحـداث يناير هـذه لم يكتف بالتذكير بنبؤة الشرفى هـذه وبأيراد بعض الأبيات المتنبئة بأن منطق الحرب القبلية هـو الذى سيسود منذ الآن فى اليمن الديمقراطية مزيحا من أمامه كل منطق حضارى أو عصرى أو ثورى ، وانما هـو يسجل للتاريخ أن تلك لم تكن نبـؤة الشرفى وحـده ، بل انهـا ليست محض نبـؤة ، وانما هى قناعة تولدت بعـد نقاش ودراسة لمجريات الأحـداث فى اليمن ٠

يقول عمر الجاوى فى تقـديمه لأبيات الشرفى الآنفة الذكر والتى سنوردها حسبما أوردها :

« الحق يقال ٠٠ أننا كنا ، وحرب بيروت أو لبنان تضع أوزارها ، قـد ناقشنا هـكذا ، وبالنص ، أن بلادنا اليمـن ، كل اليمـن ، هى

« العرضة » المهيأة لتخطيط حرب القبائل والطوائف .. ولكن ، والأمر
نائم ،رددنا نفس العبارات عن الشعب « الحضارى بطبعه » ، وركنا
لى التاريخ ، باعتبار أننا لسنا « لبنان » ، ورغم ذلك كان للشعر وضع
آخر فى قصيدة الشرف « الحكمة » العدد ١١٨ يناير ١٩٨٥ م .

(٢)
واخشى بأن يصبح القتل كالخبز
فوق الموائد
وأن يتوزع كالعطر للسامرين
ومثل بخور المساجد
ونلقاه فوق كراريس أطفالنا
ونشهده فى زوايا البيوت
وخلف المراقد

* * *

(٤)
أخاف بأن يصبح الموت والقتل مثل الهواية ..
بين التآخى وبين الأخوة
وكالنار فى كف ابليس
يحترق الأهل فيها
ويحرق دفء الأمومة فيها
ونبض الأبوة .

* * *

فلا صلة فى ازدحام الجروح
سوى هوة الثأر هوه
أخاف على الأرض أن تستحيل

ركاما من الجهل والأسلحة
وهذا الوباء الجديد
هو الحاكم المتسلط •• والحكم ••
والصفقة المربحة » •

(الحكمة ، مايو ١٩٨٦ ، بعد الذى صار ، ص ٣ — ٦) •

ومن مقالة « الصحافيون اليمانيون •• الى أين » الذى نشرته « الحكمة » فى عدد يونيو ١٩٨٦ يتضح أن الجاوى لا يرى أن هناك مسيرة ثورية مرت بمنعرجات فى اليمن الديمقراطية ، وأن هذه المسيرة لا تبرح فى تصاعد مستمر متجاوزة انحرافات اليمين واليسار الانتهازى ، وكل المآسى التى تسببت فيها أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ ، وانما هناك تسلط على كل المستويات ، بما فيها المستوى المهنى ، ظل يمارس عبر عهود اليمين الانتهازى ، واليسار الانتهازى ، والزمرة ، والزمرة الجديدة •

وهى نظرة عدمية تعكس موقفا أيديولوجيا ثابتا تجاه الثورة ذاتها •

وحسب صيغته فأننا قد « رأينا منذ ايقاف لهيب ١٣ يناير المشئوم أن النار لم تخمد بعد ، وأن المد فى عدم ممارسة الديمقراطية يقدم فيضا من الوجوه القابلة للتسلط وتنفيذ القرارات الهوجاء دون التفلات واحترام الشرعية مهما كانت » •

والديمقراطية لا تمارس — حتى فى المجال المهنى — لا من قبل ولا من بعد ، حيث يشكل كل شىء من أعلى ، كما حدث بالنسبة للجنة التحضيرية للمؤتمر العام الرابع الاستثنائى لمنظمة الصحفيين الديمقراطيين اليمنيين • « ان الشك يكمن فى الطرق التعسفية التى تم

بها التشكيل . مفترضين أن اليمين واليسار الانتهازى والزمرة قد كانوا يفرضون علينا من أعلى مثل هـذه التشكيلات .. فما بالنـا نمارس شيئاً غير قانونى ولا شرعى . وكما لو أننا زمرة من طراز جـديد » .

مما يثير العجب أن شاعرا مسنا وكلاسيكيا وتقليـديا فى نظرته السياسية وفى منحاه الفنى مثل محمد سعيد جرادة لم يقابل أحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ ولا مسيرة الثورة بمثل هـذه النظرة العـدمية ، رغم انفعاله الحاد بما خلفته أحـداث ١٣ يناير الدامية من مآسى مفجعة ، ورغم تسميته هـذه الأحـداث بأنها كانت « مسبعة ١٣ يناير » وهى التسمية التى عنون بهـا قصيدته التى نشرتها صحيفة « ١٤ أكتوبر » فى ١٤—٣١—١٩٨٦ .

فهو بعـد تصويره الطابع الدرامى والوحشى لهـا يختمها بالدعاء والابتهال بأن يعود كل شىء الى ما كان عليه ، وتسير الحياة فى البـلاد سيرتها الطبيعية الهادئة ، ويعود الربيع . وتعود البلابل الى الغناء ، والطيور الى أوكارها ، والمياه الى مجاريها ، وتعم الخضرة الأرض كلها :

« أتينا اليـكم من المسبعة نمثـل أدوارهـا المفجعـه
قطعنـا مسـافاتها الحالـكات على ألسن اللهـب المشرعـه
على جثث كـومت فى الطريق تـلالا تبث الرؤى المفزعـه

***

بلادى احترقت بنـار الخـلاف سحقا وبعـدا لمـن وسعـه
بـلادى تألقـت عشرين عـاما وكنت جميلتـه المونعـه
تصرم عقـدان صفت الحيـاة بينهمـا صـورة مبدعـه
أفى سـاعة دك ذاك البنـاء ما كان أعـلاه ما أرفعـه

مشيت على ظهر أرضى الخراب أذرف أدمعــى الطيعــه
ألوف بنيها ثووا فى القبــور فى ليــل مأســاتها الموجعــه
جســومهم بعثرت فى الطـريق عصــفا ، تنــاثره زوبعــه
وبعض لقــوا حتفهم فى البيوت موضــع أمنهم والدعــه
فلست تفــرق تحــت الحرائق بــين الهيــاكل والأمتعــة
وكم حامل وضــعت حملهــا وريعت بمــولدها مرضــعه
سأبكى بــلادى وأدعــو لها بعــود ربيعــاتها الممرعــه
وعــود عصــافيرها للفنــاء وعــودة المياه الى المزرعه »

على أن ما ننتظره من شاعر حديث وكاتب تقدمى ليس مجرد حسن تصوير المــأساة فنيا ، ولا الدعاء والابتهال بأن يصلح الله الأحــوال • وانما النفاذ عبر سحب الظلام ، وعبر غبار المــأساة الى الأفق البعيد الذى يظل مضيئا دائما ، طالمــا كانت الأبصار شاخصة نحــوه ، والقــوادم طائرة فى اتجاهه •

وأيا كان هــول الكارثة ، ومهما كانت فداحــة وجسامة الآثار الانسانية الاقتصادية والاجتماعية والنفسية التى خلفتها ، فانه ليس بامكانها أن تقتل مخيلة الشاعر الأصيل الذى يتمتع أكثر من غيره من الناس العاديين برؤية ما هــو أبعــد من مشهد الدماء والجماجم والركام والأنقــاض •

قــد تصاب مخيلة الشعراء ــ حتى ولو كانوا من الخلاقين المبدعين ــ بشىء من الخلل أو التوقف فى لحظة ما رهيبة ، غير أنهم لا يلبثون أن يستعيدوا أنفسهم ، ويستعيدوا معها مخيلاتهم الشاعرية النفــاذة المتطلعة دائما الى الغــد ، المستشرفة ابدا لآفاق المستقبل ، الدافعة باستمرار للامل والتفاؤل ، الملهمة للنضال وحب الحياة وكل قيم الخير والحــق والعــدل والجمال •

من حق الشعراء والكتاب والأدباء والمؤرخين ان يصوروا أحداث ١٣ يناير وما نجم عنها ، وان يؤلفوا فى ذلك الملاحم التراجيدية . الشعرية والنثرية وان يدبجوا المقالات ، ويكتبوا البحوث ، ويضعوا الكتب . وهم ان لم يفعلوا ذلك — أو لم يستطيعوا فعل ذلك اليوم — فلسوف يفعلونه غدا ، عندما تكتمل أدواتهم . وتكتمل معها معرفة حجم ما جرى على أرض الواقع .

ولكن فى جميع الأحوال لابد أن يفرض الصدق الموضوعى والتاريخى والفنى نفسه على كل واحد منهم .

ورغم الطابع المأساوى الجاد لهذه الأحداث فانها ستقدم الدرس والعبرة ، وستساعد فى تربية اجيال بكاملها . وستفجر طاقات جبارة للخلق والبناء .

وحتى يحدث ذلك فاننا لا نملك الا أن ننظر ما كتب حتى الآن — على الأقل فى مضمار الشعر — بأنه لا يعدو أن يكون حالة تأثر لحظية تشبه أنّة أو حتى صرخة من أصابته طعنة مفاجئة لم يملك حيالها سوى اطلاق حنجرته بالأنين والصراخ .

ولكن لغة الحناجر ، لغة الأنين والصراخ ، والولولة والندب ، والتفجع والتمزق ، ستحل محلها — حتما — لغة المحاكمة العقلية الباردة لما حدث ، لغة الدرس المستبصر المتمعن المستخلص للحكمة التاريخية من قلب الفجعية ، لغة المناضل المتزود بذخيرة نادرة من صنع تاريخه : لا تساعد على ترشيد خطاه وحده ، وانما تساعد كل المناضلين الذين يمرون بظروف تاريخية واجتماعية مشابهة أينما كانوا ، وأيا كان الوطن الذين ينتمون اليه .

ولربما مثلت قصيدة الشاعر اليمنى الكبير عبد الله البردونى التى نظمها فى شهر المـأساة ، والتى حملت عنوان « فنقلة النار والغموض » والتى نشرتها صحيفة « ١٤ أكتوبر » فى عـدد ٢٢ـ٩ـ١٩٨٦ حـالة وسطا بين لغة الخناجر ولغة العقل ، بين لغة التفجع لمـا حـدث ولغة التأمل لمـا سيحدث ، بين لغة الوضوح ولغة الغموض •

وهى بهـذه الصفة البينية تشكل خطوة متقـدمة بالنسبة للقصائد الآنفـة الذكر ، وتنطـوى على شىء من الامل والتفاؤل المبطن فى أن ما حـدث رغم هـوله ورغم كل دواعى التشاؤم والاحباط واليأس التى استثارها معه فى الامكان تجاوزه ، اذا ما اتخـذ عبرة ودرسا غير قابلين للنسيان أو الاهمـال •

اتخـذ البردونى أسلوبا مبتكرا فى محاولة استجلاء ما حـدث والتكهن بما سيحدث • صب أسئلته المتفجعة الموجعة على المدن والمواقع التى دارت فيها المعارك ، وعلى الأماكن الأثرية والتاريخ اليمنى ، وانتظر منها جميعا الاجابة ، فى الوقت الذى تدخل فيه برأيه بحـذر بالـغ وحرص شـديد •

ساءل « خورمكسر » و « المعلا » عن سر العـدول عن لغة الحوار السياسى الى لغة الحوار بالرصاص ، ساءلهما مساءلة نقـدية متفجعة ، كما ساءل « معاشق » بذات اللهجة وبذات الخوف من أن يكون للمسلسل الدامى بقايا وذيول ، ومشاهد وفصول ، بل وتلال أخرى من نجيـع الدماء والجمـاجم •

جبال وسيول من الأسئلة أثقلت وابهظت كاهل البردونى رمى بعضا منها على « دار سـعد » و « الشيخ عثمان » و « صـيرة » و « كـريتر » و « عـدن » كلها ، بل وعلى « سبأ » ذاتها ، وعلى مجمل تاريخ اليمن .

عله يعثر على جواب مفيد مقنع مطمئن تسكن اليه نفسه ، ويرتاح به ضميره ، ويذهب عنه الروع على مصير البلاد •

ترك للأماكن والمدن والساحات التى دارت فيها المعارك أو انطلقت منها كتائب النجـدة حـق الافصاح عن روح الاستبسال والاستقتال التى ردت بها على ضربة ١٣ يناير المفاجئة المذهلة •

فعنـدما يســائل :

« **من شـب يا « عـدن » اللظى ؟** » •

تجيب عليـه « عـدن » :

قالوا : أموت ، فقلت كلا : كلا •

ولأننى بنـت الصـراع فلسـت أمـا لـلأذلاء
ما كـان مقـلوا من الفـازى مـن الأهـلين أقـلى

*** * ***

صـمت ألا نحـنى اذا عكست البعـد قبـلا

*** * ***

جـاؤوا الى وجئتـهم نـارية العـزمات عجـلى
جـادوا بأرعـاد المنـون وجـدت ارداء وبـذلا »

بل ان البردونى يترك لمواقع وساحات الصـدام وللكتائب المنتصرة فى الحرب لا حق الدفاع عن روحها المستقتلة المستبسلة فحسب ، وانما أيضا حـق اعلان أن ذلك ليس مجرد نصر عسكرى ، وانما هـو نصر

سياسى ، بل ونصرى ثورى ، ونقلة نارية ، لابد أن تتحول الى نور ثورى غامر يضيىء آفاق المستقبل •

هكذا يدور الحوار بينه وبين « دار سعد » :

« ماذا تلاحظه هناك ؟ تحولا ما زال طفلا
أتراه حسما ؟ ربما بدء الربيع ينث بقلا »

وهكذا يدور الحوار بينه وبين « الشيخ عثمان » :

« يا شيخ عثمان » استجب ماذا ترى ؟ أرجوك مهلا
« صنعاء » مفعمة بما أججت ، كيف تكون أحلى !
وصداك قهوة « لاعة » قات « الحديدة » و « المصلى »

***

أنا لست مذياع الخليج أرقع البالى بأبلى
أغبى الكلام هو الذى يبدى أوان الجد هزلا
من أين أخبر ، واللهيب أمد من نخل « المكلا »
من مهرجان النار تصعد ثورة أبهى وأحلى »

أما « صيرة » التى شهدت المعارك التاريخية فلم يعد يخيفها شىء ، وهى لا ترى فى ما حدث مدعاة للهلع ، فهو لا يعد أن يكون احدى المعارك المتوسطة الحجم ، وهى لن تكون خاتمة المعارك ، بل لربما كانت بداية جديدة • واذا كان ما رآه الشاعر مثار فزع . فهو فى عينها حفل بهيج • والبحر من حول « صيرة » الذى شهد معها معارك التاريخ يلقى بشهادتها الى جانبها :

« لم لا أســائل « صــبرة » ؟ ســتزيد من ، لــكن ، والا
وتــرى الطفــور توســطا وتــرى النهــاية مســتهلا
وتقــول : مــا ســميته روعــا : أنا أدعــوه حفــلا

* * *

أتــرى طــلاوة صــوتها ، يا بحر ؟ أم رؤياك أطلى ؟
عنهــا أعــى ســفرا بعينيهــا ، بزدنيهــا ، محلى »

* * *

وفى ذات الاتجاه تصب اجابات « جولدمور » الذى يسخر ممــا رددته اذاعة لندن عن سير المعــارك وعن أن عــدن تحولت الى مدينة أشباح وان كل شيء تحــول الى هشيم تذروه الرياح • فتلك اقاويل عــدو كان يبسط يده ذات يوم على عــدن • وبعــد أن قــزمته حرب التحرير التى شنت ضــده حتى أخرجته خاسئا مدحــورا ، لم يعــد يملك الا صناعة تشويه الثورات الوطنية التحررية المنتصرة :

« يا جــولدمور » اجــابة : ما زالت اللحظــات حبــلى
أسمعت « بى بى سى » وهــل هــذا سوى بــوق تســلى ؟
هــذا « البعوض » وشيء اليه وذلك « الزنبــــور » أدلى

* * *

أولئــك الغــازون ولــوا والتــآمر ما تــولى
كانــوا تماســيحا هنــا وهنــاك يرتحــلون قمــلا

* * *

قل عن هنا : ماذا اعتراه ؟ وما الــدى بالأهــــل حــلا ؟
الســـاعة الخمســــون — مثل الساعــه العشرين — وجـلى
مـــاذا نـــرى يبــدو غـــدا ؟ بدء الصعود ٠٠ سقوط قتلى »

كل الساحات والمواقع تنطق بلسان واحـــد : ان ما حـــدث كان عراكا ضاريا حتى ولو كان بين ابناء البلد الواحـــد ، وان الدى تسبب فى ذلك هـــو الذى اشعل عـــود انقلاب ، وقـــدح حجر النار •

فحتى مدينة « كريتر » التى صـــقلتها حرب التحرير والتى لم يصبها الا بعض شظايا الحرب الأهليه لــ ١٣ يناير ١٩٨٦ تتحـــدث بنفس اللهجة القوية الواثقه المنتصرة والقادرة على خوض المزيد من المعارك اذا ما اقتضى مجرى الأحـــداث ذلك :

قـــولى « كريتر » ما هنـــا ؟ التصف ، أم عينـــاك أحلى ؟
تزهــــو بكفيـــك الخمــــوش كشــــارب القمـــــر المـــدلى

***

جاءوا القتلى : هــــد أعـــد لهم رياحينـــــــا وفـــــلا
هم بعض أهــلى ٠٠ فليــكن هيهـــات أرضى الغـــدر أهلا
تأبى حمـــــام اليــــوم أن تلقى صــقور النـــار عـــزلى

***

ماذا أســــمى ما جـــرى ؟ جبنـــا ، ولـــكن صـــار فعــلا
الفاتحــــو بـــاب الـــردى لا يملــكون الآن قفـــــلا

***

أضعفت أم أن الأســـــــى أقــوى يدا ، وأحــد نصلا ؟
انســـيت صـــــقلى يا عراك القحط ، أما انهكت صـــقلا ؟ »

اذن فهناك اجابة واحــدة مجمع عليها ، وهــو أنه رغم فداحة ما جرى فأن هناك نقلة الى الامام تحققت بالنار •

غير أن الشاعر لا يبدو مطمئنا تماما الى مثل هــذه الاجابة القاطعة الواضحة • فهو ــ من حيث المبدأ ــ غير راض وغير سعيد باللجـــؤ الى استخدام السلاح بين رفاق درب واحــد ، أيا كانت الخــــلافات القائمــة بينهم •

فهو كما فزع عندما سمع « دق طبل الحرب » فزع لحجم المواجهة الشاملة ولكمية الدماء التى سفكت نتيجة ذلك كله •

والشاعر ليس متأكدا من أن النقلة النارية قــد أسفرت بالفعل عن نقلة ثورية •

ليس هناك وضوح • فالأفق ما يزال ملبدا بالغيـــوم ، ودخان المعارك ما يزال يغطى الطريق • والرؤية الجلية لرحاب المستقبل تبدو صعبة فى مثل هــذا الطقس المعتم المنذر بالمزيد من الرعــد والبرق ، الذى قــد يخطف الأبصائر والبصائر •

اذن فالموقف هــو أدعى للغموض ، وأدعى للتمهل والانتظار ، حتى نرى ما يأتى به الغــد •

لقــد قلبت عملية الاقتتال الأهلى الحسابات العادية ، ورغم ان السلام الأهلى قــد حل ، الا أنه ليس هناك ما يدعــو الى الاطمئنان بأنه سيكون سلاما وطيدا لا تعكر صفوه زوابع داخلية أو خارجية :

« لا القتل أفضـــل ، يا غموض ولا السلامة منــه فضـــلى »

ولاستجلاء هـــذا الغموض ، ومن أجل محاولة الخروج باجابة أدنى الى الوضوح ، فأن البردونى ينحى مشاعره الذاتية وانطباعه الشاعرى الخاص عن الأحـــداث جانبا ، ويحاول استنطاق العـــلم الاجابة • غير أن العلم لا يحير جـــوابا :

« للعلم أسأل ، والجواب •• يحـــول أســـئلة وجهـــلا
أرجـــو الوصـــول والتقى بسوى الذى أرجـــوه وصـــلا »

حينئذ يتجه بسؤاله الحائر الى التاريخ اليمنى ، وينسى أو يتناسى كل ما عرفه عن أحـــداثه وصراعاته ، بما فى ذلك صراعات ملوكه وأمرائه وأئمته الرجعيين ضـــد أولئك الثائرين عليهم من القرامطة • وهـــو اذ يفعل ذلك يصطنع الغباء اصطناعا ، ويتقمص شخصية ذلك الامام الغبى الذى لفرط غبائه اسمى « على مقلى » ممـــا استحق معه خلعه سريعا من العرش •

غير أن مجمل هـــذه الصراعات التاريخية لم تقـــدم له غير اجابة هى أدعى الى التشاؤم والبأس ، ذلك أن المتطرفين ، شأن المعتدلين ، لم ير الشعب اليمنى على يدهم خيرا يذكر • وكما اختفى من مسرح التاريخ اليمنى جميع الملوك والأئمة ، والأمراء دون أن يتركوا فى ذاكرة الأجيال الحاضرة غير المرارة والمقت ، فأن القرامطة الذين لم يعمروا أكثر من عقـــدين من الزمن درست حتى آثارهم ، ومحى ذكرهم ، وان ذكروا لا يذكرون بغير لغة هى أقرب الى الشتيمة منها الى التقييم العـــلمى المنصـــفة :

«الـــوذ بالتـــاريخ ، أنسى ما روى عقـــلا ونقـــلا

أبدو « على مقلى » بدون امـــامة وبـدون مقـــلى
لا نالنى خـــير التطـرف لا اعتـدالى نـال عـدلا »

واذا كان التاريخ ينبىء بان تطرف المتطرفين واعتدال المعتـدلين لم ينجم عنهما لا خير ولا عـدل ، وأن كليهما لم يقيما التقييم التاريخى العادل فكيف الحال اذن مع ثوار اليمن اليـوم ؟

يوجه البردونى هـذه المرة السؤال الى اليمن كلهـا ، غير انه سؤال مضمخ بالدم ، ممتلىء بالحزن ، ممزوج بسؤال أليم آخر عما اذا كان الاقتتال الأهلى هـو السبيل الصحيح الى التقـدم ، وعما اذا كان الاكتواء بنار الحرب هـو المدخل الى رحاب الغـد ، وعما اذا كانت ألسنة اللهب التى يصطلى بها الجميع هى النور الذى يدل على الطريق نحـو المستقبل ، وعما اذا كان لا سبيل الى ذلك بدون اهراق الدماء أنهـــارا ؟

ومن « ردفان » تأتيه الاجابة باسم « سبأ » كلها بأنه لا مناص من الدخول فى حـومة الوغى ، حفاظا على الثورة من الانحراف ، وأن ما نزفته من الدماء لا يعـدو أن يكون عملية حجامة ضرورية يصبح بها جسمها أخف وزنا ، وأرشق حركة ، وأكثر حيوية ، وأشـد فعاليـه ، وان ما بدا للشاعر كارثة حلت بالبلاد ليس الا نارا نفحت الثورة ، وازداد بهـا معـدنها الأصيل انصهارا ، وصلابة ، ولمعانا ،واحمرارا ، بحيث لا يقوى على لمسها أحـد ، وبحيث لا يستطيع أحـد اعتراض مسيرتها وهى تنطلق الى مرحلة تاريخية أعلى ، وتكتسب مضمونا اجتماعيـــا أعمق ، وشكلا نضاليا أرهف ، وهـذه المرحلة التاريخية قـد بدأ فصلها الأول بالفعل بالانتصار فى معمعة ١٣ يناير ١٩٨٦ . أما ما خلفته هـذه المعمعة من غبار ودمار وأشلاء فستغدو وشما على جسمها ، ومعـالم جمال على معاصم بطلات الثورة . وسيكون ركام الجماجم ذروة أخرى

من ذرى التضحية والفـــداء التى لم يتردد المناضلون عن صعودها دائما • وما بدا قبرا للثورة لن يكون الا ذلك المرج الظليل الذى بلغته فى نمــوها وتطــورها :

« أأقــول يــا « ســبئية » لــو كان ذاك الجــود بخلا
لبيـــت موطــنى الـــذى كتب اســمه وردا ونخــلا
ومن المقــاتل ، والمقـــاتل ؟ من رأى للنـــار عقــــلا ؟
« ردفـــان » نـــادى أن أذود وأن أحيــل الصـــعب سهلا
فحمــلت رأسى فــى يـــدى كى لا تصــير الــكف رجــلا

* * *

واليـــوم أنــزف كى أخــف وكــى أرف •• أمــد ظــلا
مــا خلتهـــن كــوارثى أنضجننى عـــركا وفتـــلا
أرتـــــئى مـــا ترتئـــين غـــدا أخــوض الشوط جــذلى

* * *

هــذا الغبــار على عيـــونى ثــورة حمـــراء كحــلى
هــدى الخــرائب زينــــة بمعــاصم البطــلات أولــى
هــذى الرفــات ستستطيل ربى ، ويغــدو القــبر حقــلا

* * *

تأتــين أخـــرى غضــــة وأحـــد مضمــونا وشــــكلا
أرخــت من يــومى غـــدى أنظر : أما أنهيت فصــلا »

غير أن البردونى يسارع الى التقاط حبل الحوار من جــديد : ذاك حــديث يتعلق بالمستقبل غير المعاش وغير المرئى بعــد • وما هــو مهم

الآن التيقن منـــه هـــو ما اذا كانت الفصول التى سبقت أحـــدا ١٣ يناير قـــد طـــويت ودخلت ملف النسيان وكفت عن أن تكون أجراء من كتاب الثورة المفتوح ، وانه لم يعـــد فيهـــا شىء يستحق الذكر أو الحياة ، والاستمرار ، وأننا من ثم أمام نقطة بداية جـــديدة :

« عمـــا يكـــون تخـــبرين ؟ هـــل الذى كان اضمحـــلا ؟ »

ومثل هـــذه الخاطرة كانت مسيطرة على ذهن الشاعر منذ البداية ، وظلت تلح عليه الحاحا :

« مـــاذا كفجـــر اليـــوم لاح ؟ وما الذى كالأمس ولـــى ؟ »

ولا ينتظر البردونى اجابة على تساؤلاته التى تنطوى ضمنا على اجابتها . ماضى الثورة مستمر فى حاضرها ، ممتـــد الى مستقبلها . فليست هناك قطيعة أو قطع بين أى من فصولها . الثـــورة لهـــا زمن واحـــد ، أيا كانت الأحـــداث التى تتخلله .

الأحـــداث الوحيدة التى يقابلها البردونى بالقشعريرة والفـــزع والتى لا يستطيع احتمالها حتى باسم الثـــورة والثـــورية ، هى أحداث التقاتل الأهلى والاحتراب الدامى بين الناس بحجة حماية الثورة أو بهـــدف تطويرها . فتلك فى رأيه حماقة وجنون .

غير أن « ردفان » تردعليه على الفور بأنه لا مفر من الجنـــون الثورى اذا لم يكف الأخرون عن ممارسة جنونهم ، وأنه لابد للنصر من ثمن مهما غلا . والحرب تخلف الثكالى الى جانب الفرحين بالنصر .

« يا هـــذه خـــلى الجنـــون جنـــون غـــيرى ما نحـــلى »
أدمنت أكـــل بنيـــك ، يا حمقى : لأن النصر أعلـــى
من لا تحـــارب لا ترى فرحى ، ولا تبـــدو كثكلى »

وينهى البردونى قصيدته ببيت يتضح منه ان الحوار والسجال بين الطرفين لم يكلل بخاتمة حاسمة تسكن اليها نفسه • وتانس اليها روحه ، ويقنع بها فكره •

ليس هناك وضوح عما يأتى به الغد • هناك غموض •

غير أنه مجرد غموض لم يتجل بعد • وليس سحبا داكنة تطبق على آفاق المستقبل :

« قالت ، وقلت ، فلا اختفى سر ، ولا سر تجلى »

ما ينبغى التذكير به ان البردونى كتب هذه القصيدة الشعرية المثيرة فى يناير ١٩٨٦ ، شهر الأحداث المهولة ، والدماء كانت ما تزال تنزف ، والعمران يتحطم ، والناس فى حالة دوار • وغبار المعارك ما يزال يملأ الأفق ، ويحول لا دون رؤية ما يأتى به الغد • ، وانما — بالدرجة الأولى — عن رؤية مواقع القدم •

ومن لم يتملكه — فى أتون الحرب المطبقة — شعور حقيقى ومبرر بالخوف من المجهول ، وبالقلق الصادق لا على مصير الثورة فحسب وانما أيضا على مصير الوطن والشعب ، حيث كان الأعداء يتربصون به الدوائر ويحاولون الانقضاض على الفريسة المثخنة بالجراح ؟

ومع ذلك فانه رغم الألم الجارح الذى استبد بالبردونى تجاه ما نزف من دماء ، وتحطم من عمران ، ورغم رفضه المطلق لحدوث ما حدث ، وشجبه القاطع لأسلوب الحوار بالرصاص بين من يعلنون انتماءهم الى قضية الثورة ، ورغم السحب التى كانت ما تزال تظلل سماء المعارك وسماء الوطن ، فأن البردونى لم يصل الى الدرجة التى

يفقـد معها الثقـة والرؤية ، كما حـدث مـع آخرين ممن عرضنا لهم وممن أم نعرض لهم •

فهو لم يعلن كفره بالثورة والثورية ، والتقـدم والتقـدمية • ولا تملكته نظرة عـدمية الى تاريخ الثورة ، ونظرة تشاؤمية تجاه حاضرها ومستقبلها ، ولا صب جام غضبه على اليسار الى جانب اليمين ، ولا خلط الأوراق بين الفريقين •

أقصى ما وصلت اليه حساسية الشاعر أنه ألمح الى أنه رغم النقلة النارية فأن هناك غموضا عما اذا كانت هـذه النقلة ستتحول الى شحنة ضـوء تخترق مغاليق المستقبل •

وهـو غموض كغموض الشعر • والغموض فى الشعر قاعـدة عامة ، والا لالتحق بالنثر ، وغـدا واضحا كل شىء فيه •

فليكن هنالك غموض ما يتعلق بسيرورة وصيرورة الثورة •

ومهمة ثوار اليمن ، وطليعتهم النضـالية : الحزب الاشتراكى اليمنى ، الذى كان وظل ممسكا بقيادة الثورة ، هـو العمل على جـلاء هـذا الغموض ، وتوضيح كل خلفيات وملابسات أحـداث ١٣ يناير ، وتقـديم المعالجات النظرية والعملية التى تكفل لا الحيلولة دون حدوث شىء ما مما حـدث فقط ، وانما أيضا الانطلاق بالثورة الى أهـدافها القريبة والبعيدة المرحلية والاستراتيجية •

ولم يغفل أحـد من الثوريين اليمنيين الحاجة الى عملية مراجعة نقـدية لمسار التجربة الثورية فى جنـوب الوطن ، لاكتشاف مواطن . ويواطن الخلل التى سهلت تفجر الأحـداث المـأساوية فى ١٣ يناير ١٩٨٦ •

لم يعـد كافيا القـول بأن هناك مؤامرة قـد حيكت بليل • فلم يعـد لدى أحـد شك فى ذلك •

ما هـو مطلوب الكشف عنه هـو استجلاء العوامل الموضـوعية والذاتية التى تقف وراء ذلك كله ، ووراء ذلك الطـابع الدرامى الذى اتسمت به الأحـداث لمـا يقرب أو يزيد عن عشرة أيام ، ولمـاذا كانت ردود الفعل بذلك القـدر من الحـدة والاتساع والشدة •

هناك ثغرات تاريخية واجتماعية واقتصادية وسياسية وعسكرية وادارية وتنظيمية ونفسية تسللت وانطلقت منها هـذه الكمية الهائلة من البخار الحارق والقاتل •

وكان الحزب الاشتراكى اليمنى ، ومعه جميع المخلصين والمحبين والحلفاء والشرفاء فى الوطن العربى وفى العالم ، على رأس من دعـوا الى وقفة متمعنة متفحصة ناقـدة أمام هـذه الثغرات •

وبعـد الأحـداث مباشرة أقرت لجنة الحزب المركزية ضرورة وضـع وثيقة تحليلية نقـدية حـول تجربة الحزب فى قيادته للدولة والمجتمع ، هـدفها تحـديد الأيجابيات والسلبيات فى عمليـة القيادة هـذه ، مع الكشف عن جميع الأمراض التى ظهرت — فى الحزب والدولة والمجتمع — طيلة الفترة المـاضية ، وعلى أساس تقـديم المعالجات الصائبة التى تكفل تجنب السلبيات وتمنع تكرر المرض وتمكن للايجابيات من النمو والتطور ، بما يؤدى — آخر الأمر — الى تمكين الثورة من اكمال مهام مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، والسير فى طريق التوجه الاشتراكى ، والدخول فى رحاب الاشتراكية •

وفى دورتها الأخيرة التى عقـدت ما بين ١٥ — ١٨ سبتمبر ١٩٨٦ شـددت اللجنة المركزية للحزب على الأهمية البالغة لهـذه الوثيقـة

التحليلية المنشودة . وحـددت شهر يونيو من عام ١٩٨٧ موعـدا للكونفرنس الحزبى العام الذى سيناقشها ويغنيها ويقرها « والذى سيشكل منعطفا تاريخيا هاما فى مسيرة حزبنا الكفاحية وتعزيز السير على طريق استكمال مهـام الثـورة الوطنية الديمقراطية بآفاقها الاشـتراكية » .

بل ان اللجنة المركزية اشارت باصبع البنان الى بعض الأمراض والمعضلات التى جابهت وما تزال تجابه الثورة والتى يتعين العمل على الخلاص منها ، حتى تتمكن من المضى فى مسارها التاريخى المرسوم .

يقول البلاغ الصادر عن هـذه الدورة أن من المهام التى انتصبت أمام الثورة بعـد خطوة ٢٢ يونيو التصحيحية اقامة « قطـاع الدولة والقطاع التعاونى كأساس للنمط الاقتصـادى الانتقالى ذى التوجـه الاشتراكى ، وترسيخ تحالف العمال والفلاحين وسـائر الكادحين ، والنضال ضـد تأثير الأيديولوجية البرجوازية والبرجوازية الصـغيرة وبقايا المفاهيم القبلية والعشائرية ، ونشر افكار الاشتراكية العلميـة ، وتقـوية العلاقات مع بلدان المنظومة الاشتراكية ، وطليعتها الاتحاد السـوفيتى .

وفى الوقت ذاته واجهت وتواجه السلطة ، بالمقـابل ، تعقيدات وصعوبات موضوعية وذاتية كبيرة ، أثرت بصورة سلبية على نمـو السلطة ، وأبطأت بأشكال متفاوتة سرعة تحـولها وانتقالها الى طـور نوعى جـديد . ومن أبرز هـذه الصعوبات والتعقيدات السلبية عـدم التعامل الخلاق مع مبادىء المركزية الديمقراطية ، والقيـادة الجماعية فى سياق نشاط أجهزة الدولة ، وبروز النزعات المحلية الضيقة لقيادات بعض المحافظات والمديريات ، التى تتعامل مع القضايا المركزية والمحورية لتطور الثورة والمجتمع من زاوية المصالح الضيقة ، وظهور نزعة

برجوازية بيروقراطية متحالفة مع الشرائح الطفيلية فى المجتمع ، وانتشار الفساد فى بعض حلقـات جهـاز الدولة من جراء قيام بعض القيادات الادارية بأعمال السمسرة والكسب الشخصى مع الشركات الرأسمالية الأجنبية التى تنفـذ عـددا من مشاريع خطة التنمية ، ومع الشركات فى البلدان الرأسمالية التى أخـذت العلامات التجارية معهـا تزداد اتسـاعا .

وزاد من خطورة تلك الظواهر ضعف العمل الأيديولوجى والسياسى بين صفوف أجهزة الدولة ، وعدم تطبيق سياسة طبقية ثورية فى مجال التعامل مع الكادر ، واعتماد معايير التوازنات والعلاقات الشخصية بدلا عنها ، واتاحة فرصة السيطرة للعناصر التكنوقراطية على مراكز هـامة فى جهاز الدولة » .

ولمواجهة هـذه الظواهر السلبية وغيرها شـددت اللجنة المركزية على « ضرورة الحـد من استمرار هـذه الظواهر فى ظـل الظروف الجـديدة التى تمر بها العملية الثورية الجارية فى بلادنا ، وأقرت جملة من الاجراءات والتدابير الضرورية لتجاوز هـذه الظواهر السلبية ، وتعميق طابع السلطة الطبقى ، ورفع فعالية الدولة كأداة رئيسية حاسمة لاستكمال مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ذات الافاق الاشتراكية .

وبهـذا الصـدد أكدت اللجنة المركزية على الأهمية التى تكتسبها مسألة « حماية وتعزيز الشرعية الديمقراطية » وعلى « ضرورة تطوير دور ومكانة مجلس الشعب الأعلى » « وأكدت على جعل الدورة الانتخابية منطلقا لتعزيز الاتجاه الرامى الى تعميق الديمقراطية واشراك الجماهير الكادحة فى ادارة شئون الدولة والمجتمع » .

« وأهابت اللجنة المركزية بجميع المنظمات الحزبية والجماهيرية والأجهزة الحكومية وشغيلة وكادحى البلاد الى المشاركة النشطة فى النضال ضد البيروقراطية ومظاهر الفساد والرشوة والتعالى على الجماهير ، وترسيخ مبدأ المركزية الديمقراطية فى نشاط أجهزة الدولة ، وتطبيق مبدأ القيادة الجماعية والمسئولية الشخصية . وشددت على ضرورة التصدى للنزعات المحلية ومحاربة المناطقية ، ومحاربة تأثير الشرائح والفئات الطفيلية على أجهزة الدولة ، وانتهاج وتطبيق سياسة مبدئية فى مجال التعامل مع الكادر .

وأكدت اللجنة المركزية بهذا الصدد على الأهمية القصوى التى تكتسبها مسألة وضع نظام شامل للتأهيل النظرى والعلمى والمهنى لكوادر الحزب والدولة ، وتطبيق نظام الكادر الاحتياطى ، وتنفيذ قائمة المناصب الخاصة بالكادر الحكومى » .

واعتبرت اللجنة اركلزية دورتها هذه احدى المحطات « فى مجرى اعادة بناء الحزب والمجتمع وتحسين أساليب وطرائق القيادة الحزبية والسياسية للعملية الثورية ذات الآفاق الاشتراكية » .

وهى لذلك أكدت على أنه « يقع على عاتق كافة أجهزة الرقابة الحزبية والشعبية ووسائل الاعلام الجماهيرى واجب العمل على ممارسة دورها بشكل خلاق وصارم فى مجال كشف وتعرية المظاهر السلبية » (انظر نص البلاغ فى صحيفة « ١٤ أكتوبر » عدد ١٩-٩-١٩٨٦) .

ليس هناك اذن رغبة للتستر على ما اعتور التجربة الثورية فى اليمن الديمقراطية من خلل ، وما أصابها من عاهات ، وما رافقها من سلبيات ، انعكست من التاريخ وبنية المجتمع التقليدية وعبر العمل على بنــاء تشكيلة اجتماعية جديدة ، ومن البنيات التقليدية والطفيلية

والتابعة للمحيط المطبق عليها المؤثر فيها ، ومن الفضاء الامبريالى الأوسع الذى عمل وما يزال يعمل على احتوائها وتدجينها ، تمهيدا لدفنها .

على العكس من ذلك هناك دعوة للاسهام فى كشف وتعرية ذلك كله ، ومواجهته بالنقد الصارم والبناء .

ان أى جهد فكرى جاد وصادق ومخلص فى هذا الصدد من شأنه أن يساعد اللجنة المكلفة بوضع الوثيقة التحليلية النقدية . ويساعد مسيرة الثورة على التغلب على العراقيل التى واجهتها وستواجهها ، وعلى الدفع بها خطوات أبعد الى الامام .

ان ما كتبناه هنا لا يعدو أن يكون نظرة سريعة عابرة فى بعض ما كتب حول مسار الثورة فى اليمن الديمقراطية بعد أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ الدامية التى كادت تزعزع اليقين حتى لدى بعض الناس الطيبين فى امكانية استمرار الثورة .

ما من شك أن الجرح الذى أصيب به جسم الثورة كان جرحا بالغا وعميقا وخطيرا ، ولكن ليس الى الحد الذى لا يمكن معه التئامه والتعافى منه .

ويكفى أن الثورة قد نهضت على أقدامها من جديد . وبسرعة غير عادية ، فى حين ظن الأعداء أنه لن تقوم لها قائمة بعد كل ما حدث فى يناير الدامى ، وأنها بفعل هذا الجرح الدامى ستظل تنزف حتى تسقط جثة هامدة .

واذا ما دل ذلك على شيء ، فانما يدل على مدى أصالة وصلابة الثورة ، وتعبيرها عن مصالح ومطامح شعبها فى المضى دائما الى الامام من أجل التحرر والتقدم والديمقراطية والاشتراكية والوحدة .

ومرة أخرى تثبت ثورة ١٤ أكتوبر أنها واحدة من الثورات المعاصرة ذات الأصالة الاجتماعية والانتماء الأيديولوجي السليم ، والتى تستطيع بفضل ذلك كله ، وبفضل مساعدة حلفاء المسيرة الثورية الاممية . مداواة جراحها بسرعة قياسية مهما بلغت ، واستعادة عافيتها ، ومعاودة السير بهمة أكبر ، وثبات أعظم ، وخبرة أغزر ، فى اتجاه تحقيق أمانى وأحلام الشعب فى الحرية والوحدة والرخاء والسعادة والسلام .

عبد الفتاح اسماعيل ...

حياة جديدة ومديدة ... (*)

بعد عودته مباشرة من موسكو ، حيث قضى نصف عقد من الزمن بناء على رغبته بالذهاب الى بلد لينين اثر ترك موقعه القيادى فى الأمانة العامة للحزب وفى رئاسة الدولة ، حفاظا على النظام الديمقراطى والحزب الطليعى والتجربة الثورية التى أسهم فيها كلها بنصيب نضالى وافر من أى اهتزاز ــ بعد عودته الى وطنه وتسلمه لمهمته الجديدة والمؤقتة بالدائرة العامة للجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى التى قبل بها بروح رياضية عالية وبدأ بالاضطلاع بها على الفور حتى قبل أن يجف عرقه ــ بعدئذ مباشرة ذهبت اليه مرحبا ومحييا ومهنئا بسلامة العودة وباستئناف عمله فى قيادة المسيرة الثورية ، ومتبادلا معه بضع كلمات هى أقرب الى تبادل الخواطر السريعة منها الى الحديث الهادف والمحدد النقاط الذى كان يستلزم لقاء مرتبا سلفا .

(*) نشرت فى « صوت العمال » فى ١٩٨٧/١/١٥ .

كان ممن شهد هــذه اللحظات التى لا أدرى كيف أصفها رفــاق محــدود العــدد كان أبرز من بقى منهم أثناءها الرفيق شعفل عمــر الذى كان يشغل حينئذ موقع الرجل الثانى فى الدائرة العامة والذى يحتل اليوم موقع الرجل الأول فيها بصفته سكرتيرا للجنة المركزية •

كان ممــا قلته له فى هــذه اللحظات أنه لابد أن يكون قــد استثمر فترة غيابه الاضطرارى فى الاطلاع والتأمل والكتابة • وانه لابد أن يكون قــد وصله أحــد كتبى الذى أهــديته له ، والذى يحتوى على رسائل شخصية الى بعض رؤساء البلاد كان هــو على رأسها •

كان جــواب عبد الفتاح اسماعيل : انا لم اقرأ هــذا الكتــاب فحسب ، وانما قرأت أيضا كتبك التى منعوا انزالها الى المكتبات العامة ، ولا أدرى لم فعلوا ذلك ؟ !

كان يشير بذلك الى كتابى « حول الوحــدة اليمنية والانتهــازية اليسارية والحزب الاشتراكى اليمنى » و « مساجلات حول حركة الأحرار اليمنيين » وهما الكتابان اللذان اغتبط البعض ممن يفترض فيهم الدفاع عن حرية الكلمة المسئولة والبحث العلمى لعــدم السماح لهما بالخروج الى الأسواق ــ كما كتب هــذا البعض •

ودعت عبد الفتاح اسماعيل ، مبتهجا بملاحظاته المعبرة عن عمق ايمانه بحرية الكلمة الملتزمة والديمقراطية الحقة • على أمل الالتقاء به والجلوس معه فى خلوة فكرية كتلك التى اتيحت لنا غير مرة فى القاهرة وعــدن •

ليس الوقت ملائما ولا الظرف مناســـبا للاستماع الى شريط الذكريات مع عبد الفتاح اسماعيل • ينبغى أولا نشر ذلك الكم الهــائل من الرسائل التى وجهتها اليه شخصيا مع الرسائل التى أشركت فيها

الى جانبه زملاءه فى قيادة الجبهة القومية ، وهى الرسائل المتعلقة بقضايا البلاد الوطنية ، وعلى رأسها قضية الوحدة اليمنية ، والجبهة الوطنية العريضة ، والأداة الطليعية الموحدة ٠ هذه الرسائل التى استمر ارسالها اليه — من عدن والقاهرة وبراغ — سنين عديدة ، والتى كان مجرد ارسالها اليه دونما انقطاع حتى عودتى الى عدن بعد الخلاص من التيار الانتهازى اليسارى ، ناهيك عن محتوياتها ، يدل وحده على الدور التاريخى الخاص الذى كنت ارى أنه مهيأ له ، سواء فى مضمار قيادة العملية الثورية على نطاق الساحة اليمنية ٠ أو فى مضمار صنع الأدوات النضالية القادرة على المضى بها قدما الى الأمام ٠

تحتوى احدى الرسائل التى تضمنها الكتاب الآنف الذكر على الفقرة التالية : « لقد سبق أن كتبت للرفيق عبد الفتاح اسماعيل فى آخر رسالة اليه ، مؤكدا أنه واحد من هذه القيادة الوطنية اليمنية الجامعة اللامعة الناضجة الشريفة القادرة على دفع وطننا وشعبنا فى هذا الاتجاه الوطنى والديمقراطى والتقدمى » ٠

(ص ٥١ من كتاب « رسائلى الى شهيد اليمن ابراهيم الحمدى ») ٠

لم يكن هذا الحدس بدون أساس ٠ وما لبثت حركة الأحداث أن برهنت على صحته ٠

وكما أسهم عبد الفتاح اسماعيل بدور بارز فى الاطاحة باليمين الانتهازى بحركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ م ، فأنه لعب ذات الدور فى التطويح باليسار الانتهازى بهبة ٢٦ يونيو ١٩٧٨ م ٠

وبذلك فتح الطريق نهائيا لقيام الحزب الطليعى الذى كان فى

مركز الدائرة من همومه واهتماماته ، والذى بتأسيسه فى أكتوبر ١٩٧٨ غـدا أمينا عاما لـه •

بقيام هـذا الحزب ، الحزب الاشتراكى اليمنى ، وجـد صمام أمان الثورة ، والضمانة التاريخية لاستمرارها وتعمقها ونموها ، ولتحقق كامل أهـدافها القريبة والبعيدة ، المرحلية والاستراتيجية •

كان يكفى عبد الفتاح اسماعيل أن تكون خاتمة نضاله هى قيام مثل هـذا الحزب الاشتراكى العلمى الذى نقشت على رايته غرة مجـد اليمن الجـديد •

أن تكون الحياة قـد امتدت به بعـد ذلك ، فتلك كانت فضلة أو اضافة من العمر لم يكن يملك الا استثمارها فى توطيد دعائم هـذا الصرح الذى أثبتت الأحـداث مدى مناعته ورسوخه •

أن يكون قـد سقط صريعا فى واحـدة من أغرب المؤامرات التى تمتحن بها الشعوب — الا وهى مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ — فذلك هـو الجانب التراجيدى فى حياته وملحمة نضاله •

ولكن هـل تخلو حياة وتاريخ الزعماء الاسطوريين والحقيقيين من المـآسى ؟

المـأساة تكاد تكون جزءا لا يتجزأ من حياة وتاريخ الزعمـاء والأبطال والفرسان ، ونادرا ما أفلتوا منها • ولربما كان مصير الكثير منهم دائما مأساويا ، كما لو كان قـدرا مقـدورا ، ولربما داهمهم هذا المصير ، وهم فى مطلع أو قمة مجـدهم •

ولكن هـذا المصير المـأساوى الذى يحتفظ التاريخ العربى بصور دامية منه حتى اليوم ، هـو الذى يعمق باستمرار الاحساس والارتباط بالقضايا التى سقط من أجلها وعلى ساحتها الشهداء •

ولربما لم يكن سجل عبد الفتاح الحياتى والنضالى الحافل فى حاجة الى شيء قــدر حاجته لان تكتب آخر صفحاته بنجيع دمه وذوب روحه ، تتويجا لهــذا السجل ، وخاتمة مثيرة له ٠

ولكن هــذه الخاتمة المثيرة والمــأساوية هى ذاتها بداية حيــاة جــديدة ، وتاريخ مديد ٠

والحزب الاشتراكى اليمنى الذى أسهم عبد الفتاح اسماعيل بدور أساسى فى قيامه هــو حياته الجــديدة ٠٠ وتاريخه المديد ٠

ألم يقل الحزب ذلك صراحة ؟ ألم يعترف بدوره الأساسى هــذا ؟ ألم يطلق عليه ، وهــو ينعيه ، لقب مؤسس الحزب ؟ !

وهل كان يبغى عبد الفتاح اسماعيل أكثر من هــذا ٠٠ أكثر من أن يكون بيننا فى حياته ومماته ٠٠ أكثر من أن يكون مستمرا فى حزبه وبحزبه ؟ !

أليس خاتمة حياته مما يغطبه عليها الاحياء بلا حياة ؟ !

أليس هــذا الدخول فى التاريخ من أوسع أبوابه ممــا يحسده عليه كل من سدت فى وجهه كل الأبواب ٠٠ أبواب التاريخ ، وأبواب الخلود ؟ !

ليس مجرد نعى لعبد الفتاح اسماعيل ما تضمنه بيان المكتب السياسى للجنة المركزية الذى تلاه الأمين العام الرفيق على سالم البيض فى ١٠ فبراير ١٩٨٦ ٠

انه تقييم مركز مكثف لتاريخ عبد الفتــاح اسماعيل النضــالى ، وتثمين عميق بليغ لهــذا التاريخ الحافل ، وتحــديد قاطع حاسم لدوره الشخصى فى بناء الحزب الاشتراكى اليمنى ، رافعة تاريخه ، وتاريخ اليمن الجــديد كله ٠

واذن فان علينا أن نعيد قراءة هـذا البيان قراءة تاريخيا:

« لقـد حل بحزبنا وشعبنا مصاب فادح جلل باستشهاد ادر خيـان عبد الفتاح اسماعيل ، مؤسس حزبنا ، ومشعل الحرف الوضاء ، وانبل وأوفى مناضلى الاشتراكية العلمية فى بلادنا ، وابن حزبنا الهمـام . حزب الطبقة العاملة المتحالفة مع الفلاحين والمثقفين الثوريين وسـائر الكادحين ، والكادح الخالـد ، والفـارس الجسور لمعـارك الحريه والاستقلال والسيادة والوحـدة ، فأى مشعل للفكر قـد انطفأ .. وأى قلب توقف عن الخفقان !

الا فليصم التاريخ بعـاره الأبدى سـافكى دماء فرسان الثـورة الأماجـد .. عبد الفتاح اسماعيل ، وعلى أحمد ناصر عنتر ، وصالح مصلح قاسم ، وعلى شائع هادى ، وبقيـة الشهداء من اعضـاء اللجنة المركزية وكوادر الحزب .. ولانامت أعين الجبناء .

كان عبد الفتاح اسماعيل دائما وأبدا على خط النار الأول ، سواء فى النضال التحررى ضـد الاستعمار البريطانى وركائزه ، أو من اجل التقـدم الاجتماعى ، وفى النضال من أجل توحيد فصائل اليسار فى تنظيم طليعى ، وفى قيام الحزب الاشتراكى اليمنى ، ومن آجل نقاوته والذود عن اختياراته السياسية والأيديولوجية ، أو فى النضال الحازم والثابت ضـد النزعة الفردية ، وضـد الاتجاهات اليمينية واليسارية المغامرة داخل الحزب ، وفى النضال من أجل الدفاع عن الثورة اليمنية . أو من أجـل تحقيق حلم شعبنا وأمله فى يمن ديمقراطى موحـد . وفى العمل السرى ، أو فى أعلى مناصب الحزب والدولة ..

لقـد شيد ورفاق دربه العظام ، وفى بطولة فائقة ، حزب الطبقة العاملة عقل وشرف وضمير شعبنا .. الحزب الاشتراكى اليمنى ..

وكان فى أحلك السنين ، والأرض تشتعل بلهيب مؤامرات القوى المضادة للثورة وأسيادها ، ثوريا لا يخشى شيئا ، مناضلا واعيا مفعما بالتفاؤل وبالثقة بالمستقبل وبقدرات شعبه وحزبه على انتزاع الظفر بالنصر فى جبهات البناء والعمل والدفاع عن الوطن والثورة .

وتحت قيادته ، ورفاقه التاريخيين ـ الحزب الاشتراكى اليمنى ـ تحققت انجازات تقدمية لشعبنا .. وغدت اليمن الديمقراطية قلعة شامخة للحرية والتقدم الاجتماعى ، ومنارة هادية للاشتراكية العلمية ، سلاح الكادحين ، للقضاء على عالم القهر والعبودية والاستغلال ، وسلاحهم الأمضى والمجرب لبناء غدهم المزدهر على هذه الأرض .. كما غدت اليمن الديمقراطية فعلا ، مكان احترام الأصدقاء ، ومهابة الأعداء .

لقد كان عبد الفتاح اسماعيل . ابن شعبنا البار ، خصما عنودا للدوائر الامبريالية والرجعية ، وخصما عنودا للانتهازية اليمينية واليسارية ولكل مظاهر النزعة الفردية ، وخصما لاتلين قناته لكل أعداء الشعب اليمنى ، ومناضلا بارزا فى حركة التحرر الوطنى العربية وفى الحركة الثورية العالمية .

كان وفاؤه العظيم لحزبه وشعبه ، ونباته المبدئى والفكرى ، روعيه الرفيع وصراحته ، ونبله الفائق ، وتواضعه الجم ، من أركان هيبته وشهرته الفائقه .

كانت مآثره عظيمة لدرجة يستحيل معها أن نوفيه حق التقدير ، وكانت قضيته رائعة .. كما كانت كذلك حياته الباهرة .. فسلام عليك ـ أيها الرفيق الغالى ـ يوم ولدت ، ويوم توحدت ذرات جسدك الطاهر مع تراب هذا الوطن الذى كنت صورته . وكان صوتك ، ويوم اشتعل اسمك نارا وثورا فى سماء الخلود الأبدى » .

« صحيفة » ١٤ أكتوبر ١١-٢-١٩٨٦م ٠

تلك فقرات من البيان ٠٠ فهل لدى أحدهما اضافه ؟ !

ربما بقيت لى شخصيا اضافة ٠٠ ولكن لا فى مضمار تقييم دور عبد الفتاح اسماعيل التاريخى ، الذى لا تحتمله مقالة صحفية ٠ هى اقرب الى الافضاء بالمشاعر أكثر منها أى شىء آخر ٠٠ وانما هى اضافة تتعلق بآخر لقاء معه ٠

مع حلول رأس السنة الميلادية الجديدة ١٩٨٦ ذهبت والرفيق الشهيد على أسعد مثنى سكرتير اللجنة المركزية ورفاق آخرين لتقديم التحية والتهنئة للرفيق سالم صالح محمد سكرتير اللجنة المركزية من حيث توجهنا مباشرة الى الرفيق عبد الفتاح اسماعيل فى مكتبه ايضا لذات الغرض ٠

كان ما أثار انتباهى ، وحفر عميقا فى وجدانى — أثناء تبادل العناق والتهانى مع عبد الفتاح اسماعيل — هو تلك البشاشة والابتسامة الجميلة التى ملأت وجهه ، وتلك الضربة الحانية و « القوية » من يده اليسرى على كتفى الأيمن ٠

أكان بذلك يريد أن يرعش كل وجدانى ، ويطلق حبيس أحاسيسى ، ويفجر كل ما كان مكنوزا من المشاعر تجاهه فى أعماقى ؟ !

كان ذلك هو اللقاء الأول والأخير الذى أحسست معه أن عبد الفتاح اسماعيل قد ألغى كل مسافة بينه وبينى ، وتصرف معى بعفويه ساحرة ، ووجدانية آسرة !

(أول لقاء بيننا تم فى صنعاء بعد أحداث ٣ أكتوبر ١٩٦٧ ، من حيث سافرنا معا الى القاهرة) ٠

وبعـــد : فهل هناك من بيننا من لايدين لعبد الفتاح اسماعيل بشيء ؟

على أن أغلى دين له فى أعناقنا جميعا هـــو دوره الخاص وغير المنازع فى توحيد قـــوى التقـــدم فى ظل ثورى واحـــد •• فى تشييد حزب الثورة والثوار • حزب العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وجميع الكادحين • حزب الاشتراكية العلمية والاممية البروليتارية ، الحزب الحامل والمجسد المستقبل كله • مستقبل شعبه ، والحالم والعامل ، جنبا الى جنب مع فصائل الثورة العالمية • من أجـــل صنع مستقبل البشرية الوضاء ، الحزب الذى كسب به ثوار اليمن هـــويتهم الثورية الاممية • وانتماءهم الى الانسانية التقـــدمية !

واذا كانت مناعة ووحـــدة هـــذا الحزب الفـــكرية والسياسية والتنظيمية قـــد تعرضت ـــ بفعل أحـــداث ١٣ يناير ١٩٨٦ المشؤومة ـــ لمحنة خطيرة ، كان هـــو من أوائل ضحاياها ، فأن المهمة الأولى والعاجلة والملحة ـــ لمعالجة آثار هـــذه المحنة ، ولمواصلة المسيرة الثورية ـــ تتمثل فى البحث الدقيق عن العوامل الذاتية والموضوعية التى ساعدت على ذلك وبالذات عن جوانب الخـــلل الأيديولوجى والسياسى والتنظيمى المحتملة فى الحزب ، وعن العوامل الاجتماعية والتاريخية المفترضة داخل المجتمع بكل افرازاتها فى مجمل البنية الفوقية له ، اذ أن معرفة ذلك جيدا تمثل خطوة هامة فى اتجاه تصحيح جوانب الخلل ، ومعالجة مكامن العـــلل •

أما الحل الكامل فيتمثل فى رأب الصـــدع الذى أصيب به الحزب ، وحسب وحـــدته الفكرية والسياسية والتنظيمية صبا ، وعمل كل ما يمكن ويجب عمله من أجل ذلك •

وعبر التحقيق الكامل لهـذه الوحـدة ، تتعزز — كما لم يحـدث في أى وقت مضى — الوحـدة التامة للوطن والشعب ، الوحـدة الوطنية والشعبية المتينة .

وفي أعمـاق هـذا الحزب الطليعى الواحـد الموحـد سيعيش عبد الفتاح اسماعيل عمره الجـديد ، وحياته المديدة .

ذكـريات وخـواطر

في حـرم متحف

عبد الفتـاح اسماعيل

حقا أن تاريخ الشعوب والمكانة التي يشغلها القادة فيه تكتبهما مراكز البحث الحزبي والجامعي والمؤرخون المختصون •

غير أن المتاحف الخاصة بحقبة تاريخية ما أو بشخصية تاريخية هامة بكل ما تحتفظ به من آثار أو أثر ، ومن أوراق أو ذكريات تغـدو مرجعا لا غنى عنه عنـد كتابة تاريخ هـذه الحقبـة وسيرة هـذه الشـخصية •

واقامة متحف عبد الفتاح اسماعيل في ما تبقى صامدا من أركان منزله الذي كادت تلتهمه نيران مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ الدامي — بعـد أن عصفت به وزملائه من قادة الحزب والدولة ريحها الهوجاء — اقامته تحمل معاني ودلالات جمة ، فهو شاهد على هول وبشاعة المؤامرة ؛ وهو نصب تذكاري لرجل من رجالات التاريخ الخالدين ، وهـو رمز لتكريم الأحزاب والشعوب لقادتها وأبطـالها ، وهـو تعبير عن استمرارية الرسالة الثورية التي سقط وهـو يرفع لواءها ، وهـو أخيرا مرجع لكل ما يتعلق بحيـاة وتاريخ وأبدية هـذه الشخصية اليمنية السامقة اللامعة التي ستدخل التاريخ باعتبارها واحـدا من أبرز المعـالم

الباقيــة على ميــلاد اليمــن الجــديد : اليمــن الديمقراطى الاشتراكى الموحـــــد .

وأنا فى حرم متحف عبد الفتاح اسماعيل المهيب لا أملك عـــــدا الشعور بالخشوع والاجلال الا أن أسجل واحــدة من ذكرياتى العميقة والعــديدة مع عبد الفتــاح اسماعيل : المواطن الحـــق ، والوطنى الأصيل ، والثورى المتأجج ، والسياسى البارع ، والمثقف الكبير .

كان اللقاء الحميم والطويل والجميل والغنى والمبهج فى منزله فى معاشق . كنت ضيفه الكريم فى هذا اللقاء الذى أردته شخصيا أن يكون رسميا ومتسما بالتزمت الواجب عند لقاء الرؤساء وزعماء الأحزاب ، ورجالات الدولة .

وبطريقته المشهودة التى تميز بها دائما والتى تجمع ما بين الخلق العظيم ، والبساطة المحببة ، والشفافية الوجــدانية ، والقــدرة على النفاذ الى شغاف القلب ، والتى تلغى — بفعل ذلك كله — كل مسافة بينك وبينه ، وتبــدد كل شعور لديك بالكلفــة أو الحرج أو بأنك فى حضور الرجل الأول فى بلدك — بذلك جعلنى عبد الفتاح اسماعيل أشعر بأننا فى جلسة أخــوية مفتوحة طلقة كهواء معاشق الطلق .

كان ذلك فى نهاية سبتمبر أو مطلع أكتوبر من عام ١٩٧٨ ، حيث قــدمت الى عــدن من براغ فى زيارة خاصة تهيؤا لعودتى اليها مــع عائلتى .

بعــد قليل من تبادلنا أطراف الحــديث عما هــو عام وخاص أصبحنا ثلاثة بانضمام الزميل راشــد محمد ثابت الينا . وكان يشغل حينئذ موقــع مدير مكتب الأمين العـــام للحزب الاشتراكى اليمنى عبد الفتاح اسماعيل .

كان ناصر ناجى الذى لازم عبد الفتاح اسماعيل هــو الوحيد الذى كان يطل علينا بين حين وآخر ليطمئن الى أن انغماسنا فى الحــديث الممتع لم ينسنا أن نتناول شيئا من البيرة المثلجة وأن نطعم من اطايب المــائدة الشهية •

أول ما قلته لعبد الفتاح اسماعيل بعــد لحظات عناق حارة : يبدو أنه كتبت على الا ادخل عــدن مرة أخرى الا بعــد أن يخرج منهــا سالم ربيع على !

علق عبد الفتاح مبتسما : بالفعل عندما وصلتنا رسالتك التى بعثتها من القاهرة عن طريق السفير راشــد محمد ثابت ، والتى تطلب فيهــا حلا بعــد ان أنهى أنور السادات حقك فى اللجوء السياسى فى مصر ، وطلب مكتب اللاجئين السياسيين ضرورة مغادرتك مصر خلال اسبوع ، فأن المكتب السياسى ارتأى قــدومك الى عــدن ، غير أن ربيع على رفض •

تلك كانت لحظة من اللحظات ــ البالغة الأهمية والحساسية بالنسبة لى شخصيا ــ والتى تجلت فيها روح المواطنة والوطنية العميقة والأصيلة فى عبد الفتاح اسماعيل تجاه مواطن لا يدرى له مصيرا بعــد أن غــدا بلا ملجأ أو ملاذا أو منفى ، كما برزت فيها سمة القروية المغلقة والبليدة التى طبعت شخصية ربيع على ، دون أن يخفف منها وجــوده على رأس دولة يمنية مسؤولة عن حياة ومصير كل مواطـــن يمنى بحكم دستورها الذى يحكم باسمه •

كان من الطبيعى أن يكون الحــديث فى جزء كبير منه حول الخطر الذى مثلته انتهازية ربيع على اليسارية الطفولية على قضية الثــورة والوحدة اليمنية بكل ما انتهت اليه هــذه اليسارية المتطرفه من جنوح نحــو اليمين ، شأن كل يسارية متطرفة فى كل زمان ومكان •

ولقـــد حييت بحرارة وقـــوة الدور الشخصى الذى لعبـــه عبد الفتاح اسماعيل فى مقارعة هـــذا الخطر منذ لحظة بروزه بعـــد انعقاد المؤتمر الخامس للجبهة القومية عام ١٩٧٢ م — وهـــو الخطر الذى لمسته لمس اليد خلال فترة وجـــودى فى عـــدن ما بين نهـــايه نوفمبر ١٩٧٢ — نهاية فبراير ١٩٧٣ — الى لحظة الاطاحة به فى ٢٦ يونيـــو ١٩٧٨ ٠

كما حييته بذات الحرارة والقوة على دوره الشخصى فى قيـــام الحزب الاشتراكى اليمنى الذى ببنائه تتحقق الرافعة التاريخية التى تنقل اليمن من حالة الشتات والتمزق الى حالة التماسك والتوحـــد ، ومن القروية والانفصالية الى الوطنية والاممية ، ومن التسلط القروســـطى الى الديمقراطية الثورية فالديمقراطية الاشتراكية ٠

تخلل ذلك كله شرح عبد الفتاح اسماعيل المستفيض للتكتيك الماهر الذى اتبعه من أجل العودة من بلغاريا الى عـــدن . بغية اعـــداد العدة للخلاص من اليمين الانتهازى — وهـــو ما تحقق بقيام حركة ٢٢ يونيو التصحيحية ١٩٦٩ م وللتكتيك الفطن الذى سار عليه حتى أمكن التصدى والاجهاز على اليسار الانتهازى بهبة ٢٦ يونيو ١٩٧٨ ٠

كما ذكرت من جانبى عبد الفتاح اسماعيل بالحوارات التى دارت بيننا أثناء فترة اقامتى فى عـــدن فى نهاية ١٩٧٢ ومطلع ١٩٧٣ وبرسائلى اليه والى قيادة الجبهة القومية التى كنت أرسلها من القاهرة وبراغ منذ هـــذا الوقت وحتى قيام الحزب الاشتراكى اليمنى ، اضافة الى المقالات التى كنت أنشرها فى المجلات المصرية والعربية ، والتى كانت تدور حول مخاطر خطر القروية والعزلة والتطرف الذى كان يتبعه ربيع على ، وحول ضرورة قيام النواة الطليعية الحزبية القائدة ٠ والجبهة الوطنية العريضة ، ضمانا لدفـــع الثورة فى طريق استكمال مهام الثورة الوطنية

الديمقراطية ، وطريق التوجه الاشتراكى ، عبر تحقيق الوحـدة اليمنية على أسس ديمقراطية تقـدمية ، ومن اجل ان تلعب اليمن دورها تجاه نضال أمتها العربية المتجة صوب تحقيق الديمقراطية ، والوحدة العربية التقـدمية ، والاشتراكية ، وتجاه نضال حركة الثورة العالمية الهادفة الى الخلاص من الامبريالية والصهيونية والرجعية ، وتحقيق الديمقراطية والاشتراكية والسلام •

كان راشد محمد ثابت الذى نشأت بينه وبينى علاقة صـداقة منذ كنت فى عـدن مع نهاية ١٩٧٢ ومطلع ١٩٧٣ ازدادت توثقـا خلال فترة بقائه فى القاهرة سفيرا حتى ترحيلى منها فى نهاية ابريل ١٩٧٧ — كان طرفا فى الحوار الخصب والمتعـدد الجوانب ، والذى كان عبد الفتاح اسماعيل واسطة العقد فيه •

أطلعنا عبد الفتاح اسماعيل على بعض ما دار بينه وبين زعمـاء جبهة الصمود والتصـدى العربية من مناقشات نظرية حول سـلامة الخيار الاشتراكى العامى الذى أخـذت به اليمن الديمقراطية •

وكان نقاشه النظرى مع قائد ثورة الفـاتح من سبتمبر الليبية العقيد معمر القـذافى حول « الاشـتراكية العلميـة » التى يتبناها عبد الفتاح اسماعيل وحـول « النظرية الثالثة » التى يدعـو لها العقيد القـذافى هـو أمتع ما سمعناه على مائدة الطعام ، وما زاد من شهيتنا المـادية والروحية !

وعندما عـدت من براغ مـع زوجتى وأولادى الى عـدن فى نوفمبر ١٩٧٨ أبت روح المواطنة والوطنية العميقة والأصيلة فى عبد الفتاح اسماعيل — أبت عليه الا أن يقاسمنى وعائلتى البيت الخـاص به

وعائلته • حينذاك أحسست بأن عبد الفتاح اسماعيل لا يقطع لى جزءا من بيته آوى اليه وأفراد عائلتى بعد حياة اللجؤ السياسى والمنافى فى القاهرة وروما وبراغ وانمـــا يقطتع لى جزءا من ذاته أسكن فيـــه ويسكن فى •

ولذلك كله فان فزعى كان عظيما — شأن غيرى من المواطنين الذين كانوا يعرفون دوره وفضله — عندما بدأت المشاكل تحيط به وبموقعه القيـــادى •

وكما أتيح لى أن أعرب عن هـــذا الفزع لعلى ناصر محمد الذى كان يشغل منصب رئيس الوزراء فى هـــذا الوقت ، فانه أتيح لى والزميل مجاهـــد القهالى أن نعبر — فى لقاء مطول مع كل من محمد ســـــعيد عبد الله « محسن » ، الذى كان وزيرا لأمن الدولة حينئذ ، اضافة الى عضويته فى المكتب السياسى ، وعضو المكتب السياسى وزير الدفاع على أحمد ناصر عنتر — عن قلقنا لمجريات الأمور •

عندما أزيح عبد الفتاح اسماعيل من الأمانة العامة للحزب ورئاسة الدولة فى ٢١ أبريل ١٩٨٠ — وسط قلق حزبى وشعبى من مغبة غيابه فى وقت تحتاج فيه الثورة والبلاد الى مثل قيادته المجربة — كان كتابى « حول الوحـــدة اليمنية والانتهـــازية اليسارية والحزب الاشتراكى اليمنى » الذى حـــوى الكثير من الاقتباسات والاستشهادات بعبد الفتاح اسماعيل ، يطبع فى « دار الفارابى » فى بيروت •

تحت تأثير ما حـــدث فى قيادة الحزب فى عـــدن ، وبهـــدف أن أدخل تعـــديلا فى الكتاب أشطب منه الاقتباسات والاستشهادات الآنفة الذكر — أعيد الى الكتاب بواسطة الدائرة الاعلامية فى رئاسة الوزراء •

لم أشطب أقوال عبد الفتاح اسماعيل وانما أحللت لقب « رئيس الحزب » — وهـو اللقب الشكلى الذى منح له تغطية لازاحته — محل لقب الأمين العام ورئيس الدولة » وكتبت مقـدمة نوهت فيها باسم على ناصر محمد الذى أصبح يتبوأ هـذين المنصبين اضافة الى رئاسة الوزراء •

لم يكن هـذا التنويه كافيا لكى يمر الكتاب بعـد طبعه • فعندما وصل عـدن أودع فى مخزن الدائرة الأيديولوجية للجنة المركزية ابان شغل د• عبد الله الخامرى لهـا • ولم يفرج عنه ليودع فى مخزنى الخاص مـع نسخ كتاب آخر ظلت محتجزة أيضـا ، وهـو « مساجلات حـول حركة الأحرار اليمنيين » الا بعـد تسلم سالم صالح محمـد سكرتارية الدائرة الأيديولوجية •

بعـد عودة عبد الفتاح اسماعيل من موسكو فى ٧ مارس ١٩٨٥ كان الأمل يراود الـكثير — ومنهم كاتب هـذه الذكريات — أن تكون تلك بداية تضميد الجراح ، ورأب الصـدع ، وانهاء حـالة التشرذم والتكتل ، واعادة الوحـدة للحزب •

الا يتحقق هـذا الأمل ، وأن تحـدث — بدلا من ذلك — كارثة ١٣ يناير ١٩٨٦ التى ذهب ضحية لهـا عبد الفتاح اسماعيل وعلى أحمد ناصر عنتر ، وصالح مصلح قاسم وعلى شايع هـادى ، وغيرهم من الكوادر الحزبية والشعبية والعسكرية ، من الجانبين فأن المسؤولية عن ذلك تقع بالكامل على مدبرى هـذا الجرم فى حـق الحزب والشـعب والمؤسسات الشعبية والرسمية ، وعلى رأسهم جميعا على ناصر محمد ، الذى أجاز استخدام السلاح لحل خلافات حزبية ، رغم قرار الحزب بادانة من يلجأ الى ذلك •

كان يمكن لعلى ناصر أن يستجيب للنداء السوفيتى الذى وجـه اليه ـ كما اتضح أخيرا ـ قبل وقوع الكارثة بقليل ، والذى طلب اليه فيه أن يقبل بفكرة التوجه الى موسكو مع عبد الفتاح اسماعيل وعلى أحمد ناصر عنتر ، بهـدف البحث عن حل مقبول يرضى الجميع ويجنب البلاد مخاطر محققه ٠

كان رفض على ناصر لهـذه المناشدة وهـذا المسعى الاممى النزيه والذى لم يكن له بديل ، والذى كان من الممكن أن يكلل بالنجاح ـ كان هـذا الرفض دليلا قاطعا على أن على ناصر قـد تنكب طريق الرشد والصـواب والحزب ٠

وكان لجوءه فى ١٣ يناير ١٩٨٦ الى طريق المغامرة والمؤامرة والقتل هو دليل الافلاس السياسى ، والانتحار الشخصى ، والموت حيا ٠

أما عبد الفتاح فقـد رحل على رأس كوكبة من المناضلين ، بينما بقيت قضيته ، قضية الثورة اليمنية ، والوحـدة الوطنية الديمقراطية ، والاشتراكية ، بقيت فى يد كوكبة أخرى من المناضلين ، وفى يد الحزب والشعب وكل قـوى التقـدم اليمنية ٠

لقـد غاب جسد عبد الفتاح ، وتوقف دماغه عن التفكير ، وكف قلبـه عن النبض ٠

غير أن جسم الحزب الذى أسهم بدور أساسى فى بنائه ، حتى استحق أن يطلق عليه هـذا الحزب لقب المؤسس لـه ، ما برح يضج بالحياة ، ودماغ هـذا الحزب الجماعى ما فتىء يزخر بالعطاء الفكرى الذى لا ينضب ، وقلبه الذى يحس دبيب حركة الأرض فى وطنه وفى أمته وفى العالم من حوله لا يكف قط عن الخفقان ٠

وفى ذلك كله حياة دائمة وأزلية لعبد الفتاح اسماعيل ٠ وذلك ما يقوله أيضا متحفه ٠

نظـرة برجـوازية صـغيرة
ونظـرة ثـورية علميـة
ازاء تجـربة الثـورة
فى اليمـن الديمقراطيه (*)

يبـدو أن ذلك القـدر من الصراحة الذى تحـدثت به « الوثيقة النقدية التحليلية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية ١٩٧٨ – ١٩٨٦ م » عن السلبيات التى رافقت مسيرة الحزب الاشتراكى اليمنى خلال هـذه الفترة من وجوده ، ورافقت من ثم معه تجربة الثورة ذاتها قـد حاول البعض من دعاة الخصوصية الشرقية – بكل ما يتفـرع عنهـا من خصوصيات لكل أمة وشعب وقطر – أن يوظفوها لتبرير دعوتهم أو دعـواهم بأن اليمن الديمقراطية قـد حادث منذ البداية عن النهج القـويم عندما صرفها بريق الشعارات والأيديولوجيات والنظريات التى أفرزتها بيئة حضارية واجتماعية غربية ذات خصوصية تاريخية متميزة عن معرفة واقعها التاريخى والاجتماعى الخاص وكانت النتيجة من ثم هـذا الحصاد المرير من التأزمات والهزات والكوارث التى عاشـتها منذ عشية الاستقلال حتى اليوم .

فالاقتتال الأهلى بين الجبهة القومية وجبهة التحرير وصراعات اليمنى فى أكتوبر ١٩٧٨ م ودخول الحزب فى صراع حاد مـع نفسه

(*) نشرت فى « صوت العمال » فى ١٩٨٧/٦/٢٥ .

١٩٦٨ ضـد يمين الجبهة القومية الحاكم وحركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ م والنزاع الطويل بين تيار ربيع على اليسار الطفولى واليسار الدورى والذى انتهى بتصفية اليسار الطفولى فى ٢٦ يونيو ١٩٧٨ م ودمـج الاتحـاد الشعبى الديمقراطى وحزب الطليعـة الشعبية ضمن التنظيم السياسى الموحـد الجبهة القومية الذى انبثق عنه الحزب الاشتراكى اليمنى فى أكتوبر ١٩٧٨ م ودخـول الحزب فى صراع حاد مـع نفسه منذئذ بكل ما أدى اليه من أحـداث دامية فى ١٣ يناير ١٩٨٦ وما تلاه — كل ذلك وغيره من الأختمارات التى ما تزال تعتمل وتتفاعل يؤكد صـحة وجهة نظر دعاة الخصوصية هؤلاء ودعواهم بأن اليمن الديمقراطيـة قـد ضلت سبيلها منذ البداية حين اشاحت النظر عن متطلبات ومستلزمات الواقع الموضوعى وراحت تفسخ ما آلفه غيرها وتحاول تطبيقه بحذافيره على واقعها الخاص والمعقـد والمتفرد .

ووفق وجهة نظرهم هـذه فأن مجمل التجربه المريرة التى عاشتها اليمن الديمقراطية منذ الاستقلال والى اليوم قـد أثبت — وحتى بشهادة بعض ما اعترفت الوثيقة التحليلية بحـدوثه من الأخطـاء والانحرافات والفساد ومن نمو برجوازى طفيلى وبيروقراطى داخـل المجتمع والدولة ومن اصـابة الحزب ذاته بكثير من هـذه الأمراض وغيرها بما فيها مرض النزوع الاستهلاكى — قـد أثبت أنه ليس هناك — من وجهة نظرهم — ما يمكن تسميته « تجربة ثوريه » متميزة فى اليمن الديمقراطية عن غيرها من التجارب التى عرفتها بلدان عربية وغير عربية أخرى ، هـذه التجارب التى اما انتهت الى السقوط أو راوحت فى مكانها تمهيدا للحاق بمثيلاتها وهـو نفس المـآل الذى ينتظر تجربة اليمن الديمقراطيـة .

والزعم بأن اليمن الديمقراطية قـد تفردت بامتلاك برنامج حزبى مبنى على نظرية الاشتراكية العلمية يحـدد طبيعة المرحلة التاريخية

التى تواجهها ويؤكد التزامه بالمضى الى الامام حتى تحقيق الاشتراكية عبر النضال من أجل اقامة اليمن الديمقراطى الموحد — هذا الزعم — من وجهة نظرهم — ليس له ما يبرره ، فلا البرنامج يمثل صيغة واقعية وعلمية ومقبولة ولا امكانية تحقيق ما يسمى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية متيسرة فى اليمن الديمقراطية ، اما الطموح الى الانتقال الى المرحلة الاشتراكية فهو الوهم بعينه ، ناهيك ان مجمل الممارسات السياسية فى اليمن الديمقراطية لا تقود الى غير اقامة المزيد من الحواجز والأسوار أمام تحقيق الوحدة اليمنية .

والزعم بأن اليمن الديمقراطية قد تفردت بامتلاكها حزبا طليعيا يجسد نظريا وعمليا الفكر الاشتراكى العلمى ويتقدم مسيرة نضال الشعب اليمنى نحو التحرر الوطنى الكامل ، والوحدة اليمنية الديمقراطية ، والتقدم الاجتماعى ، والاشتراكية — هذا الزعم حسب تصورهم قد فقد حتى الكثير ممن رددوه وعملوا من أجل تحويله الى حقيقة ايمانهم بمصداقيته واقتناعهم بمدى سلامته وجاءت أحداث ١٣ يناير وما قادت اليه وما قد تؤول اليه لتضع فاصلا هائلا بين الأحلام والوقائع ، بين الأمانى والحقائق .

فلم تفشل تجربة توحيد الفصائل الديمقراطية فى حزب طليعى واحد فقط ، وانما أصيب الحزب نفسه بجميع الفصائل والأفراد التى تألف منها أو انضمت اليه بعد تأليفه بضربة ماحقة لا شفاء منها . ولا سبيل الى التغلب على مضاعفاتها وتداعياتها القادمة فى الطريق .

أما البديل لذلك كله فهو : العودة الى الواقع الموضوعى الموروث من التاريخ البعيد والقريب ، والانصات الى ما يمليه ، واتخاذه أساسا للعمل السياسى المنشود . والواقع الموضوعى يقول أنه لا يستطيع أى من شطرى اليمن أن يقيم حتى دولة وطنية بمعزل عن الشطر الآخر ،

ناهيك عن اقامة ما يسمى دولة وطنية ديمقراطية ، وان سر التعثر الذى منيت به اليمن الديمقراطية ، وستمنى به أكثر ، يكمن فى جهلها أو تجاهلها لهذه الحقيقة ، وفى تصورها أنه بمجرد اقامة ما يدعى بالحزب الطليعى ستنجز اليمن الديمقراطية ، مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية . وستعبرها الى المرحلة الاشتراكية ، وستحقق خلال ذلك اليمن الديمقراطى الموحد .

وحيث أن هذا التصور الميتافيزيقى — كما يرون — قد تكفلت الاحداث — وستتكفل أكثر — بوضع حد له ، فانه لا محيص من المراجعة الشجاعة والامينة لحصاد التجربة المريرة ، واستخلاص العبر والدروس المفيدة منها ، والتى بدونها لن تجد اليمن الديمقراطية الا الهاوية التى تنتظرها حتى قبل بلوغ نهاية ما يسمى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، ان لم تنتظرها فى أمد غير بعيد من الزمن .

وللخروج من هذا المأزق التاريخى الذى يواجهها فانه لا مفر من اعادة النظر فى كل شىء .

والمدخل الى ذلك هو الكف عن سياسة قفز المراحل التاريخية والكف عن التشدق بامتلاك نظرية علمية ، والكف عن التمسك بصيغة الحزب الطليعى ، والكف عن تصور أنه كان هناك أو ما يزال هناك حزب طليعى ، والكف عن تصور أنه يمتلك برنامجا سليما وصالحا لترشيد حركة النضال .

بعدئذ .. وبعدئذ فقط يمكن العثور على الحل .. والمخرج . وطريق النجاة من الكارثة التى توشك أن تطبق على اليمن كلها .

ذلك يعنى أنه لابد من اجراء عملية مراجعة شاملة ، ولابد من التراجع الى نقطة الانطلاق السليمة ، التى تساوى هنا شيئا واحدا

ووحيدا ، الا وهـو أن اليمن بشطريها تمر بمرحلة واحـدة ، هى المرحلة الوطنية ، وانها لم تبلغ بعـد ما يدعى عادة بمرحلة الثورة الاجتماعية فى مجتمع طبقى حقيقى •

ومرحلة الثورة الوطنية تستدعى حشد كافه القوى السياسية — أيا كانت مواقعها الاجتماعية ومشاربها السياسية — بكل ما يعنيه ذلك من اطلاق حرية تكوين الأحزاب لمثل هـذه القـوى السياسية ، وضرورة دخولها فى حوار ديمقراطى هـدفه العثور على صيغة جبهوية توحدها . ووضع ميثاق وطنى يمثل القاسم المشترك لمجمل تصوراتها السياسية الخاصة بهـذه المرحلة •

أما الهـدف الاستراتيجى الجامع والشامل لهـا مجتمعة فهـو : تحقيق وحـدة اليمن الوطنية • واحـداث النهضـة الحضارية فيهـا ، وتمكينها من أن تصبح عضوا حيا وفعالا بين جمـاع أمتها العربية الساعية الى التحرر والتقـدم والوحـدة وبين دول العـالم النامى المناضلة من أجـل صنع مستقبلها •

ولايهم من أجل تحقيق هـذا الهـدف الاستراتيجى القيام بأى شىء • بما فى ذلك تصحيح الأخطاء ، والعودة عن بعض الاجراءات التى اتخـذت فى اليمن الديمقراطية قبل أن يحين أوانها ، وقبل أن تنضج الظروف الموضوعية والذاتية لهـا •

وفى ظـل اليمن الموحـد يمكن — بعـد عملية تنميتها اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وبعـد تبلور معالم تمايز اجتماعى وتقاطب طبقى فيها — يمكن أن يتسع المجال تلقائيا لنوع من الصراع الطبيعى والاجتماعى ، بغية تحسين أوضاع الطبقات المحرومة من نصيبها الاجتماعى فى الثروة ، وبغية مشاركتها فى السلطة ، وبغية تطوير المجتمع ككل •

واضح الخطأ المنهجى الذى يقع فيه دعاة الخصوصية الشرقية — ومن ثم الخصوصية اليمنية — هؤلاء .

فهم باسم هذه الخصوصية يفصلون فصلا ميكانيكيا وتعسفيا بين الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية ، ويرجحون مفهوم الحرية الليبرالية باطلاق على مفهوم الديمقراطية الثورية الذى يعنى شيئا من التضييق على حرية بعض القوى الاجتماعية التى كفت عن أن تكون احدى قوى التقدم ، وهم من ثم يقدسون مبدأ الحرية الحزبية وحق كل طبقة فى أن يكون لها أكثر من حزب يمثل مصالحها ، ويبلور أيديولوجيتها — بقطع النظر عما اذا كان يسهل عملية الحراك الاجتماعى أو يثقل خطاها — وهم يفترضون عدم امكانية أن يحقق جزء من اليمن ما اصطلح على تسميته بالثورة الوطنية الديمقراطية ، وان قانون تفاوت التطور واحتمال أن يسبق شطر شطرا آخر من ذات الوطن فى مضمار التقدم الاجتماعى لظروف داخلية وخارجية مواتية غير وارد على الاطلاق ، كما يستبعدون النظرية اللينينية القائلة بامكانية تجنب مرحلة الرأسمالية — أيا كانت محدودية الشكل الذى تظهر فيه — وبامكانية الانتقال مباشرة من المرحلة الاقطاعية — القبلية الى المرحلة الاشتراكية عبر المرور بمرحلة وسيطه ، هى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، طالما توافرت لذلك الشروط الموضوعية والذاتية الداخلية التى يأتى على رأسها وجود حزب طليعى يقود تحالفا طبقيا يمثل العمال والفلاحون عموده الفقرى وشروط خارجية يأتى فى مقدمتها دعم دول المعسكر الاشتراكى وفى طليعته الاتحاد السوفيتى .

نحن اذن أمام وجهة نظر هى أدنى الى وجهة نظر البرجوازية الصغيرة منها الى وجهة نظر الديمقراطية الثورية .

وهى وجهة نظر من مصلحتها أن تصور مجرى الأحداث فى اليمن الديمقراطية منذ عشية الاستقلال حتى اليوم بتلك الصورة القاتمة التى

رأيناها ومن ثم فانه ليس فى امكانها البحث عن العوامل الحقيقية لحالات التأزم التى مرت بها الثورة ٠

وهى لا ترى الخط الصاعد لحركة الثورة — رغم كل التعرجات والهزات ورغم كارثة ١٣ يناير ١٩٨٦ — ٠

وهى لا ترى الحقيقة الناصعة المتمثلة فى أنه لم يحــدث قط — أيا كان حجم عملية المجابهة بين أجنحة التنظيم السياسى الحاكم — أن تراجعت الثورة خطوة واحــدة الى الوراء ، وانها كانت دائما تتجــذر وتخطو خطوات أبعــد الى الامام ، وعلى جميع المستويات ٠

وهى لا تحاكم الاحـــداث الا من زاوية واحــدة فقط - زاوية ما فقــدته البلاد من الامكانيات والقــدرات والكوادر والرجال خلال مراحل الصراع السياسى العنيف ٠

حقا تلك خسارات ، وخسارات فادحة ، وكان ينبغى تجنب حدوثها ٠

ولكن — بعــد حــدوثها ورغم حــدوثها — يظل السؤال السياسى الجوهرى هو : هل عادت عقارب الساعة الى الوراء ، هل حدث تراجع ما هنا أو هناك ٠ أم أنه بعــد كل عملية تعثر آنية يحــدث النهوض ، وبعــد كل كبوة تتحقق انطلاقة ؟

ذلك لا يعنى عــدم السعى الى اكتساب واستعادة كل من يمكن ويجب اكتسابه واستعادته الى حظيرة الثورة والحركة الاجتماعية التقـــدمية ٠

وذلك لا يعنى عــدم التسامح الثورى مع الثوريين ٠ فالثوريون يمكن أن يخطئوا ، بل ويمكن أن يخطئوا ٠

وغير صحيح القول بأن برنامج الحزب الاشتراكى اليمنى لا يستجيب لطبيعة المرحلة ، وأنه أقرب الى أن يكون صيغة مستوردة منه الى صيغة تجسد خصوصية الواقع اليمنى • فهو برنامج يتسم بقدر رفيع من النضج العلمى ، ويدل على قدرة عالية على حسن استخدام المنهج المادى الديالكتيكى فى التحليل وفى فهم الأوضاع فى اليمن الديمقراطية ، وهو وثيقة تعنى العودة عنها أو اعادة النظر فيها فى الظرف الراهن افساح المجال لحدوث المزيد من الارتباكات والاختلافات والتمزقات ، وهو عاصم فكرى لا بديل له ، حتى تجد ظروف وأوضاع تستلزم تطويره وتعميقه •

والحزب الاشتراكى اليمنى يظل رغم كل ما حدث فيه وحدث له الاطار التنظيمى الملائم الذى أمكن للحركة الثورية اليمنية بلوغه منذ نشوئها فى منتصف الخمسينيات •

وفى اطاره يمكن أن تنضوى خيرة العقول اليمنية التقدمية ، وأفضل أبناء العمال ، وطلائع الفلاحين وكل القوى الشريفة المتطلعة نحو المستقبل •

وفى اطاره يمكن أن تنضوى خيرة العقول اليمنية التقدمية ، السياسية والتنظيمية •

ووجود الحزب الاشتراكى اليمنى لا يتعارض مع ضرورة وجود جبهة وطنية عريضة تتسع لجميع الأحزاب والقوى الموجودة فى الوطن ، ولغيرها من الأحزاب والقوى الوطنية التى تفرزها حركة الصراع الوطنى الاجتماعى • ونواة هذه الجبهة موجودة بالفعل •

واستمرار بقاء النظام الديمقراطى الثورى فى جنوب الوطن يحقق مصلحة الحركة الوطنية والاجتماعية اليمنية بمجملها ، وتراجعه عن أى

من المنجزات التى حققها — حتى ولو كان بعضها قد انجز فى غير أوانه — يؤثر سلبيا على هـذه الحركة ، ويهز الثقة فى مصداقية توجهه .

ومشاكل هـذا النظام ومعضلاته لا تقاس بالمشاكل والمعضلات التى واجهها ويواجهها نظام ديمقراطى مماثل يقوم فى أفغانستان .

ولا حاجة للحـديث المستفيض فى هـذا الشأن ، لتبيان أن النظام التقـدمى فى اليمن الديمقراطية امتلك ويمتلك امكانيـات وقـدرات ذاتية للتغلب على مشاكله الداخلية والخارجية كان بها فى وضع أفضل من وضع النظام التقـدمى فى أفغانستان .

حقا أن التبدلات على مستوى قيادة الحزب فى أفغانستان قـد اتسمت فى المرحلة الأخيرة بالهـدوء . ولكن ذلك لم يحـدث الا بعـد أن تجرع الحزب قـدرا من الكأس المرة ، والا بعـد أن انفسح المجال أمام الحليف السوفيتى ليلعب دوره الامى فى هـذا الصـدد .

وقـد شرب الحزب الاشتراكى اليمنى القـدح المر حتى الثمالة فى أحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ بعـد أن تجرع التنظيم السياسى السابق له من هـذه الكأس غير مرة .

وكمـا أن رأى الحليف السوفيتى موضـع ترحيب الحزب فى أفغانستان فانه كذلك الان موضع ترحيب الحزب الاشتراكى اليمنى الذى يسعى ويطالب بمثل هـذه المساعدة الفكرية والسياسية الامية الى جانب مساعداته المـادية الأخرى .

ومعضلة النازحين لابد من حل لهـا وليس هناك طريق مقفل ، ولا أفق مسدود . والذين لحق بهم حيف — من قبل ومن بعـد — لابد

أن يعاد لهم اعتبارهم التاريخى والوطنى ولا يظلم التاريخ أحـدا . حتى ولو ظلم لبعض حين لاعتبارات سياسية طارئة •

والتاريخ لا يكتب مرة واحـدة • وصانعو اية قضية لا يستطيعون أن يكونوا هم مؤرخيها • غاية ما يستطيعون فعله هـو تقـديم تقييمهم الذى يتسع ويتعمق كلما ابتعـد عن لحظة حـدوث الحـدث ، وكلما تبلورت نتائجه أكثر فأكثر •

والوثيقة النقـدية التحليلية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية ١٩٧٨ — ١٩٨٦ تتقـدم مثل هـذا التقييم لا باعتباره الكلمة الأخيرة ، وانما باعتباره الكلمة الأولى ، الواضحة والصريحة فى عملية ممارسـة النقـد لتجربة الحزب النضالية •

ولقـد أقر الكونفرنس العام الذى عقد ما بين ٢٠ — ٢١ يونيو ١٩٨٧ هـذه الوثيقة التى سيبلورها ويعمقها الحزب فى سياق نضاله •

وأهمية التقييم والكونفرنس معا تكمن فى شىء واحـد : القـاء نظرة سريعة على ما جرى منذ قيام الحزب حتى ١٣ يناير ١٩٨٦ ، والقاء نظرة على آفاق المستقبل عبر التقرير السياسى الذى تقـدم به الى الكونفرنس العام الأمين العام للحزب الرفيق على سالم البيض •

والهـدف من ذلك كله حشد خطى الحزب والجماهير معه على طريق الثورة الوطنية الديمقراطية والانطلاق بهمة أكبر ، وثقة أعظم نحو انجاز مهامها التاريخية فى التقـدم الاجتماعى والتنمية الاقتصادية المستقلة ، وفى تفجير الثورة الثقافية ، وفى النضال من أجل شق طريق الوحـدة اليمنية واقامتها على أسس ديمقراطية وفى وضع الأسس المادية والتكنيكية التى بارتباطها مع انجاز مهام الثـورة الوطنية الديمقراطية ينفتح الطريق واسعا نحو صعود ذرى الاشتراكية •

تجربة الثورة
في
اليمن الديمقراطية
نموذج طليعي
الثورات الديمقراطية(*)

(*) نشرت في مجلة « قضايا العصر » عدد أغسطس ١٩٨٦ .

بتحويل الرأسمال الى رأسمال مالى ، الى احتكار ، الى امبريالية ، دخـل العالم كله شبكة التبعية الاستعمارية ، سواء بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر ، وعمت بذلك سيادة الرأسمال الاحتكارى الـكرة الأرضية كلها ، وتحول الكون كله الى مجرد سوق عالمية لدول المتروبول ، ولم تعـد عبودية العمل المـأجور مقصورة على البلدان الامبريالية ، وانما شملت البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة والتابعة .

وباتسام الرأسمال بهـذه السمة العامة ، هـذه السمة العالمية ، فأنه خلق نقيضا اجتماعيا ذا سمة عامة ، ذا سمة عالمية . وغـدا ليس فى مواجهة ثورة اجتماعية تقودها بروليتاريا البلدان الاستعمارية فحسب ، انما أيضا فى مواجهة ثورات تحرر وطنى تشنها البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة والتابعة ، وتشترك فيها مختلف طبقات وفئات وقوى الشعب الوطنية ، ثورات لابد لهـا عند نقطة معينة من تطورها من التحول الى ثورات اجتماعية ضـد الرأسمالية ذاتها وضـد نهج التطور الرأسمالى عينـه .

ان الانتكاسات التى حاقت وتحيق بالعـديد من ثورات التحرر الوطنى حتى الآن لا تنفى هـذه الفرضية النظرية التى نبهت اليهـا اللينينية وأثبتت صحتها التجربة التاريخية ، وانما هى برهان آخر على ان مثل هـذه الثورات المحبطة أو المجهضة لم تتمكن من الوصول الى النقطة المشار اليها فى تطورها ، نقطة التحول ضـد الرأسمالية ذاتهـا وضـد نهج التطور الرأسمالى من أساسه .

ان اية تحويلات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية لا تتجاوز الافق الديمقراطى الثورى ولا تعبر الحد البرجوازى الصغير ، ولا تبلغ حد اقتحام طريق التوجه الاشتراكى ولا تعتمد على تحالف ديمقراطى واسع ، ولا يقودها حزب طليعى بروليتارى ولا نقيم أوثق وأوسع العلاقات مع البروليتاريا المنتصرة فى البلدان الاشتراكية ، وعلى راسها الاتحاد السوفيتى — ان مثل هذه التحويلات — أيا كان مداها — مصيرها الانتكاس ، والبقاء فى شبكة التبعية الاستعمارية •

وليس فى الامكان تمزيق شبكة التبعية الامبريالية هذه والخروج من دائرة التخلف الا بتحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة ذات توجه اشتراكى •

غير أن حدوث مثل هذه الانعطافة الحاسمة غير ممكن طالما ظلت الثورة الديمقراطية تحت قيادة البرجوازية الصغيرة •

فالبرجوازية الصغيرة لا تلبث أن تولد برجوازية بيروقراطية عسكرية ومدنية ذات ميول يمينية ولا تلبث أن تنمو فى ظلها مختلف فئات البرجوازية فى المدينة والريف معا ولا تملك الا أن تبقى الجسور مفتوحة مع السوق الامبريالى ، مما يؤدى الى السير فى طريق التطور الرأسمالى والى نسج علاقات متعددة مع الرأسمال الامبريالى والى البقاء آخر الأمر داخل فلك التبعية الاستعمارية •

ان مآل التجربة الناصرية والبعثية — وبالذات فى العراق — وما تعانيه التجربة الجزائرية وما تواجهه التجارب الثورية الأخرى فى سوريا وليبيا من مخاطر داخلية وخارجية ومن داخل التجربة ذاتها ، وان ما انتهت اليه التجارب الثورية الأخرى فى العالم التى قادتها البرجوازية الوسطى والصغيرة ابتداء من أندونيسيا سوكارنو مرورا بغانا

نيكروما ، وانتهاء بنتشيللى اللندى — ان ذلك كله يقــدم براهين قاطعة على العجز التاريخى للبرجوازية الصغيرة والوسطى عن اخراج بادانها من شبكة التبعيـــة الاقتصـــادية والأيديولوجية للبلدان الرأسمالية المتروبوليـــة •

ان المؤامرات الامبرالية ليست وحــدها المسئولة عن النكسات التى حلت بالتجارب الثورية الديمقراطية فى هــذا البلد النامى أو ذاك •

فالمؤامرة لا تفرخ الا فى أرض صالحة ، ولا تنجح الا اذا وجــدت ظروفا داخلية تساعد على ذلك •

وطالمــا ظلت السلطة فى يد البرجوازية البيروقراطية العسكرية والمدنية التى بصفتها هــذه فقــدت ثوريتها التى كانت لهــا عندما كانت برجوازية صغيرة ثورية طامحة ، فأن احتمال فشل الأنظمة الوطنية التى تكون قــد أقامتها يظل وأرادا باستمرار واحتمال ارتباطها بخيــوط جــديدة من التبعية المتعــددة الأوجــه بالبلدان الامبريالية يظــل قائمــا دائمــا •

فقط تلك البلدان التى سارت فى طريق التوجه الاشتراكى بفضل قيام حزب طليعى فيها يعتمد على قاعــدة شعبية عريضة مؤطرة وعلى منظمات جماهيرية مرتبطة عبر أعضائه وعبر اقتناعها بسلامة نهجــه السياسى وبفضل التعاون الذى يبلغ حد التحالف مع البلدان الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ، فقط مثل هــذه البلدان يمكنها لا أن تفلت من شبكة التبعية الاستعمارية فحسب ، وانما أيضا من قبضــة البرجوازية الصغيرة الداخلية ، ويمكنها من ثم أن تحول ثورتها الديمقراطية البرجوازية الى ثورة اشتراكية ، من خلال المرور بدرجات انتقالية وسيطة ، واقامة قاعــدة مادية تكنيكية •

والثورة فى اليمن الديمقراطية هى أقرب مثل نموذجى لهذا النمط من الثورات الديمقراطية التى أمكنها ليوم بلوغ مرحلة التوجه الاشتراكى تمهيدا لانتقالها الى أفق الاشتراكية •

وهى بذلك تعطى مؤشرا بالغ الدلالة على الطريق الذى لا بديل له والذى لا محيص من المضى فيه ليس بالنسبة للبلدان العربية فقط ، وانما أيضا بالنسبة للبلدان النامية التى تطمح الى الافلات من شباك التبعية الاستعمارية ، والى السير فى درب التقــدم الاجتماعى •

وليس فى الأمر ما يدعو للعجب أن تلقى التجربة الثورية فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية كل هــذا الاهتمام العامى والسياسى من قبل الكتاب والمفكرين المتقــدمين فى وطننا العربى وفى العالم كله ، وأن تتقاطر الى ميدان ثورة ١٤ أكتوبر اليمنية هــذه النخبة الممتازة من رجالات البحث العلمى ، ومن ممثلى الأحزاب الاشتراكية ، ومن مراكز الأبحاث المتخصصة فى شــئون الشرق •

وليست هــذه هى الندوة العلمية العالمية الأولى التى تعقــد فى اليمن الديمقراطية والتى تشهد مثل هــذا الجمع الرفيع المستوى من المفكرين العرب ، والمستشرقين ، والمتابعين لتجربة الثورة فى هــذا الجزء الناهض من الوطن اليمنى •

فقــد سبقتها ندوة أيديولوجية عالمية أقيمت هنا فى ابريل عــام ١٩٧٩ • ولم تنقضى الا بضعة أشهر منذ أقامت جامعة كارل ماركس — لايبزج بجمهورية ألمانيا الديمقراطية فى سبتمبر ١٩٨٣ ندوة شــارك فيها وفــد من اليمن الديمقراطية حملت عنوان (التاريخ والتطــور الاجتماعى الراهن فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) •

وتأتى ندوتنا العلمية العالمية المنعقدة هنا اليوم لا لتكون فقط

تتويجا للندوات العلمية السابقة لهـا التى عقدت فى اليمن الديمقراطية وفى الخارج وانما لتكون أيضا وقفة فكرية وسياسية جـديدة نرجـو أن تكون أرسخ وأعمق وأشمل ، وان تكون حصيلتها غير مقصورة على تقييم السمات الخاصة لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية ، بحيث تتوصل الى استخلاص السمات العامة التى تنطوى عليها ، والتى يغتنى بها كنز الثورة العالمية ، وتفيد منها حركات التحرر الوطنى العربيـــة والعالميـــة •

ان الفترة التاريخية التى اجتازتها الثورة فى اليمن الديمقراطية منذ نشوب ثورة ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣ والى اليوم تعتبر فترة قصيرة جدا من الناحية الزمنية ، غير أنها من حيث المعارك الوطنية والاجتماعية التى خاضتها ، والتناقضات الداخلية والخارجية التى واجهتها وتمكنت من حلها ، والتجنحات اليمنية واليسارية التى اصطدمت بها على مستوى السلطة واتيح لهـا التغلب عليها ، والتحولات الاجتماعية والاقتصـادية والسياسية والثقافية التى أنجزتها والسير المطرد والمتسارع فى طريق التحرر الوطنى ، والتقـدم الاجتماعى ، والتعاون المتنامى والمتعاظم مع كل قوى الثورة فى العالم ، وعلى رأسها المنظومة الاشتراكية ، وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى فأنهـا — بذلك كله — تقـدم خبرة ثورية بالغـة الغنى والعمق ، وخبرة تتجاوز أهميتها وقيمتها اليمن الديمقراطية لتكتسب دلالة تاريخية أعم ، ومغزى عالميا أشمل •

لم تكن ثورة ١٤ أكتوبر أقـدم وأعرق الثورات العربية ، فقـد سبقتها الكثير من الثورات العربية التى تعود جـذور بعضها الى الربع الثانى من القرن التاسع عشر كالثورة المصرية التى بدأت بثورة عرابى عام ١٨٨١ •

بل ان ثورة ١٤ أكتوبر ما كان لهـا أن تقـوم فى الوقت الذى قامت فيه ، لولا عوامل وطنية وقومية مساعدة ، تمثلت فى اندلاع ثورة

٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ فى شمال الوطن اليمنى ، وفى الدعم الناصرى لهـــا عبر شمال اليمن نفسه الذى لقيت الثورة فيه ذات الدعم .

غير أن ما يدعو الى الانتباه — ان لم يثر العجب — هـو أن ثورة ١٤ اكتوبر قـد تجاوزت — فى مسارها التاريخى — الثـــورة اليمنية « الأم » ثورة ٢٦ سبتمبر ، التى ازرتها خلال السنوات الخمس من اشتعالها ، قبل أن يطفئها انقلاب ٥ نوفمبر الرجعى عام ١٩٦٧ ، كما تجاوزت الثورة القومية « الأم » ثورة ٢٣ يوليو المصرية ، التى وقفت الى جانبها فى مبدأ الأمر ، قبل أن ينشأ التناقض بينهما منذ النصــف الثانى لعام ١٩٦٥ بفعل محاولة الأجهزة البيروقراطية واليمينية المصرية فى اليمن فرض وصايتها على ثورة ١٤ أكتوبر ، وحرفها على خطهـــا التحررى الجـــذرى الذى اندمج عنه « الميثاق الوطنى » الذى صـــدر فى يونيو ١٩٦٥ ، والطابع الشعبى للثورة الذى اخـذ يتجلى أكثر فأكثر .

والسؤال هـو : بم ولمــاذا تجاوزت ثورة ١٤ أكتوبر ثورة ٢٦ سبتمبر التى بدت لأول وهلة كامتداد لهـا ليس الا ، وثورة ٢٣ يوليو الرائدة التى شمل دعمها كل الثورات العربية ، وان بدرجات متفاوته ؟ ثم كيف أمكن لهـا أن تتخطى كل الثورات العربية بلا استثناء ، وأن تحتل هــذا الموقع الأمامى المتقـدم بينها مجتمعة ، بل وأن تحتل مكانة بارزة — ومرموقة بين الدول الديمقراطية الثورية الجـديدة السائرة فى طريق التوجـه الاشتراكى ؟ .

وليس فى الأمر صدفة ، أو ما يشبه الصدفة . وليس فيه ما يدعو للاستغراب أو التعجب .

لقـــد سلكت اليمـن الديمقراطية الطريق الطبيعى الذى سلكته وتسلكه تلك ثورة اصيلة ، كل ثورة شعبية ، كل ثورة وطنية ديمقراطية ،

تدرك جيدا أن مهمتها لا تنتهى عند اخراج قوى الاحتلال الامبريالية من أراضى وطنها ، وانما تمتد الى آفاق المستقبل ، وانها لن يكتب لهـا النجاح والانتصار الا باتخاذ موقف وطنى حاسم حازم ضد الاستعمار القـديم والجـديد ، وضـد الرجعية الداخلية والخارجية ، والا باقامة دولة وطنية مستقلة سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، والا بنسف تركـة المـاضى القروسطية ، وضرب العلاقات الاقطاعية والقبلية والبطريركية ، والعلاقات البرجوازية الكمبرادورية ، وتقليم أظافر البرجوازية الوسطى التى تميل الى التعاون مـع الأوساط الاحتكارية الامبريالية ، وقطـع طريق التطور الرأسمالى ، والمضى فى طريق التنمية الاقتصادية المتناسقة والمتكاملة ، وفق خطط منهاجية علمية ، بهـدف ايجاد اقتصاد وطنى انتاجى صناعى وزراعى ، ورفع مستوى معيشة الشعب ، وتلبية حاجاته المـادية والروحية ، والتعاون فى هـذا الصـدد مع الدول الاشتراكية ، والافادة من خبرتها النظرية والعملية فى جميع هـذه المجالات •

قـد يقف قائل ليقول فى لهجة لا تخلو من الاستنكار : أو لم تمض كل الثورات العربية ، وعلى رأسها الثورة المصرية ، فى هـذا الطريق الذى تسميه طبيعيا ؟ أو لم تصل فى تطورها الى حـد اقتحام طريق التطور اللارأسمالى ، أو طريق التوجه الاشتراكى ، كما حـدث فى مصر الناصرية ! وكما هـو حادث اليوم فى الجزائر ، وسوريا وليبيا ، بقطع النظر عن التراجع أو الانتكاس عن هـذا الطريق • كما حـدث فى مصر ما بعـد عبد الناصر ، والسودان ، والصومال وغيرها من البلدان •

ونحن لا نشك أن فى الأمر اشكالا نظريا ، أو اشكالية نظرية ، آن أوان حلها • ولعل هذه الندوة تسهم فى تقديم مثل هذا الحل •

حقا أنه ساد خلال الفترة الناصرية تدور روجته حتى بعض مراكز البحث العلمى ، وبعض الدارسين الاشتراكيين فى المعسكر الاشتراكى ،

مفاده ان مصر الناصرية تسير فى طريق التطور اللارأسمالى ، وطريق التوجه الاشتراكى ، وان الديمقراطيين الثوريين هم الذين يقودون هذه المسيرة : نظرا لضعف الطبقة العاملة المصرية كما وكيفا ، وضعف وتمزق الشيوعيين المصريين ، وان الاتحاد الاشتراكى العربى الذى يحتشد فيه ممثلو كل الطبقات والفئات الوطنية والشعبية يمكن أن يكون هو الأداة القيادية للثورة خلال عملية الانتقال الى المرحلة الاشتراكية

ان مثل هذا التصور لم يختف بعد نهائيا حتى اليوم ، حيث يميل البعض من الباحثين حتى فى الدول الاشتراكية — وذلك ما تدلل عليه العديد من الكتابات المنشورة — الى أن هناك طريقين أو شكلين للتوجه الاشتراكى ، الشكل القديم الذى مضت فيه بعض الدول الوطنية منذ نهاية الخمسينيات ومطلع الستينيات ، ولا يزال البعض منها سائرا فيه مثل الجزائر ، وسوريا ، وقبلهما مصر ، ومثل بورما ، وتنزانيا ، وغانا ، ومالى ، واندونيسيا ... الخ والأداة القيادية لمثل هذا التوجه تتمثل فى الديمقراطيين الثوريين الذين تجمع أيديولوجيتهم ما بين مفاهيم البرجوازية الصغيرة ورؤيتها الخاصة والضبابية للاشتراكية وما بين عناصر من أيديولوجية الاشتراكية العلمية .

أما الشكل الجديد للتوجه الاشتراكى فهو الذى تمثله بلدان مثل أفغانستان ، واثيوبيا ، وموزامبيق ، وأنجولا ، وبنين ، والكونغو الشعبية ، واليمن الديمقراطية ، والذى تقود الخطى فيه أحزاب ديمقراطية ثورية تبنت أيديولوجية الاشتراكية العلمية ، أو تبنتها واندمجت مع الأحزاب أو الجماعات الاشتراكية العلمية القائمة بالفعل .

ان موضوع الخلاف هو ما يسمى الطريق القديم أو الشكل القديم للتوجه الاشتراكى وعما ان كان قد وجد من الأصل ، ناهيك عن ان يكون ما يزال قائما ، وعما اذا كان صحيحا من الوجهة

النظرية القول بطريقتين أو شكلين للتوجه الاشتراكى يقـود أحـدهما الديمقراطيون الثوريون الذين يأخـذون بهـذا العنصر أو ذاك من عناصر الاشتراكية العلمية ، ويقـود الثانى منهما الديمقراطيون الثوريون الذين تبنوا الفكر الاشتراكى العلمى ، وكونوا مع الجماعات الاشتراكيه العلمية أحزابها طليعية لهـذا الغرض ؟

حقا هناك ما أسماه لينين « المذاهب الاشتراكية المتأخرة » التى تفرزها الأوضاع الاجتماعية المتخلفة ، وهى — كما قال — « نظريات اختيارية مختلطة ، انتقالية ، تقـع بين الاشتراكية البرجوازية الصغيرة ، والاشتراكية البروليتارية »(١) • غير أن هـذه النظريات التوفيقية أو التلفيقية كانت قـد اتخـذت الماركسية اللينينية موقفـا فكريا وسياسيا واضحا منها واعتبرتها ممثلة لمصالح وأيديولوجية الفلاحين ذوى الملكية الصغيرة والذين يحاذرون من تبنى أيديولوجية الاشتراكية العلمية التى تعبر عن مصالح البروليتاريا ، والتى تعنى تعميم وسائل الانتاج وتملكها بشكل جماعى •

غير أنه ليس هناك فى أدبيات الفكر الماركسى — اللينينى ما يشير الى أن الديمقراطيين الثوريين حاملى أيديولوجية البرجوازية الصغيرة والاخـذين بهـذا العنصر أو ذاك من عناصر الفكر الاشتراكى العلمى يمكن أن يمضـوا ببلادهم فى طريق التوجـه الاشتراكى الذى يعنى بوضوح القطيعة العملية مع اشتراكية البرجوازية الصغيرة والقطـع النظرى والعملى مع طريق التطور الرأسمالى •

ان هناك — بالعكس — تعاليم واضحة تبين أنه ليس فى الامكان حتى انجاز الثورة الديمقراطية بكامل أهـدافها ، دون قيادة البروليتاريا لهـا ، ودون حزب طليعى اشتراكى علمى يمسك بزمام هـذه القيادة ، ودون تحالف الطبقة العاملة والفلاحين ، ودون استقطاب من يمكن

استقطابه من عناصر البرجوازية الصغيرة الى جانب الثورة ، ذلك ان انجاز تكامل أهـداف الثورة الديمقراطية يدفع بالشعب الواعي مباشرة في طريق الاشتراكية ، طريق تحـول الثـورة الديمقراطية الى ثورة اشـــتراكية •

فمنذ قيام الثورة والجمهورية الصينية عام ١٩١١ التي اشاد بها لينين ايما اشادة وقيم دور الفلاحين ... في هذه الثورة البرجوازية الديمقراطية — ودور زعيمها صن يات صن تقييما رفيعا — منذ هـذا الوقت أعرب عن قلقه وخوفه على مصير هـذه الثورة الديمقراطية اذا ! اغياب حزب بروليتاري يكون قادرا على حمايتها من مؤامرات البرجوازية الليبرالية وعلى تامين مسيرتها الاجتماعية • حيث كتب في نوفمبر ١٩١٢ في صحيفة « البرافــدا » : « لقــد انتصرت الحرية الصينية عن طريق تحالف الديمقراطية الفلاحية والبرجوازية الليبرالية فهل سيستطيع الفلاحون ، دون قيــادة من حزب البروليتاريا ، الاحتفــاظ بموقفهم الديمقراطي ضـــد الليبراليين الذين لا ينتظرون غير الفرصة الملائمـة للانتقال الى جهة اليمين »(٢) •

لقــد حـــدث ما خشى منه لينين ، حيث خانت البرجوازية الليبرالية الثورة ، وأجهضتها في غياب حزب بروليتاري يقــودها • ويضمن المضى بها الى نهاية الشوط •

ومنذ البداية اشترط لينين انجاح وانتصار اية ثورة ديمقراطية ، ومن ثم تحولها الى ثورة اشتراكية ، ضرورة تزعم البروليتاريا لهـا من خلال حزبها المستقل ، وضرورة تحالفها مع جماهير الفلاحين وكل العناصر البرجوازية الصغيرة التي يمكن اجتذابها الى مجرى الثـورة العـــام والواسع ، وضرورة تقــديم الدعم ايا من البلد الذي تكون البروليتاريا قــد انتصرت فيه •

ولم يجعل هــذه الشروط مقصورة على البلدان الأوروبية التى وجــدت فيها بالفعل بروليتاريا وأحزاب بروليتارية ــ شأن ما كان قائما فى روسيا التى حــدثت فيها مثل هــذه الثورة الديمقراطية التى تحولت فــورا الى ثورة اشتراكية ــ وانما عممها على البلدان المتخلفة ــ بمــا فيها آسيا الوسطى التى كانت ما تزال تعيش مرحلة ما قبل الرأسماليه ، والتى بفضل الدور القيادى للحزب البلشفى الذى أوجــد له منظمات محلية فى كل اقليم وقــومية وبفضل تحالف الفلاحين مع ممثلى الطبقة العاملة فى طول الاتحاد السوفيتى وعرضه ، ومع بذور الطبقة العاملة التى نبتت فيها مع حركة التصنيع السريعة التى قامت فيها ــ أمكن لها ــ لآسيا الوسطى ، ومعها سيبيريا ، وكل المناطق الأخرى المتخلفة أن تحقق الثورة الديمقراطية ، وان تحولها الى ثورة اشتراكية ، متجاوزة بذلك مرحلة الرأسمالية •

وفى هــذا الصــدد قال لينين : « ان نشاط الشيوعيين الروس العملى فى المستعمرات القيصرية السابقة ، فى بلدان متأخرة كتركستان وغيرها ، قــد وضع أمامنا المسألة التالية : كيف نطبق الخطة الشيوعية والسياسة الشيوعية فى ظروف ما قبل الرأسمالية ، لان السمة المميزة لهــا فى هــذه البلدان هى كون السيطرة فيها لعلاقات ما قبل الرأسمالية ، ولذلك لا مجال فيها لحركة بروليتارية صرف • تكاد البروليتاريا الصناعية تكون معــدومة فى هــذه البلدان • وبالرغم من ذلك اضطلعنا فيهــا أيضا بدور القادة ، وينبغى لنــا أن نضطلع بهــذا الدور • وقــد اتضح لنــا فى عملنا أنه ينبغى لنــا فى هــذه البلدان تذليل صعوبات جسيمة ، غير أن النتائج العملية التى أسفر عنها قــد بينت أيضا أنه بالرغم من هــذه الصعوبات يمكن أن نوقظ فى الجماهير النزوع الى التفكير السياسى المستقل ، والى النشاط السياسى المستقل ، حتى فى البلدان التى تكاد البروليتاريا تكون فيها معــدومة »(٣) •

حقا أن وجود الشرق السوفيتى المتخلف فى اطار دولة واحدة ، هى الاتحاد السوفيتى ، وتحت قيادة حزب بروليتارى هو الحزب الباث فى قد سهل تحقيق الثورة الديمقراطية فيه ، وتحولها الى ثورة اشتراكية ، دون المرور بالمرحلة الرأسمالية •

غير أن هناك تجربة ثورية أخرى بالغة الدلالة ، وتكتسب خبرتها أيضا أهمية عامة بالنسبة لمجمل الدول المتخلفة التى لم تبلغ مرحلة الرأسمالية ، الا وهى التجربة المنغولية •

لقد قامت فى منغوليا عام ١٩٢١ ثورة ديمقراطية ضد الامبريالية والاقطاع والفئات العليا والوسطى من رجالات الدين البوذيين الرجعيين وقد قاد هـذه الثورة الحزب الثورى الشعبى المنغولى الذى كان يتكون فى الأساس من الفلاحين ، حيث لم يكن للبروليتاريا أثر يذكر ، كما لم يكن هناك وجود للبرجوازية الوطنية •

وتعويضا عن عـدم وجود البروليتاريا فى منغوليا اقامت الثـورة علاقة تحالف متينة مع الطبقة العاملة فى الاتحاد السوفيتى ، فى نفس الوقت الذى عملت فيه على استنباتها فى البلاد عبر مشاريع التصنيع التى قامت بمساعدة الاتحاد السوفيتى ، وشرعت فيه تطور الحزب من حزب ديمقراطى ثورى الى حزب ماركسى — لينينى •

وفى لقاء قادة الحزب بلينين فى نوفمبر ٢٩٢١ أوضح لهم لينين بجلاء أن تحول حزبهم الديمقراطى الثورى الى حزب شيوعى مرتبط بتغير البنية الاجتماعية فى البلاد ؛ ونشؤ بنية جـديدة فيها ، ومن ثم تشكل البروليتاريا ، وانخراطها فى هـذا الحزب واكسابه — اضافة الى تبنيه أيديولوجية الاشتراكية العلميـة — السـمة البروليتارية ، حيث أكد أنه « سوف يتعين على الثوريين بذل جهود كبيرة فى بنـاء الدولة

والاقتصاد والثقافة الى أن تولد عناصر الرعيـــل جماهير بروليتارية تساعد فيما بعـــد على « تحويل » الحزب الثورى الشعبى الى حزب شـــيوعى(٤) .

وبالفعل فأنه فقط بنشوء البروليتاريا المنغولية وتحـول الحزب الثورى الشعبى المنغولى الى حزب شيوعى ، ودعم الاتحاد السوفيتى المـادى والتكنولوجى والسياسى ، أمكن أن تتحول الثورة الفلاحيـة الديمقراطية المنغولية الى ثورة اشتراكية ، هـذا التحول الذى لم يبدأ الا بعـد حوالى ٢٠ عاما ، أى مع مطلع الأربعينيات .

ويمكن كذلك القـول بأن تزعم الأحزاب الشيوعية فى البلـدان الاسـيوية الأخرى لحركة التحرر الوطنى الديمقراطى فى بلـدانها ، ونسجها لعلاقات تحالف طبقى وسياسى بين الفلاحين والطبقة العاملة الاخـذة فى النشوء واقامة الأوثق علاقات التعاون مع الاتحاد السوفيتى ، هو الذى مكنها من تحقيق التحرر الوطنى ، وانجاز الثورة الديمقراطية وتحويلها مباشرة الى ثورة اشتراكية .

ان ذلك يصـح على فيتنام الاشتراكية ، وكـوريا الديمقراطية الشعبية ، بل وعلى الصين الشعبية ، بقطع النظر عن الانحراف المـاوى الذى طرأ فيما بعـد ، والذى ستتمكن حركة الثورة الصينية وحركة الثورة البروليتارية العالمية من تصحيحه بكل تأكيد .

ولم تستطع الثورة الكوبية أن تتم عملية التحـويل الديمقراطى الثورى للمجتمع ، وان تنتقل من ثم الى مرحلة التحول الاشتراكى الابتبنى كاسترو ورفاقه — الى جانب الشيوعيين الآخرين — مبادىء الماركسية اللينينية ، وقيام الحزب الشيوعى الكوبى ، الذى حشد جماهير الطبقة العاملة والفلاحين خلفه ، ومد جسرا من التعاون الأممى مـع المعسكر

الاشتراكى. وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى ، الغى به المسافة الهائلة القائمة ما بين كوبا فى الغرب والمنظومه الاشتراكية فى الشرق ، وحفز به حركة الثورة فى مجمل أمريكا اللاتينية التى تعتبر اليوم اكثر مواقـد حركة التحرر الوطنى اشتعالا .

فى ضوء هـذا القانون التاريخى العام ، وهـذه الخبرة الثورة العالمية اللذين يبينان شروط انتصار حركة التحرر الوطنى الديمقراطى ، ونجاحها فى اقامة أنظمة ديمقراطية ثورية ، تتحول تدريجيا الى ثورات اشتراكية ــ فى هـذا الضوء علينا أن ندرس ونقيم الأنظمة الوطنيـة العربية منذ نظام عبد الناصر الى اليوم ، ما انتكس منها ، وما زال يراوح فى مكانه .

ولسوف يتضح لنا أن جميع هـذه الأنظمة ــ باستثناء النظـام الديمقراطى الثورى ، الذى اقامته ثورة ١٤ أكتوبر اليمنية ــ قـد وصلت الى طريق مسدود ، والى مأزق تاريخى لا مخرج منه ، ممـا أدى الى سقوط بعضها ، والى اختناق ما تبقى عند النقطة التى وصـل اليها ، دون أمل فى الخلاص الا بتغير البنية السياسية الحاكمة والمتحكمة ، التى تهيمن فيها البيروقراطية البرجوازية العسكرية والمدنية .

ان ذلك لا ينفى أنه قامت فى المنطقة العربية منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو فى مصر أنظمة ذات صبغة وطنية ديمقراطية ، أحـدثت تحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية هائلة أفادت منها مختلف الطبقات والفئات الوطنية والشعبية وأن عملية تصنيع وتنمية وتطور متعـددة الجوانب قـد قامت فى ظلها ، وأن ذلك قـد تم بهـذا القـدر من التعاون أو ذاك الذى أمكن اقامته مع الاتحـاد السوفيتى والبلـدان الاشتراكية الأخرى التى لم تتراجع عن تقـديم أى عون طلبته هـذه الأنظمة ، بما فى ذلك ارسال الجنود السوفييت للدفاع عن وجود هـذه الأنظمة نفسه .

الا أن القول بذلك شيء ، والقول بأن هـذه الأنظمة قـد سارت فى طريق التطور اللارأسمالى ، أو فى طريق التوجـه الاشتراكى ، شيء آخر .

ان حركة الردة والتراجع والمراوحة والاختناق التى واجهتها هـذه الأنظمة قـد جعلت الكثير يعودون عن مثل هـذه المبالغة الكلامية ، ولم يبق الا القليل الذين لن يستمر اصرارهم عليها طويلا .

ماذا يعنى ذلك كله ؟ انه يعنى بالضبط أن هناك ثورات وطنيـة ديمقراطية تقودها البرجوازية الصغيرة وفئات من البرجوازية الوسطى لا تتمكن من انجاز كامل مهامها الثورية الديمقراطية ، وتضطر الى التوقف عند هـذه النقطة أو تلك ، ممـا يعرضها للمؤامرات الداخلية والخارجية ، ويؤدى الى الاطاحة بالنظـام الذى تكون قـد اقامته ، أو تجميدها ، مؤقتا ، تهيؤا للاطاحة بها أو افراغها من محتواها الوطنى الديمقراطى .

وذلك يعنى أيضا — وذلك هـو بيت القصيد — أن هـذه الأنظمة لم تسر فعـلا فى طريق التطـور اللارأسمالى ، أو طريق التوجـه الاشتراكى ، حتى وان أقامت قطاعا عاما فى الصناعة والتجارة ، وقطاعا تعـاونيا فى الزراعـة ، حيث أن ذلك وحـده لا يعنى بالضرورة أو لا يساوى تماما طريق التوجه الاشتراكى .

ومن جهة أخرى هناك ثورات وطنية ديمقراطية يقـودها تحالف ديمقراطى ثورى يمثل مصالح الفلاحين والعمال والبرجوازية الصغيرة والمثقفين الثوريين ، لا يلبث أن يتطور عبر عملية التحويل الديمقراطى المتواصلة للمجتمع الى حزب طليعى يسترشـد بمبادىء الاشتراكية العلمية ، يضم فى ذات الوقت الأحزاب أو الجماعات أو العناصر الشيوعية السـابقة .

ان مثل هــذه الثورات الوطنية الديمقراطية ، وبواسطة السلطة السياسية التى تكون قــد أقامتها ، هى وحــدها التى تستطيع أن تكمل مهام الثوري الديمقراطية ، وأن تسير فى طريق التوجه الاشتراكى ، وأن تخلق المقـــدمات المــــادية والتكنيكية للانتقال الى المرحــلة الاشــتراكية •

ان اليمن الديمقراطية تمثل — رغم كل النواقص القابلة للاصلاح — نجمة مؤتلفة ضمن هــذه المجرة الثورية الجــديدة التى تنتظم العديد من البلدان فى القارات الثلاث ، هــذه البلدان التى تتمثل اليــوم فى أفغانستان ، أثيوبيا ، موزامبيق ، أنجولا ، الكونغو الشعبية ، بينين ، ونيكاراجوا ، وغيرها •

بل انه فى الامكان ادراج كمبوتشيا ، ولاوس ضمن هــذه البلدان السائرة فى طريق التوجه الاشتراكى ، وان تميز هــذان البلدان بوجود تنظيم شيوعى فى كل منهما تعود جــذوره الى مطلع الثلاثينيات ، عندما تكون الحزب الشيوعى فى الهند الصينية ، وكان الشيوعيون الفيتناميون هم الأساس فيه ، وكان « هــو شىء منه » هــو المؤسس له •

بعــد هــذه المقــدمة التاريخية العامة والضرورية التى يتبين منها بوضوح لا لبس فيه ، ومن واقــع التجارب الثورة الحية والمعاشــة فى مختلف أنحاء المعمورة ، ما هى القوانين والشروط الموضوعية والذاتية لمضى الثورات الديمقراطية الى أقصى غاياتها ، ولمضيها من ثم فى طريق التوجه الاشتراكى • وبالتالى فى طريق بناء المجتمع الاشتراكى ، ترى ما هى المحطات السياسية التى قطعتها ثورة ١٤ أكتوبر اليمنية • وما هــو المدى التاريخى الذى بلغته ، وما هى الافاق المفتوحة أمامها ؟

ان الاجابة على مثل هــذه الأسئلة ستنطوى ضمنيا على ما هــو خاص وما هــو عام فيها ، أى فى هــذه التجربة الثورية •

رغم أن اليمن الديمقراطية كانت عنــد نشوب ثورة ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣ تنتمى الى أكثر أجزاء العالم تخلفا ، وكانت مع شمال اليمن تقبع فى مؤخرة الوطن العربى كله ، الا أنها لم تكن أكثر تخلفا من منغوليا عند قيام الثورة فيها عام ١٩٢١ .

لقــد كانت تسود فى الجزء الجنوبى من اليمن مختلف الأنمــاط الاقتصادية : النمط الرأسمالى الامبريالى . النمط الاقطــاعى وشــبه الاقطــاعى ، النمــط البرجوازى الكومبرادورى . النمــط البرجوازى الوطنى . النمط البضاعى الصغير للفلاحين المتوسطين والفقراء . النمط الرعوى للبدو الرحل . والنمط المشاعى القبلى .

وعــدا مستعمرة عــدن حيث كانت الهيمنــة للنمــط الرأسمالى الامبريالى . وبالذات البريطانى ، والنمــط الكومبرادورى المرتبــط بالسوق الاستعمارية . وخاصة الاحتكارات البريطانية ، فأن السيادة فى الريف اليمنى الجنوبى الذى كان يسمى محميات عــدن البريطــانية كانت للتشكيلة الاقطاعية وشبه الاقطاعية ، رغم نشوء البذور الأولى الرأسمالية الريفية .

واذا أهملنا ذكر الأحزاب السياسية الرجعية والعميلة أو الاصلاحية المشبوهة التى عرفتها البلاد منذ نهاية الأربعينيات ، وكان همها مقصورا على مستعمرة عــدن ، أو على عــدن والمحميات ، والتى لم تكن تطمح الى أكثر من استقلال شكلى لهــا ، أو التى ناورت بشكل ديماجوجى وانتهازى ليس الا بشعار الوحــدة اليمنية ، فأنه يمكن القــول أن منتصف الخمسينيات هــو اللحظة التاريخية التى ظهرت فيها الحركة الوطنية اليمنية .

ان مما يسترعى النظر ان ظهورها تزامل مع بروز الحركة العمالية فى شكل نقابى منظم ، هــذه الحركة التى أحــدثت بالأساليب النضالية

الجـديدة التى اتبعتها ٠ أساليب الاضرابات ٠ والمظاهرات ، والمسيرات الجماهيرية ، التى كثيرا ما أدت الى الاصطدام المباشر بأدوات القمـع الاستعمارية ــ أحـدثت تحولا هاما فى حياة البلاد السياسية ٠

وليس صدفة أن تسابقت الأحزاب الوطنية ذات النفس القـومى العربى ، شأن العناصر الماركسية ٠ من اجـل استقطاب من يمكن استقطابه من صفوف الطبقة العاملة الى صفوفها ٠

لقـد انطوى نضـال الطبقة العاملة الفنية المنحـدرة من شتى انحاء اليمن ليس فقط على البعـد الوطنى الموجـه ضـد المستعمر الدخيل ، وانما أيضا على بذرة وعى اجتماعى ضـد القهر الرأسمالى ٠

وبذلك وجـدت فى مستعمرة عـدن ركيزة ثورية ثابتـة ومتنامية تتشكل من أحـدث طبقات المجتمع اليمنى واكثرها ثوريه ، واكثرها استعدادا ليس للنضال من أجـل التحرر الوطنى فحسب ، وانما أيضا للنضال من أجل التحرر الاجتماعى ، ومن أجـل تجـديد بنية المجتمع تجـديدا ثوريا ٠

وبقيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ فى شمال الوطن اليمنى التى أعلنت قيام جمهورية وطنية تبنت القضية اليمنية بمجملها ٠ وباتخـاذ هـذه الجمهورية نقطة احتشاد وانطلاق ووثوب ضـد وجود المستعمر فى جنوب الوطن ، وبتشكيل الجبهة القومية التى تألفت أساسا من فرع حركة القوميين العرب فى اليمن ٠ وفى جنوب اليمن على نحـو خاص ، وباعلان هـذه الجبهة النضال المسلح ضـد الاستعمار البريطانى ، وباقتحامها للريف اليمنى ، وتعبئتها لجماهير الفلاحين وقيادتهم فى الحرب الشعبية الثورية التى انطلقت أولى شراراتها فى ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣ ، وما لبث أن غطى لهيبها الريف كله ، حتى بلغ برج الاستعمار البريطانى

فى عــدن ، بذلك كله وجــدت ركيزة ثورية أخرى بالغة الأهمية ، شديدة الخطورة تتمثل فى طبقة الفلاحين العريضة التى عانت العسف والقهر من الاقطاع والاستعمار معا ، والتى أخــذت تطمح الآن للخلاص منهما فى وقت واحــد ، ومن هنا انخراطها فى كتائب جيش التحرير الشعبى .

ورغم الدور القيادى الذى لعبه المثقفــون الذين كانوا يمثلون مصالح البرجوازية الصغيرة والوسطى ، والذين كانت قيادة الجبهــة القومية الأمامية والخلفية فى أيديهم ، فأنهم لم يكونوا بدون تناقضات .

غير أن هــذه التناقضات الطبيعية النابعة من منحــدرهم الطبقى ، وتبايناتهم السياسية ، لم تتفجر الا بعــد نيل الاستقلال الوطنى فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ ، حينى وضعت أمام الدولة الجــديدة مهمة اختيار هــذا الطريق أو ذاك لاعادة تنظيم حياة المجتمع . الطريق الاصلاحى البرجوازى ، أو الطريق الثورى الديمقراطى ، الطريق الذى يؤدى السير فيه الى الابقاء على البنية الاجتماعية الموروثة مع ادخال بعض التحسينات الليبرالية عليها ، أو الطريق الذى بالمضى فيه تنقلب فيه هــذه البنية رأسا على عقب ، الطريق الذى يبقى على المصالح الاحتكارية الأجنبية ، وعلى الارتباطات القائمة مع السوق الاستعمارية ، والى احــلال الاستعمار الجــديد محــل الاستعمار القــديم ، أو طريق الاستقلال السياسى الكامل ، والتحرر الاقتصادى التام ، والتصــفية لكل المصالح الأجنبية المتحكمة فى اقتصاد البلاد ، وفك علاقات التبعية بالسوق الاستعمارية ، وتوجيه علاقات البلاد الاقتصادية والتجارية نحو التعاون مع الدول الاشتراكية ومن أجل بناء اقتصاد وطنى انتاجى ناهض ومتطور .

والواقع أن « الميثاق الوطنى » الذى أقرته الجبهة القومية فى مؤتمرها الأول الذى عقد فى « تعز » بشمال الوطن اليمنى ما بين ٢٢ —

٢٥ يونيو ١٩٦٥ كان قد حدد الخطوط العامة التى بمقتضاها ينبغى أن يعاد تنظيم حياة المجتمع على أسس وطنية ديمقراطية ، وبما يحقق مصالح كل القوى الاجتماعية والسياسية المناهضة للمستعمر ، بدءا من الطبقة العاملة ، مرورا بالفلاحين ، وانتهاء بالبرجوازية الصغيرة والوسطى الوطنية .

وقد جاء فى « الميثاق الوطنى » بهذا الصدد قوله « ان الجبهة القومية التى تقود الثورة الشعبية المسلحة المعبرة عن مطالب الشعب واحتياجاته اليومية سوف يكون لزاما عليها لتغيير هذا الواقع أن تستبدله بواقع اجتماعى تقدمى ، ونظام يقوم على أسس ثورية سليمة ، وتسير فى هذه المرحلة لتحقيق المبادىء التالية :

(أ) التحرر الاقتصادى الكامل من سيطرة الرأسمال الأجنبى المستغل والشركات الاستعمارية الاحتكارية .

(ب) اعادة بناء الاقتصاد الوطنى على أسس جديدة وسليمة تتمشى مع مبادىء العدالة الاجتماعية ، وتحقق من خلالها سيطرة الشعب على مصادر الثروة ووسائل الانتاج .

(جـ) اعداد وتوجيه كافة الامكانيات المادية والبشرية والعلمية فى هذا السبيل وفق خطة عامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

(د) ان للقطاع الخاص دورا هاما يؤديه فى تنمية البلاد ، شرط أن يبتعد عن الاستغلال والاحتكار ، ويقتصر عمله على المجالات وضمن الحدود التى يسمح له بالعمل فيها قانونا ، اما منفردا أو بالمشاركة ، أو التنسيق مع القطاع العام ، بمقتضى خطة التنمية ، ومخطط التنظيم الاقتصادى » . « ولأجل ذلك لابد من تحطيم العلاقة القائمة بين الرأسمال

الوطنى وبين الرأسمال الاستعمارى من جهة ، ووضع خطة اقتصادية وطنية تغاير تماما الخطة الاقتصادية السائدة التى أوجدها الاستعمار من جهة أخرى » • « وذلك كله لا يمكن ان يتحقق الا اذا مارست السلطة الثورية دورها كاملا فى التخطيط والتنمية من خلال قطاع عام يقود الحياة الاقتصادية ويوجهها • ومن أبرز الخطوات الهادفة ••• قيام جهاز مصرفى يملكه الشعب ، كى يتولى عملية تمويل المشاريع الصناعية •• » وعدا ذلك فان « مساحات شاسعة من الأرض المزروعة استولى عليها السلاطين بالقوة من الشعب وبعضها قاموا بحرمانها من الماء ، مما اضطر أصحابها الى بيعها للسلاطين بأثمان بخسة أو اهمالها ، لتصبح أرضا بورا • وان هذه الأراضى يجب اعادة توزيعها للشعب »(٥) •

ان مما يلفت الانتباه هنا أن الميثاق الذى حمل محتوى وطنيا ديمقراطيا عاما فى الوقت الذى أعطى فيه « للقطاع الخاص » أو « للرأسمال الوطنى » « دورا هاما يؤديه فى تنمية البلاد » طلب اليه « ان يبتعد عن الاستغلال والاحتكار » وجزم أنه « لا يمكن أن تعطى للرأسمال الوطنى صبغة الوطنية الحقيقية الا بأبعاده عن الاستغلال الا باعطائه طابعا اجتماعيا يخدم حاجات الشعب ومتطلباته »(٦) •

ان هذه الصيغة التى تذكر بصيغة « الميثاق الوطنى » لعبد الناصر التى تحدثت عما أسمته « الرأسمالية غير المستغلة » — كما لو كان فى الامكان أن توجد رأسمالية لا تطمح الى الربح ، ومن ثم الى الاستغلال — تنطوى على طموح نحو الحد من استغلال الرأسمال الوطنى للمواطنين فى نفس الوقت الذى تعترف فيه للرأسمال الوطنى بحق الوجود فى حدود معينة •

لم يتقيد — على أي حال — الجناح اليميني في الجبهة القومية الذي هيمن على المقاليد الأساسية في السلطة — معتمدا في ذلك أساسا على الأجهزة التي خلفها الاستعمار والمتمثلة في قيادات الجيش ، والأمن ، والادارة — لم يتقيد قط بالميثاق الوطني .

وعدا اصلاح زراعي جزئي وسطحي وهزيل قصد به التعمية والتضليل وامتصاص النقمة الشعبية — ولكن دون جدوى — فإن تركة الماضي الاستعماري — الاقطاعي — القبلي — الكمبرادوري بقيت كما هي . بل ان الفئة اليمينية الحاكمة أخذت تنسج العلاقات مع دوائر الاستعمار الجديد ، وبالذات الامبريالية الأمريكية ، وهو ما أوضحه بجلاء « انقلاب مارس ١٩٦٨ » الذي تم بترتيب مع الملحق العسكري الأمريكي في عدن ، والذي ألقى فيه القبض على بعض العناصر القيادية في الجناح التقدمي للجبهة القومية ، وعلى عناصر تقدمية وديمقراطية خارجها .

لقد بدا واضحا أن هذا الجناح اليميني الممثل لمصالح البرجوازية أخذ يسعى جاهدا الى التحالف مع قوى المجتمع القديم ، ومع الاستعمار الجديد ، بغية اقامة وترسيخ نظام يسير في طريق التطور الرأسمالي ، بكل ما يعنيه ذلك من تشديد تبعية البلاد اقتصاديا وسياسيا وثقافيا للامبريالية العالمية .

وبذلك أخذت تتكون في البلاد عملية استقطاب وتوزيع للقوى جديدة . ففي جانب تقف البرجوازية الوطنية الحاكمة التي تغير موقفها وكلفت عن الالتزام بالخط الوطني المناهض للاستعمار وركائزه الداخلية الاقطاعية والكمبرادورية . وآثرت مد الجسور مع هذه القوى الظلامية الامبريالية والرجعية ، وفي جانب آخر تقف كل الطبقات والفئات والقوى الوطنية والديمقراطية والشعبية ، بدءا من الطبقة

العاملة • مرورا بالفلاحين • وانتهاء بالبرجوازية الصغيرة • فضلا عن الأحزاب الديمقراطية والتقدمية ، وبالذات الاتحاد الشعبى الديمقراطى ذو النهيج الماركسى الذى كان فى جانب الخط النضالى للجبهة القومية أثناء فترة الكفاح المسلح وأقام علاقة مع رموز الجناح التقدمى فيها منذ هذا الوقت ، ومنظمة البعث التى كانت قد شرعت تتميز عن مركزها القومى ، قبل أن تنفصل عنه نهائيا فيما بعد ، وتشكل تنظيما ذا توجه ماركسى حمل اسم « حزب الطليعة الشعبية » •

ان هذا التقاطب والتجابه الذى حدث بعد الاستقلال بين البرجوازية الوطنية الحاكمة وحلفائها الموضوعيين والفعليين ، والذى فقدت معه نزعتها الوطنية السابقة وبين مجمل القوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية والشعبية ليعيد الى الذاكرة صحة وأهمية التحليل العلمى الذى تضمنته وثائق «مؤتمر الأحزاب الشيوعية والعمالية» الذى عقد فى موسكو عام ١٩٦٩ ، والذى جاء فيه : « ويتطور تباين اجتماعى فى الدول المتحررة • وتشتد حدة النزاع بين الطبقة العاملة والفلاحين والقوى الديمقراطية الأخرى بما فيها فئات البرجوازية الصغيرة ذات الآراء الوطنية من جهة ، والامبريالية وقوى الرجعية الداخلية ، وخاصة عناصر البرجوازية الوطنية التى يشتد تواطؤها مع الامبريالية أكثر فأكثر ، من جهة أخرى »(٧) •

لم تكن البرجوازية الوطنية والوسطى التى عبر عنها الجناح اليمينى الحاكم فى الجبهة القومية طبقة اجتماعية ، وانما كانت شريحة اجتماعية رقيقة قابلة للكسر ، ولا سيما بعد أن وقفت ضدها جبهة عريضة من الطبقات والفئات والقوى الثورية • ولم يجد هذه البرجوازية المحدودة التكوين والتأثير اعتمادها على أجهزة القمع الموروثة عن الاستعمار ، ولا نسجها للعلاقات مع القوى القديمة الرجعية ، ومع قوى الاستعمار الجديد •

ومن هنا سر ذلك النجاح الخارق الذى حققته حركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ م التصحيحية التى لم يسقط بهـا الجناح اليمينى البرجوازى الحاكم فى الجبهة القومية فقط ، وانما فتح أيضـا الطريق أمام تحقيق مهام الثورة الوطنية الديمقراطية .

لقـد كرس قانون ٢٧ نوفمبر ١٩٦٩ ، وقانون ٨ نوفمبر ١٩٧٠ الخاصين بالتأميم والاصلاح الزراعى على التوالى عملية تحويل البنية الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد تحويلا جـذريا ، وعمليـة تحرير الاقتصاد الوطنى من الاحتكارات الأجنبية ، وخاصة البريطانية ، تحريرا تاما ، وأوجـدا الأساس الأول لتنمية اقتصاد البلاد ، وتوجيهه وجهة انتاجية متعـددة الجوانب ، ولوضع خطط اقتصادية عملية ، وللتعاون فى جيع هـذه الميادين مع المعسكر الاشتراكى ، وفى مقـدمته الاتحاد السـوفيتى .

وكما أمكن فى ظل حركة التصحيح المضى قـدما فى اقامة البنـاء التحتى الاقتصادى الآخـذ فى التنامى باطراد ، واقامة القطاع العـام الذى اعتبر النمط الأساسى والموجه لمجمل الحياة الاقتصادية ، والقطاع التعاونى ، والقطاع المختلط ، مع ترك مجال للقطاع الخاص ، شرط مراقبة حركته ، فأنه جرى العمل على تغيير البناء الفوقى بكل مؤسساته وأجهـزته السياسية والادارية والقـانونية والدستورية والأمنية ، والعسكرية والتربوية والتوجيهية ، بحيث غـدا هـو العامل الأساسى الموجه للبناء التحتى ذاته ، والمعجل بحركة نموه وتطوره .

وبذلك قام فى البلاد نظام وطنى ديمقراطى يختلف عن الأنظمة الوطنية الديمقراطية التى اقامتها البرجوازية الصغيرة والوسـطى العربية ، التى ما لبثت أقسام منها أن تحولت الى برجوازية بيروقراطية

عسكرية ومدنية مترهلة متفسخة متخمة قادت هـذه الأنظمه اما الى طريق الهلاك او مضت بها فى طريق مسدود .

لقـد قام فى البلاد نظام وطنى ديمقراطى من طراز جـديد ، نظام ذو آفاق اشتراكية بالفعل .

غير أن ذلك كان ممكنا لأن التنظيم السياسى الحاكم — الجبهـة القومية قـد أخـذ يتحول بسرعة من تنظيم ديمقراطى ثورى الى تنظيم ذى توجـه ماركسى .

لقـد برز هـذا التوجه منذ المؤتمر الرابع للجبهة القومية الذى عقـد فى زنجبار فى مارس ١٩٦٨ ، والذى اسفر عن قرارات أفزعت الجناح اليمينى الحاكم وقتها ، وألجـأته الى القيام بحركته الانقلابيه الآنفـة الذكر .

ولقـد تجلى هـذا التوجه على نحو خاص فى المؤتمر الخامس الذى عقـد ما بين ٢ — ٦ مارس ١٩٧٢ ، والذى أقر برنامجا جـديدا « لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية » ظـل هو الموجه الأساسى لمسار الثورة حتى قيام الحزب الاشتراكى اليمنى فى أكتوبر ١٩٧٨ م .

وللأهمية الخاصة لهـذا البرنامج فأنه لا محيص من التوقف عنده بعض الشىء . ينبه البرنامج الى أن النظام الوطنى الديمقراطى المراد اقامته فى البلاد لن يكون من نمط تلك الأنظمة الوطنية الديمقراطية التى اقامتها البرجوازية الصغيرة ، وأوصلتها الى مأزق تاريخى لا خروج منه ، ذلك كما يقول البرنامج — « ان تجارب البلدان النامية التى قامت فيها تحالفات وطنية ديمقراطية تحت قيادة البرجوازية الصغيرة فى ظل برامجها الاقتصادية والسياسية تثبت بالملموس أن هـذه البرجوازية

الصغيرة قــد قادت ثورتها الوطنية الى طريق مسدود . والى عجــز واضح عن تقــديم المعالجات الجــذرية والصائبة للقضايا والمهــام الثورية الوطنية الديمقراطية منتهجة بدلا من ذلك طريق التردد والتذبذب حينا ، والمزايدة اللفظية والعفوية حينا آخر ، ذلك ، فضلا عن أساليب العسف والاضطهاد ضــد الطبقة العامة وحلفائها »(٨) .

ولذلك فأن البرنامج يعلن بوضوح وحسم أن التحالف الوطنى الديمقراطى فى البلاد لن يكون قط تحت قيادة البرجوازية الصغيرة التى ستبقى طرفا فى هــذا التحالف المحكوم بمصلحة قطبية الأساسيين : العمال والفلاحون ، حيث جاء فيه : « لقــد كان من طبيعة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى بلادنا وجود شريحة عريضة من البرجوازية الصغيرة . لكن هــذه البرجوازية الصغيرة ــ كما تؤكد لنا التجارب ــ لا تستطيع أن تقود الثورة الوطنية الديمقراطية والوصول بها الى نهاية حاسمة ، ومن هنا لابد أن توظف البرجوازية الصغيرة لمصلحة الطبقــة العاملة وحلفائها ، لأن حل معضلات الثورة الوطنية الديمقراطية فى تحقيق التحرر الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، لا يمكن أن يتم الا عن طريق سلطة جماهير العمال والفلاحين ، لأن الجماهير الكادحة هى وحدها التى تربح كل شىء ، ولن تخسر الا قيودها فى نضالها الثورى(٩) .

واذا كان البرنامج يرفض اعطاء القيادة فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية للبرجوازية الصغيرة ، فأنه يعلن بدون مواربة ان القيادة ينبغى أن تكون للطبقة العاملة وطليعتها المنظمة .

ان مثل هــذا الطرح الذى يؤكد به البرنامج حتمية تحالف العمال والفلاحين ، ومعهم الجنود والمثقفون الثوريون ، والبرجوازية الصغيرة ، وضرورة ان تتزعم الطبقة العــاملة وتنظيمها الطليعى هــذا التحالف ليوضح بجلاء مدى استرشاد الجبهة القومية بالنظرية اللينينية فى هــذا

الصـــدد ، حيث أكدت أنه ليس فى امكان الثورة الديمقراطية ان تحقق كامل غاياتها ما لم يقم تحالف بين العمال والفلاحين أولا وقبل كل شىء ، وما لم تقـــد الطبقة العاملة عبر حزبها المستقل هـــذا التحالف •

أما الصيغة التى وردت فى البرنامج حول ذلك فقد كانت كما يلى : « وفى بلادنا يجب أن تقام التحالفات الوطنية الديمقراطية تحت قيـــادة الطبقة العاملة وطليعتها ، والتى ستمكن من تنفيذ برامجها الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، لتتمكن بذلك من الصمود فى وجـــه الاستعمار والاستعمار الجـــديد ، وتصفية القوى الطبقية المرتبطة به ، كما تستطيع بفعالية من أن تقود بلادنا ، بما يضمن حل كافـــة معضلات الثـــورة الوطنية الديمقراطية ، وتجـــذيرها لصالح هـــذه التحالفات الطبقية » • « ان المرحلة الراهنة فى بلادنا تستوجب تعزيز التحالفات الوطنية الديمقراطية • الا أن هـــذا يجب أن يتم فى ظل تحالف القوى الأساسية للعمال والفلاحين الفقراء مع صعود وتنامى دور الطبقة العاملة وطليعتها ، لتتمكن من التقـــدم نحـــو تحقيق التغيرات الضرورية فى بنى المجتمـــع التحتية والفوقية ، والتى لا يمكن أن تحقق بالممارسة العفوية والتجريبية أو بمجرد الاخلاص الذى لا يدرك حقائق العالم الموضوعى ، ودرجة نمـــو الشروط الذاتية والمتفصل عن الالمـــام بالمهام اليومية والتاريخية للثـــورة »(١٠) •

ان هـــذا التركيز على أهمية دور الطبقة العاملة القيادى فى الثورة الوطنية الديمقراطية كما يعـــود الى الاسترشاد بمقولات الاشتراكية العلمية فى هـــذا الصـــدد ، فأنه يستند كذلك الى واقع ان الطبقة العاملة اليمنية الفتية ، وخاصة عمال مصافى البترول كانت قـــد أثبتت وجودها السياسى ، وفعاليتها النضالية منذ الخمسينيات ، وعلى امتداد الستينيات ، من خـــلال المعـــارك الوطنية والطبقية التى خاضتها ضـــد المستعمر

البريطانى داخل عـدن ذاتها — مركز ثقـلـه العسكرى والسياسى والادارى — ومن خلال اسقاط القيادات الانتهازية الاصلاحية فى « المؤتمر العمالى » التى راهن عليها الاستعمار البريطانى ومن خلال اشتراكها المباشر فى الثـورة الوطنية عبر مختلف الأشـكال النضالية الفـدائية والسياسية والجماهيرية ، ومن وقوفها ضـد الجناح اليمنى فى الجبهة القومية ، الذى أمسك بالسلطة بعـد الاستقلال ، ومعاضدتها لحركة التصحيح التى أطاحت به ووضعت البلاد من جـديد على طريق الثورة الوطنى الديمقراطى •

غير أن القضية التى استحقت وقفة خاصة من الجبهة القـومية ، هى قضية التنظيم الطليعى للطبقة العاملة ، الذى فى امكانه وحـده ان يقود تحالف العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة بغية انجاز مهـام الثورة الديمقراطية ، والانتقال من ثم الى المرحلة اللاحقة ، المرحـلة الاشتراكية •

ولأن مثل هـذا الحزب الطليعى والجماهيرى لم يكن موجودا بعد ، فان البرنامج دعا الى ضرورة ايجاده •

وحول ذلك جاء فى البرنامج : « لقـد أكدت كل التجارب الثورية بصـدق الأهمية التاريخية لدور الحزب الطليعى فى قيادة الثورة ومدى المخاطر التى يمكن أن تتعرض لهـا أى ثورة فى ظل غيـاب الحزب الطليعى •

وان الثورة فى بلادنا تؤمن أكثر من أى وقت مضى بأن الحزب الطليعى هـو الضمان الوحيد لتحقيق قـدرتها على قيادة الثورة ، وانجاز المهام المرحلية والتاريخية لها »(١١) •

بل ان البرنامج طمح الى الا يقتصر وجـود هـذا الحزب على اليمن الديمقراطية ، ونادى بأن يكون على مستوى اليمن كلها ، حتى يصبح ممكنا تحقيق كامل أهداف الثورة اليمنية ، الوطنية والاجتماعية . الديمقراطية والاشتراكية ، بما فيها اقامة اليمن الديمقراطى الموحـد .

ومن هنا تأكيد البرنامج على أن « العمل من أجـل قيام الحزب الطليعى من داخل اطار التنظيم السياسى — الجبهة القومية — وفى سبيل قيـام الحزب الطليعى اليمنى الموحـد ، قضـية استراتيجية ضرورية . انه القيادة المسلحة بأيديولوجية الاشتراكية العلمية ، القيادة المنظمة والواعية والقادرة على تحقيق المهام المرحلية المرتبطة بالمهام الاستراتيجية للثورة اليمنية »(١٢) .

تلك كانت هى الحلقة المفقودة ، بل والحلقة الوسطى ، التى انصب جهد مجمل فصائل العمل الوطنى من أجل تحقيقها والامساك بها ، بغية الامساك بقوة وثبات بمجمل السلسلة الثورية ، وضمان ليس فقط اكمال مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، وانما أيضا السير فى طريق التوجه الاشتراكى ، وطريق اقامة الاشتراكية .

ومن أجل ذلك دخلت فصائل العمل الوطنى الديمقراطى فى حـوار مكثف ومسئول فى الوقت الذى شاركت فيه جميعها فى السلطة ، وفى المنظمات الجماهيرية .

لقـد انتهى هـذا الحوار بينها الى ابرام اتفاقية ٥ فبراير عام ١٩٧٥ التى قضت باتحادها فى تنظيم انتقالى هـو التنظيم السياسى الموحـد — الجبهة القومية ، تمهيدا لاقامة الحزب الطليعى المنشود .

لقد أقرت بترحاب عظيم مؤتمرات الفصائل الثلاث هذه الاتفاقية البالغة الأهمية والخطورة ، حيث أقرها المؤتمر العام السادس للتنظيم

السياسى ـ الجبهة القومية فى مارس ١٩٧٥ ، والمؤتمر العام الثانى للاتحاد الشعبى الديمقراطى فى يوليو ١٩٧٥ ، والمؤتمر العام الثالث لحزب الطليعة الشعبية فى أغسطس ١٩٧٥ .

وما بين ١١ ـ ١٣ أكتوبر من ذات العام انعقد المؤتمر التوحيدى الذى انبثق عنه التنظيم السياسى الموحد ـ الجبهة القومية الذى جعل من برنامج الجبهة القومية الأنف الذكر برنامجا له .

وأصدر المؤتمر بيانا ختاميا ، وقرارات وتوصيات شدد فيها على العمل الحثيث من أجل بناء الحزب الطليعى ، بغية ترسيخ وتعميق مجرى الثورة الوطنية الديمقراطية ، وخلق المقدمات الموضوعية للانتقال الى المرحلة الاشتراكية .

كما نبهت القرارات الى أن المناضل الثورى فى البلاد يجب أن يتميز بصفات وممارسات ثورية ، منها :

« (أ) أن يعمل ويقتنع بأن الثورة فى اليمن الديمقراطية هى جزء لا يتجزأ من حملة الهجوم العالمى للاشتراكية ضد الامبريالية والاستعمار والصهيونية والرجعية ويعمل دائما من أجل تقوية الاشتراكية على النطاق العالمى ، ويؤمن بأنه كلما تقوت القوى الديمقراطية والاشتراكية ، كلما استطاعت ثورتنا أن تتقدم بنجاح أكبر .

(ب) أن يعمل دائما من أجل وحدة صفوف حركة الثورة العالمية بقواها الثلاث ، النظام الاشتراكى العالمى ، والطبقة العاملة وأحزابها الطليعية فى البلدان الرأسمالية ، وحركات التحرر الوطنى العالمية ، ومحاربة كل المحاولات النظرية والعملية التى تعمل ضد وحدة حركة الثورة العالمية »(١٣) .

لقـد رسخ قيام التنظيم السياسى الموحـد ـ الجبهة القومية القاعـدة الاجتماعية التى تستند اليها الثورة ، وعزز لحمة التحالف الطبقى بين العمال والفلاحين ، وبلور أكثر الطابع الديمقراطى للثورة ، وركز سلطتها الوطنية الديمقراطية ، وأتاح لهـا المضى قـدما الى الأمام فى مجال تعميق وتجـذير التحـويلات الاجتماعية ، وتمتين وتطـوير العلاقات مع أطراف حركة الثورة العالمية ، وخاصة المنظومة الاشتراكية ، وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى •

وفوق ذلك كله فأن قيام التنظيم السياسى الموحـد ـ الجبهـة القومية عزز أكثر فأكثر مواقع الاشتراكيين الصادقين فيه ، وعمـق وحـدتهم الفكرية والسياسية ، ومن ثم قرب من يوم اقامة التنظيم الطليعى •

ان مجمل هـذه التطورات التى حدثت بعد قيام التنظيم السياسى الموحـد الجبهة القومية قـد أدت الى عزل ومحاصرة التيار الانتهازى اليسارى الطفولى فيه الذى كان قـد شرع فى الظهـور منذ مطلع السبعينيات ، وارتكب بعض التجاوزات التى لم تكن تحتملها مرحـلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، والذى لتبرير جهالة بالقوانين الاجتماعية التى تحكم هـذه المرحلة اتهم الاشتراكيين الحقيقيين بأنهم برجوازيون صغار ، وبأن ثقافتهم هى ثقافة البرجوازية الصغيرة •

لقـد كان هـذا التيار الذى كان سالم ربيع على رئيس مجلس الرئاسة أبرز رموزه يمثل فى الواقع أيديولوجية ومصالح البرجوازية الصغيرة الريفية الضيقة الأفق ، والمحدودة التفكير التى لم تستطع أن تستوعب حتى مفاهيم الثورة الديمقراطية ، ناهيك عن أن يتسع فهمها لاستيعاب نظرية الاشتراكية العلمية •

من هنا ذلك الضيق الذى بلغ حد التوتر والتشنج بذلك التقارب وذلك الالتحام الذى أخذ ينشأ بين الاشتراكيين داخل التنظيم السياسى الموحد — الجبهة القومية • وبذلك التعاون المتنامى الذى قام بين اليمن الديمقراطى والاتحاد السوفيتى •

لقد بلغ ضيق زمرة ربيع على الانتهازية حد ان أفصحت انه لم يئن الأوان لقيام الحزب الطليعى المتبنى صراحة لمبادىء الماركسية — اللينينية ، ذلك أنه لم توجد بعد الطبقة العاملة التى يعبر عنها مثل هذا الحزب ، ولأن قيامه سيثير قوى الرجعية المحيطة باليمن الديمقراطية ، وأنه من ثم لا امكانية لغير وجود حزب ديمقراطى ثورى •

بذلك كشف هذا التيار عن البعد الطبقى والسياسى اليمينى ف تكوينه ، وعن واقع ان يساريته الانتهازية لم تكن سوى غلالة رقيقة تغطى انتهازيته التى تجلت أكثر فى تلك الصلات الخفية التى نسجها حتى مع الرجعية السعودية •

لقد بلغ النزق والطيش والرعونة بهذا التيار حد الأقدام ف ٢٥ — ٢٦ يونيو ١٩٧٨ على القيام بمحاولة انقلابية ضد التنظيم السياسى ، وضد الشرعية الدستورية • وضد خط الثورة هذه المحاولة التى لم تؤد الا الى القضاء عليه ، وانهاء ممثلى البرجوازية الصغيرة القروية من السلطة •

بازاحة رموز هذا التيار من قمة السلطة تأمنت أكثر من أى وقت مضى مسيرة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وتجلت أكثر أفاقها الاشتراكية ، وتوفرت العوامل الذاتيـة اللازمة للشروع فى اقامة الحزب الطليعى المنشـود •

وما بين ١١ — ٢٣ أكتوبر ١٩٧٨ انعقد المؤتمر التأسيسى والأول

الذى أعلن فيـه قيـام الحزب الذى حمـل اسم « الحزب الاشتراكى اليمنى » •

وبقيامه تم الامساك بالحلقة المفقودة ، والحلقة الوسطى ، فى سلسلة الثورة ، وتوفرت الأداة القيادية الأمينة والكفيلة باستكمال مهامها الوطنية الديمقراطية ، وتحويلها الى ثورة اشتراكية •

وبقيامه ترسخت السلطة الديمقراطية الثورية التى أخـذت تكتسب منذئذ ملامح سلطة الديمقراطية الشعبية •

وبقيامه توطـد تحالف العمال والفلاحين والمثقفين الثورة والفئات الكادحـة الأخرى •

وبقيامه تحقق الشرط السياسى الحاسم للسير بوتيرة متصاعدة فى طريق التوجه الاشتراكى •

وبقيامه انطلقت عملية تحضـير واعـداد المقـدمات والأسس الموضوعية والذاتية ، المـادية والتكنيكية ، الاجتماعية والثقافية ، للانتقال الى رحاب الاشتراكية •

وبقيامه تلاحمت أكثر فأكثر العلاقات الرفاقية والأممية مع مختلف فصائل حركة الثورة العالمية ، وعلى رأسها النظام الاشتراكى العالمى ، وفى مقـدمته الاتحاد السوفيتى •

عن طبيعة الحزب الطبقية ورسالته التاريخية ، جاء فى « برنامج الحزب الاشتراكى اليمنى » : « الحزب الاشتراكى اليمنى هـو طليعة الطبقة العاملة اليمنية المتحالفة مع الفلاحين والمثقفين الثوريين والفئـات الشعبية الكادحة الأخرى • وهـو التعبير الحى عن وعى هـذه الطبقة

لمصالحها الحقيقية ، ولمستقبلها ، ودورها التاريخى ... وهـدف الحزب تحـويل المجتمع تحويلا ثوريا ، لاستكمال مهمات الثـورة الوطنية الديمقراطية ، والانتقال نحـو بناء الاشتراكة مسترشدا فى سبيل تحقيق هـذا الهـدف النبيل بنظرية الاشتراكة العلمية » .

وفى وضوح قاطع يحـدد الحزب الموقـع الذى تشغله اليمن الديمقراطية فى اطار الثورات الديمقراطية الطليعية التى تحـولت الى ثورات اشتراكية ، شأن ما حـدث فى فيتنام وكوبا ، والتى تسير فى طريق التوجه الاشتراكى ، حيث يقول : « ان توطـد مواقع النهـج الثورى فى كوبا ، والانتصار التاريخى لشعب فيتنام ، وانتصارات شعوب أنغولا والموزامبيق وغينيا بيساو واثيوبيا وأفغانستان وغيرها من بلدان آسيا وأفريقيا تشكل نموذجا متقـدما وطليعيا من نماذج حركة التحرر الوطنى ، ومنعطفا حاسما فى مسار هـذه الحركة .

وفى هـذا السياق بالذات يأتى الانتصار التاريخى الذى تحقق فى بلادنا ، ليشكل رافـدا أساسيا من روافـد المرحلة المتقـدمة من مراحل حركة التحرر الوطنى » .

وبرؤية ثورية أممية صافية يحـدد برنامج الحزب طبيعة العصر ، الذى دشنه انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ، والذى تمسك زمام المبادرة التاريخية فيه الطبقة العاملة العالمية ، ونظامها الاشتراكى العالمى ، وحركة التحرر الوطنى التى غـدت جزءا لا يتجزأ من العملية الثورية العالمية الهادفة الى الاطاحة بنير الامبريالية ، وفتح الطريق أمام تحرر وتقـدم جميع شعوب الأرض .

ويصوغ برنامج الحزب رؤيته الاشتراكية العلمية هـذه كما يلى :
« ان السمة الرئيسية التى تميز العصر الراهن هى الانتقال من الرأسمالية

الى الاشتراكية على نطاق العالم . ان عصرنا هو عصر الصراع بين النظامين الاجتماعيين العالميين المتناقضين ، عصر الثورات الاشتراكية وانتصار حركة التحرر الوطنى ، وانهيار الامبريالية ، وتصفية نظام الحكم الكولونيالى ، عصر انتهاج شعوب جديدة باستمرار طريق التوجه الاشتراكى ، عصر انتصار الاشتراكية على الصعيد العالمى .

ويتأكد فى عصرنا بأن الرأسمالية كنظام وكعلاقات انتاج ، قد أنهت مهمتها التاريخية ، ونشأت ظروف موضوعية لانتقال البشرية الى النظام الاشتراكى .

ويجتاح عالمنا اليوم تيار التجديد الثورى الاشتراكى بقيادة الطبقة العاملة وحلفائها .

لقد دشن انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى بداية هذا العصر ، وشكل انعطافا حاسما فى تاريخ البشرية ، مسجلا بداية انهيار الامبريالية ، وانبثاق النظام الاجتماعى الاشتراكى الجديد ، الذى يعبر عن المصالح الجذرية للجماهير الكادحة .

ان مما يكتسب أهمية خاصة أيضا ذلك التحليل الموضوعى الرصين ، والتعليل العلمى الدقيق للأسباب التى أدت الى انتكاس أو ترنح أو مراوحة الثورات الوطنية الديمقراطية التى قادتها البرجوازية الصغيرة ، والتى ينفى البرنامج ضمنا الزعم بأنها مضت فى طريق التوجه الاشتراكى ، رغم الانجازات الاقتصادية والاجتماعية التى حققتها .

يقول البرنامج : « واتجه عدد من الثوات الوطنية التحررية لشعوب هذه البلدان الى اجراء جملة من التحولات الاقتصادية والاجتماعية ذات الطابع الديمقراطى العميق الموجهة ضد مواقع

الرأسمال الأجنبى ، والاقطاع ، والكمبرادور • وانتهجت على صعيد السياسة الخارجية خطـأ معاديا للاستعمار والامبريالية ، وخطت خطوات كبيرة على طريق تعزيز تحالفها مع بلدان المنظومة الاشتراكية •

لقـد تحققت هـذه التحولات والأجراءات فى الأساس بقيادة عناصر وطنية وثورية من البرجوازية الصـغيرة ••• الا أنه بسبب الطبيعة الطبقية لهـذه العناصر • وما تميزت به من خـوف وحـذر من الجماهير ، وميلها المتزايد وبنسب متفاوته الى الانفراد بالسلطة ••• لم تستطع حشد وتجنيد الطاقات الاقتصادية والبشرية والعسكرية الضرورية لمواجهة الهجمة الامبريالية الشرسة ، ومتابعة مهام التحرر الوطنى ، ونهج التحـــولات الاقتصادية والاجتماعية الديمقراطية والتقـدمية ، فسقط بعضها ، وانحنى البعض الآخر ، وازداد الميل نحو المساومة مـع الامبريالية ، ومـع الاحتكارات والرجعيـة الخارجيـة والداخلية ، وعززت الأجنحة اليمينية مواقعها فى السلطة ، وصولا الى استيلائها الكامل على السلطة فى بعض هـذه البلدان ، وارتدادها الكامل عن نهج التحولات التقـدمية فى المجـــال الاقتصادى والاجتماعى ؛ وانغماسها أكثر فأكثر فى سياسة العـداء للديمقراطية وقمع الجماهير ، وانتقالها الى الدوران فى فلك المخططات الامبريالية ، والعـداء للاتحاد السوفيتى ، والمنظومة الاشتراكية ، متخلية بذلك عن المطامع والمصالح المشروعة لأوسع فئات الشعب فى التحرر الوطنى ، والتقـدم الاجتماعى ، بمـا فى ذلك مصالح أوسع فئات البرجوازية الصغيرة نفسها »(١٤) •

لقـد مثل قيام الحزب الاشتراكى اليمنى مرحلة جـديدة ليس فى تاريخ ثورة ١٤ أكتوبر الوطنية الديمقراطية التقـدمية فحسب ، بل وفى تاريخ الثورة والحركة الوطنية اليمنية على الاطلاق ، ووفر لهـا القيادة الصائبة من أجـل تحقيق كامل أهـدافها فى التحرر والتقـدم والوحـدة والديمقراطية •

والحزب الاشتراكى اليمنى يمثل اليوم الفصيلة الطليعية الوحيدة التى تمسك بالسلطة السياسية بين مجمل الفصائل الطليعية فى الوطن العربى ، وهــو من ثم يمثل ويقود تجربة واعــدة وملهمة بالنسبة لها جميعـــا .

والحزب الاشتراكى اليمنى يحتل اليوم موقعا هاما بين كوكبـــة الأحزاب الطليعية الجــديدة فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، التى تقود بلدانها فى طريق التوجه الاشتراكى .

والحزب الاشتراكى اليمنى هــو واحــد من أحــدث الكتائب الأممية التى انضمت الى جيش الثورة العالمية ، وتخوض ضمنه النضال من أجل التحرر والتقــدم والديمقراطية والاشتراكية .

وكحزب للطبقة العاملة ، ومجسد فى ذات الوقت لمصالح حلفائها من الفلاحين وغيرهم من الكادحين ، فأن نجاحه فى أداء رسالته التاريخية هــذه بكل أبعــادها الوطنية والاجتماعية ، وكل مستوياتها الاقليمية والقومية والأممية ، وأولا وقبل كل شىء تحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ، مرتبط ارتباطا صميميا بانخراط حشود الطبقة العاملة أكثر فأكثر الى صفوف الحزب ، وتمكينهم من اســـــتيعاب نظريتهم الاشتراكية العلمية استيعابا أعمق ، وتمكينهم باستمرار من التقــدم نحــو الامساك بالمواقع القيادية فى الحزب والدولة والتغلب من ثم على أية بقايا أو رواسب ذات مسحة برجوازية صغيرة يحتمل وجودها فيهما .

وليس هناك ما يدعو الى الشك فى أن الحزب عازم على المضى فى هــذا الدرب الى النهاية .

وبعــد : فأن سر النجاح الذى حققته وتحققه تجربة الثورة فى

اليمن الديمقراطية يعود الى أنها استرشدت فى مسيرتها النضالية — وعلى نحو متصاعد باستمرار — بالقوانين العامة لعملية التطور الاجتماعى التى اكتشفتها نظرية الاشتراكية العلمية ، وبالخبرة الثورية الغنيه التى قدمتها البلدان الضعيفة التطور التى تمكنت من تجاوز مرحلة الرأسمالية ، والسير فى طويق بناء الاشتراكية ، والى أنها طبقت هذه القوانين والخبرة ، على نحو خلاق وفق ظروفها الخاصة •

وأخيرا بقى أن نسأل : هل من حق الثوريين اليمنيين آن يشعروا بالغبطة والاعتزاز أنهم استطاعوا أن يقدموا أول تجربة ثورية نموذجية وطليعية فى عموم وطنهم العربى وأحد الأمثلة الثورية الريادية فى مجمل منطقة التحرر الوطنى ؟

يحق للثوريين كل ذلك شريطة أن يوفروا لهذه التجربة كامل المقومات اللازمة لذلك والتى يأتى على رأسها قيام تحالف ديمقراطى عريض للطبقات والفئات والقوى ذات المصلحة فى الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية ، تحالف يتسع للأحزاب والشخصيات الوطنية والقومية والاشتراكية ، ويوفر قاعدة اجتماعية واسعة ومتينة للتجربة التى يقودها الحزب الاشتراكى اليمنى •

ثــورات ١٤ أكتــوبر

و

ثلاثة منعطفات تاريخية(*)

من الصعب ــ تاريخيا وسياسيا ــ الحـــديث أو الكتابة عن حركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ التصحيحية دون الحـــديث أو الكتابة عن حركة ٢٦ يونيو ١٩٧٨ التقــدمية •

كلتاهما قادهما التنظيم السياسى ضـــد التسلط الفردى الذى كان يعمل على فرض وجوده على أنقاض وجود التنظيم •

وكلتاهما عززتا سلطة وهيبة التنظيم ،وأكدتا دوره القيــادى فى الدولة والمجتمع ، وحسمتا معضلة المعضلات فى العالم النامى أو المتخلف على وجــه خاص ، ألا وهى لمن السلطة ؟ الأول من يركب دبابة اليها ،

(*) نشرت فى مجلة « قضايا العصر » عـــدد مارس ١٩٨٧ •

أم لجماهير الشعب التى كافحت وضحت من أجل وضع حـد لكل تسلط وطغيان واذلال لهـا ، سواء كان خارجيا أو داخليا ؟ ألمن آنس فى نفسه القـوة والقـدرة على امتطاء ظهر الشعب ، ولى عنقه ، وامتهان كرامته . أم للشعب نفسه يحكم نفسه بنفسه عبر ممثليه المنتخبين ، وعبر قياداته الطليعية المنسوجة من عروقه ، الصاعدة من قاع معاناته ، المصنوعة من ذوب دمه ؟

كلتا الحركتين أجابتا اجابة واحـدة : لاقامة تطـول على قامة الشعب ، ولا صوت يعلو فوق صوت طليعته الثورية .

وكلتاهما قالتا : لا ، للنزوع الفردى ، والديكتاتورى ، والفوضوى ، وقالتا : نعم ، للقيادة الجماعية ، للديمقراطية الشعبية ، للانضـباط التنظيمى .

كلتا الحركتين وجهان لعملة واحـدة ، حيث يستحيل الفصـل بينهما ، وحيث لا توجـد الثانية بدون الأولى ، وحيث لا بقاء للأولى بدون الثانية .

كانت الأولى تصحيحية ، وكانت الثانية تقويمية .

وضعت الأولى الثورة على طريق التغيير الديمقراطى لبنية المجتمع ، بعـد أن تنكبه يمين التنظيم الحاكم ، ورسخت الثانية خطى الثورة على هـذا الطريق ، بعـد أن حاول « اليسار الطفولى » الابتعاد عنه .

أسقطت حركة التصحيح الفئة البرجوازية الوسطية التى أرادت التصالح مع البرجوازية الكمبرادورية ومع أصحاب العقارات فى المدينة والريف ، ودفع المجتمع فى طريق التطور الرأسمالى الطفيلى والتابع والمشوه ، وأسقطت حركة التقـويم الفئة البرجوازية الصغيرة ، التى رغم مزايداتها اليسارية — بل بفعل مزايداتها اليسارية — كانت تقف

حجر عثرة أمام ترسيخ وتطوير وتعميق أسس النظـــم الديمقراطى الثورى ، وتشيع الاضطراب والفوضى والفتنة والنزاع بين قــواة الشــعبية والثــورية •

كلتاهما ازاحتا لغمين من طريق الثورة ، كان من شأن بقائهما فيه أن ينفجرا فيها ، وأن يلقيا بها خارجه أشلاء وحطاما •

أقصت حركة التصحيح شيخا هرما يدلف الى القبر ، ويصر على أن تدفن الثورة الى جواره ، بينما أقصت حركة التقــويم شابا طائشا كان قــد أنشب مخالبه فى الثورة •

قالت حركة التصحيح لليمين الانتهازى : اذهبوا الى المستنقع وحــدكم ، « لا للوقـــوع فى المستنقع المجــاور الذى لامنا سكانه منذ البدء ، لأننا اتحــدنا فى جماعة على حــدة ، وفضلنا طريق النضـــال على طريق المهادنة » على حــد تعبير لينين فى كتابه (ما العمل ؟) •

وقالت حركة التقـــويم لليسار الانتهازى الذى كان قــد غامر بالقيام بانقلاب على خط التنظيم فى ٢٥ يونيو ١٩٧٨ : اذهب أنت وطيشك وجموحك الى الجحيم ، ورددت مع انجلز : « ان الحزب الذى يسهل عليه أن يتحمل فى عقر داره وعن عمد كل مجنون أكثر من أن ينبذه بحزم وعلنا ، ان مثل هــذا الحزب حزب لا مستقبل له » • — كما جاء فى رسالة له الى ماركس فى ٢ـــ٨ـــ١٨٧٩ •

حركة التصحيح أعادت ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م الى حضـــن القضية الوطنية اليمنية ، قضية توحيد الوطن على أسس ديمقراطية ، بعــد أن جنح اليمين الانتهازى بعيدا عنها ، وانكفأ فى انفصاليته •

ووضعت حركة التقويم هـذه القضـية فى موضـع القلب من اهتماماتها ، وخصص لهـا برنامج الحزب الاشتراكى اليمنى فصـلا كاملا منه ، هـو الفصل الأول ، بعـد أن كانت قـد تحولت على يد اليسار الانتهازى الذى كان غارقا فى الانعزالية حتى الأذقان الى مجرد أداة للمناورة والمعابثة .

حركة ٢٢ يونيو التصحيحية عادت بالثورة مرة أخرى الى قلب المعترك العربى ، والى ساحة الصراع العالمى مع الاستعمار والاستعمار الجـديد والصهيونية والعنصرية والرجعية ، بعـد أن أخرجها اليمين نهائيا منها ، وذهب يفتش له عن حلفاء وأصدقاء داخل هـذه الجبهة الظـلامية .

وحركة ٢٦ يونيو التقويمية دفعت بالثورة لاحتلال موقع متميز فى قلب هـذا المعترك العربى ، وفى لب ساحة الصراع العالمى .

حركة ٢٢ يونيو أقامت جسور الصداقة والتحالف المتينة بين اليمن الديمقراطية والمعسكر الاشتراكى ، وفى الصدارة منه الاتحاد السوفيتى ، وأنهت بذلك نظرة الريبة والنفعية والبراجماتية التى كان يتبناها ازاءه اليمين المسقط .

وحركة ٢٦ يونيو زادت هـذه الجسور متانة وقـوة ، ووضعت تحتها دعائم تجعلها قادرة على الصمود فى وجه كل الزلازل الرجعيـة والاستعمارية المحتملة ، ووضعت بذلك حـدا لكل محاولات اليسار الانتهازى التى كانت تهـدف الى خلخلتها واضعافها .

حركة التصحيح قربت بين قوى الثورة فى الداخل ، وجمعتها فى تنظيم انتقالى مبتكر ، هو التنظيم السياسى الموحـد — الجبهـة القـومية .

وحركة التقـويم ارتفعت بهـذه الوحـدي التنظيمية الانتقالية الى مستوى نوعى جـديد ، الى مستوى اقامة حزب واحـد موحـد ، حزب طليعى من طراز جـديد ، حزب يتبنى أيديولوجية الطبقة العاملة ورسالتها ، أيديولوجية الاشتراكية العلمية والأممية البروليتارية ، الا وهـو الحزب الاشتراكى اليمنى •

بخطوة ٢٢ يونيـو التصحيحية قـدمت ثورة ٢٤ أكتوبر ١٩٦٣ البرهان على أنه ليس فى امكان الثورة — أى ثورة — أن تحقق نهجهـا الوطنى الديمقراطى بدون ازاحـة ممثلى البرجوازية الوسـطى من قيادتهـا •

وبحركة ٢٦ يونيـــو التقويمية قـدمت ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ البرهان أيضا على أنه ليس فى امكان الثورة — أى ثورة — ان تمضى بالثـورة الديمقراطية الى النهـاية بدون اقصـاء العناصر الممثـلة لأيديولوجية البرجوازية الصغيرة من موقع القيادة فيها ، أيا كان الوجه الذى تظهر به ، واللون الذى تموه نفسها به •

ذلك هـو الخاص الغنى والعميق الذى طرحته تجربة ثورة ١٤ أكتوبر ، وهو لغناه وعمقه ينطوى على ما هـو عام ، على ما يصلح لكل ثورة وطنية ديمقراطية أصيلة •

وذلك أيضا هـو التعميم النظرى الذى توصـــل اليه الحزب الاشتراكى اليمنى حيث جاء فى برنامجـــه : « ورغم الموقف الوطنى للبرجوازية الصــغيرة ضـد السيطرة الاستعمارية ، ونضالها ضـد الاستغلال الواقع عليها من الاقطاع والكمبرادور ، تقع فئات واسـعة منها فى التشوش والاضطراب والتردد ، عندما تواجه المهام الأساسية لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وذلك بحكم تكوينها وتطلعاتها •

وتؤكد التجربة الثورية فى بلادنا ، كما تؤكد تجارب البلدان النامية التى لعبت فيها البرجوازية دورا قياديا ، عجز البرجوازية المتوسطة والصغيرة عن تقديم المعالجات الجذرية والصائبة لمهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، منتهجة بدلا من ذلك طريق التجريبية والمزايدة اللفظية والتأرجح بين أقصى اليسار وأقصى اليمين ، انسجاما مع مصالحها وطموحاتها الطبقية ، وانحيازها الى طريق التطور الرأسمالى بأشكاله التقليدية والحديثة ، وشبكة علاقاته الاقليمية والدولية البرجوازية الرجعية ، مما يفتح المجال لاجهاض الثورة ، ولسيطرة الاستعمار الجديد » • (ص ٥٩ — ٦٠) هكذا يمكن الجزم بان حركة ٢٦ يونيو ١٩٧٨ جاءت — بكل مقياس من المقاييس — تتمة طبيعية لحركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ • وبدونها كان يمكن أن يصبح كل ما أنجزته حركة التصحيح هباء منثورا •

فهى اذن خطوة تقويمية مكملة ومدعمة لحركة التصحيح • وهما معا وجهان لعملة واحدة ، بعدان لعملية ثورية واحدة •

على أن الحديث عن حركة ٢٢ يونيو التصحيحية ، وحركة ٢٦ يونيو التقويمية لا يكتمل دون التطرق الى ما أسميته فى مقال لى نشرته صحيفة « ١٤ أكتوبر » فى عدد ١٤—٢—١٩٨٦ منها « مؤامرة ٢٣ يناير ١٩٨٦ والعبرة المستخلصة منها » قلت فيه — استنادا الى الأسس والمبادىء التنظيمية اللينينية التى لا وجود ولا حياة لأى حزب اشتراكى علمى بدونها وبدون التقيد الصارم بها ، والانضباط الكامل لها : « ذلك يعنى أن أى خروج على وحدة الحزب الفكرية والسياسية والتنظيمية تحت أى ذريعة كانت ، والاحتكام الى السلاح فى حل القضايا الخلافية ، هو تخل كامل عن نهج الطبقة العاملة ، وعودة الى نهج البرجوازية » •

« وكان الظن أن هذه المسألة المبدئية قد غدت من الأمور

المسام بها فى حزب طليعى كالحزب الاشتراكى اليمنى ، لا سيما وأن هناك قرارا صريحا اتخــذه المكتب السياسى للحزب يخون فيه أى عضو فيه يلجــأ الى السلاح فى حــل الخلاف الداخلى فى الحزب » .

« ان أيديولوجية ومبادىء الحزب الطليعى ، حزب الطبقة العاملة ، هى أعلى وأكمل تجسيد للديمقراطية ، سواء الديمقراطية داخل الحزب أو الديمقراطية للشعب ، وبالتالى فأنه غير جائز ولا مقبول على الاطلاق اشــهار أو استخدام السلاح فى حزب كهــذا لا ضــد أحــد من أفراده وهيئاته — أيا كانت الخلافات فيه — ولا ضــد الشعب » .

وقلت فى هــذا المقال : « قليلة هى الأوطان التى تعرضت لمثــل ما تعرضت له اليمن الديمقراطية من محنة مطبقة الأنحاء كان يمكن أن تعصف بنظامها التقــدمى ، وثورتها الديمقراطية ، وحزبها الطليعى ، وأن تدمر وحــدتها الوطنية ، وعلاقاتها القومية والأممية والعالمية ، وأن تحكم على دواتها بالزوال .

غير أن اليمن الديمقراطية التى عركتها الخطب ، وانضجتها نيران المعارك التى خاضتها منذ اندلاع ثورتها المقــدامة ، ثورة ١٤ أكتوبر ، والتى تعودت على اجتياز كل عقبة انتصبت فى طريقها ، وتصحيح كل أعوجاج طرأ على خطها النضالى وتمكنت من ثم من القيام بحركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ أقصت بها اليمين الانتهازى ، ومن التغلب على اليسار الانتهازى بهوتها الثــورية فى ٢٦ يونيــو ١٩٧٨ — اليمــن الديمقراطية هــذه أمكن لهــا — بفضل هــذا الرصيد النضالى الضخم وبفضل امتلاكها الحزب القائد لمسيرتها الكفاحية ، الحزب الاشتراكى اليمنى — أن تقهر مؤامرة ١٣ يناير ٢٩٨٦ الانقلابية الدموية التى حتى بصبغتها الدموية هــذه اتخــذت طابعا يمينيا واضحا » .

كما قلت فى هــذا المقال : « ان أى حزب طليعى اشتراكى علمى ..

لا يمكن له الا أن يستنكر بقـوة هـذه الفعلة النكراء ، وهـذه الجريمة الشـنعاء » •

هـذا الكلام الذى كتب فى مطلع فبراير ١٩٨٦ ونشر فى منتصفه لم يكن مجرد تكهن بمـا يمكن أن يكون عليه موقف الأحزاب الشيوعية من أحـداث ١٣ يناير المؤسفة والمحزنة هـذه ، ولا حتى عملية استقراء لموقفها الطبيعى المفهوم سلفا تجاهها ، وانما كان ببساطة تأكيدا على موقف مبدئى نظرى وتنظيمى من مبادىء المـاركسية ـ اللينينية لا يختلف عليه اثنان ينتميان اليها •

وكما أعربت الأحزاب الشيوعية فى المنظومة الاشتراكية وعلى رأسها حزب لينين العظيم عن أساها وفجيعتها لوقـوع مثل هـذه الأحـداث الداميـة ، وألقت بكل ثقلهـا الى جانب الحزب الاشتراكى اليمنى لرأب الصـدع ، وتضميد الجراح وتعمير ما دمر ، وللاسهام فى مواصلة بناء التجربة الثورية الفريدة والرائدة فى المنطقة فأن الأحزاب الشيوعية العربية بادرت بتشكيل وفـد مشترك برئاسة السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعى العراقى الرفيق عزيز محمد للأعراب عن ذات الحزن والأسى لحـدوث ما حـدث ، ولاستنكار اللجوء الى السلاح فى حـل الخلافات داخل حزب يرفع راية الاشتراكية العلميـة والأممية البروليتارية ، ولتأكيد موقفها التضامنى الراسخ الى جانب الحزب الاشتراكى اليمنى ، وللاعراب عن ثقتها فى قـدرة الحزب على تجاوز المـأساة والمضى الى الأمام فى طريق التوجه الاشتراكى ، وطريق الأممية البروليتارية •

فلقـد جاء فى البيان المشترك عن « زيارة وفد الأحزاب الشيوعية والعمالية فى البلدان العربية لليمن الديمقراطية التى تمت خلال الفترة ما بين ٩ ـ ١٥ يونيو ١٩٨٦ : « ان الأحزاب الشيوعية والعمـالية فى

البلدان العربية ، وقد اطلعت على ما تعرض له الحزب الاشتراكى اليمنى والنظام الوطنى التقدمى فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فى الثالث عشر من يناير ١٩٨٦ تشجب الأسلوب الدموى باستخدام السلاح لحل الخلافات الحزبية ، والذى ذهب ضحيته كوكبة من قادة الحزب الاشتراكى اليمنى ، وفى مقدمتهم الرفيق المناضل الشهيد عبد الفتاح اسماعيل ، وتعبر عن ألمها الشديد لما وقع ، اذ أنه لم يؤد فقط الى اضعاف الحزب الاشتراكى اليمنى ودوره البارز فى صفوف حركة التحرر الوطنى العربية فحسب ، بل واضعاف مواقع التقدم فى المنطقة بكاملها ، وتحيى أحزابنا قدرة الحزب الاشتراكى اليمنى فى الحفاظ على وحدته وعلى نهج التوجه الاشتراكى من خلال الاجراءات التى اتخذتها قيادة الحزب الجماعية لمعالجة آثار ونتائج أحداث يناير ، واعادة بناء ما خربته ، ومواصلة الجهود لتوطيد دعائم النظام الوطنى الديمقراطى ذى التوجه الاشتراكى ، ولتعزيز ارتباطه بالجماهير ، وتحقيق أوسع التفاف شعبى حوله لمواصلة دوره فى جبهة النضال المعادى للامبريالية والصهيونية • وتعرب أحزابنا عن وقوفها المطلق الى جانب الحزب الاشتراكى اليمنى والنظام التقدمى فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، من أجل مواجهة كافة أشكال العدوان والتآمر والتخريب » • كما يعبر وفد الأحزاب الشيوعية والعمالية فى البلدان العربية « عن سعادته للروح الكفاحية التى يواصل بها هذا الحزب الشقيق قيادته للعملية الثورية الجارية فى البلاد وتعميق دوره القيادى فى حياة المجتمع » •

« وتشيد أحزابنا بالنهج السياسى الخارجى للحزب الاشتراكى اليمنى وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية القائم على تعزيز أواصر الصداقة مع الاتحاد السوفيتى وبلدان المنظومة الاشتراكية ومع الدول والنظم التقدمية العربية ، والمستند الى علاقات التعاون مع دول المنطقة على أساس حسن الجوار واحترام السيادة وعدم التدخل

فى الشئون الداخلية ، واحترام رغبة شعوب المنطقة فى اختيار تطورها والعمل على اخلاء المنطقة من كافة أشكال التواجـد الامبريالى والنفوذ الاستعمارى ، ومن أجل سيطرة شعوبها على مقـدراتها وثرواتها الطبيعية والحفاظ على الأمن والاستقرار اللازمين لتقـدم وتطور بلدان وشعوب المنطقة » (صحيفة ١٤ أكتوبر ، ١٦—٦—١٩٨٦ م) •

كانت زيارة التضامن هـذه بما تخللها من مباحثات مفتوحة مـع قادة الحزب الاشتراكى اليمنى وبالبيان المشترك الذى اجتزأنا منـه الفقرات الآنفة الذكر ، حـدثا سياسيا بالغ الأهمية تأكد به من جـديد الموقع الهام الذى يحتله حزب الاشتراكيين اليمنيين بين الأحزاب التقدمية العربية ، وتعززت به المكانة الطليعية التى تحتلها التجربة الثـورية فى اليمن الديمقراطية بين تجارب الثورة العربية ، وترسخ به يقين الثوريين اليمنيين والعرب مرة أخرى بأن هـذه التجربة غير قابلة للانتكاس أو الارتداد أو التعثر أو السقوط — رغم المحنة القاسية والأليمة التى تعرضت لهـا بأحـداث ١٣ يناير الدامية ، ورغم اشتداد المؤامرات الرجعية والاستعمارية ضـدها — وأنها تجاوزت هـذه المحنة ، وشرعت، بهمة وعزم فى معالجة آثارها على المستوى الحزبى والشعبى والوطنى ، فأنها قادرة على التقـدم فى طريق انجاز كامل مهـام الثـورة الوطنية الديمقراطية ، التى تشكل الوحـدة اليمنية بعـدا من أبعادها ، وطريق التوجه الاشتراكى ، وطريق توثيق الروابط النضالية مـع قوى التقـدم والاشتراكية فى الوطن العربى وفى العالم ، ومع المنظومة الاشتراكية وفى طليعتها اتحاد السوفيتى لا•

٢٢ يونيو ، ٢٦ يونيو ، ١٣ يناير •• ثلاث محطات مرت بها ثورة ١٤ أكتوبر فى زحفها التاريخى العظيم •• ثلاثة برازخ عبرتها فى انطلاقتها نحـو شاطىء السعادة الجميل •

ديالكتيك الثـورة والدولة(*)

الاستيلاء على حصن العـدو ، وتهـديمه حجرا حجرا ، يختلف عن عملية اعادة بنائه من جـديد وفق نمط معمارى جـديد أكثر تقـدما ورقيا • ففى الحالة الأولى قـد يكفى هـذا القـدر أو ذلك من الخبرة التكتيكية الى جانب قـدر عظيم من الحماس والهمة والعزم • أما فى الحالة الثانية فالأمر يتطلب قـدرا أقل من العواطف الملتهبة ومقـدارا أعظم من التفكير الخلاق ، ومن الالمـام بفنون علم هندسة البناء •

ان ذلك ينطبق ـ بالأحرى ـ على المجتمع ، أى مجتمع ، فبعـد الاستيلاء على السلطة السياسية تبادر الحركة الثورية المنتصرة والمهيمنة الى اتخاذ جملة من القرارات الاجتماعية الراديكالية الهادفة الى قلب النظام الاجتماعى السابق رأسا على عقب ، غير أن وضع هـذه القرارات

(*) نشرت فى مجلة « قضايا العصر » عـدد يناير ۱۹۸۷ .

فى التطبيق ، واقامة صرح النظام الاجتماعى الجـديد عن أساسها ، وتجـذير وتطـوير هـذا النظام على نحو دائب ومستمر ، لم يعـد يحتاج الى الحماس الثورى وحـده ، والى أى قـدر كان من الخبرة ، وانما يتطلب الى جانب الوعى الاجتماعى العميق بقوانين التطـور الموضوعية ، وبطبيعة المرحلة التاريخية ، وبالشروط المادية والذاتية للانتقال منها الى مرحلة تاريخية أكثر تقـدما ، وبالعوامل الخارجية المساعدة على ذلك أو المعوقة له ، يتطلب التزود بحصيلة المعارف المفيدة السابقة التى صنعها تطور الفكر البشرى وتقـدم الثقافة الانسانية .

ولذلك فأن صناع المجتمع الجـديد يجـدون أنفسهم مطالبين بتعميق وتوسيع معارفهم لا النظرية والسياسية فحسب ، وانما أيضـا العلمية والتكنيكية والتخصصية .

والبروليتاريا وحزبها الطليعى مطالبان بذلك قبـل غيرهما ، ذلك أن « المربى هـو نفسه بحاجة للتربية » كما قال ماركس .

والاشتراكى الذى يكتفى بترديد الشعارات والعبارات الثورية والذى من ثم لا يقوم بتربية وتثقيف نفسه باستمرار ، كما لا يساعد البروليتاريا وجموع الشغيلة على تربية وتأهيل أنفسهم ، وتمكينهم بالتالى من بناء وادارة المجتمع والدولة ، لا يستطيع أن يكون لبنة حية وعنصرا ايجابيا فى مرحلة تحول الثورة الى دولة .

ولربما كانت الدولة الثـورية فى حاجـة الى خبرة الاختصاصى البرجوازى الذى يحسن أداء عمـله تحت أشرافها أكثر من حاجتها الى مثل هـذا الاشتراكى الفاقـد لكل خبرة ، والذى يصر على الا يسعى اليها ويتملكها ، بحجة أن ما قـدمه للثورة من خـدمات يغنيه ويعفيه عن مواصلة تطوير نفسه .

ولقــد سبق أن واجه لينين حالة كهــذه داخل حزبه بعــد قيــام ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ، ولم يملك الا أن يخاطب البلاشفة الذين — بدلا من ان يؤهلوا انفسهم جيدا لقيادة وادارة المجتمــع الجــديد — راحوا يمنون على الناس بأدوارهم القــديمة فى الثورة — أن يخاطبهم بمثل هــذه الصراحة المتناهية : « ان الشيوعى الذى لا يقــدم الدليل على حــذقه فى توحيد عمل الاختصاصيين وتوجيهــه بتواضع ، متغلغلا الى جوهر الأمر ، دارسا اياه بالتفصيل ، ان هــذا الشيوعى خسار فى كثير من الأحيان ، وعندنا كثيرون من أمثال هــذا الشيوعى ، وانى لعلى استعداد لاعطائهم بالدزينات مقــابل اختصاصى برجوازى واحــد قــدير يدرس عمــله بوجــدان » ، « فاذ كانوا اقتصاديين واخصائيين وادباء ، ترتب عليهم ان يدرسوا فى البدء تجربتنا العملية بالذات ، وان يبرهنوا باصلاح الأخطاء ، وتحسين العمل ، بالاستناد فقط الى دراسة الوقائع المعينة دراسة مفصلة ، ان الدراسة هى شأن العالم ، وهنــا ، ما دامت المسألة لا تتعلق عندنا من زمان بالمبادىء العامة ، بل بالتجربة العملية على وجه التدقيق ، فأن « اختصاصيا فى العلم والتكنيك » ، وان برجوازيا ، ولكنه يعرف العمل ، أثمن لنا عشر مرات ، فى هــذه الحال أيضا ، من شيوعى متبجح ، مستعد لأن يدبج « الموضوعات » فى أى لحظة من النهار والليل ، ويتقدم « بالشعارات » ، ويقترح التجريدات المحض ، أكثر من معرفة الوقائع ، واقل من الجدالات اللفظية التى تدعى بالمبدئية الشيوعية » (لينين المختارات فى ١٠ مجلدات ، المجلد ١٠ . دار التقــدم — موسكو ١٩٧٨ ص ٣١٢) .

ويمضى لينين أكثر فى مصارحة رفاقه ، ومنهم قادة بارزون ، منبها اياهم الى ان أى دور مجيد وعظيم يمكن أن يكونوا قــد لعبوه فى مضمار الاطاحة بالعهــد السابق ، لا يعطيهم صك اعفاء عن امتلاك المعرفة العلمية والعملية لكيفية بناء وادارة العهد الحاضر ، وان عليهم الا يتباهوا بالقــدر الذى أتيح لهم من الثقافة وأن يقللوا من الغطرســة

المختبية ، وان ينزلوا الى واقع التجربة الثورية ، ويتمعنوا فى معطياتها ودروسها جيدا ، وان يستعينوا فى ذلك كله بالعام ، والعام وحده .

وعدا ذلك فان لينين يلفت انتباه هؤلاء القادة الى ان التمادى فى الحديث عن أدوارهم فى الماضى وتفخيمها لا يوقعهم بحالة من حالات الانتفاخ الذاتى المرضية فقط ، وانما يخلق كذلك الم.افة بينهم وبين المهرجين ، وهو عيب يمكن ان يلازم امثال هؤلاء القادة الذين يظلون يستجرون أمجاد الماضى ، ويؤثر من ثم على ادوارهم فيها .

يقول لينين : « لقد لوحظ من زمان ان نواقص الناس مرتبطة فى معظم الحالات بفضائلهم ، وهكذا هى نواقص الكثيرين من الشيوعيين القادة . فطيلة عشرات السنين قمنا بعمل عظيم . دعونا الى الاطاحة بالبرجوازية ، علمنا الحذر من الاختصاصيين البرجوازيين ، وفضحناهم وانتزعنا منهم السلطة . وقمعنا مقاومتهم . انه لعمل عظيم ، تاريخى عالمى . ولكن حسبنا أن نحدد قليلا من [illegible] الحقيقة القائلة بانه لا يفصل العظيم عن المضحك غير خطوة [illegible] انقذنا روسيا وانتزعنا روسيا من المستثمرين فى صالح الشغيلة ، وقمعنا المستثمرين . . فيجب علينا أن نتعلم كيفية ادارة روسيا . ولهذا الغرض يجب ان نتعلم التواضع واحترام العمل الجدى الذى يقوم به « اختصاصيو العلم والتكنيك » . لهذا الغرض ، يجب ان نتعلم تحليل اخطائنا العملية العديدة بانتباه وبشكل جدى ، واصلاحها تدريجيا ، [illegible] اقل من غرور المثقفين ، والغرور الدواوينى ، واكثر من [illegible] ما تعلمنا تجربتنا العملية فى المركز وتوابعه ، وما سبق واعطانا العلم اياه » .
(المصدر السابق ص ٣٢٣) .

ولكن بناء الدولة الثورية القادرة على [illegible] المجتمع الجديد مهمة بالغة الصعوبة والتعقيد ، فليس [illegible] الداخلى والخارجى ، هو وحده الذى يعمل على عرقلة هذه المهمة فعند

تحول الثورة الى دولة لا تكون الطبقة العاملة وحلفاؤها قد امتلكت بعد الكوادر المؤهلة لذلك نظرا لأن المجتمع القديم قد حرمها من امكانيات التزود حتى بالحد الأدنى من المعرفة والثقافة • وعبر السعى من أجل امتلاك فن ادارة الدولة وتوجيهها الوجهة الصحيحة التى تؤدى الى اقامة المجتمع الاشتراكي تحدث الاحتكاكات والنزاعات والصراعات بين القوى المستوعبة لمهمة الدولة فى تجديد وتحقيق الثورة ، والقوى التى باسم الثورة تعمل على عرقلة وخلخلة عملية اقامة أجهزة ومؤسسات الدولة ، وعلى تبهيت واضعاف هيبة الدولة •

وكما كتب لينين فان « دخول طبقة جديدة الى المسرح التاريخى ، بوصفها زعيمة المجتمع وقائدته ، لا ينقضى ابدا دون مرحلة من « الخضات » العنيفة ، والهزات ، والنضالات والعواصف ، من جهة ، ودون مرحلة من الخطوات المترددة ، والتجارب والتأرجحات ، والتقلبات فى اختيار الأساليب الجديدة التى تستجيب للوضع الموضوعى الجديد ، من جهة اخرى » • (لينين المهام المباشرة أمام السلطة السوفيتية دار التقدم ، موسكو ١٩٧٠ ص ٣٤) •

ولكن لينين يوضح انه ليست الثورة الروسية هى وحدها التى بليت ببروز مثل هذه الظاهرة ظاهرة تعرضها أثناء سيرها لبناء دولتها الثورية لهذا النمط من القادة الذين يريدون أن يكونوا كل شىء ، ولكنهم لا يحسنون عملا ، والذين يتحول بعضهم ، بعد أن يلفظه موج الثورة الى مجرد تليب ينبح ، كلما رأى الثورة تزيح من طريقها عقبة جديدة •

فجميع الثورات العظمى فى التاريخ لم تشهد فقط ظاهرة هؤلاء القادة المتعالين بغير علو ، المتطاولين بدون حول ولا طول ، وانما أيضا ظاهرة امتلاء مجرى الثورة بالأوباش والاوغاد واللصوص والمدعين المحسوبين على الثورة والمنسوبين الى الثوار •

غير أن الثورة الروسية — بسبب من طبيعتها الاجتماعية — الطبقيه البروليتارية ، قادرة على أن تتجاوز الامتحان بنجاح . وعلى ان تخلق كادرها القيادى المدرب والمؤهل لادارة الدولة الجديدة ولتوجيه المجتمع ، وستخلق بذلك ليس فقط القادة الواعين لمهمتهم التاريخية وعيا علميا عميقا ، والمؤمنين بها ايمانا راسخا ، وانما ايضا الممتلئين لخبره وفن تحقيق هذه المهمة .

يكتب لينين فى هذا الصدد : « ان ايا من الحركات الشعبية العميقة والجبارة التى يعرفها التاريخ لم تخل من الزبد القذر ، من المغامرين والمحتالين والمتصلفين والصياحين اللازقين (الملتصقين) بالمجددين غير المجربين ، لم تخل من خرافة اختلاط الحابل بالنابل ، لم تخل من الفوضى ، لم تخل من الهرج والمرج الباطل ، لم تخل من بعض « الزعماء » ممن يحاولون البدء بعشرين أمرا فى آن واحد ، ولا ينفذون أى أمر منها الى النهاية . فلتعو كلاب المجتمع البرجوازى الصغيرة ، ابتداء من بيلور وسوف حتى مارتوف ، ولتنبح لدى كل شظية من خشب تقع أثناء قطع الغابة القديمة ، واذا كانت تنبح على الفيل البروليتارى فلأنها بالضبط كلاب صغيرة ، لندعها تنبح . فأننا نسير فى طريقنا ، مجتهدين أن نمتحن ونكتشف ، بفائق الصبر وبالغ الاحتراس ، المنظمين الحقيقيين ، أولئك الموهوبين فكرا بصيرا ، وحسا عمليا سليما ، أولئك الذين يأتلف عندهم الاخلاص للاشتراكية مع القدرة على تسيير العمل المشترك الحازم والمتفق عليه ، الذى يقوم به عدد كبير من الأشخاص فى نطاق التنظيم السوفيتى ، على تسيير هذا العمل بلا ضجة « ورغم الضجة والهرج والمرج » ، فقط أمثال هؤلاء يجب علينا أن نقدمهم الى المناصب المسئولة ، مناصب القادة فى العمل الشعبى والادارة ، بعد امتحانهم عشر مرات ونقلهم من أبسط المهام الى أصعبها . نحن لم نتعلم ذلك بعد . ولكننا سنتعلمه » . المصدر السابق (٣٥ — ٣٦) .

ان المكانة الاجتماعية والسياسية والعلمية والتكنيكية التى تحتلها دولة الاتحاد السوفيتى فى عالم اليوم لهى أبلغ برهان على مدى صدق نبـوءة لينين هـذه .

فى ضوء هـذه التجربة الثورية العالمية الرائدة واستلهاما لهـا يمكن القول ان الثورة فى اليمن الديمقراطية قـد واجهت نقصا فى الكادر القيادى المتمرس ، وضعفا فى مستوى الخبرة الادارية والعلمية ، وميولا بيروقراطية . وانه كان لابد من التغلب على ذلك كله ، بغية ايجاد أجهزة للدولة قادرة على تحقيق كامل مهام الثورة القريبة والبعيدة ، الديمقراطية والاشـتراكية .

ومما زاد الأمر فـداحة فقـدان الثورة للعـديد من القيـادات المجربة والكوادر المتمرسة التى تكونت فى مجرى الثورة ، والتى كانت قـد شرعت فى تملك واستيعاب ديكاليكتيك الثورة والدولة .

ذلك بعـد واحـد من الأبعاد المـأساوية لمؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ م يتطلب التغلب عليها جهدا ثوريا مضاعفا .

ومن فضائل الثورات أنها تصنع وتعيد انتاج قادتهـا وكوادرها السياسية والادارية فى مدد قياسية .

وما من شك فى ان الثورة فى اليمن الديمقراطية ستحقق ذلك كله فى أمد قصـير من الزمن وستخلق من ثم الـكوادر العلمية والتكنيكية والادارية المؤهلة لبناء الدولة الديمقراطية الشعبية ، ولقيادتها صوب الاشتراكية ، وستمتلك بذلك ما اسماه لينين « المنظمين الحقيقيين ، اولئك الموهوبين فكرا بصيرا ، وحسا عمليا سليما ، أولئك الذين يأتلف عندهم الاخلاص للاشتراكية مع القـدرة على تسيير العمل المشترك الحـازم والمتفق عليه .. » .

ثـورة ١٤ أكتـوبر ...

ليست حركة القرامطـة ...

ولاكـومونة باريس(*)

البعض فى اليمن - وربما خارجه . قـد تغريه المقارنات الشـكلية للأحـداث ، دون نظر للملابسات التاريخية والخصـوصيات الاجتماعية التى تحيط بكل حـدث .

ووفق هـذه النظرة المسطحة للأحـداث فأن ثورة ١٤ أكتـوبر ١٩٦٣ فى اليمن ان لم تلحق بمصير ثورة القرامطة التى قادها على بن الفضل فى القرن العاشر ، ولم يمض عليها أكثر من عقـدين من الزمن . فأن هـذا المصير لن يختلف فى أحسن الأحوال ـــ عن مصير كومونة باريس فى عام ١٨٧١ .

(*) نشرت فى مجلة « قضايا العصر » عـدد مايو ١٩٨٧ .

فثورة القرامطة فى اليمن ـ شأن الحركة القرمطية فى العالم الاسلامى ـ قد أحاطت بها القوى الطبقية والسياسية ذات المصالح الاقتصادية الكبيرة والجاه الاجتماعى الرفيع والمواقع السياسية المهيمنة وأجهزت عليها •

وثورة كومونة باريس سرعان ما أطبقت عليها البرجوازية الفرنسية الكبيرة مسنودة بجيش بيسمارك الغازى •

أما لماذا الميل الى تشبيه الحدث الثورى اليمنى المعاصر بهذين الحدثين التاريخيين البعيدين فلأنه هنا وهناك كانت التربة الاجتماعية غير معبدة ولا ممهدة ولا صالحة بعد لاحتضان واستنبات وانضاج بذرة كهذه ، بذرة الثورة الاجتماعية الملبية لمصالح الجماهير الواسعة والكادحة ، ولأن محاولة كهذه تتسم بالمثالية والمزاجية والفوضوية ، ولم تخل هذه الحركات الاجتماعية كغيرها من الحركات المماثلة التى عرفها التاريخ من مثل هذه السمات •

والواقع أنه لا مجال حقيقيا للمقارنة بين هذه الأحداث الثلاثة الا من زاوية التطلع المشروع والنبيل نحو المساواة والعدالة الاجتماعية ، وهى سمة طبعت جميع الحركات الاجتماعية فى التاريخ منذ أن انقسم المجتمع الى أغنياء وفقراء ، مالكين واجراء ، سادة وعبيد ، حيث كان الحلم برفع الظلم الطبقى وتحقيق العدل الاجتماعى لا ينعكس فى أنماط من المذاهب الفكرية فقط ، وانما فى أشكال من الانتفاضات الاجتماعية ، بدءا بأشهر انتفاضة شنها العبيد بقيادة سبارتاكوس ضد الدولة الرومانية الاستعبادية فى القرن السابق للميلاد الى الثورات البروليتارية الأوروبية فى القرن التاسع عشر ، وهى مذاهب وانتفاضات كانت تعبر عن الصراع الطبقى المحتدم بين الظالمين والمظلومين ، وعن تصميم المظلومين على نفض النير الاستعبادى عن كواهلهم •

وكما كتب انجاز .. « فهكذا كانت حركة المعمدانيين الجــدد ، وتوماس مونتسر أثناء الاصلاح وحرب الفلاحين فى المـــانيا ، وحركة السوائيين الحقيقين أثناء الثورة الانجليزية الكبرى ، هــذه النضالات الثورية المسلحة التى كانت تقوم بها طبقة لم يكتمل تكوينها كانت تصحبها نظريات مناسبة : اللوحات الطوباوية عن النظام الاجتماعى الأمثل فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، نظريات شيوعية صريحة (موريللى ، مابلى) فى القرن الثامن عشر ، ولم يقتصر مطلب المساواة على الحقوق السياسية ، انما كان يشمل أيضا أوضاع الفرد الاجتماعية ، وأعطى البرهان على ضرورة الغاء الفوارق الطبقية . وكان أول شكل ارتداه المذهب الجــديد هو شكل شيوعية متقشفة ، منسوخة عن سبارطه ، تحرم التمتع بجميع أطايب الحياة . ثم ظهر الطوبون الثلاثة الكبار : سان سيمون ، الذى كان يقر لحــد ما بالميول البرجوازية الى جانب الميول البروليتارية ، وفورية واوين ، وقــد عاش أوين فى البلد الذى تطــور فيه الانتاج الرأسمالى أكثر ممـــا فى غيره من البلدان ، وبتأثير التناقضات الناجمة عن هــذا الانتاج الرأسمالى وضع أوين اقتراحاته لالغــــاء الفوارق الطبقية بصورة نظام مرتبط بالمــادية الفرنسية مباشرة »(١) .

ولقــد عرف الاسلام العــديد من الحركات الاجتماعية والمذاهب الفكرية التى عبرت عنها بدءا من حركة العــدل الاجتماعى التى قادها على بن أبى طالب ، والتى تناسخت فى ثورة الزنج والمعارضة الشيعية عموما لدولة الخلافة الاقطاعية السنية الأموية والعباسية ، مرورا بالحركة القرمطية التى كانت اليمن احــدى ساحاتها ، وانتهاء بأحــدث الحركات والدعوات التى شهدها القرن التاسع عشر ، والتى تجسدت فيما دعـــا اليه جمال الدين الأفغانى من تحرير المسلمين من الاستعمار والاستبداد والظـــلم .

وكل هــذه الحركات الاجتماعية التى عرفها الشرق والغرب سواء

فى القرون القديمة أو الوسطى أو الحديثة والتى اخترقت وزعزعت مختلف التشكيلات الاجتماعية منذ التشكيلة العبودية حتى التشكيلة الرأسمالية ، ما كان مقدرا لها أن تنتصر لأن درجة التطور الاقتصادى ، أولا وقبل كل شىء ، ودرجة تطور قوى الانتاج ، لم تكن تساعد على ذلك .

فالتاريخ لا يسير قفزا ، وانما يسير فى حركة متدرجة ، ولكن صاعدة أبدا . والثورات لا تصنع أكثر من التعجيل بحركته هذه ضمن سياقها التاريخى — الاجتماعى ، وان ساعدت عوامل موضوعية تاريخية معينة على تجاوز هذه التشكيلة أو تلك . غير أنه من المستحيل أن تسبق مرحلة اجتماعية أعلى مرحلة اجتماعية أدنى فى مضمار التطور التاريخى ، كأن تسبق الرأسمالية الاقطاعية أو تسبق الاشتراكية الرأسمالية . ومع ذلك تتلازم عدة أنماط اجتماعية ضمن حقبة تاريخية واحدة ، كأن يوجد النمط السابق للمرحلة الاقطاعية الى جانب النمط البرجوازى فى ظل التشكيلة الاقطاعية السائدة .

ذلك يعنى أن هناك قانونية تاريخية تحكم حركة المجتمع البشرى ، وبمقتضاها يمضى المجتمع فى حركة صاعدة من أدنى الى أعلى — رغم الانتكاسات والردات والكوارث الاجتماعية التى قد تدمر حتى حضارات بكاملها — وأنه ليس فى الامكان ان تنتصر حركة اجتماعية لم تتوفر الشروط المادية ومن ثم الذاتية لانتصارها ، فرغبات الناس وحماسهم وهمتهم واقدامهم وتصميمهم على بلوغ أهدافهم لا تكفى وحدها لتحقيق مطامحهم ومصالحهم ما لم تقترن بظروف مادية مواتية ، بامكانيات فعلية متيسرة ، بتطور اجتماعى متحقق . الناس يصنعون تاريخهم حقا ، ولكن وفق ظروف وشروط وعوامل موضوعية قائمة بالفعل تساعدهم على ذلك .

وليس هناك ما هــو أدق من العودة الى صيغة ماركس فى هــذا الصــدد : « ان أسلوب انتاج الحياة المــادية يشترط تفاعل الحياة الاجتماعى والسياسى والفكرى بصورة عامة . فليس ادراك الناس هو الذى يعين معيشتهم ، بل على العكس من ذلك ، معيشتهم الاجتماعية هى التى تعين ادراكهم . وعندما تبلغ قــوى المجتمع المنتجة المــادية درجة معينة من تطورها ، تدخل فى تناقض مع علاقات الانتاج الموجودة أو مع علاقات الملكية — وليست هــذه سوى التعبير الحقوقى لتلك التى كانت الى ذلك الحين تتطور ضمنها ، فبعــد ما كانت هــذه العلاقات اشكالا لتطور القوى المنتجة ، تصبح قيودا لهــذه القوى . وعندئذ ينفتح عهد الثورات الاجتماعية . ومع تغير الأساس الاقتصادى يحــدث انقلاب فى كل البناء الفوقى الهائل ، بهــذا الحــد أو ذاك من السرعة . وعند دراسة هــذه الانقلابات ، ينبغى دائما التمييز بين الانقلاب المــادى لشروط الانتاج الاقتصادية ، هــذا الانقلاب الذى يحــدد بدقة العلوم الطبيعية — وبين الأشكال الحقــوقية والسياســــية والدينية والفنية والفلسفية . أو بكلمة مختصرة الأشكال الأيديولوجية التى يدرك فيهــا الناس هــذا النزاع ويكافحون لأجل حله . فكما أنه لا يمكن الحكم على عهد انقلاب كهــذا وفقا لوعيه . بل بالعكس ينبغى تفسير هــذا الوعى بتناقضات الحياة المــادية ، وبالنزاع القائم بين قوى المجتمع المنتجة وعلاقات الانتاج . ان أى تشكيلة اجتماعية لا تموت قبل أن تتطــور جميع القوى المنتجة التى تفسح لهــا ما يكفى من المجال ، ولا تظهر ابدا علاقات انتاج جــديدة أرقى قبل أن تنضج شروط وجودها المــادية فى قلب المجتمع القــديم بالذات ، ولهــذا لا تضع الانسانية أبدا أمامها الا المسائل التى تستطيع حلها ، اذ أنه يتضح دائما ، عند البحث عن كثب . أن المسألة نفسها لا تبرز الا عندما تكون الشروط المــادية لحلها موجودة ؛ أو على الأقــل آخــذة فى التكون . ان أســاليب الانتاج : الأسلوب الآسيوى ، والقــديم ، والاقطاعى والبرجوازى الحــديث ،

مرسومة بخطوطها الكبرى ، يمكن اعتبارها بمثابة عهود متصاعدة من التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية »(٢) •

وانتكاس الانتفاضات الاجتماعية ضد العبودية والاقطاع والرأسمالية كان حتميا اذن لعدم توفر الظرف المادى المواتى ، لعدم اكتمال التكون الطبقى للقوى الاجتماعية المنتفضة ، لعدم تبلور الرؤية الاجتماعية ، لمحدودية الوعى الأيديولوجى والسياسى لديها •

ولكن هذه الانتفاضات تظل نموذجا للصراع الطبقى عبر التاريخ ، ومثلا للبطولة الثورية التى كانت تجترحها دائما الجماهير الكادحة ، ورمزا المتعلق بقيم العدل والمساواة والحرية •

لقد كانت الحركة القرمطية فى اليمن وخارجها واحدة من هذه الحركات الاجتماعية الديمقراطية الفلاحية أساسا الموجهة ضد الاقطاع ، وما كان يمكن لها النجاح فى عهد الخلافة الاسلامية الاقطاعية المطبقة على العالم العربى — الاسلامى ، والتى كانت تعبر عن مرحلة من مراحل التطور التاريخى الطبيعية ما كان فى الامكان اجتنابها أو تجاوزها •

وحتى الثورات البروليتارية الحديثة التى انتشر لهيبها فى أوروبا القرن التاسع عشر ، وكانت كومونة باريس ذروتها ، ما كان فى الامكان أن تتكلل بالنصر ، ذلك أن "الرأسمالية كانت تشهد مرحلة نمو ونهوض عاصفين ، وكانت علاقات الانتاج الرأسمالية لا تزال تدفع بقوى الانتاج نحو التطور بمقاييس متسارعة متصاعدة •

وعدا ذلك فأن البروليتاريا كانت ما تزال فى مرحلة التشكيل ، وكان ما يزال أمامها شوط تاريخى حتى تستكمل بنيانها الطبقى ، وحتى تصبح طبقة فى ذاتها وطبقة لذاتها ، وحتى تتمكن من جر قوى المجتمع

الأخرى ، وخاصة الفلاحين والعمال الزراعيين ، خلفها ، وحتى تتمكن من اقامة حزبها الاشتراكى العلمى الموجه لمسيرتها النضالية هـذه .

وقفة عند كومونة باريس :

وعندما قامت كومونة باريس ما بين ١٨ مارس ١٨٧١ — ٢١ مايو ١٨٧١ على أكتاف بروليتاريا باريس لم تكن الا الظروف المحيطة الداخلية والخارجية ولا وضـع البروليتاريا الاجتماعى والأيديولوجى ليساعدا على انتصار الثورة .

فعـدا ضغط حكومة فرساى البرجوازية التى تصالحت مع الغازى الألمـانى وتواطأت معه من أجل خنق الثورة البروليتارية داخل باريس فأن الثورة ذاتها كانت تعانى العـديد من العيـوب التى مكنت من القضاء عليها : كان فى مقـدمتها سيطرة الفوضويين على قيـادتها ، وضعف دور الجناح المنتمى الى الأمميـة ، والى الفكر المـاركسى بالذات ، فيها ، ممـا أعجزها عن معرفة الاجراءات الثورية ، اللازم اتخـاذها ، وافقـدها القـدرة على التمييز بين الثـورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية ، الى غير ذلك من السمات والشروط التى لم تكن قـد توافرت بعـد .

ورغم التمجيد لعمال باريس الذين حاولوا باعـلان الكومونة اقتحام السماء فأن مؤسسى الاشتراكية العلمية : ماركس ، انجـلز ، لينين ، حرصوا على تبيان أخطائها حتى يفيد منها الثوريون .

كتب انجلز فى هـذا الصـدد : « لقـد كان أعضـاء الكومونة منقسمين الى اكثرية من البلانكيين كانوا يسيطرون أيضا فى اللجنـة المركزية للحرس الوطنى ، والى أقلية من أعضاء جمعية الشغيلة العالمية ، تتألف بصفة رئيسية من اتباع مدرسة برودون الاشتراكية ، ولم تكن

الأغلبية العظمى من البلانكيين فى ذلك الوقت اشتراكية الا من حيث الغريزة الثورية البروليتارية ، ولم يرتفع الا القليلون منهم الى ادراك أوضح للمبادىء . وذلك بفضل فايان الذى كان مطلعا على الاشتراكية العلمية الألمانية . ولذا يصبح من المفهوم لماذا فات الكومونة كثير من الأشياء فى المجال الاقتصادى وهى أشياء كان ينبغى تحقيقها بحسب آرائنا اليوم . ولا ريب أن أكثر ما يستعصى على الفهم هو ذلك الاحترام الذى وقفت به الكومونة اجلالا أمام أبواب بنك فرنسا ، لقد كانت هذه أيضا غلطة سياسية كبرى . فلو وقع البنك فى أيدى الكومونة لفاق ذلك فى أهميته عشرة آلاف من الرهائن ولأرغم البرجوازية الفرنسية كلها على الضغط على حكومة فرساى لعقد الصلح مع الكومونة ، ولكن ما هو ادعى بكثير الى الدهشة صواب كثير من الاجراءات التى قامت بها الكومونة ، بالرغم من أنها كانت مؤلفة من بلانكيين وبرودونيين . وطبيعى أن البرودونيين هم المسئولون بصفة رئيسية عن المراسيم الاقتصادية ، بفضائلها ونقائصها ، التى أصدرتها الكومونة ؛ كما أن البلانكيين مسئولون عن أعمالها وأخطائها السياسية . وقد شاءت سخرية التاريخ — وهو شىء عادى عندما يتسلم العقائديون الحكم — أن هؤلاء وأولئك قد أتوا بنقيض ما كانت تنص عليه تعاليم مذهبهم »(٣) .

وفى مكان آخر يوجز انجلز عوامل سقوط كومونة باريس كالتالى :

« ومن جديد تبين الى أى حد كانت سيادة الطبقة العاملة هذه غير ممكنة حتى آنذاك ، أى بعد انقضاء عشرين سنة على المرحلة الموصوفة فى هذا الكراس . فمن جهة تركت فرنسا باريس وشأنها لحكم القدر ، مراقبة بلا مبالاة كيف تنزف دماء باريس تحت قنابل ماك — ماهون ، ومن جهة أخرى استنفدت الكومونة قواها فى صراع عقيم بين حزبين انقسمت اليها هما : حزب البلانكيين « الأغلبية » وحزب

البروونيين « الأقلية » . ولم يكن لا هؤلاء ولا أولئك يعرفون ما ينبغى فعله . وهكذا تبين أن الانتصار السهل فى ١٨٧١ كان عقيما بقدر عقم الهجوم المفاجىء فى ١٨٤٨ »(٤) .

اما اينين فيعرض — فى مجرى جدله مع المناقشة — هنات وثغرات كومونة باريس التى اسهمت فى سقوطها بمثل هذه الكلمات :

« وكلما كانت كومونة باريس ، كومونة عام ١٨٧١ ، عزيزة علينا ، كلما قل ان يجوز لنا مجرد ذكرها ، دون أن نبحث أخطاءها والأوضاع الخاصة التى مرت بها . ان مثل هذا التصرف انما يعنى السير على غرار وحمق البلانكيين ، الذين سخر منهم انجلس ، والذين بالغوا (فى « بيانهم » الصادر عام ١٨٧٤) فى اطراء ادنى عمل قامت به الكومونة . وما عسى ان يقول المشترك فى المجلس العام للعامل الذى سيسأله عن هذه « الكومونة الثورية » المذكورة فى القرار ؟ انه لن يكون بوسعه أن يقول له سوى شىء واحد ، هو أن التاريخ يعرف بهذا الاسم حكومة عمالية كانت فى عهدها لا تعرف ، ولم يكن بوسعها ، ان تميز بين عناصر الانقلاب الديمقراطى وعناصر الانقلاب الاشتراكى ، وكانت تخلط مهمات النضال من أجل الجمهورية مع مهمات النضال من أجل الاشتراكية ولم تستطع أن تحل قضية القيام بهجوم عسكرى حازم على فرساى ، وأخطأت فى عدم الاستيلاء على بنك فرنسا ... الخ ، وبكلمة ، سواء أذكرتم فى جوابكم كومونة باريس أم اى كومونة اخرى ، فانه يترتب عليكم أن تجيبوا كما يلى : كانت تلك حكومة ينبغى الا تكون حكومتنا مثلها »(٥) .

وقفة امام حركة القرامطة :

والآن ما هو وجه الشبه بين الثورة اليمنية المعاصرة ، مجسده فى ثورة ١٤ أكتوبر ، وبين الثورات والانتفاضات الآنفة الذكر ،

وبالذات بينها وبين الحركة القرمطية ، التى قادها على بن الفضل من جهه ، وبينها وبين كومونه باريس من جهه اخرى ؟ ثم هل هناك ادنى تسبه بين الملابسات التاريخية التى احاطت فى القرن العاشر بالحركة القرمطية ، والملابسات التاريخية التى تحيط فى الربع الأخير من القرن العشرين بالثورة اليمنية المعاصرة ؟ أو هل الظروف التاريخية الخاصة والعامة التى لابست كومونة باريس عام ١٨٧١ تتشبه من قريب او بعيد الظرف التاريخى المعاش الذى تتحرك فى سياقه ثورة اليمن المعاصرة ؟

واذا كان من الصعوبة بمكان العثور على أوجه شبه حقيقية وملموسة فهل لابد مع ذلك أن يكون مصير الثورة فى اليمن الديمقراطية مشابها لمصير ثورة القرامطة ، ومصير كومونة باريس ؟

فى كتابنا « اليمن .. الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال » الذى صدر عام ١٩٧٢ أوضحنا ان دمغ الجبهة القومية ، ومن ثم الثورة فى اليمن الديمقراطية ، بأنها مجرد حركة قرمطية هو موقف أيديولوجى — تاريخى ثابت لقوى الاقطاع اليمنى تجاه القوى المناوئة له ، الخارجة عليه ، الرافضة لاستغلاله وتحكمه والطامحة الى اقامة مجتمع ديمقراطى عادل .

وقلنا فيه انه « حدثت عملية انقسام طبقى واجتماعى حادة وعنيفة وتحددت خارطة القوى السياسية ، وتبلورت منطلقاتها ، ولم تعد هناك خيوط اجتماعية ذات نسيج معين متداخل مع اخرى ذات نسيج آخر ، وتجابهت القوتان السياسيتان المتصارعتان فى شكل عمودى وأفقى على نطاق الساحة اليمنية كلها ، قوة محافظة ، واخرى متحررة ، قوة تجتر الماضى ، وأخرى تستلهم المستقبل ، قوة تأخذ بمنطق « السلف الصالح » وأخرى بمنطق الخلف الثائر ، قوة تمثل سقف المجتمع اليمنى مجسدا فى رجالات الاقطاع والارستقراطية القبلية .

والبورجوازية الكومبرادورية ، وأخرى تمثل قاع المجتمع اليمنى مجسداً في الجماهير الشعبية من الفلاحين والعمال والبرجوازية الصغيرة .

وبدأت معركة اعلامية محتومة وناطقة استخدمت فيها كل الأسلحة . بما في ذلك اسلحه العصور الخوالى ، ولم تكتف القوى الاقطاعية فيها باتهام الجبهة القومية بانها انفصاليه ، وضـد الوحـدة اليمنية ، وأنها صاحبة شعارات « مسنوردة » ، وانما اتهمتها أيضاً بأنها « طائفـة قرمطية » وفئة « اسماعيلية » .

وليس هناك ما يجسد ويبلور أيديولوجية الاقطاع والأرستقراطية القبليـه في اليمـن مثل هـذا « النعت » الذى تطلقـه على خصومها الطبقيين ، وليس هناك ما يعبر بصـدق موضوعى ، وأمانة حقيقية عن مفاهيمها مثل هـذا الوصف ، بل ليس هناك ما يعكس مدى الحضور التاريخى والوعى السياسى باحـداث المـاضى ، والحس الطبقى في مواجهة العير الذى تعيشه الطبقـة الاقطـاعية اليمنية مثـل هـذا « المصطلح » التقليدى القـديم الذى وسم به الاقطاع العربى تلك القـوى المناوئة لـه .

ان خطورة وعمق ، وبعـد هـذا الاتهام الذى توجهه القـوى الاقطاعية في اليمن ضـد الجبهة القومية لا تتضح بدون رجعة الى الوراء لمعرفة الظروف التاريخية التى نشأت فيها الحركة القرمطية ، ولاستكناه طابعها السياسى » (أنظر ص ٢٩٦ — ٣٢٤ من الكتاب) .

ليس جـديدا اذن القول بأن الثورة في اليمن الديمقراطية مجرد ثورة قرمطية خارجة على الاسلام الرسمى ، وليس جـديدا أيضـا الاصطفاف الواسع ضـدها من قبل جميع ذوى المصالح الطبقيـة الاستغلالية التى حاولت غير مرة — وحتى عن طريق الحرب والتدخـل

الخارجي المسلح — الحاقها بمصير الحركة القرمطية التى انقض عليها أعــداؤها بالخراب والقسى حتى آخر ركن لهــا فى عــدن •

غير أن الثورة اليمنية المعاصرة ، مجسدة فى ثورة ١٤ أكتوبر ، اثبتت بانتصارها على جميع محاولات وأدها انهـــا بطبيعة ما تمثله ، وبمؤازرة الحركة الوطنية اليمنية لهــا • وبتعبيرها عن مصالح ومطامح الجماهير اليمنية العريضة ، وبعلاقاتها مع قــوى التحرر والتقـــدم والاشتراكية فى العالم أجمع — أنها من ذلك الطراز من الثورات العصريه التى ليس الى هزيمتها من سبيل ، والتى لا تمتلك فقط مقومات البقــاء والاستمرار ، وانما أيضا مقومات النمو والتطور الدائبين •

لمــاذا سقطت كومونة باريس ؟

كذلك فان تصور أن الثورة فى اليمن الديمقراطية مجرد محــاولة جنونية لاقتحام السماء ، لن يكون مصيرها بأفضل من مصير كومونة باريس ، تصور يلغى فارق التطور التاريخى الذى حــدث فى العالم منذ عام ١٨٧١ الى اليوم •

عام ١٨٧١ كان بيسمارك — بانتصاره على امبراطورية نابليــون الثالث — وبتوحيده ألمــانيا فور ذلك ، قــد انتزع زعامة أوروبا ، مثلما غــدت ألمــانيا الموحــدة أول دولة فيها • وما كان لكومونة باريس المحاصرة بجيشه الفاتح المنتصر ، وبجيش حكومة فرساى البرجوازية المتواطئة معه ، أن تصمد طويلا •

وكما كتب لينين : « وكان لابد للكومونة أن تمنى بالهزيمة بعــد أن خــذ لها حلفاء الأمس ، ولم يعــد يدعمها أحــد • واتحــدت ضــدها البرجوازية كلها فى فرنسا وجميع الملاكين العقاريين ، ورجال البورصة ، والصناعيين ، وجميع اللصوص الكبار والصغار ، وجميع

المستثمرين . وهـذا الائتلاف البرجوازى الذى سانده بيسمارك (الذى أطلق من الاسر سراح ١٠٠٫٠٠٠ جندى فرنسى لاجـل قهر باريس الثائرة) . استطاع ان يجعل تعدى الفلاحين الجهلاء والبرجوازية الصغيرة على البروليتاريا الباريسية ويطوق نصف باريس بطوق حديدى (النصف الثانى كان يحاصره الجيش الألمـانى)(٦) .

وكان العالم كله من روسيا القيصرية فى الشرق الى امريكا فى الغرب يقف ، مصفقا لبيسمارك الفاتح الموحـد . الذى ما ان طرح فرنسا المختالة أرضا ، حتى اعلن وحـدة المـانيا من على أرضـها المفتوحة ، وما ان هزم البرجوازية الفرنسية ومرغ انفها فى الرغام ، حتى استخدمها فى القضاء على ثورة باريس البروليتارية ، بغية تحطيم معنويات البروليتاريا الأوروبية كلها ، وعلى رأسها بروليتاريا المـانيا الفتيـة .

قال انجلز فى هـذا الصـدد « كان بيسمارك قريبا من الهـدف . فان الامبراطورية البروسية الألمـانية الجديدة كانت قد اعلنت رسميا فى فرساى ، فى قاعة لويس الرابع عشر الاستعراضية . وكانت فرنسا منبطحة أمام قـدميه عاجزة كليا ، وكانت باريس المستعصية التى لم يتجاسر هـو نفسه على المس بها قـد دفعها تيير الى انتفاضة الكومونة ثم سحقها جنود الجيش الامبراطورى السابق العادين من الأسر . وكان جميع التافهين الضيقى الافق فى أوروبا يعجبون الآن ببيسمارك مثلما كانوا يعجبون فى الخمسينيات بنموذجه الأصلى ، لويس بونابرت ، وقد صارت ألمـانيا بمساعدة روسيا أول دولة فى أوروبا ، وتركزت السلطة كلها فى المـانيا فى يد الديكتاتور بيسمارك »(٧) .

وفوق ذلك كله فأن الشروط الذاتية لانتصار البروليتاريا الباريسية لم تكن قـد توافرت بعـد . فقـد كانت البروليتاريا ما تزال فى حالة

تكون • ولم يستوعبوها بعد ، ذلك أن البرجوازية نفسها كانت ما تزال فى مرحلة النمو الأولى ولم يكتمل تكوينها بعد ، وقوى الانتاج ذاتها لم تتطور الى الحد الذى تنشأ معه علاقات انتاج رأسمالية ناضجة تتولد معها بروليتاريا كاملة النمو ، ناهيك انه لم يكن قد وجد حزب بروليتارى حقيقى يدرك أهدافه جيدا والفكر الماركسى كان ما يزال يشكل الحلقة الضعيفة اذا ما قورن بالفكر البلانكى والبرودونى المهيمن فى وسط العمال • ولم ينشأ أدنى تحالف مع الفلاحين ، ولم تكن هناك تجمعات نقابية فعالية لا وسط العمال ولا وسط الفلاحين • وكان معظم سكان البلاد من البرجوازية الصغيرة •

وحسب اللوحة التى رسمها لينين للوضع الاجتماعى فى فرنسا فانه لم يكن هناك مفر من هزيمة كومونة باريس ، ذلك انه « لأجل الثورة الاشتراكية المظفرة ينبغى أن يتوفر على الأقل شرطان : تطور القوى المنتجة الرفيع ، واستعداد البروليتاريا • ولكن هذين الشرطين لم يكونا متوفرين فى عام ١٨٧١ ، كانت الرأسمالية الفرنسية لا تزال قليلة التداور ، وكانت فرنسا آنذاك على الأغلب بلد البرجوازية الصغيرة (الحرفيين والفلاحين وأصحاب الحوانيت وخلافهم) • ومن جهة أخرى لم يكن هناك حزب عمالى ، ولم يكن لدى الطبقة العاملة استعداد وتدريب مديد ، بل انها كانت بسوادها حتى لا تتصور بوضوح تام مهامها ووسائل تحقيقها • ولم تكن هناك لا منظمة سياسية جدية للبروليتاريا ، ولا نقابات واسعة وجمعيات تعاونية »(٨) •

تلك وغيرها من العوامل كان وراء سقوط كومونة باريس بعد شهرين فقط من قيامها •

تبدل خارطة العالم بعد قيام ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى :

والسؤال الآن هو هل اللوحة الاجتماعية اليوم فى العالم ، وفى اليمن الديمقراطية ، هى ذاتها ؟ واذا كانت قد اختلفت فى الربع الأخير

من القرن العشرين عنها فى الربع قبل الأخير للقرن التاسع عشر فما هى أهم هـذه المتغيرات ؟ وهـل فى ضـوء هـذه المتغيرات يمكن للثورة الجـذرية أن تنتصر ليس فى العالم المتقـدم فحسب ، وانما فى العالم النامى أيضا ، اذا ما توافرت الى جانب هـذه المتغيرات الشروط المحلية اللازمة لذلك ؟

لقـد تغيرت الخارطة الاجتماعية والسياسية العالمية تغيرا هائلا . وكما حفت روما القرون الوسطى الاقطاعية ـ الكهنوتية عن أن تكون محور العالم ، كفت انجلترا ـ وبعـدها فرنسا وألمـانيا ـ عن أن تكون مركز الكون ، وسقط خلال ذلك لواء القيادة البرجوازية للعـالم من ايديها مجتمعة ، منذ تمكنت الطبقة العاملة التى هزمت فى باريس أن ترفع لواء الثورة البروليتارية العالمية على يد لينين فى روسيا ، وتحقق بذلك حلم وتنبؤ ماركس وانجلز بأن روسيا غـدت مركز الثورة العالمية .

فبثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى فى روسيا عام ١٩١٧ والتى غطى علمها سدس الكرة الأرضية بشمولها آسـيا الوسطى والشرق الأقصى فيما أصبح يدعى الاتحاد السوفيتى وضع حجر الأساس لعالم جـديد ينتفى فيه استغلال الانسان لأخيه الانسان .

وبالدور الجبار الذى لعبه الاتحاد السوفيتى فى تحطيم النازية والفاشية والعسكرية فى بلدان المحور خلال الحرب العالمية الثانية وفى نشؤ منظومة الديمقراطيات الشعبية التى سارت فى طريق الاشتراكية والتى غطت مساحة واسعة تمتد من برلين الى بكين ، بذلك أشرقت شمس الاشتراكية من شرق الكرة الأرضية ، من حيث لم تكن تحتسب حتى أكثر العقول عبقرية فى القرن التاسع عشر .

وفى عقر دار الرأسمالية ، فى الغرب الرأسمالى المتطور ، نهضت

طبقة عاملة ذات أحزاب اشتراكية علمية تمثل البديل الثورى والتاريخى للراسمالية • والتحـدى اليومى المباشر لهـا ، وحفار قبرها النشيط •

وفى العالم النامى انطلقت حركات تحرر وطنى أمكنها أن نشكل جزءا لا يتجزأ من الثورة الاشتراكية التى تمسك بقيادها الطبقة العامله العالمية ، وان تقيم دولا وطنية حـديثة متحررة معادية للامبرياليه . بل وامكن لبعضها .أن تصبح معادية للرأسمالية ذاتها ، وأن تنتقل من موقع أيديولوجى الى آخر • من الموقع الوطنى ، الى الموقع الديمقراطى الثورى ، الى الموقع الاشتراكى العلمى ، وآن تدفع بشعوبها فى طريق الثورة الوطنية الديمقراطية التحررية ، فالثورة الديمقراطية ذات التوجه الاشـــتراكى •

لقـد آمكن ذلك كله بفضل تبـدل عـلاقات القوى بين النظـام الاشتراكى العالمى ، والنظام الرأسمالى العالمى ، حيث غـدا الأول هو الممسك بزمام المبادرة التاريخية ، وغـدا ممكنا بفضل وجوده ومساعدته لا تحطيم حلقات الاستعمار أينما وجـدت ، وانما أيضا تجاوز مرحله الرأسمالية ذاتها ، والسير مباشرة عبر مراحل وسيطة فى اتجـاه الاشـتراكية •

اليمن الديمقراطية فتيل فى النسيج الثورى للعالم الجـديد :

لقـد دخلت اليمن الديمقراطية التى قامت فيها حركة تحرر وطنى ضـد المستعمر البريطانى بلغت من عنفوانها حـد خوض النضـال الشعبى المسلح ضـده حتى تمكنت من اجلائه ، ومن اقامة نظام وطنى تحررى ما لبث أن تطور الى نظام ديمقراطى ثورى ذى توجه اشتراكى يقوده حزب طليعى هـو الحزب الاشتراكى اليمنى ــ دخلت ضمن هـذا النسيج الثورى للعالم الجـديد الذى تقف فى طليعته منظومة البلدان الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى •

واللوحة التى يرسمها الحزب الاشتراكى اليمنى للعالم الجديد تؤكد مدى وضوح الرؤية لديه وعمق انتمائه اليه • وصدق ايمانه به •

جاء فى برنامج الحزب « ان السمة الرئيسية التى تميز العصر الراهن هى الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية على نطاق العالم • ان عصرنا هو عصر الصراع بين النظامين الاجتماعيين العالميين المتناقضين ، عصر الثورات الاشتراكية وانتصار حركة التحرر الوطنى وانهيار الامبريالية وتصفية نظام الحكم الكولونيالى • عصر انتهاج شعوب جديدة باستمرار طريق التوجه الاشتراكى • عصر الاشتراكية على الصعيد العالمى •

ويتأكد فى عصرنا بأن الرأسمالية كنظام وكعلاقات انتاج قد انهت مهمتها التاريخية ونشأت ظروف موضوعية لانتقال البشرية الى النظام الاشتراكى • ويجتاح عالمنا اليوم تيار التجديد الثورى الاشتراكى بقيادة الطبقة العاملة وحلفائها •

لقد دشن انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى بداية هذا العصر ، وشكل انعطافا حاسما فى تاريخ البشرية . مسجلا بداية انهيار الامبريالية . وانبثاق النظام الاجتماعى الاشتراكى الجديد الذى يعبر عن المصالح الجذرية للجماهير الكادحة •

ان انتصار الاتحاد السوفيتى والشعوب والقوى المناهضة الأخرى على الفاشية والنازية الألمانية والعسكرية اليابانية قد أدى الى انتصار الاشتراكية فى عدد من الدول ، مفسحا المجال لقيام وترسيخ النظام الاشتراكى العالمى ، ومشكلا بداية انطلاقة جديدة لحركة التحرر الوطنى العالمية ، ووجه ضربات قاصمة لنظام الحكم الكولونيالى للامبريالية •

وكان ذلك ، بحق ، مكسبا رئيسيا للطبقة العاملة ونضالها الثورى ، فظهور المنظـومة الاشتراكية وتعاظم جبروتها ، وانتصارات الحركة العمالية العالمية وحركة التحرر الوطنى ، قـد غير وجه كوكبنا كله ، وغير ميزان القوى على الصعيد العالمى لصالح قضـية الاستقلال الوطنى والديمقراطية والاشتراكية والسلم •

ان التقـدم الشامل للنظام الاشتراكى العالمى ، ونجاحات جميع القوى المناضلة من أجل التغيير الثورى للعالم يضـيق باستمرار من امكانيات الامبريالية والرجعية ، ويظهر بمـا لا يدع مجـالا للشـك ، وبصورة وضاءة وساطعة ، أفضلية النظـام الاشتراكى • وتنخرط باستمرار شعوب جـديدة فى النضال المعادى للامبريالية والرأسمالية على حـد سواء ، وتنهج طريق التحرر القومى والاجتماعى باتجـاه الاشتراكية » (ص ١ — ٣) •

من حركة ٢٢ يونيو التصحيحية حتى قيام الحزب الاشتراكى اليمنى :

ان انتقال حركة الثورة من موقع الى موقع لم يتم بدون صراع حتى داخل الجبهة القومية التى قادت حركة الثورة • ولقـد كانت حركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ هى المنعطف الحاسـم الذى أقصيت معه من السلطة والتنظيم القوى المعبرة عن مصالح وأيديولوجية البرجوازية الوسطى المتطلقة الى التعاون مع الكومبرادور ومع القيادات العسكرية والبيروقراطية التى خلفها الاستعمار ، وانتقلت به البلاد الى أفق الثورة الديمقراطية •

وفى مجرى النضال من أجل تغيير بنيـة المجتمع التقليـدية والبرجوازية نشأ تيار فوضوى يسارى طفولى فى التنظيم وفى الدولة يخلط بين المراحـل الديمقراطية والاشتراكية ، بل ويدمـج المرحـلة

الاشتراكية فى المرحلة الديمقراطية ، هــذا الخلط للأوراق . هذا الدمج للمراحل . هــذا الجهل بقوانين التطور الموضوعية ، هــذه النزعــة الارادية المثالية المستعلية على الواقع ، تذكرنا بما حــدث فى كومونة باريس وبملاحظات مؤسسى الاشتراكية العلمية الانتقادية لذلك ، والتى ذكرناها آنفــا .

لقــد نبه الاشتراكيون العلميون اليمنيون داخل الجبهة القومية وخارجها الى خطورة البلانكيين والبروديين الجــدد الذين كان على رأسهم رئيس الدولة سالم ربيع على .

ولعل محاضرة عبد الفتاح اسماعيل الأمين العام للجبهة القومية التى ألقاها فى ١٣ سبتمبر ١٩٧٢ كانت واحــدة من أكبر وأقوى الطلقات التى ســددت الى هــذا النهج المغامر النزق المعبر عن أيديولوجيــة البرجوازية الفلاحية القروية الضيقة الأفــق ، والمحــدودة الرؤية ، والضالة المضللة ، والتى ما لبثت أن كشفت عن خلفيتها اليمينية المتسترة بالتطرف اليسارى ، حين رفض ربيع على اقامة حزب طليعى من طراز جــديد بحجة عــدم وجود طبقة عاملة فى البلاد ، وحين تحفظ على تمتين العلاقات مع الاتحاد السوفيتى بذريعة أن ذلك من شأنه أن يثير الدول العربية المحافظة الى غير ذلك من المواقف اليمينية .

لقــد نبه عبد الفتاح اسماعيل الى أن مثل هــذا النهج يخالف برنامج الجبهة القومية الوطنى الديمقراطى الذى لم يجف مداده بعد ، والذى كان المؤتمر الخامس لهــا الذى عقــد ما بين ٢ — ٦ مارس ١٩٧٢ قــد أقره للتو . وقال : « هناك من يريد تجــديد كل شىء دفعة واحــدة — بل وهناك من يطرح ضرورة برنامج جديد » بأفكار جديدة .

لقــد وضعنا برنامجا لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية . واذا كان الآخرون ، فى نفس الظروف ، قــد قطعوا هــذه المرحلة بخمسة

عشر أو عشرين عاما .. واذا ما فكرنا نحن . أو امتلكتا طموحا بقطع هذه المرحلة خلال عشرة أعوام ، مستفيدين من تجارب الآخرين ، فهذا شيء جيد ، على أساس أن نكون واعين تماما لكوننا نقطع مرحلة محددة هي مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية وان نفهم أن مهام هـذه المرحلة محـددة ولا يمكن أن تكون نفس المهام التي تواجهها مرحلة البنـــاء الاشــتراكي .

غير أننا هنا نتصرف تجاه بعض المهام وكأننا نطبق مهـام الثورة الاشتراكية .. نتصرف وكأننا لسنا في مرحلة محـددة هي مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية .

نعود الى السؤال المطروح : الى أي مدى نحـن ملتزمون بخط الثورة .. ببرنامج مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية .. والى أي مدى نحن نطبق ونجـد البرنامج في نضالاتنا اليومية ؟

اذا لم تكن هـذه المسألة واضحة أمامنا . فربما نقع في مزالق ، وقـد نتراجع في أبسط الاحتمالات .

ان البرنامج يمثل شيئا متقـدما . والأصدقاء يقولون عنه انه يمثل الحـد الأعلى لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية .

وبصرف النظر عما يقوله الآخرون ينبغي أن نكون ملتزمين بهـذا البرنامج »(٩) .

لم يتوقف الصراع المتعـدد الأشكال مع التيار اليساري المغامر . وعندما هزم أيديولوجيا وسياسيا وتنظيميا في التنظيم لجـأ الى مغامرته الانقلابية اليمينية في ٢٥ يونيو ١٩٧٨ ، هـذه المغامرة التي أمكن للتنظيم ضربها في اليوم التالي مباشرة واسدال الستار على مدبريها وعلى شططهم من أساسه .

وبذلك أزيحت العقبة الكأداء أمام قيام الطليعة الاشتراكية المنشودة التى كان قد تم التمهيد لها باعلان التنظيم السياسى الموحد — الجبهة القومية فى أكتوبر ١٩٧٥ على أساس اتفاق ٥ فبراير ١٩٧٥ الذى أقرته المنظمات الثلاث التى تشكل منها الان هذا التنظيم ، ممثلة فى الجبهة القومية ، اتحاد الشعب الديمقراطى ، حزب الطليعة الشعبية .

ففى أكتوبر ١٩٧٨ م تأسس الحزب الاشتراكى اليمنى الذى أعلن الاشتراكية العلمية والأممية البروليتارية أيديولوجية ونظرية علمية له ، واعتبر المرحلة التى تمر بها الثورة هى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية التى بانجازها كاملة غير منقوصة تضع الثوة أقدامها على عتبة التحول الاشتراكى .

وكما جاء فى برنامج الحزب : « الحزب الاشتراكى اليمنى هو طليعة الطبقة العاملة اليمنية المتحالفة مع الفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الشعبية الكادحة الأخرى . وهو التعبير الحى عن وعى هذه الطبقة لمصالحها الحقيقية ولمستقبلها ودورها التاريخى . وترتبط نشأة الحزب ارتباطا عضويا بتراث شعبنا الكفاحى . وهو يستلهم ويطور كل ما هو تقدمى وثورى فى تراث الشعب اليمنى القومى والتقدمى ، وهو المكمل لكل نضالات الشعب .

وهدف الحزب تحويل المجتمع تحويلا ثوريا لاستكمال مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية . والانتقال نحو بناء الاشتراكية ، مسترشدا فى سبيل تحقيق هذا الهدف النبيل بنظرية الاشتراكية العلمية ، آخذا بعين الاعتبار الخصائص المحلية لنمو وتطور الثورة الوطنية الديمقراطية فى بلادنا » (ص ٦) .

كان برنامج الحزب صورة حية البرامج الوطنية الديمقراطية

البالغة النضج ، وكان ربطه بين هـذه المرحلة من سير الثورة وبين المرحلة الاشتراكية قمة فى الوضوح ، وكانت معالجته لقضية الوحـدة اليمنية والأسس التى ينبغى أن تقوم عليها غاية فى الدقة ، وكان ربطـه بين القضية الوطنية والقضية القومية والقضية الأممية مثلا نموذجيا على الفهم الديالكتيكى للعلاقة المتبادلة والمتداخلة بين الخاص والعـام ، والجزئى والكلى •

كيف أمكن أن يحـدث شىء كهـذا فى حزب كهـذا ؟ !

غير أن تركيب الحزب العضوى ، والاستيعاب العميق لجميـع قياداته وكوادره وأعضائه للبرنامج ولنظرية الاشتراكية العلمية التى صيغ على أساسها لم يكن بذات القـدر والمستوى من النقاء والنصاعة والوضـوح •

ان الانفجار الدموى والمـأساوى الذى حـدث فى ١٣ ينـاير ١٩٨٦ م وأطاح بقيادات وكوادر وأعضاء كثيرين فى الحزب كان على رأسها عبد الفتاح اسماعيل الذى اعترف بيان المكتب السياسى الـذى أذاعـه الرفيق الأمين العام على سالم البيض فى ١٠–٢–١٩٨٦ بأنه كان « مؤسس حزبنا » — ان ذلك يوضح مدى الخلل الذى كان يعتـور الحزب •

ليس بيت القصيد هـو مجرد الاتفاق على أن ما حـدث فى ١٣ يناير ١٩٨٦ هـو محض مؤامرة دبرها ما أسمى باليمين الانتهـازى التصـفوى •

بيت القصيد هـو معرفة كيف أمكن أن يحـدث ما حـدث فى حزب طليعى ، تفترض فيه الوحـدة الأيديولوجية والتنظيمية والسياسية . ونستبعد فى مثله أية امكانية للجوء الى السلاح لحل قضايا خلافية فى الرأى •• كيف أمكن أن يحـدث شىء كهـذا فى حزب كهـذا ؟

لقـــد عرفت الأحزاب الطليعية منذ وجـــدت والى اليوم ، بمـــا فيها حزب البلاشفة ، جناحاً ثوريا ، وجناحاً انتهازيا ، وبينهما جناح وسطى أسماه لينين بالمستنقع •

غير أن النزاع بينها كان يحسم داخل اطار الشرعية الحزبية ووفق النظام الداخلي للحزب ، وحتى باتخاذ أقصى عقوبة حزبية وهى الطرد من الحزب •

أما أن ينقض طـــرف أو أطراف فى الحزب على طرف أو أطراف اخرى فيه ويصفى الخلاف معها بقـــوة السلاح فتلك هى المفارقة التى لا عهد للأحزاب الاشتراكية العلمية الحقيقة بها ، وذلك هـــو الخروج الذى لا خروج بعـــده على ألف باء الديمقراطية الشعبية والديمقراطية الاشتراكية والديمقراطية الحزبية التى أرسى أسسها ماركس وانجلز وبلورها لينين •

فألام يعود اذن مثل هـــذا الخرق التنظيمى والخروج النظرى على بدهيات المبادىء الاجتماعية والحزبية للماركسية — اللينينية

هل يعود الى طبيعة النشأة الأولى للجبهة القـــومية التى كان استخدام السلاح فى مواجهة المستعمر هـــو ما ميزها عن ســـواها من التنظيمات الوطنية القائمة آنئذ ؟

هل عادة الاحتكام الى القـــوة التى لجـــأ اليها اليمين الانتهازى بانقلاب ٢٠ مارس ١٩٦٨ ضـــد يسار الجبهة القومية والعناصر الوطنية والديمقراطية الأخرى المتعاطفة معه وضـــد قرارات المؤتمر الرابع للجبهة القومية ، والتى لجـــأ اليها أيضا اليسار الانتهازى بانقلاب ٢٥ يونيو ١٩٧٨ ضـــد غالبية التنظيم السياسى الموحـــد — الجبهة القومية — هل هـــذه العادة غـــدت متأصلة الى حـــد أن الحزب الاشتراكى

اليمنى — طليعة الطبقة العاملة وحلفائها — لم يستطع أن يتحرر منها الى حد أن أحد أطرافه عاد هو كذلك اليها وقام بانقلابه الدموى ضد الطرف الآر . مما رمى البلاد فى أتون حرب أهلية بلغت أصداؤها العالم كله ، وأفزعت كل القوى الحليفة ، ووضعت التجربة الثورية كلها أمام امتحان عسير لم يسبق أن ووجهت بمثله من قبل ؟

هل هى عودة الى التقاليد القبلية القروسطية التى سهلت تحكم المستعمر فى البلاد ، والتى قامت على الثأر والثأر المضاد — هذه التقاليد التى كانت الجبهة القومية بتركيبها ودعوتها الوطنية التحررية وتعبئتها للشعب ضد المستعمر وعملائه وركائزه وباقامتها دولة وطنية ديمقراطية موحدة على أنقاض الشتات القبلى والاقليمى والتجزئة الاقطاعية الطويلة الأمد التى كرسها المستعمر وفق سياسة « فرق تسد » — كانت قد شرعت فى وضع حد لها ؟ .

هل غلبة العنصر البرجوازى الصغير فى الحزب ، ولا سيما العنصر البرجوازى الفلاحى ، بكل ما يحمله من تقاليد موروثة من الريف خاصة ، ومن نزاعات قديمة ، ومن تفكك وانغلاق — هل غلبة هذا العنصر ، والغياب النسبى للطبقة العاملة عنه وعن مواقع القيادة والتوجيه فيه هو السبب ؟

هل نشأة الحزب الحديثة نسبيا وعدم تشربه وتشبعه — فيما خلا بعض قياداته وكوادره وأعضائه — بالفكر الاشتراكى العلمى هو العلة لما حدث ؟

هل هو انبعاث لنزعة « الاستبداد الشرقى » التى لا تطيق سماع أو قبول الموقف والرأى المخالف والتى ظهرت فى أحزاب طليعية مماثلة فى بلدان « شرقية » أخرى ككمبوديا مثلا ؟

هل هو عــدم الايمان بفكرة الديمقراطية الحزبية أو عــدم القدرة على الاحتكار اليها جملة وتفصيلا ، وجعلها المرجــع الأول والأخير فى حــل أى وكل نزاع يشجر داخل الحزب مهما بلغ حجمه ومداه ؟

هل يمكن القاء المسئولية فيما حــدث داخل الحزب على عائق البرجوازية البيروقراطيــة والبرجوازيه الطفيليــة والبرجوازية بشــكل عام التى شهدت قــدرا من الانتعاش على هامش تجربة الثورة بفعل ضعف اليقظة الحزبية الكاملة تجاهها ؟

تلك وغيرها من الأسئلة العــديدة التى لا محيص من طرحها فى محاولة للاجابة الصحيحة والمتكاملة والمقنعة لا يهتم الذين حكموا على التجربة سلفا لا بسماعها ولا بالبحث عن اجابة عليها •

التفسير العبثى :

فليس هناك تجربة من الأساس • هنا فقط حركة قرمطية ظهرت فى الجزء الجنوبى من اليمن فى القرن العشرين شبيهة بتلك التى ظهرت فيه فى القرن العاشر ، ولن يكون مصيرها مختلفا عن سابقتها • فالأعداء المحدقون بها ، والنزاعات الداخلية التى تفتك بها كفيلة كلها بأنهائها •

وفى أحسن الأحوال هى محاولة طفولية تتكرر فى عــدن بعــد ما فشلت فى باريس ، وهى الأكثر تحضرا وتطورا من عــدن • ولن يكون مآل « كومونة عــدن » مختلفا عن مآل « كومونة باريس » • واذا كان بيسمارك بروسيا قــد لعب دورا فى القضاء عليها ، فلن تعــدم اليمن وجود بيسمارك بالمقاس اليمنى يساعد فى تشييعها الى نهايتها الحتمية •

التفسير العــدمى :

على أن هناك نمطا آخر من « الفلاسفة » الذين ربما أصاخوا السمع

لمثل هـذه الأسئلة ، غير أن اجابتهم عليها واحـدة لا تتغير : ألم نقل لكم أن ظروف اليمن لا تحتمل أكثر من قيام نظام وطنى فى أفضـل الحالات ، وان حكاية قيام نظام ديمقراطى ثورى ، أو نظام ديمقراطى ثورى بتوجه اشتراكى أو التطلع الى قيام الاشتراكية وتشكيل حزب طليعى من أجل ذلك كله مجرد أوهام فى أوهام • ويضيفون : انظروا هـذا المسلسل الدموى الدورى الذى يستنزف ليس الحزب الحاكم فقط وانما الشعب أيضا • لا تقولوا لنا هذا من فعل اليمين الانتهازى ، وهذا من فعل اليسار الانتهازى ، وهـذا من فعل النسخة المركبة التى ضمت الى جانبهما الجناح التصفوى • هـذه مجرد محاولات لعـدم رؤية الحقيقة فى عينها • أما هـذه الحقيقة ، فهى أن حركة القوميين العرب التى ورثت من الفاشية الشىء الكثير باعتراف مؤسسيها ومؤلفاتهـا الكلاسيكية لم تنس الأصل الذى جاءت منه ، والطبع القـديم الذى نشأت عليه ، ولم يجـد فى تطويرها وتشذيبها أو صقلها أى مسعى نحو اكتساب الفكر الاشتراكى العلمى وهى فى ١٣ يناير ١٩٨٦ م وما تلاه من أيام دامية لم تصف فقط الحساب مـع بعضها البعض عبر تصارع أجنحتها على السلطة وانما صفت معها أيضا أولئك الدين دخلوا معها فى تحالف أو فى وحـدة تنظيمية من الفصـائل والعناصر الأخرى ذات النشأة السياسية الخالية من العنف والدم والثأ والثأر المضاد •

ويضيف البعض من هؤلاء : الترياق من هـذا السم الزعاف الذى يفتك بجسم اليمن الديمقراطية هـو المبادرة الى تحقيق الوحـدة اليمنية التى ستضع حـدا لحرب القبائل ، ونزاع الفصائل ، وصراعات الأجنحة • ولا يهم لهـذا الغرض البحث عن هوية نظام الدولة الموحـدة ، وعما اذا كانت تسير فى طريق التطور الرأسمالى أو طريق التوجه الاشتراكى • فهذه مصطلحات مستوردة لا تنطبق على اليمن التى لا رأسماليين فيها ولا اشتراكيين ، ولا طبقات برجوازية أو اقطاعية أو بروليتارية ، وانما يوجـد فيها وطنيون من مختلف القوى الاجتماعية ، والدولة الوطنية

الموحـــدة هى كل ما يجمعهم ويوحـــدهم • وكل من يساعد على قيام هـــذه الدولة ـــ أيا كانت وجهته ـــ هـــو الوطنى الحقيقى وكل من لا يساعد على ذلك فهو وطنى مزيف حتى ولو رفـــع أكثر الشعارات بريقا ، وادعى أعظم الأفكار تقـــدما •

ولأنه لا سوق داخـــل الحزب الاشتراكى اليمنى ولا حتى بين الوطنيين المستنيرين لمثل هـــذه البضـــاعة المغشوشـــة اذن فالجميع انفصاليون وجهلة ولا يعرفون لا مصلحة وطنهم ولا حتى مصلحة أنفسهم • وخير عقاب لهم على هـــذا العقوق الوطنى والكفران بالوحـــدة هـــو هـــذه التصفيات الدموية الدورية المتلاحقة التى ستنتهى بسقوط الجميع • وبذلك ينفتح الطريق أمام البديل الوطنى الوحـــدوى الذى لا بديل لـــه ! لا حاجة الى تفنيد مثل هـــذه الرؤية العـــدمية • فهى واضحة للعيـــان •

الحضور السياسى الفعال للطبقة العاملة حتى الاستقلال :

لنتجاوز الآن الشامتين والمشنعين على التجربة الثورية فى اليمـــن الديمقراطية والذين يتمنون لهـــا الهـــلاك حتى باستحضار التجارب التاريخية التى يرونها قريبة منها كالحركة القرمطية ، وكومونة باريس والتى غـــدت أثرا من آثار التاريخ •

ولنتجاوز « الفلاســـفة » الذين على طريقة دوهرنج ، بدون ثقافة دوهرنج رفضوا المـــاركسية وتصوروا أنهم يقـــدمون البديل •• ولا بديل لديهم الا اللغـــو والادعاء والعقم الوقوف خارج حركة التطور ، وبعيدا عن مجرى النضال الوطنى والاجتماعى والثورى عموما •

ولنعـــد الى الأسئلة الآنفـــة الذكر ، ولنحاول التفكير فى امكانية العثور على الاجابات الموضوعية والشافية عليها •

بادىء ذى بدء يجب التأكيد على انه ليس شرطا لقيام الحزب الطليعى أو وضع الأساس له الانتظار حتى يكتمل تكوين الطبقة العاملة ، فجميع الأحزاب التى قامت منذ ايام ماركس وانجلز حتى أيام لينين وحتى يومنا هـــذا شرعت فى التكون فى نفس اللحظات التى كانت تتكون فيها الطبقة العاملة •

ولو أن تشكيل هـــذه الأحزاب قـــد تأخر حتى تنضج الطبقـــة العاملة وحتى تتوافر جميع شروط بنائها وعوامل نجاحها فى مهمتهـــا التاريخية لعنى ذلك ببساطة الغاء دور العامل الذاتى فى التعجيل بعملية التطور وفى المساعدة على انضاج الظروف الموضوعية للتغيير الثورى ، ولكان ذلك مسلكا ميكانيكيا لا ديالكتيكيا تجاه حركة المجتمع •

وكما نبه ماركس : « قـــد يكون من السهل جـــدا ، بالطبع ، صنع تاريخ العالم ، لو كان النضال لا يقوم الا ضمن ظروف تؤدى حتما الى النجاح »(١٠) •

والطبقة العاملة اليمنية ، أو نواتها ، وفى مقـــدمتها عمال المصافى ، لم تكن قط فى حالة غياب • لقـــد كانت ـــ على العكس من ذلك تماما ـــ فى حالة حضور اجتماعى وسياسى ملفت للنظر منذ منتصف الخمسينيات بل ان ميلاد الحركة الوطنية اليمنية قـــد ارتبط بميلاد الحركة العمالية التى توسطت ساحة النضال الوطنى والاجتماعى ، وطرحت الشعارات السياسية والثورية الجـــديدة التى لا عهـــد للحركات السياســـية الاصلاحية الاقليمية بها • فهى التى رفعت شعارات التحرر من الاستعمار والاستبداد معا وتحقيق الوحـــدة اليمنية على انقاضهما • وكانت من ثم حركة وطنية واجتماعية فى وقت واحـــد ، حركة موجهة ضـــــد الامبريالية والرأسمالية والاقطاع • وكانت الحركة العمالية هى التى مارست أشكال وأساليب النضال الحـــديثة التى لم تعرفهـــا الحركات

السياسية التقليدية السابقة ، والتى تمثلت فى الاعتصامات والاضرابات والعصيان المدنى والمسيرات والمظاهرات • وكما عرفت الطبقة العاملة العمل النقابى وتمكنت من اقامة منظمة نقابية ، خاصة بها تمثلت فى المؤتمر العمالى الذى سرعان ما صفت قيادته الانتهازية الاصنجية فى مجرى ثورة ١٤ اكتوبر من خلال « النقابات الست » فأنها عرفت العمل الحزبى وكانت الحوض الذى يغترف منه الجميع ، بدءا من أول تنظيم ماركسى : الاتحاد الشعبى الديمقراطى ، مرورا بالجبهة القومية ، وانتهاء بمنظمـــة البعث التى تحولت فى مطلع السبعينيات الى حزب الطليعـــة الشعبية • ولم تكن الطبقة العاملة بعيدة عن مجرى الثورة المسلحة التى قادتها الجبهة القومية منذ اندلاع شرارة ثورة ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣ م •

بل ان الطبقة العاملة ، وفى مقـــدمتها عمال المصافى ، أنجبت قيادات ثورية • كان على رأسها عبد الفتاح اسماعيل الذى كان مسئولا عن قطاع عـــدن ، اى عن تلك الساحة الأساسية التى كان يجثم عليها الوجـــود البريطانى بكل ثقله العسكرى والسياسى والاقتصادى والاعلامى •

ان التطور السريع للجبهة القومية وانتقال أهم قياداتها وكوادرها التى اكتوت بنيران التجربة النضالية ، من المواقع الوطنية الى المواقع الديمقراطية الثورية ، ومن ثم الى المواقع الاشتراكية العلمية وحـــدوث ذات الشىء بالنسبة لحزب الطليعة الشعبية ، ونشؤ أرضـــية مشتركة فكرية وسياسية بينها مجتمعة ، بما فيها تنظيم عبد الله باذيب الماركسى ، وقيام التنظيم السياسى الموحـــد الجبهة القـــومية ، ومن ثم الحزب الاشتراكى اليمنى ، ان حـــدوث ذلك كله ليس بمعزل عن الخلفية العمالية التى استندت اليها منذ قيامها الحركة الوطنية اليمنية •

هل بعــــد الطبقة العاملة عن مواقعها القيادية فى العملية الثورية وراء الأزمــــة ؟

والسؤال الهام الذى يطرح نفسه على الفور هو : اذن لماذا لم تتمكن الطبقة العاملة من الحفاظ على مركزها هــذا .. ولمــاذا لم تستطع ان تكون فى حالة حضور سياسى وتنظيمى فعال ومتصاعد بعــد قيام دولة الاستقلال وبعــد حركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ ، ومع قيام التنظيم السياسى الموحــد الجبهة القومية عام ١٩٧٥ ، وعنــد قيام الحزب الاشتراكى اليمنى عام ١٩٧٨ م ؟

هل تمكنت القوى الاجتماعية والسياسية ذات المنشأ الفــلاحى بحكم حجم الدور الذى لعبته ابان فترة الكفاح المسلح ضــد المستعمر البريطانى من انتزاع المكانة الأساسية فى التنظيم ؟

أو ما كان التركيب الاجتماعى ـــ الطبقى للبلاد يساعدها على ذلك من حيث أن طبقة الفلاحين كانت أقــدم وأعرض طبقات المجتمع ، بينما كانت الطبقة العاملة ما تزال فى حالة تخلق ؟

أو ما يعنى ذلك أنه ، وان نشــأ تحالف طبقى بين الفــلاحين ، والعمال ، والبرجوازية الصغيرة شارك فيه المثقفون الثوريون ، الا ان القيادة فيه كانت وظلت فى يد العناصر المنحــدرة من الريف ومن طبقة الفلاحين العريضة بكل تراثها وتقاليدها وروح المحافظة النسبية لديها ، وبكل شتاتها وانغلاقها ، بل وبكل نزاعاتها ، ناهيك عن الرواســب التى تسربت الى صفوفها من القوى الاقطاعية والارستقراطية القبلية التى كانت تتسيد عليها ؟

أما كان النزوع النزق لربيع على ، وعلى ناصر محمد انعكاســا طبيعيا لمثل هــذا الوضع ؟ أما كان الانفجار الذى حــدث بفعلهما فى

كيان التنظيم والدولة والمجتمع تعبيرا عن هـذه الوضيعة التاريخيـة — الاجتماعية — السيكولوجية التى لم تمسسها يد الثـورة الا مسا خفيفيا ، دون أن تتمكن تماما — رغم اجراءات الاصلاح الزراعى ، ورغم قيام الأشـكال الاقتصادية الجـديدة ممثـلة فى مزارع الدولة ، والتعاونيات . ومعدلات تأجير الآليـات ، ورغم العمـل الأيديولوجى والحزبى — لم تتمكن من استنبات وضعية اقتصادية — اجتماعية جديدة تماما تختفى معها كل تركة المـاضى ، وكل الأنماط الاقتصادية القديمة ، وكل العادات والسلوكيات الموروثة ؟

أولا تظل هـذه البيئة تربة صالحة لتوليد أشكال جـديدة من الأزمات الاجتماعية والانفجارات السياسية ما لم يعـد حرثها وقلبها رأسا على عقب ، لا بتجـذير وتعميم الثـورة الديمقراطية بشكليها الاقتصادى والاجتماعى فقط ، ولا بتفجير الثورة الثقافية بحيث تغمر المدينة والريف معا ، ولا بتصعيد نسبة الفلاحين فى الحزب على نسبة الموظفين فحسب ، وانما بالدرجة الأولى بوضع الطبقه العاملة فى مكانها الطبيعى والريادى من العملية الثـورية بمجملها ، بحيث تكون قائدة التحالف الطبقى المتشكل من عموده الفقرى : العمال والفلاحـون والمثقفون الثوريون ، سواء كانوا مدنيين أو عسكريين ، بدرجة أساسية ، وبحيث تتصاعد درجة حضورها الكمى والكيفى فى الحزب ، حتى تتمكن — آخر الأمر — سـواء بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق ممثليها النموذجين — من أن تكون الحلقة الوسطى فى سلسلة القيادة الحزبية من الأدنى الى الأعلى .

تفسير قيـادة الحزب للازمة :

أو ليس حـديث الرفيق الأمين العام للحزب الاشتراكى اليمنى على سالم البيض الذى بثه التليفزيون السوفيتى بمناسبة مضى عام على أحـداث ٢٣ يناير الدامية ، والذى ، نشرت جزءا منه « وكالة أنبـاء

عـدن » فى عـدد ١٩ـ٨ـ١٩٨٧ م مثل المـاعة هامة فى هـذا الاتجاه وانطوى على اشارة مست عمق القضية المبحوثة اعلاه . حيث أوضـح انه من « بين الاسباب التى أدت الى الازمة يمكن فى المقام الأول ابراز ما يلى : ضيق القاعـدة الإجتماعية للحزب ، وان الطبقه العاملة — أكثر الفصائل طليعية وتنظيما — لا تزال حتى الآن اقل الطبقات من حيث العـدد • ولا يزال الوعى الطبقى للفئات الواسعة من الشغيلة اليمنيين منخفضا • وثمة تفكك فى وسط الفـلاحين — أكثر الطبقات من حيث العـدد — » •

تلك هى أنفـذ نظرة سددت حتى الآن ، تم بها اختراق الغلاف الكثيف الذى أحاط بالازمة التى كانت أحـداث ١٣ يناير مجرد اعلان دموى رهيب بوجودها والذى لم تفلح — باستثناء — الاشارات السريعة التى تضمنتها بيانات اللجنة المركزية للحزب — لم تفلح الكتابات المقروءة حتى الآن فى النفاذ منه •

وتلك هى أول ضربة فأس فى التربة • بغيـة التفتيش فى قاع المجتمع ، وفى عمق تركيبة الحزب العضوية والأيديولوجية ، عن الجذور الحقيقية لمـا حـدث •

الوثيقة التحليلية الموعودة تحمل التفسير الشامل للازمة وسبل الخروج النهائى منها :

وتلك أول بشارة للوعـد الذى قطعه الحزب على نفسه بان يقف وقفة فاحصة دارسة متأنية عميقـة أمام الازمة وأمام مجمل التجربة الثورية ، بغية تشخيص نقائصها وعيوبها وثغراتها التى كانت أحـداث ١٣ يناير ترجمة نهائية — وان دامية ومهولة — لهـا ، وبغية استخلاص الدروس والعبر ، وتقـديم المعالجات الشاملة لهـا ، لتمكين التجربة الثورية فى اليمن الديمقراطية لا من أن تستعيد فقط الثقة فيها لدى

شعبها ولدى كل القوى التقدمية فى العالم الحريصة عليها ، وانما أيضا من أن تنتقل الى المرحلة الأخيرة والعليا من المسيرة الثورية الديمقراطية ، وتدخل مباشرة فى رحاب بناء المجتمع الاشتراكى ، عبر النضال الحثيث من أجل اقامة اليمن الديمقراطى الموحد ذى التوجه الاشتراكى .

وحسب صيغة أمين عام اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى الرفيق على سالم البيض فأن أهمية انجاز هذا الوعد ، وضع الوثيقة التحليلية المنشودة ، يتجاوز فى أهميته الثورة اليمنية ليشمل الثورة العربية كلها التى رأت فصائلها الطليعية فيها الأشعة الأولى للفجر العربى : « أما مسألة تقييم مراحل تطور التجربة الثورية فى اليمن الديمقراطية فهى موضوع دراسة واسعة تقوم بأعدادها لجنة مكلفة من قبل اللجنة المركزية لتقديمها لكونفرنس الحزب الاشتراكى اليمنى الذى سينعقد فى منتصف العام القادم . وهذه الدراسة بمثابة وثيقة تحليلة لكل جوانب التجربة بسلبياتها وايجابياتها . الا أننا نود أن نؤكد أن التجربة الثورية فى اليمن الديمقراطية بقدر ما هى ملك لكل الثوريين اليمنيين ، فهى ملك لكل الثوريين العرب .

ونعتبر الاسهام فى دراسة وتحليل جوانب هذه التجربة من قبلهم جزءا من مهمتهم النضالية ، وذلك لايماننا العميق بأن العمل الثورى العربى كل لا يتجزأ » (مجلة) (« الحرية » ٢٨ ديسمبر ١٩٨٦ — ١٠ يناير ١٩٨٧) .

بل ان الأهمية الاستثنائية لهذه الوثيقة المنتظرة تتجاوز الساحة اليمنية والعربية الى المحيط العالمى — كما يقول الأمين العام المساعد للحزب الرفيق سالم صالح محمد فى محاضرته الضافية التى ألقاها بمناسبة ذكرى احتلال عدن ، وذكرى تأسيس صحيفة « ١٤ أكتوبر » ،

وذكرى انقلاب ١٣ يناير ١٩٦٦ ، وذكرى انقلاب ١٣ يناير ١٩٨٦ المشئوم — ذلك « أن الوثيقة التحليلية التى ستقدم الى الكونفرنس ليست ملكا للحزب ، بل هى ملك للجماهير ، ولحركة الثورة العالمية ، التى تكن كل التقـدير والاحترام لحزبنا ، وثورتنا ، ونظامنا التقـدمى ، وتجربتنا الثورية » (صحيفة « ١٤ أكتوبر » ٢٠—١—١٩٨٧) •

حكمة انجلز الثورية حكمة الحزب :

مرشد الحزب فى وضع هـذه الوثيقة التحليلية الموعودة تلك الحكمة الثورية التى علمنا اياها انجلز : « فى كل ثورة تقترف حتما كثرة من الحماقات ، كما فى كل زمن آخر ، وحين يهـدأ الناس أخيرا الى حـد أن يصبحوا من جـديد قادرين على الانتقاد فأنهم يخلصون الزاما الى الاستنتاج التالى : لقـد فعلنـا أشياء كثيرة كان من الأفضـل أن لا نفعلها ، ولم نفعل أشياء كثيرة كان ينبغى فعلها ، ولهـذا سارت الأمور سيئا » (ماركس — انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلـدات ، المجلد ٢ ، الجزء ٢ ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨١ ، ص ١٧٢) •

أما الهـدف من وضعها ، فهو تصحيح ما كان معوجا ، وتقـويم ما كان غير مستقيم ، والتغلب على ما كان سيئا ، وحتى يسير كل شىء على نحو أحسن وبشكل أفضل •

دلالة أصـالة الثورة :

ان تتمكن الثورة من تجاوز محنة ١٣ يناير بكل هولها ومضاعفاتها ، وان تعيد تطبيع الأوضاع ، وأن تمضى فى طريق اعادة وحـدة الحزب والشعب والمؤسسات الجماهيرية والرسمية ، وان توثق علاقاتها أكثر فأكثر مع كل الحلفاء الثوريين فى الوطن العربى وفى العالم ، وفى مقدمتهم المعسكر الاشتراكى ، وعلى رأسـه الاتحـاد السوفيتى ، وأن تؤكـد تمسكها بدورها — كتجربة ثورية طليعية فى الوطـن العربى — وأن

تخصص جزءا من اهتماماتها من أجل وضع مثل هذه الوثيقة التحليلية الانتقادية ، فذلك ليس دليل صحة وعافية وثقة غامرة بالنفس وبالخيار الثورى الذى لا رجعة عنه فحسب ، وانما هو أيضا برهان قاطع على أصالة وجذرية وعمق الثورة التى لا تزيدها المحن والازمات والكوارث الا اصرارا وتصميما على المضى فى دربها النضالى حتى النهاية درب الديمقراطية الثورية ، والوحدة اليمنية التقدمية ، والاشتراكية العلمية والأممية البروليتارية ، درب الاسهام فى صنع عالم جديد خال من الاستغلال والقهر ، والاستعمار والاستبداد ، والهيمنة والحرب ، درب التحرر والتقدم والرخاء والسعادة والسلام •

عصر الثورة الاشتراكية لا عصر الاقطاع والبرجوازية :

أفلا يعنى ذلك أنه رغم القيمة التاريخية العظيمة والملهمة لكل من الحركة القرمطية ، وكومونة باريس ، فأن الثورة اليمنية مجسدة فى ١٤ أكتوبر والحركة الوطنية التقدمية اليمنية عموما ، تختلف عنهما من وجوه عديدة : أولها أنها واحدة من ثورات القرن العشرين التقدمية التى تمثل جزءا لا يتجزأ من الثورة العالمية المعاصرة التى تقودها الطبقة العاملة العالمية ، وفى طليعتها الطبقة العاملة المنتصرة فى المنظومة الاشتراكية ، وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ؟

وليس ما هو أدل على ذلك من أن التجربة الثورية اليمنية — بخلاف العديد من التجارب الثورية التى قادتها البرجوازية وسقطت تحت وطأة صراعاتها وضيق أفقها وافساحها المجال لقوى التآمر الخارجية للتلاعب بمصيرها — أنها وبرغم كل الاختناقات والهزات والازمات والمحن التى مرت بها — ظلت دائما قادرة على النهوض والتعافى والتجاوز والاقتحام ، والانطلاق من مرحلة أدنى الى مرحلة أعلى •

أو ليس ذلك ما تدل عليه أخيرا القــدرة العظيمة والحيوية الفائقة التى امكن الحزب بهما لا أن يتجاوز المــأزق التاريخى الذى وضعت فيه الثــورة بفعــل أحــداث ٢٣ ينــاير ١٩٨٦ م الداميــة ، وانمــا أن يشرع فى التهيؤ لانطلاقة ثورية أكثر عنفوانا ، وأبعــد مدى ، وأعلى تحليقــــا .

أليس توطيد العلاقات مع قوى الثورة العالمية ، واحتضان هــذه القوى ، ولا سيما الاتحاد السوفيتى ، للثورة فى اليمن الديمقراطية بلهفة وحرارة ، وتقــديمه الدعم الشامل لها أكثر من أى وقت مضى دليـلا آخر على أن الثورة لا تعيش عصر الخلافة الاقطاعية والامامية التى قضت على حركة القرامطة ، ولا عصر بيسمارك الذى فتــك بكومونة باريس ، وانما عصر الثورة الاشتراكية العالمية الذى دشنه لينين بقيام ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ؟

(١) ماركس — انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ٣ ، الجزء ١ ، دار التقــدم ، موسكو ١٩٨١ ص ١٣٥ .

(٢) ماركس — انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ١ ، الجزء ٢ ، دار التقــدم ، موسكو ، ١٩٨٠ ص ٣ و ٢ .

(٣) ماركس — انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ٢ ، الجزء ١ ، دار التقــدم ، موسكو ، ١٩٨١ ص ٢٢١ .

(٤) ماركس — انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ١ ، الجزء ١ ، دار التقــدم ، موسكو ١٩٨٠ ص ٢٢٢ .

(٥) لينين ، خطتا الاشتراكية الديموقراطية فى الثورة الديمقراطية ، دار التقــدم ، موسكو ص ٧٤ .

(٦) لينين ، المختارات فى ١٠ مجلدات ، المجلد ٣ ، دار التقــدم ، موسكو ١٩٧٦ ص ٥٣٢ .

(٧) ماركس — انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ٣ ، الجزء ٢ ، دار التقــدم ، موسكو ١٩٨١ ص ٢٨٢ — ٨٣ م .

(٨) لينين ، المختارات فى ١٠ مجلدات ، المجلد ٣ ، دار التقــدم ، موسكو ١٩٧٦ ، ص ٥٣٣ .

(٩) مجلة « الثورى » عــدن ، ٦—١٢—١٩٨٦ ، الحلقة الثالثــة والأخيرة ، ص ٣ .

(١٠) ماركس — انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ٢ ، الجزء ٢ ، دار التقــدم ، موسكو ١٩٨١ ص ٢١٦ .

نظـرة على تجـربة الثـورة
فى اليمـن الديمقراطية
وآفاقهـا المستقبلية(*)

وجهة نظر البرجوازية الصغيرة :

المصلحة الاجتماعية الضيقة للبرجوازية الصغيرة والتى تنجم عنها محـدودية رؤيتها الاجتماعية تجعلها تقيس كل شىء يحـدث من حولها بمقياسها الخاص والمحـدود هـذا .

الصراعات السياسية التى تحـدث بين أجنحتها بغية الاستئثار بالسلطة ، والتى كانت تؤدى دائما الى خروج السلطة من أساسها من يدها الى يد البرجوازية الكمبرادورية والطفيلية أو الى يد البرجوازية البيروقراطية ـ كخطوة أولى ـ والى سقوط أوطانها فى فلك التبعيـة الامبريالية ـ آخر الأمر ـ هـذه الصراعات الصغيرة والعقيمة التى تطبع تاريخ البرجوازية الصغيرة والتى كانت تؤدى الى هلاك الثورات الديمقراطية منذ القرن التاسع عشر ، والى اليوم يريد منظرو البرجوازية

(*) نشرت فى مجلة « قضايا العصر » عـدد يونيو ١٩٨٧ .

الصغيرة ومتحذلقو التنظير تعميم دلالاتها ، بحيث تشمل تلك الثورات الديمقراطية التى تمسك بقيادها قوى تعلن التزامها بأيديولوجية الطبقة العاملة ، وتؤكد عزمها على تحويل هـذه الثورة الديمقراطية الى ثورة اشـتراكية •

وهى تطلق هـذا التعميم بقـدر غير قليـل من الفرح ، بل وبقـدر كبير من الشماتة •

أما المناسبة لاطلاق هـذا التعميم — أو قل هـذا التعتيم — فهى ما حـدث فى اليمن الديمقراطية فى يناير ١٩٨٦ •

وحيثيات هـذا الحكم تقول أنه حـدث فى حزبها الحاكم الرافع لراية الاشتراكية العلمية انفجار ربما فاق فى حجمه ومداه وآثاره ما حـدث فى الأحزاب الوطنيـة والقومية الداعية الى اشتراكية أقـل حمرة ، وأقرب الى طبائع الأشياء فى عالمنا العربى •

وعلى ذلك فانه لا أحـد أحسن من أحـد • فالجميع بشر ، بل وبشر ينتمون الى عالم بطبيعته معقـد التكوين الاجتماعى والطـائفى والفئوى والقبلى والعرقى والفكرى والنفسى ، ولم يمر بمرحلة الاندماج الاجتماعى ، والانصهار الوطنى • فنحن ما نزال شـعوبا وقبائل فى حاجة الى أن تتعارف وتتآلف ، الى أن تدخـل فى علاقات من نسيج اجتماعى جـديد ، ينتمى الى طبيعة العصر ، تتبـلور معها وحـدتها الاجتماعية ، وينهض معها المجتمع المدنى الحـديث بتقاليده وعاداته وقيمه ومثله الحضارية الراقية ، ولسنا فى حاجة الى شعارات فاقعـة لا طائل من ورائها ، ولا مردود لهـا •

والعرب — من المحيط الى الخليج ، وبجميع أنظمتهم التقليـدية

والوطنية والتقـدمية ـ لم يصلوا بعـد الى هـذا المدى من التطور التاريخى ـ الاجتماعى ـ الحضارى ـ الفكرى ٠

ولذلك ـ وحتى تتخلق وتكتمل ملامـح الشـخصية الوطنية ـ الاجتماعية لكل قطر عربى والمجسدة فى دولة مركزية حـديثة ، وتتخلق وتكتمل ملامح الأمة العربية فى دولة قومية مركزية أو اتحادية متطورة ـ حتى ذلك فانه لا محيص من أن تنفجر النزاعات الموروثة عن المجتمع القـديم الاقطاعى الذى لم يمت نهائيا بعـد ولن يموت الا بقيـام المجتمع الحـديث ـ أيا كانت وجهته رأسمالية أو اشتراكية أو وسطا بينهمـا ـ ٠

واليمن ـ ولا سيما شطرها الجنوبى ـ يحتفظ بتركة ثقيلة من العهد الاقطاعى ، ناهيك عن تركة الحكم الاستعمارى البريطانى الذى دام أكثر من قرن وربع قرن ، والذى ـ وفقا لسياسة ـ « فرق تسد » قسم الجنوب اليمنى المحتل الى ثلاث مناطق أو كانتونات : مستعمرة عـدن ، محميات عـدن الغربية ، محميات عـدن الشرقية ، فـوق تمزيقه للمحميات الى أكثر من عشرين سلطنة وامارة ومشيخة ، قبـل ان يجمع هـذا الشتات والفتات فى دولة صورية اتحادية تسهيلا لاحكام قبضته عليها فى مواجهة رياح الثورة العربية واليمنية التى أخـذت تهب فى وجهه فى خمسينيات وستينيات القرن ٠

وتضيف هـذه الحيثيات أن ما حـدث فى اليمن الديمقراطية من نزاعات أهلية دامية عشية وغـداة وبعـد جلاء المستعمر ، سواء بين الجبهة القومية ومنافستها جبهة التحرير ، أو بين أجنحتها ذاتها ، أو داخل الحزب الاشتراكى اليمنى ـ آخر الأمر ـ لهو برهان على مدى ثقل هـذه التركة القروسطية ٠

وتختتم هـذه الحيثيات بالقول بأنه ليس هناك مؤشرات فعليـة تؤكد بأن الثورة فى اليمن الديمقراطية ستتمكن بسهولة من الخروج من الدوامة العاصفة التى ما زالت تلفها منذ عشية الاستقلال والى اليوم • وان ركام المـاضى — رغم الجهد الهائل لازاحته — ما فتىء يجثم على أدمغة الناس : فوق أن جـذوره الاجتماعية ما تزال كامنة فى باطن التربة التى لم يعـد حرثها وقلبها بشكل كامل •

أما الخلاصة لمثل هـذه الحيثيات فهى : رجاء لا تزايدوا علينا يساريى اليمن • فليس حالكم بأفضـل منا نحـن ممثلى البرجوازية الصغيرة — كما تحبون أن تسمونا — بل اننا نخشى أن تكون حالكم أدعى الى الشفقة ، ذلك أن نزاعاتكم على السلطة أكثر حـدة ، وأشد عنفا ، وما تنزفونه من الدماء وتفقدونه من الأرواح والأموال والاطمئنان بسببها ما يفـوق ما حـدث فى أى بلد تحكمه البرجوازية الصغيرة ، وما يخسركم كل ما انجزتموه خـلال مسار ثورتكم ، وما يلقى الظلال على صحة اختياركم وعلى سلامة الطريق الذى أنتم ماضون فيه •

وفى جميع الأحوال •• لم يعـد المحك هـو المزايدة بالشعارات والأقـوال والنظريات • فالمرجع الذى يحتكم اليه هـو الممارسـة والأفعال والانجازات المحققة •

وفى هـذه الناحية فأن حظ ثورتكم الوطنية الديمقراطية ذات التوجه الاشتراكى — كما تفضلون تسميتها — ليس بأفضل من حظ الثورات الوطنية الديمقراطية التى تقودها البرجوازية الصغيرة •

التطور يسير فى خط متعرج صاعد :

بادىء ذى بدء نحن نعترف بأن الثورة فى اليمن الديمقراطية قـد نزفت من الدماء وخسرت من الأرواح ، وفقدت من الامكانيات ما لم

تعرفه أية ثورة عربية ، اذا ما قورن ذلك كله بعدد سكانها وشحة امكانياتهـــا ٠

ولكن ذلك كله قد حدث لا لأنها أخطأت طريقها ، وانما لأنها اختارت الطريق الصعب المليء بالأشواك والعقبات والذى لم يسبق لأى قطر عربى أن غامر بتجريب السير فيه وباختبار قدرته على مواجهة جميع مخاطره ومشاقه ٠

ونحن نعترف أن تركة المــاضى الاقطاعى والاستعمارى فيها ثقيلة وهائلة ، حيث لا مجال لمقارنتها بأى قطر عربى آخر ، وأن جميع الأنماط الاقتصادية الاجتماعية التى عرفتها البشرية بجميع افرازاتها الأيديولوجية قد وجــدت فيها بدءا من النمط المشاعى البطريركى وانتهاء بالنمط الرأسمالى ٠

غير أن السرعة والجــذرية والمثابرة التى عالجت بهـــا الثورة فى اليمن الديمقراطية هــذه الأنماط حتى تم لهـــا انشاء بنية اقتصادية ـ اجتماعية جــديدة ذات توجه اشتراكى هى ما يميز هــذه الثورة ، وما يمثل سيماء وجهها وخصوصيتها ٠

نحن لا نزعم أن الأنماط الأخرى قــد اندثرت ٠٠ ولكننا نقول انها ذات طابع هامشى اذا ما قورنت بالنمط الديمقراطى الثورى ذى الوجهة الاشتراكية ، الذى يمثل الحلقة المركزية واللوحة المستقبلية التى تتشكل خطوطها وملامحها وألوانها الزاهية يوما بعـــد يوم ٠

ونحن لا ننكر الافرازات الأيديولوجية المتخلفة التى ما زالت تلوث افق التجربة الثورية وتلعب دورا فى اثارة غبار المــاضى ، وفى تعتيم الطريق الثورى ، الى جانب السموم الأيديولوجية والمكائد السياسية

التى تصــدرها الأوساط الاستعمارية والرجعية ، بغيــة عرقلة مسيرة الثــورة .

ولكن السؤال هــو : لمــاذا أمكن للثورة أن تحافظ على توازنها ، دون أن تتعثر أو تسقط أو تنتكس ، بل وأن تواصل مسيرتها الثورية ، وأن تتقــدم باستمرار خطوات أبعــد الى الأمام ؟

الجواب يكمن فى طبيعة التشكيلة الاقتصــادية ـ الاجتماعيــة الجــديدة الآخــذة فى التكون وفى دفــع المجتمع بجميع مؤسساته وكل منظومته السياسية والأيديولوجية فى طريق الثورة الاشتراكية ، ومن ثم فى طريق تجاوز كل الأنمــــاط الأخرى الموروثة عن المــاضى الاقطاعى وما بعــد الاقطاعى وعن العهد الاستعمارى .

ليس شرطا أن تمضى التجربة فى خط صاعد مستقيم . فكما أن ذلك غير ضرورى فهو غير ممكن .

المهم أن تكون التجربة ، وأن تظل على خط التقــدم ، الذى يتخــذ له فى سيره منحنيات وزوايا متعرجة ، ولكن متصاعدة أبدا نحو الثورة الاشتراكية ، نحــو الذروة التى لا ذروة بعــدها للاشتراكية .

أن تحــدث مفاجآت ، وحروب استعمارية ، وحروب أهلية ، وكوارث اجتماعية ، وزلازل طبيعية وتراجعات وقتيــــة .. فذلك أمر مفترض ومحسوب فى قوانين التطور ، وفى عرف الحياة ، ولكن الشىء الأساسى والجوهرى هــو مضى حركة التطور والتقــدم باستمرار قدما الى الأمام ، ذلك أن التطور ـ كما يقول لينين ـ « تطور على نحــو لولبى ، اذا صح التعبير ، لا على نحو خط مستقيم ، ـ تطور بطفرات وكوارث وثورات ، ـ « انقطاعات فى التدرج » ، تحول الكمية الى كيفية ، اندفاعات داخلية نحو التطور يثيرها التضاد والتصادم فى القوى

والاتجاهات المتمايزة التى تعمل فى جسم معين ، أو فى حدود ظاهرة معينة ، أو فى قلب مجتمع معين » (لينين ، مصادر الماركسية الثلاثة وأقسامها المكونة الثلاثة ، دار التقدم ، موسكو ص ٢٦) .

لوحة الثورة العامة والساطعة :

لقد تعرضت الثورة فى اليمن الديمقراطية لذلك كله ، وليس هناك ضمانة لدى أحد بألا يحدث شيء من ذلك على الاطلاق .

غير أنه يمكن — اذا ما فحصت الثورة ملف تجربتها بعين نقادة — تجنب أشياء كثيرة ، وقطع الطريق على كل مراهنة على بقايا الماضى ودسائس الثورة المضادة فى أن تؤثر على مسار الثورة أو تعرقل توجهها التقدمى .

ومن أجل ذلك دعا الحزب الاشتراكى اليمنى الى اقامة كونفرنس عام فى يونيو ١٩٨٧ للقيام بعملية الفحص الشاملة لهذه التجربة الثورية ، وشكل لهذا الغرض لجانا تحضيرية وادارية واعلامية ، وكلف مجموعة خاصة بوضع وثيقة تحليلية تكون أساسا لعملية التقييم هذه التى سينهض بها الكونفرنس .

ودعت الثورة الاعتيادية السابعة للجنة المركزية التى انعقدت ما بين ٦ — ٨ يناير ١٩٨٧ رجال الكلمة الى المشاركة فى عملية التحضير هذه بتقديم رؤيتهم حول مسار التجربة « وممارسة النقد بصورة موضوعية وبعيدا عن الاثارة » (صحيفة ١٤ أكتوبر ٩—١—١٩٨٧) .

وفى هذا الاطار يمكننا القول أنه ورغم المنجزاب الكبيرة التى حققتها الثورة فأن هناك أشياء كثيرة لم تنجزها على النحو المطلوب . ولأنها لم تتمكن من فعل ذلك — نظرا لأن القيام بذلك عملية تاريخية تحتاج الى زمن أطول — فانه لم يكن هناك مناص من أن تمر الثورة

بجملة من التعقيدات والتراكمات السلبية التى لم تكن مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ سوى اللحظة التى أعلنت فيها عن نفسها على نحو تجاوز كل حـد ، وفاق كل تصور .

لقـد كان من أعظم انجازات ثورة ١٤ أكتوبر اقامتها لدولة مركزية فى الشطر الجنوبى من اليمن على انقـاض الكيان الصورى الهزيل والعميل الذى خلفه المستعمر فيها والمشكل من الشظايا الاقطـاعية والكمبرادورية المجمعة بشكل اصطناعى تحت قبعـة المندوب السامى البريطـانى .

وكما لعبت الجبهة القومية دور القائد للثورة فأنها لعبت دور البانى لهـذه الدولة المركزية الوطنية التحررية .

ولقـد أمكن للجبهة القومية أن تنهض بهـذه المهمة المزدوجة ، لأنها كانت الحلقة الوسطى بين جميع التنظيمات السياسية والبـؤرة الأساسية التى تجمعت فيها الروافـد من جميع الطبقات والفئـات الاجتماعية ، والجسر السياسى الممتد والعريض الذى ربط برباط وطنى وثيق كل جزء من أجزاء اليمن الديمقراطية .

ولقـد لعب الحس الوطنى والكفاح الشعبى المسلح ضـد العدو الأجنبى دورا هاما فى جر أوسع الجماهير خلف تنظيم الثورة الجبهة القـومية .

كما لعبت عملية التحويل الاجتماعى الواسعة لصالح هذه الجماهير ، والتى تمثلت فى اجراءات الاصلاح الزراعى والتأميم واقامة القطاع العام والتعاونى والمختلط دورا آخر هاما فى تعزيز مكانة هـذا التنظيم فى أوساطها .

وبقيادته لمنظومة البلاد السياسية الرسمية والشعبية ، ممثلة فى أدوات القمع الطبقى والأجهزة الحكومية والاتحادات النقابية والمهنية والنوعية غـدا تنظيم الجبهة القومية هـو العمـود الفقرى لجسم المجتمع والدولة ، والعنصر الأساسى الموحـد والقائد لهما ، والدافـع والموجـه لحركة الثورة ، فى المسار الوطنى الديمقراطى .

وبهـذه المكانة الخاصة التى احتلها فى البـلاد ، وبتطـوره الأيديولوجى الذى مكنه من الانتقال من المواقع الوطنية الديمقراطية الى المواقع الاشتراكية العلمية ، وبتعاون وتحالف التنظيمات الديمقراطية والتقـدمية الأخرى معه وعلى نحو متصاعد باستمرار ، أمكن قيـام تنظيم سياسى انتقالى هـو التنظيم السياسى الموحـد — الجبهـة القـومية الذى انبثق عنـه فى أكتـوبر ١٩٧٨ الحـزب الطليعى : الحزب الاشتراكى اليمنى الذى يتولى مهمة قيـادة الثورة والدولة والمجتمع على طريق التوجه الاشتراكى ، طريق اقامة اليمن الديمقراطى الموحـد ، طريق الاشتراكية ومن ثم طريق التحالف مع قوى العملية الثورية العالمية .

هـذا المنحى التاريخى الذى سارت فيه حركة الأحـداث فى اليمن الديمقراطية منذ قيام ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ والى اليوم بين ضخامة وبعـد القفزة العملاقة التى جرت فيها والتى حولتها من موقع تابع للامبرياليـة البريطانية ، ومن مبـاءة لقـوى التخلف الاقطاعية والكومبرادورية والرجعية العميلة الى موقع متقـدم فى جبهة قـوى الثورة العربية والى فصيل جسور بين فصائل جيش الثورة الأممية الممسك اليوم بزمام المبادرة التاريخية .

كشف السلبيات التى بلغت ذروتها بأحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ :

ضمن هـذا الاطار الثورى المثير ، وفى ثنايا هـذا المنحنى التاريخى

الهائل ، وفى تضاعيف هـذه اللوحة السياسية المشرقة يمكن ويجب البحث عن جوانب النقص والقصور وعن السلبيات والثغرات ، وعن جميع الظواهر المتخلفة والمرضية ، وعن العوامل الموضوعية والذاتية التى أدت آخر الأمر — الى تلك الكارثة الوطنية التى فجعت بها البلاد فى ١٣ يناير ١٩٨٦ ، واهتز لهولها جميع الحلفاء والشرفاء فى العالم •

لا نزعم أن جهدا فرديا — أيا كان — يستطيع أن يشخص ذلك كله ويقـدم العلاج الشافى له ، فذلك لا يستطيع النهوض به الا جهـد الحزب كله مستعينا فى ذلك بكل خبرة نظرية وعملية توضع تحت تصرفه من قبل أحزاب الاشتراكية العلمية الشقيقة ، وعلى رأسها حزب لينين العظيم •

١ — رغم قيـام الدولة المركزية الوطنية الحـديثة فى اليمن الديمقراطية ، الا أن عملية الدمج الوطنى ، والتحـديث الاجتماعى ، والتجـديد الثورى لم تصل الى العمق ، ولم تكن كلية وشـاملة ، بحيث تنصهر وتذوب فيها كل الولاءات الضيقة والمقفلة الموروثة — الاقليمية والقبليـة والقروية ••• الخ — ويتخلق وينبثق عنها ولاء واحـد ووحيد ولا منازع له هـو الولاء للكيان الوطنى الواحـد ، مجسدا فى اليمن الديمقراطية ، باعتبارها نواة للكيان الوطنى اليمنى كله ، وصورة مبشرة وواعـدة ونموذجية له ، وأساسا متينا يقـوم عليه وبه صرح اليمن الديمقراطى الحـديث الموحـد ، الذى يمحى معه كل ولاء ضيق ومحـدود •

٢ — لم تتمكن المنظومة السياسية ، ممثلة فى الحزب وأجهزة الدولة ، والمنظمات الجماهيرية — رغم سمتها الوطنية الثورية العـامة — أن تتخلص نهائيا من الموروث القـديم ، حيث ظلت بقايا الأيديولوجيات والعادات المحدودة والضيقة تؤثر وتشد وتعرقل وتشوش على المسيرة الوطنية ، وعلى الطابع الوطنى العام للمؤسسات الرسمية والشعبية •

٣ — فى هـذا الصـدد يتحمل الريف مسئولية خاصة ، من حيث أنه موطن الأنماط القـديمة ، ومنبع التقاليد المحافظـة ، والنظرة المترمتة ، والتخلف الشديد والنزعة المحلية الضيقة ، والفئوية القروية ، والشتات الاقليمى ، والعلاقات القبلية والعشائرية • (وهى مظاهر لهـا وجود فى شمال الوطن ، اضافة الى مظاهر أخرى) •

٤ — رغم أن الطبقة العاملة هى أصفى الطبقـات الاجتماعية ومسحتها الوطنية العامة أكثر وضوحا ، الا أن بعض الرواسب المحدودة المنحـدرة من الريف تسربت الى صفوفها •

٥ — تعتبر فئة المثقفين المدنيين والعسكريين المنخرطين فى الحزب والمنحـدرين من شتى طبقات وفئات المجتمع أكثر الشرائح الاجتماعية استنارة ووعيا • غير أنه بسبب الأصول البرجوازية الصغيرة للكثير منهم بكل ما ينجم عنها من محـدودة النظرة الاجتماعية والسياسية لم يتمكنوا من امتلاك الوعى الاشتراكى الكامل ، والوضوح الأيديولوجى التام ، ولم يتمكنوا من ثم من حسن الأداء السياسى والتصرف بنضج وكفـاءة •

٦ — رغم أن سكان المدن اليمنية — وعلى رأسها العاصمة عدن — كانوا منذ الخمسينيات أكثر تنورا وديناميكية سياسية ، الا أن نمـط الحياة الاستهلاكية الذى أخـذ يغزو البلاد بفعل تأثير حقبة النفط وأموال كبار البرجوازيين المغتربين أو العائدين ، قـد ترك أثره على يقظة وهمة وثورية اعـداد واسعة من سكان هـذه المدن ، الى حـد أن بلغ هـذا التأثير بيت الزوجية ، حيث تؤثر الفتاة الزواج من مغترب ثرى على الزواج من مناضل كادح •

٧ — وعـدا تأثير البرجوازية التقليدية ، وجيـوب البرجوازية الريفية ، فانه نمت بشكل ملحوظ ومؤثر على أوضاع المجتمع والدولة

والحزب عناصر بيروقراطية وتكنوقراطية غير متجاوبة مع منحى الثورة الديمقراطى وتوجهها الاشتراكى • وتعمل بأساليب ملتوية على ابقاء اقتصاد وتجارة البلاد مرتبطين بالسوق الرأسمالية ، ومن ثم تعمل على عرقلة تحررها الاقتصادى الكامل والاقتراب أكثر فأكثر من السوق الاشتراكى •

٨ — لم يكن كل شيء يسير على ما يرام فى قطاع الدولة الزراعى ، وخاصة فى القطاع التعاونى الذى عانى من التعثر أكثر من سواه من المجالات الأخرى فى البلاد ، ناهيك عن أعمال التلاعب التى حدثت فى محطات تأجير الآليات الزراعية لصالح القطاع الخاص الذى توسع فى بعض الحالات على نحو غير قانونى •

٩ — مثل قطاع المقاولات الذى تضخم — رغم محدوديته — عنصر استغلال لأموال الدولة وعنصر افساد لبعض موظفيها ، والبؤرة الأساسية للبرجوازية الطفيلية •

١٠ — لم تقم فى البلاد خلال المرحلة القصيرة من عمر الثورة القاعدة الصناعية — التكنولوجية المتينة التى من شأن قيامها أن يحدث تغييرا هائلا فى البنية التحتية للمجتمع وأن يلعب دورا حاسما فى عملية تحديث وتطوير الحياة الاجتماعية ، وأن يفسخ ويقضى على البنى والأنماط الاقتصادية والاجتماعية القديمة والمتخلفة ، وأن يضاعف — أولا وقبل كل شيء — من عدد الطبقة العاملة ، ويساعد على بلورة وعيها الاجتماعى — الطبقى ، وتمكينها — آخر الأمر — من أن تتواجد على نحو مكثف فى بنية الحزب التنظيمية ومن أن تحتل موقعها القيادى الفعلى على رأس الحزب والدولة والمجتمع •

١١ رغم احتكار الدولة للتجارة الخارجية الا أنه جرى تحايل فعلى على ذلك من خلال التشجيع غير القانونى لبعض التجار ذوى

الأمورل الخارجية على استيراد السلع ، دون تحويل عملة ، من السرق الرأسمالى العربى والأجنبى ، بكل ما يصاحب ذلك من احتمالات تقديم رشوة للموظفين المعنيين ، ومن اقتراب مؤثر من بعض كبار المسئولين •

١٢ — رغم الأهمية التاريخية والثورية العظمى لقيـــام الحزب الطليعى ، الا أن فترة التحضير لقيامه كانت من القصر ، بحيث لم تتح لعناصره وكوادره وقياداته الوقت الكافى للتمازج والانصهار والذوبان فى كلية حزبية واحـــدة بحيث ينفصل كل فصيل من الفصائل التى تكون منها الحزب عن تجربته السياسية والتنظيمية الخاصة ، وعن الحنين الى أساوبه الخاص فى العمل والأداء • كما أن الدماء الجـــديدة التى دخلت الحزب بعـــد التوحيد كانت تفتقد التجربة الضرورية ، والنضج السياسى والثقافى المطلوب ، وكانت — فى الأغلب الأعم — اضافة كمية الى الحزب أكثر منها اضافة نوعية •

١٣ — رغم التحولات الثقافية والتعليمية والتربوية التى حـــدثت فى البلاد من خلال المدارس والمعاهـــد والجامعة والبعثات المرسلة الى الخارج والخبراء والمحاضرين العرب والأجانب وخاصة من البلـــدان الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ، ورغم الالتزام بمنهـــج الاشتراكية العلمية فى قيادة هـــذه العملية ، الا أن البنية الأيديولوجية للمجتمع والدولة لم تتوحد ، حيث ظل هناك وجود لمختلف الأيديولوجيات الطبقية ، ممـــا عكس نفسه حتى على وضعية الحزب وأدخل الاضطراب والتشويش على رؤية الطبقة العاملة ونظريتها العالمية لدى أقسام منه ، وأثر من ثم على سياسته وتكتيكاته ، بل وأثر على وحـــدته التنظيمية والفـــكرية •

١٤ — لم يجر التنبيه الى ضرورة وأهمية الثورة الثقافية التى تغمر الريف والمدينة والتى لا تكتمل الثورة الاجتماعية بدونها ، والتى

لا تستطيع الثورة قطع المرحلة الديمقراطية ، والانتقال الى المرحلة الاشتراكية قبل تحقيقها . ولم يتم التوقف عند تعليمات لينين ، الواضحة والمركزة فى هـذا الصـدد .

١٥ — كان هناك خرق واضح لمبدأ القيـادة الجماعية والمركزية الديمقراطية وللأسس التنظيمية اللينينية التى لا وجـود لحزب طليعى بدونها . وبدون التقيد الصارم بها . وكان هناك ميل الى التكتلية ، والى الولاء الشخصى ، بل والى النزعة المحلية ، والولاء للجماعـة المنتمية الى هـذه المنطقة أو تلك ، ممـا أصاب وحـدة الحزب بشرخ حقيقى ظل يكبر ويتسع ، دون أن يبذل الجهد الكافى والشامل لمعالجتـه منذ البداية ، والحيلولة من ثم دون توسعه وتعمقه .

١٦ — جرى خروج فعلى على مبدأ الديمقراطية الداخلية للحزب ، ممـا عكس نفسه على مختلف المؤسسات الرسمية والمنظمات الجماهيرية ، وعلى مصداقية التوجه الديمقراطى الشعبى ، وجر الى معالجة قضايا الحزب والدولة بطرق ملتوية تذكر بمؤامرات القصور التى كان يلجـأ اليها الملوك والأئمة والسلاطين وكل طامح فى الاستئثار بالعرش والسلطة السياسية .

١٧ — تنكب النهج الديمقراطى الحزبى والشعبى واستسهال النهج التآمرى فى معالجة معضلات الثورة الوطنية الديمقراطية ، هـذا النهج الذى مارسه اليمين الانتهازى فى انقلاب ٢٠ مارس ١٩٦٨ وقبيل حركة التصحيح مباشرة ، وممارسة اليسار الانتهازى باقـدامه على انقـلاب ٢٥ يونيو ١٩٧٨ .

غير أن هـذا النهج بلغ ذروة غير مشهودة ولا مسبوقة بأقـدام على ناصر على تدبير أحـداث ١٣ ينـاير الانقـلابية الدموية ، هـذه الأحـداث التى كانت نتاجا لكل ما سبق حصره من العوامل ، بل ولغير

ذلك من العوامل التى لم نتوفر على رصـــدها هنا ، والتى تتطلب مزيدا من التنقيب والبحث والاستقصاء •

كيف ترى سلبيات الحزب الاشتراكى اليمنى فى ضوء الوقفة النقـــدية لحزب لينين أمام سلبياته ؟؟

لكم شـــدد لينين ، أسوة بمـــاركس وانجـــلز ، على ما أسماه « الديمقراطية المستقيمة » التى لا تستطيع الثورة الاجتماعية الأصيلة أن تمضى الى الأمام بدونها ، والتى تميز الثـــورة الديمقراطية التى تقودها الطبقة العاملة من خلال حزبها الطليعى عن الثورة الديمقراطية التى تقودها البرجوازية الصغيرة والتى تنتهى دائما الى الهلاك •

الديمقراطية المستقيمة المجسدة لمصالح ومطامح العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الاجتماعية الكادحة والمنتجة تؤول حتما الى الاشتراكية ، وعبرها تتحقق كثير من الانجازات ذات الطابع الاشتراكى •

والديمقراطية المستقيمة لا تحتمل أى شكل من أشكال العمـــل السياسى والحزبى الملتوى والتآمرى ، فالجماهير ذات المصلحة فى الثورة الديمقراطية والمتطلعة الى بلوغ الاشتراكية عبر الممارسة الديمقراطية الحزبية والشعبية ووفق وثائق الحزب ودستور الدولة المقرة والموضوعة من وجهة نظر الاشتراكية العلمية فى غير حاجة الى الممارسة الملتـــوية والتآمرية • فذلك ممـــا لا يتفق مع طابعها الشعبى ومصلحتها السياسية ولا يتناغم مع سعيها نحو الديمقراطية والمزيد من الديمقراطية •

الالتواء فى العمل السياسى هـــو داب قـــوى اجتماعية أخرى غير مؤمنة ولا متشبعة بالديمقراطية ، ولا مستعدة لتقبل مفهوم الديمقراطية المستقيمة بكل ما يقود اليه من تحـــويل المجتمع والدولة فى اتجـــاه الاشتراكية ، وفى اتجاه بناء صرح الديمقراطية الاشتراكية ، أكمل وأرقى شـــكل للديمقراطية •

يكفى أن نستحضر هنا فى مضمار التأكيد على أهمية اشاعة الديمقراطية الشعبية بأوسع معانيها فى حياة البلاد تلك الحملة الشاملة التى يقودها الحزب الشيوعى السوفيتى بقيادة أمينه العام جورباتشوف منذ الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب فى أبريل ١٩٨٥ والمؤتمر السابع والعاشرين للحزب ، والتى تتخذ من عملية تعميق الديمقراطية الاشتراكية والتغيير الاجتماعى عنوانا لها ، والتى طالت بالنقد والنقد الذاتى كل شىء فى المجتمع والدولة والحزب ، واعتبرت أنه ليست هناك مناطق محظورة أو محرمة أو محايدة لا يمكن الوصول اليها واخضاعها من جديد للفحص والمراجعة والتقييم والنقد والتصحيح والتقويم ، بما فى ذلك تاريخ الحزب وتاريخ التجربة الاشتراكية .

لا بأس من ايراد بعض الفقرات الانتقادية التى تضمنها تقرير جورباتشوف فى الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى فى ٢٧ يناير ١٩٨٧ ، والتى لا تعدو أن تكون غيضاً من فيض هذه الحملة العارمة . فهى تقدم مثلا نموذجيا لجميع أحزاب الاشتراكية العلمية ، ولا سيما الحاكمة منها — لكيفية الوقوف الجاد والصارم أمام تجربة الحزب .

ومثل هذه الوقفة مطلوبة أكثر من حزب حديث التكوين وذى خبرة محدودة فى مجال البناء الحزبى وقيادة المجتمع والدولة ، وفى ظروف داخلية وخارجية بالغة التعقيد والصعوبة .

والحزب الاشتراكى اليمنى واحد من هذه الأحزاب الحديثة النشأة والخبرة والتى تحتاج الى الاستفادة القصوى من تجارب الأحزاب الطليعية العريقة والرائدة فى مضمار نقل أوطانها من المرحلة الديمقراطية الثورية الى المرحلة الاشتراكية ، فالاشتراكية المتطورة ، وعلى أسها حزب لينين العظيم .

والحزب الاشتراكى اليمنى يحتاج الى ذلك أكثر ، وهو يقوم بعملية تقييم لتجربته وتجربة الثورة ، بغية اصلاح الأخطاء ، والتغلب على الأسباب التى أدت الى ذلك النهج غير الديمقراطى وغير السليم والمتناقض مع جوهر المبادىء التى يقوم عليها ، والذى كانت أحداث ١٣ يناير١٩٨٦ أمر وأبرز وأسوأ نتائجه .

جاء فى التقرير أنه خلال الفترة الماضية « ازدهرت الميول البيروقراطية والشكلية ، وتبلورت حالات التطير الشديد من النقد . وفى جملة من الحالات أخذت الأطماع المتجاوزة لحدود التحمل تتغلب على التقويمات والتقويمات الذاتية الواقعية » ..

« لقد انعكست أوضاع الحزب نفسه ، وأوضاع ملاك كوادره أيضا على الوضع الاقتصادى الاجتماعى والسياسى الذى نشأ فى تخوم عقدى السبعينات والثمانينات .

لم تتمكن أجهزة الحزب القيادية من أن تقيم فىالوقت المناسب تقييما انتقاديا خطر تنامى الاتجاهات السلبية فى المجتمع وفى تصرفات قسم من الشيوعيين ، وأن تتخذ القرارات التى تطلبتها الحياة بالحاح .

ولم يقدر العديد من منظمات الحزب القاعدية على التمسك بالمواقع المبدئية ، وهى تمتلك القدرات الهائلة وتنشط عمليا فى داخل كافة أسر العمل . ولم تخض كل منها النضال الحازم ضد الظواهر السلبية واستباحة كل شىء والتكافل فى السوء ، ضد ضعف الانضباط وانتشار الكسر . ولم يجر التصدى اللازم دائما للمصلحة والنزعة المحلية الضيقة ولمظاهر التعصب القومى .

ان منظماتنا الحزبية كانت تعوزها فى بعض الأحيان الكفاحية ... والانتباه الى تكوين الخصال الفكرية والسياسية لدى الشيوعيين . ومن

نافل القول أن الدرجة العالية من الالتزام الفكرى وعمق الوعى والادراك والاستعداد لجعل المصالح الشخصية خاضعة للمصالح العامة والتفانى فى خـدمة الشعب هى أروع الخصال التى تميز بها دوما البلاشفة •

وأثر فى الوضع القائم فى الحزب أيضا أن الأجهزة الحزبية لم تعرف عـدد من الحالات الاهتمام اللازم لمراعاة المبادىء والقواعـد اللينينية فى الحياة الحزبية مراعاة صارمة • ولعمرى أن هـذا ظهر أكثر ما ظهر فى انتهاك مبدأ الجماعية فى العمل ، وانى أقصد هنـــا اضعاف دور الاجتماعات الحزبية والهيئـات المنتخبة ، وهـو ما حرم الشيوعيين امكانية المشاركة بنشاط فى مناقشة القضايا المهمة حيويا ، وفى خاتمـة المطاف التأثير فعليا فى الوضع فى أسر العمل وفى المجتمع ككل •

كما تم الاخلال ، أحيانا كثيرة ، بمبدأ تساوى الشيوعيين : فالعديد من أعضاء الحزب الذين تسنموا مناصب قيادية باتوا بلا حسيب ولا رقيب عليهم ، ممـا أدى الى الفشل فى العمل والى انتهاك خطير لأدب السلوك الحزبى •

ولا مجال للسكوت أيضا عن سخط الشغيلة العادل على تصرف أولئك القياديين الممنوحين الثقة والصلاحيات والمفترض بهم أن يذودوا عن مصالح الدولة والمواطنين ، بينما راحوا أنفسهم يسيئون استعمال السلطة ويكبحون الانتقاد ويكدسون الثروات ، حتى أن بعضهم قـد ضلع فى أعمال اجرامية ، ان لم يكن مدبرها •

تبدت فى أشـد أشكالها امتساخا العمليات السلبية من انحطـاط الكوادر وانتهاك الشرعية الاشتراكية ••• » •

كما « ينبغى الاقرار بأنه لم يتم التمكن خلال هـذه السنوات من وضع حاجز متين بوجه الأشخاص غير الشرفاء المـاكرين الطماعين

الذين يسعون الى المكاسب من وراء البطاقة الحزبية •

أننا قد تراجعنا الى حد ما عن القاعدة القائلة : ليس المهم عدد الأعضاء الجدد ، بل نوعية الصفوف الحزبية • وهذا انعكس على كفاحية المنظمات الحزبية » •

اذا ما طالع الحزب الاشتراكى اليمنى وجهه فى مرآة هذا النقد ، فلسوف يكتشف أن فيه كثيرا من الندوب والجروح والقسمات غير السارة أكثر بكثير مما لدى حزب البلاشفة •

واذا كانت هذه هى الظواهر السلبية فى حزب لينين بعد حوالى تسعة عقود من وجوده ونضاله ، وبعد حوالى سبعين سنة من عمر اعلانه ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وقيام الاتحاد السوفيتى ، فلا شك أنه وجدت فى حزب وليد استخلص من براثن مجتمع متخلف كالحزب الاشتراكى اليمنى ظواهر سلبية أكثر بكثير •

بدون الاقرار بذلك لا يمكن فهم كيف أمكن حدوث ما حدث فى ١٣ يناير ١٩٨٦ ولا كيف يمكن الحيلولة دون حدوث تراكمات سلبية أخرى يتكرر بها ما حدث فى ذلك اليوم المشؤوم •

ان اقدام الحزب على وضع وثيقة تحليلية حول تجربته تؤكد ليس فقط اقراره بهذه الحقيقة القاسية ، وانما أيضا عزمه على تصحيح الوضع ، ومنع تعرض الحزب والبلاد لمأساة أخرى •

الأمثولة الثورية التى يقدمها حزب لينين فى مضمار التغيير والتجديد والديمقراطية :

غير أنه من المهم أولا معرفة كيف عالج حزب لينين الظواهر السلبية فى صفوفه وفى الدولة والمجتمع ، فمعرفة ذلك تزودنا بدرس ثمين نحن أشد ما نكون حاجة اليه •

يقول جورباتشوف فى التقرير الآنف الذكر :

« كل ما قيل ، يا رفاق ، يشهد على ما صار اليه الوضع من خطورة فى شتى ميادين المجتمع ومدى ضرورة التغييرات فى العمق • ومن الأهمية بمكان التأكيد التالى مجددا : لقد وجد الحزب فى ذاته القوة والجرأة لتقييم الوضع بشكل منصف ، والاقرار بضرورة التغيير الجذرى فى السياسة والاقتصاد وفى المجالين الاجتماعى والروحى والانعطاف بالبلد الى طريق التحولات •

وفى ظل هذا الوضع طرحت ، أيها الرفاق ، مسألة تعجيل التنمية لاقتصادية والاجتماعية مسألة التغيير (التجديد) • والمقصود فى جوهر الأمر هو الانعطاف والتدابير التى تتسم بطابع ثورى • نحن عندما نتحدث عن التغيير وما يرتبط به من عمليات اشاعة الديمقراطية فى المجتمع على أكمل وجه ، نقصد بقولنا هذا تحويل المجتمع تحويلا ثوريا وشاملا حقا وفعلا •

مثل هذا الانعطاف الجذرى ضرورى ، وليس أمامنا سوى هذا السبيل • والتراجع غير جائز ، بل أنه مستحيل •

ويتساءل جورباتشوف عما اذا كانت هناك ضمانات فعلية لأحداث مثل هذا الانعطاف الثورى والجذرى ويجيب بالايجاب كما يلى :

« ان تحليل الحالة التى وجد نفسه فيها مجتمعنا قبيل اجتماع نيسان (أبريل) الكامل للجنة المركزية ، وخبرة التغيير ، تطرحان بكل الحاح أهم مسألة وهى : الدينا ضمان بأن عملية التغيير التى بدأت ستواصل حتى النهاية ، وأن الأخطاء السابقة لن تتكرر ، واننا سنستطيع تأمين نمو مجتمعنا على النحو المطلوب ؟

عن هذه الأسئلة يجيب المكتب السياسى مؤكدا : نعم ، لدينا مثل هذه الضمانات •

انها وحدة ارادة ووحدة عمل الحزب والشعب اللذين تجمعهما خبرة ما عاشاه ، وادراكهما المسئولية الملقاة عليهما عن حاضر ومستقبل وطننا الاشتراكى •

انها أيضا تطوير ديمقراطية النظام الاشتراكى من كافة النواحى ، ومشاركة الشعب الفعلية والمتزايدة النشاط فى حل كافة المسائل المتعلقة بحياة بلادنا ، والاستعادة التامة للمبادىء اللينينية ، مبادىء العلانية والرقابة الاجتماعية ، والنقد والنقد الذاتى ، والنزاهة والاخلاص السياسيان اللذان يتجسدان فى تطابق الأقوال والأعمال •

وأخيرا ، انها تطور الحزب نفسه تطورا سنيما ، وقدرته على التحليل الانتقادى لنشاطه وعلى تجديد أشكال وطرق عمله ، وتحديد آفاق تطور المجتمع على أساس النظرية ، والنضال من أجل المهام الجديدة التى تطرحها الحياة •

وتعميق الديمقراطية الاشتراكية ، وابداع المواطنين السوفيت الخلاقة ، ودور الشيوعيين الطليعى فى الشئون العملية — كل ذلك بالذات يضمن نجاح التحولات الثورية التى أقرها المؤتمر السابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى ، ويجعلها مستمرة لا رجعة فيها » (أنظر تقرير ميخائيل جورباتشوف فى « أنباء موسكو » ملحق العدد ٦) •

على أن اجابات جورباتشوف عن توافر ضمانات الانعطافة الثورية فى الاتحاد السوفيتى تصلح أيضا لجميع البلدان الاشتراكية ، كما تصلح كذلك لبلدان التوجه الاشتراكى ، ومنها اليمن الديمقراطية ، حتى مع وجود فوارق فى مستويات التطور التاريخى بين الاتحاد السوفيتى وهذه البلدان •

فالمهم فى جميع الأحوال هــو وجود الحزب الطليعى القائد للعملية الثورية ووحـــدة عمله والتفاف الشعب حوله ، واشاعة الديمقراطية الواسعة والعميقة فى صفوفه وفى الدولة المجتمع ، وضمان الاشراك الكامل للشعب فى العملية الثورية ، والانضباط التام والواعى للمبادىء التنظيمية اللينينية فى حياة الحزب ، وجعل الجماهير الشعبية شريكا فعالا فى الرقابة الاجتماعية الى جانب الرقابة الحزبية العليا ، وممارسة النقــد والنقــد الذاتى باستمرار ، والتحلى بالاستقامة والنزاهـــة والتجرد والمبدئية عند مباشرة أى مسئولية ، وربط الأقوال بالأفعال ، وقــدرة الحزب على تطوير نفسه باستمرار ، وتربية واعادة تربية أعضائه وكوادره وقياداته والابتكار الدائم لوسائل وأشكال العمل الأكثر ملاءمة وفعالية وجــدوى ، وامتلاك الروح الخلاقة والمبدعة والمجــددة أبدا ، واستشراف المستقبل دائما ، والتحديد العلمى للطرق العلمية الضامنة لبلوغه ... الخ .

اعراب جورباتشوف عن الثقــة فى قــدرة الحزب الاشتراكى اليمنى على مواصلة قيادة مسيرته الثورية :

وليس هناك شك فى أن الحزب الاشتراكى اليمنى الذى تمكن من تخييب آمال القوى المعادية بخروجه من غلب المحنة الكبرى التى أطبقت عليه وعلى الثورة والبلاد بفعل أحــداث ١٣ يناير ١٩٨٦ الدامية التى أفزعت الأصدقاء والشرفاء فى كل مكان من العالم يمتلك كل المبررات التى تجعله يؤكد أن لديه من الضمانات وسيتوفر لديه من الضمانات ما يكفى ليس الآن برمم الجراح ، ويراب الصـــدع ، ويقيم وحـــــدة الحزب ، ووحـــدة الشعب ، ووحـــدة المجتمع ، ووحـــدة الوطن ووحــدة المؤسسات الرسمية والجماهيرية ، على أوثق وأقوى مما مضى فحسب ، وانمــا أيضا لأن يمضى بمسيرة الثورة الوطنية الديمقراطية الى نهايتها المظفرة ، وأن ينتقل بالمجتمع الى الرحاب الاشتراكية عبر نضاله فى ذات الوقت من أجل تحقيق وحـــدة الوطن اليمنى ذلك على أسس ديمقراطية

وأن يستعيد ويثبت موقعــه الطليعى والمرموق فى اطــار حركة الثورة العربية ، وان يرسخ مكانته فى اطار حركة الثورة العالمية •

ذلك أيضا ما استشفه وأكد عليه بقوة أمين عام الحزب الشيوعى السوفيتى ميخائيل جورباتشوف فى الكلمة التى القاها فى المــأدبة التى اقامها تكريما للوفــد الحزبى اليمنى الديمقراطى برئاسة أمينه العام الرفيق على سالم البيض : « ان شعب اليمــن الديمقراطية عاش فترة صعبة وواجه محنا عصيبة : فالا الأحــداث المــأساوية التى وقعت فى كانون الثانى (يناير) ١٩٨٦ والضحايا البشرية الكبيرة والدمار أثارت أسى صادقا لدى المواطنين السوفيت •

وانطلاقا من واجب الصداقة والتضامن سعينا الى مساعدة الأصدقاء اليمنيين فى تذليل الازمة والاسراع فى ايقاف اراقة الدماء •

ولدى ذلك لم تفارقنا الثقــة قط بأن الحزب الاشتراكى اليمنى سيتغلب على المحنة ، ويستخلص منها العبر الصحيحة ، ويستجمع قواه لتصحيح الأخطــاء المرتكبة ، ويحافظ على النظــام التقــدمى فى البلاد الضرورى لشعبها للغاية •

وبدعم الأصدقاء ذادت اليمن الديمقراطية عن حقها فى تقــرير مصيرها بنفسها من دون تدخل خارجى •

وتكمن الحصيلة الرئيسية للعمل المتعلق بازالة آثار أحــداث كانون الثانى (يناير) فى صمود النظام التقــدمى فى البلاد ، وحصول الحزب الاشتراكى اليمنى على امكانية مواصلة تطوير البلاد طبقا للاختيار الذى قام به الشعب اليمنى الجنوبى •

ان الهــدوء فى البلاد ، وتعزيز وتوسيع مكتسبات الثورة اليمنية

الجنوبية » هى ضمان كذلك لاستعادة المواقع الدولية لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ومكانتها .

نتمنى لكم ، أيها الرفيق على سالم البيض ولكل قيادة الجمهورية ، اجتياز المعبر الوعر بسرعة ، وتوحيد الحزب والشعب فى نمط الدولة الديمقراطية التقدمية وفى النضال من أجل المصالح الوطنية لليمن الديمقراطية . وواضح مدى أهمية هذه المهمة . وفى حلها يلقى الأصدقاء اليمنيون الجنوبيون وسوف يلقون الدعم الثابت من جانب الاتحاد السوفيتى » (نص الخطاب كاملا فى صحيفة « ٢٤ أكتوبر » ١١—٢—١٩٨٧) .

ظروف الحزب الاشتراكى اليمنى أكثر مواتاة للتطور والتطور من ظروف الحزب الثورى الشعبى المنغولى :

فى ضوء كل ما سبق يتحتم علينا الرد على جملة من الأقاويل والتخرصات والتخريجات التى تلبس ثوب التنظير والمشككة فى طبيعة النهج الذى سارت عليه الثورة فى اليمن الديمقراطية والتى اتخذت من أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ مناسبة لاعادة تشويهاتها لمجمل التجربة الثورية .

فوفقا لهذا السائل الأسود الذى يقذف به وجه الثورة فأنه لم يكن هناك ولن يكون هناك فى اليمن الديمقراطية الا حروب قبلية ، بغية الاستئثار بالسلطة ، وفرض حكم القبيلة الأقوى على جميع القبائل ، وأنه لم يكن ولن يكون فيها لا توجه اشتراكى ، ولا حكم ديمقراطى ثورى . ولا حتى حكم وطنى .

واضح أن من يفكر على هذا النحو يحمل عقلية أثرية محضة ، ولا علاقة له بحياة العصر الذى مس التطور الذى حدث فيه كل شىء حتى أوضاع القبيلة والعشيرة .

على أن الأمر ليس مجرد نظرة جامدة متخلفة ، ولا مجرد جهـل وقصور فى الفهم ولا حتى سذاجة وبلاهة سياسية ، وانما هـو بالأحرى موقف سياسى مقصود ، هـدفه تزييف الحقيقة ، وتشويه الواقع ، وتضليل الرأى العام ، وتصوير أنه لم يحـدث شىء منذ جلاء الاستعمار البريطانى من البلاد حتى اليوم • فليست هنـاك ثورة ولا منجزات ثورية ، وليس هناك وطن متحرر ، متطور ، ولا وطنية • واذن فان على جماهير الشعب أن تبحث لهـا عن بديل يخلصها من صراعات القبـائل الدورية على الحكم •

ليس لنا أن نواجـه مثل هـذا الطرح الشائه المشوه بالسخرية والازدراء ، ولا بالابتسام والضحك من مروجيه ، وانما علينا أن نفترض حتى لدى بعض مروجيه أنهم يعنون ما يقولون وأن تلك هى قناعتهم ، وأن ذلك هـو مستوى فهمهم •

وعلى أساس هـذا الافتراض علينا أن نحاورهم •

لقـد قلنا فى مطلع هـذا المبحث أن الأنماط السابقة للرأسمالية وحتى السابقة للاقطاعية لم تمـح تماما ، وأن بقـاياها الأيديولوجية والسيكولوجية لم تختف دفعة واحـدة ، وأنها من ثم لعبت دورا فى حـدوث ما حـدث •

وقلنا أن الشىء الأساسى هـو تكون بنية اقتصادية ـ اجتماعية جـديدة عكست نفسها فى بنية الدولة ، وأنه بفضل ذلك أمكن ليس فقط تحجيم أثر الأنماط السابقة وافرازاتها الثأرية والمتخلفة ، وانما أيضـا الامساك بزمام الموقف السياسى وقيادة الثورة ، وتوجيهها وجهتهـا المرسـومة سـلفا •

ولقـد خرجت الثورة ، بفضل حزبها القائد ودعم الحلفاء وعلى رأسهم حزب لينين ، من المـأزق ، وثبتت أركان النظـام التقـدمى ،

ومضت فى مسيرتها النضالية المحـددة والمجيدة • والوضع اليوم فى اليمن الديمقراطية ، رغم كل ما جرى فيها من أحـداث جسام ، هـو أفضل بكثير من وضع منغوليا العشرينيات ، الذى استحق من لينين المباركة والتأييد : « أنا شخصيا اشترك فى الحركة الثورية منذ ٣٠ سنة ، وأعرف بتجربتى الشخصية مبلغ الصعوبة التى يجابهها كل شعب فى التحرر من مستعبديه الخارجيين والداخليين • ولكن منغوليا • رغم أنها بلـد تربية الماشية ، ورغم أن سواد سكانها رعاة رحل ، قـد حققت نجاحات كبيرة فى ثورتها ، والرئيسى أنها وطـدت هـذه النجاحات بانشاء حزبها الثورى الشعبى ، ومهمته أن يصبح حزبا جماهيريا ، وأن يحول دون العناصر الغريبة وتوسيخه » (لينين ، حركة شعوب الشرق التحررية الوطنية ، دار التقـدم ، موسكو ، ص ٣٦١) •

والحزب الاشتراكى اليمنى هـو اليوم فى وضع أكثر تطورا بكثير من الحزب الثورى الشعبى المنغولى فى مطلع العشرينيات • وما اعتورته من اختلالات وانشقاقات وما أصيب به من عاهات عائد بالدرجة الأولى الى أن البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية الجـديدة لم تكن قـد استكملت تكوينها، والى أن الأنماط القـديمة والنمط البرجوازى الصغير فى الريف والمدينة كانت تصارع وتحاول النفاذ الى الحزب والدولة معا • غير ان المهم فى الأمر هو احتفاظ الحزب بالزمام فى يده ، وقـدرته على الحفاظ على النظام الثورى الذى اقامه ، وعزمه على معالجة الشروخ والجروح والعاهات التى أصيب بها • وعلى استكمال بناء التجربة الثورية ، وآفاقها على أرسخ القواعـد الاقتصادية وعلى المضى قـدما فى عملية تحـديث المجتمع ، وتعزيز الوحـدة الوطنية والاجتماعية ، واشاعة الديمقراطية داخله وداخل المجتمع ، واعـادة تربية أعضائه والمجتمع عموما بروح الوطنية العميقة وبالثقافة الديمقراطية والتقـدمية والانسـانية ، مستلهما فى ذلك نظرية الاشتراكية العلمية والأممية البروليتارية •

ان الظروف الداخلية والخارجية فى الربع الأخير من القرن العشرين هى أكثر مواتاة لـه من ظروف الربع الأول والثانى من القرن العشرين التى كانت تحيط بالحزب المنغولى والذى تمكن مع ذلك بفضل سيره على هدى التوجيه اللينينى وفضل الدعم السوفيتى أن ينقل الثورة المنغولية من المرحلة الديمقراطية الى المرحلة الاشتراكية بعد مضى عشرين عاما فقط من قيامها •

لقد جاء فى التوجيه اللينينى ردا على سؤال الوفد المنغولى عما اذا كان « ينبغى على الحزب الثورى الشعبى أن يتحول الى حزب شيوعى ؟ » — جاء فيه : « أنا لا أوصى بهذا ، لأنه لا يجوز « تحويل » حزب الى آخر » ذلك أن الحزب الشيوعى هو حزب البروليتاريا ولأجل ذلك فانه « لا يزال يترتب على الثوريين أن يبذلوا الكثير من الجهد فى بنائهم السياسى والاقتصادى والثقافى قبل أن ينشأ من عناصر الرعاة جمهور بروليتارى يساعد فيما بعد على تحويل « الحزب الثورى الشعبى الى حزب شيوعى •ان مجرد تغيير اللافتة ضار وخطر » (المصدر السابق ، ص ٣٦٢) •

فى امكاننا أن نجزم بأن قيام الحزب الاشتراكى اليمنى فى أكتوبر ١٩٧٨ بعد القضاء على التيار اليسارى الانتهازى ذى العمق اليمينى القروى الذى رفض الاقدام على هذه الخطوة بحجة أن الظروف الداخلية والخارجية لا تساعد على ذلك — أن قيامه ليس مجرد تغيير لافتة ديمقراطية بلافتة اشتراكية ، وانما مثل نقلة نوعية الى حد كبير لعب فيها عبد الفتاح اسماعيل دورا بارزا •

والعبرة المستخلصة من أحداث ١٣ يناير واخطاء الماضى ليس العودة الى الوراء ، وانما التفتيش عن مكامن الخلل والضعف والمبادرة الى معالجتها واصلاحها ، والتقدم الى الأمام •

وهى عملية اجتماعية وسياسية وثقافية لا تنجز الا فى مدى تاريخى كامل ، من حيث انها تعنى الشروع فى تصنيع البلاد ، بما يعنيه ذلك من اتساع قاعـدة البروليتاريا المعنية قبل غيرها باكمال مرحلة الثـورة الوطنية الديمقراطية والانتقال الى المرحلة الاشتراكية وتحقيق وحـدة اليمن على ذات الأسس التقـدمية ، وتعنى تعميق التحولات الاجتماعية فى الريف وتقويم أوضاع التعاونيات ، وتحـديث حياة الريف ، والتغلب على بقـايا العلاقات والأوضاع والعادات والنفسيات الموروثة فيه من المـاضى ، وتعنى حصر تأثير البورجـوازية والبرجـوازية الصغيرة ، تمهيدا لتحجيم وجودها الاقتصادى والاجتماعى ، ومن ثم الغاء وجودها فى مرحلة لاحقة ، وتعنى اطلاق الثورة الثقافية من عقالها وتعميمها فى الريف والمدينة ، وتعنى أولا وقبل كل شىء تجـذير وترسيخ وحـدة الحزب والشعب والمجتمع والوطن ، وجعل العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الكادحة الأخرى أساس ودرع وروح هذه الوحدة .

أبرز الثغرات فى تجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية وسبل التغلب عليها :

لا مجال اذن للتراجع عن الخيار الاجتماعى والأيديولوجى ، وانما المطلوب هـو انضاج الشروط الموضوعية والذاتية التى تؤكده وتعززه .

وتلعب الشروط الذاتية دورا حاسما فى هـذا الصـدد ، وعلى رأس هـذه الشروط ترسيخ الوعى الاجتماعى والأيديولوجى بصحة وسلامة المنحى الثورى الذى سارت فيه اليمن الديمقراطية ، وبالذات تبنى حزبها لنظرية الاشتراكية العلمية التى فى ضوئها تتحرك ثورتها الديمقراطية فى اتجاه الافق الاشتراكى .

والطبقة العاملة هى الأكثر والأجـدر والأقـدر على فهم واحتضان هـذه النظرية ، من حيث انها نظريتها . ومهمة المثقفين الثوريين هى

تقريبها لها وتمكينها من تمثلها • وبذلك تتمكن من أن تتحول من طبقــة فى ذاتها الى طبقة لذاتها ، ومن أن تشيعها لا بين العمال الزراعيين فحسب وانما أيضا بين الفلاحين التعاونيين وجميع جماهير الريف والمدينة ، وان تشكل معهم حلفا تحت قيادتها يمكنها من قيادة الثورة الديمقراطيــة وتحويلها الى ثورة اشتراكية •

قال لينين : « والمــاركسية انما تستوعبها الطبقة العاملة ومفكروها ، على الوجه الأسهل والأسرع والأكمــل والأرسخ ، فى ظروف الحــد الأقصى من تطور الصناعة الكبيرة • والعلاقات الاقتصادية المتأخرة ، أى التى تتأخر فى تطورها ، تحمل أبدا على ظهور أنصار للحركة العماليــة لا يستوعبون سوى بعض جوانب المــاركسية ، سوى بعض أقسام من المفهوم الجــديد ، سوى بعض الشعارات والمطالب ، ويكونون عاجزين عن التخلص بحزم من جميع تقاليــد المفاهيم البرجوازية بوجــه عام والمفاهيم البرجوازية ـــ الديمقراطية بوجه خاص ، وفضلا عن ذلك ثمة ينبوع للخلافات لا ينضب هــو الطابع الديالكتيكى للتطور الاجتماعى الذى يجرى فى خضم التناقضــات وعــن طريق التناقضــات (لينين ، ضــد الانتهازية اليمينية واليسارية وضــد التروتسكية ، دار التقــدم ، موسكو ، ١٩٧٦ ص ١٧٣ ـــ ١٧٤) •

ليس هناك ما يشخص أبرز النواقص والعيوب والسلبيات التى لازمت الحركة الاشتراكية اليمنية والحزب الاشتراكى اليمنى مثل هذا التشخيص اللينينى •

فلدينا علاقات اقتصادية متأخرة حتمت ظهور قوى سياسية تدعو للعــدل الاجتماعى وللتقــدم الاجتماعى ، وعبر تطلعها الى تحقيق شىء من ذلك أطلت على الفكر الاشتراكى العلمى • غير أن بعض فئاتها لم تستطع أن تستوعب سوى بعض جوانبه ، ولم تستطع أن تعى سوى

أقسام من نظريته العالمية ، ولم تستطع أن تهضم سوى بعض شعاراته ومطالبه ، ومن ثم لم تستطع التخلص من المفاهيم البرجوازية الريفية والمدنية ، ومن المفهوم البرجوازى — الديمقراطى ، ناهيك أن حركة الصراع الناجمة عن التناقضات بين القـديم والجـديد ، بين البنيـة الجـديدة الآخـذة فى التطـور فى الاتجاه التقـدمى ، وبين الأنماط القـديمة البرجوازية ، والتى لم يكن منها مفر ، والتى انعكست داخل صفوف الحزب — أن هـذه الحركة كانت منبعا للخلافات داخل الحزب ، اتخـذت — وذلك هـو الأمر المؤسف — شكلا تناحريا ، بينما كان فى الامكان حلها عبر الديمقراطية وبالديمقراطية ، ووفقا لوثائق الحزب ، وعلى رأسها البرنامج والنظام الداخلى .

آفاق المستقبل : غير أن التشخيص اللينينى يتلازم مع تقـديم المخرج والحل ، والذى يتمثل فى اشاعة الصناعة الحـديثة — وذلك ما بدأت اليمـن الديمقراطية فى الشروع فيـه بالفعـل — وفى تمكين البروليتاريا ومفكريها ومثقفيها من استيعاب المـاركسية — اللينينية — وذلك ما أخـذ به الحزب أكثر من أى وقت مضى ، ومن هنا الدورات الأيديولوجية ، التى تنظم اليوم والتى تشمل الحزب كله من الأعلى الى الأدنى .

ذلك هـو مفتاح الخلاص من النواقص الاجتماعية والسياسية والفكرية ، وذلك هـو السبيل لتحـديث المجتمع وتجاوز الأنمـاط الاجتماعية القـديمة بكل مخلفاتها وافرازاتها ، وذلك هـو الطريق لحصر ودحر مفاهيم البرجوازية والبرجوازية الصغيرة الديمقراطية ، وذلك هـو منحى تحقيق وتأكيـد وحـدة الحزب التنظيمية والفكرية والسياسية ، وترسيخ وتعميق الوحـدة الوطنية والشعبية والمجتمعية ، وفتح الطريق لتحقيق الوحـدة اليمنية .

وذلك هـــو الخط الثورى والوحيد الذى يعيد اليمن الديمقراطية الى موقعها الريادى فى اطار حركة الثورة العربية ، والذى يمكنها أكثر فأكثر من أن تلعب دورا طليعيا فى تحقيق وحـــدة أطرافها فى جبهـــة نضالية ضـــد الاستعمار والصهيونية والرجعية والعنصرية ، والذى يجعل نجمتها تزداد تألقا وتوهجا ضمن مجرة البلدان ذات التوجـــه الاشـــتراكى .

دور الثقافة الثورية الأساسى

فى التطور التاريخى المتصاعد

لثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م(*)

التطور التاريخى لا يسير وفق ارادة علوية ولا حسب مشيئة هذا الزعيم أو ذاك ، ولا طبق رغبة هذه القوة الاجتماعية أو تلك ، وانما يسير وفق قوانين موضوعية تلعب خلالها ارادة الناس ووعيهم دورا معجلا أو معطلا أو معرقلا •

درجة تطور القوى المنتيجة ، درجة التقدم الانتاجى الاقتصادى هى التى تحدد طابع علاقات الانتاج والبنية الاجتماعية عموما ومن ثم طابع النظام السياسى •

البنية التحتية المتمثلة فى علاقات الانتاج تفرز البناء الفوقى السياسى والأيديولوجى المطابق لها •

غير أن ذلك لا يعنى أن البناء الفوقى لا دور له تجاه حركة التطور التاريخى لمجرد أنه انعكاس للظروف المادية ـ الاقتصادية • فهو يكتسب فى لحظة معينة دورا حاسما •

(*) نشرت فى صحيفة « ١٤ اكتوبر » فى ١٩٨٧/١٠/١٢ •

ان ذلك يعنى بوضوح أنه يمكن أن يشهد المجتمع ، وخاصة المجتمع الراسمالى ، تطورا هائلا أو نسبيا فى القوى المنتجة والاقتصاد والتكنيك والعلم ، بينما تظل العلاقات الانتاجية والاجتماعية متخلفة ، ويظل البنـاء الفـوقى السياسى والأيديولوجى والخلقى والروحى فى حـالة انحطاط ، ويظل الانسان من ثم فى حالة اغتراب عن عمله ومجتمعـه ونفسه ، ولا يعـدو أن يكون أسيرا لدى الرسمالى وعبدا للعمل المـأجور الذى يقوم به لصالحه •

ان هـذا التناقض الفادح بين القوى الانتاجية والتكنيكية والعلمية المتطورة وبين العلاقات الانتاجية والاجتماعية والروحية المتدنية هـو ما نبه اليه ماركس بمثل هذه العبارات البليغة : « هناك واقع عظيم يميز قرننا التاسع عشر ، واقع لا يتجرأ أى حزب على انكاره ، فمن جهة ، استيقظت قوى صناعية وعلمية لم تكن حتى لتخطر فى بال الناس فى أى من العهود السابقة فى تاريخ البشرية ، ومن جهة أخرى ، تتبدى علائم انحطاط يتجاوز جميع الويلات المعروفة فى التاريخ منذ أواخر زمن الامبراطورية الرومانية •

وفى زمننا يبدو كأن كل شىء ينطوى على نقيضه ، فنحن نرى أن الآلات التى تملك قوة عجيبة لتقصير مدة العمل البشرى وجعله أوفر ثمارا تجلب للناس الجوع والأعياء ، ومصادر الثروة الجـديدة غير المعروفة حتى الآن تتحول ، بفضل سحر ما غريب وغير مفهوم ، الى مصادر للفقر ، وانتصارات التكنيك تبـدو كأن الانحطاط الأخـلاقى كان ثمنها ، ويخيل أن الانسان يمشى اما عبدا لغيره من الناس ، واما عبدا لسفالته بالذات بقـدر ما تخضع البشرية الطبيعة لنفسها • وحتى نور العلم الصافى لا يمكنه ، حسبما يبدو ، أن يشع الا فى خلفية الجهل الحالكة ، وكأن جميع اكتشافاتنا وكل تقـدمنا تؤدى الى هـذا الواقع ،

ليس هنــاك تلازم ميكانيكى بين الواقــع المــادى الذى هــو الأساس لنشؤ هــذا النسق أو ذلك من الأفكار والقيم ، وبين هــذه الأفكار والقيم • فهى بعــد نشوئها تكتسب شيئا من الاستقلالية وتتولد وتتطور تطورا داخليا خاصا بها • وتتجاوز حتى أساسها المــادى الذى فرزها وتغــدو قادرة على الرؤية الى آفاق أبعــد من تلك الأفاق المحددة التى تحتمها علاقات الانتاج القائمة • بل وتصبح مبشرة بمنحى للتطور الاجتماعى والتاريخى مخالف لمنحى التطور القائم •

ذلك ما يفسر ظهور النظريات التقــدمية ، وخاصة نظرية الاشتراكية العلمية التى ولدتها ظروف القرن التاسع عشر المــادية ، ظروف الانتاج الرأسمالى ، التى كما انتجت الصناعة الحــديثة ، والتكنيك المتقــدم ، أنتجت طبقة جــديدة هى طبقة العمال التى جاءت أيديولوجية ونظرية الاشتراكية العلمية تعبيرا عن مصالحها ومطامحها ، ورؤيتها ازاء التاريخ والحياة والصيرورة الانسانية عموما •

لقــد تجاوزت هــذه النظرية المجتمع الذى نبتت فى ظله ، وأخذت تبشر وتدعو الى اقامة مجتمع جــديد خال من الاستغلال الراسمالى وكل أشكال الاستغلال التى عرفها التاريخ والتى ما تزال قائمة هنا أو هناك من أنحاء الكرة الأرضية •

ولم تبق هــذه النظرية محصورة فى اطار المجتمع الأوربى الذى نشأت فيه ، وانما تجاوزته الى شتى أنحاء الأرض ، حتى غــدت نظرية الملايين من جماهير الكادحين فيها ، وحتى أمكن اقامة مجتمعات اشتراكية على أساسها ليس فى البلدان الأوربية فحسب ، وانما أيضا فى البلدان المتأخرة عن أوروبا ، مما أتاح لهــا تجاوز تأخرها ، والمضى فى طريق التطور الاقتصادى والتكنيكى والعلمى بسرعة قياسية ، بل بسرعة تفوق سرعة تطور البلدان الرأسمالية التقليدية •

وهو أن القوى المادية تكتسب حياة فكرية ، بينما تفقد الحياة البشرية جانبها الفكرى وتنحط الى درجة قوة مادية • ان هذا التناحر بين الصناعة المعاصرة والعلم المعاصر من جهة ، والاملاق المعاصر من جهة أخرى ، هذا التناحر بين القوى المنتجة والعلاقات الاجتماعية فى عهدنا هو واقع محسوس ، ومحتم ، ولا جدال فيه » • « ماركس انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ١ الجزء ٢ ، دار التقدم ، موسكو ١٩٨٠ ص ٢٤٨ — ٢٤٩ » •

ذلك كان هو الوضع فى البلدان الرأسمالية أيام ماركس • ولقد تفاقم هذا الوضع اليوم واشتد التناقض فى عهد الرأسمالية الاحتكارية ورأسمالية الدولة الاحتكارية ، بين المستوى البالغ التطور للقوى الانتاجية والاقتصاد والتكنيك والعلم والمستوى البالغ الانحطاط للقيم الأيديولوجية والثقافية والأخلاقية للمجتمع الرأسمالى ، ولا سيما المجتمع الرأسمالى الأمريكى •

غير أن المجتمع الرأسمالى كما يفرز القيم الروحية المنفسخة والمتعفنة والمريضة فان القوى الحية والجديدة والثورية فيه ، ممثلة فى الطبقة العاملة ومفكريها والمثقفين المستنيرين عموما ، تطرح أيديونوجية وفكرا وقيما روحية متقدمة •

ان انتشار هذه القيم الأيديديولوجية والفكرية المتقدمة الى البلدان الرأسمالية الضعيفة التطور أو التى لم تبلغ مرحلة الرأسمالية بعد يتيح لمثل هذه البلدان لا تبنى هذا العطاء الروحى الحى فحسب ، وانما أيضا البناء عليه وتطويره ، بحيث يتجاوز مستوى التطور الثقافى لهذه البلدان مستوى تطورها المادى • ان ذلك كان هو شأن روسيا فى القرن التاسع عشر • « وينبغى التنبيه مرة أخرى

من الأحكام السطحية على التقــدم التاريخى . بالطبع ، ان تطـــور القوى المنتجة يمثل الشرط الأهم للتقــدم الاجتماعى . بيد أنه لا ينبغى تبسيط هــذه الحقيقة وعــدم رؤية أنه فى بعض الحالات بوسع الثقافة الروحية سبق مستوى تطور القوى المنتجة . فمن المعروف ، على سبيل المثال ، أن روسيا فى القرن التاسع عشر كانت متأخرة عن بعض البلدان الرأسمالية من حيث تطور القوى المنتجة ، بيد أن هــذا لم يعفها عن اعطاء البشرية مفكرين وثوريين وشعراء وكتابا وموسيقيين ورسامين وعلماء ومخترعين عظماء . ان القضية تقــوم فى ان تطــور الثقافــة (وظاهرات البنى الفوقية عامة) لا يجوز ربطها بمستوى القوى المنتجة بمعزل عن علاقات الانتاج ، عن ما نضج من التناقضات الاجتماعيــة والطبقيــة والقــومية » (خانتسيكموجيان ، مراحــل التاريخ . دار التقــدم ، موسكو ١٩٧٩ م ، ص ٩٥) .

ان هــذا المستوى الروحى المتطور الذى بلغته روسيا من خلال اقتباسها للثقافة الغربية الرفيعة ، وهــذا العطاء الثقافى العالى الذى اضافته ، والذى فجر فيها ينابيع الحيوية ودفع بطلائعها الى العمــل الجسور من أجل انهاض روسيا المتأخرة ،وتجــديد حياتها ، وجعــل منها بالفعل بؤرة ثورية ملتهبة منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ان ذلك هــو الذى الهم ماركس وانجاز تلك النبوءة القائلة بأن فجر الثورة العالمية سينبثق من الشرق ، ومن روسيا بالذات ، وان لهب هذه الثورة سيمتد الى الغرب ذاته .

ان انتشار نظرية الاشتراكية العلمية فى روسيا انتشار النــار فى الهشيم ، وان ذلك التطوير الخلاق الذى أدخله لينين عليها قــد قفز بمستوى التطــور الثقافى فى روسيا الى الذروة ، حتى وان كان هــذا المستوى قــد انحصر بالدرجة الأولى على مثقفى روسيا من البلاشفة

وعلى الطليعة البروليتارية التى أمسكت بقيادة حركة التطور الاجتماعي والتاريخي فيها •

ولكن الثقافة الثورية ذات الطابع الديمقراطى التى انبثقت اول ما انبثقت من الغرب تجاوزت حـــدود روسيا الى الشرق عموما • وفتحت كوات من النـــور فى جـــدرانه السميكة المظلمة ، وأخـــذت تدفعه منذ مطلع القرن العشرين الى النضال السياسى للخروج من كهوف القرون الوسطى ، والافلات من قبضة الاستعمار العالمى ، ومن اجل صـــنع حياته الجـــديدة • ان ذلك هـــو مانبه اليه لينين عندما كتب فى ١٣ أبريل ١٩١٣ : « لقـــد استيقظت فى آسيا الروح « الأوروبية » • لقـــد غدت شعوب آسيا واعية وعيا ديمقراطيا » • (لينين ، استيقاظ آسيا • دار التقـــدم موسكو ص ٢٢) •

وكان قيام الثورة فى روسيا المتاخرة برهانا حاسما على الدور الخاص الذى يمكن أن تلعبه الثقافة الثورية فى بلد متخلف •

وبعـــد قيام هـــذه الثورة ، ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى عام ١٩١٧ ، أخـــذت تغمر الشرق موجة أخرى من الوعى الاشتراكى فى الوقت الذى شرعت حركات التحرر الوطنى فيه تحقق نهوضـــا غير مسبوق •

وبالاعتماد على مثل هـــذه الثقافة الثـــورية ، الديمقراطية ، والاشتراكية ، وبدعم قلعة الثورة العالمية ، الاتحاد السوفيتى ، أمكن تفجر الثورات الوطنية الديمقراطية ، والثورات الديمقراطية الشعبية فى البلدان الرأسمالية ذات التطور الاقتصادى المتوسط ، والضعيف فى البلدان التى لم تصل مرحله الرأسمالية بعـــد • بل وأمكن تحـــويل

بعض هـذه الثورات الى ثورات اشتراكية ، أو مضيها فى طريق التوجه الاشتراكى •

واليمن الديمقراطية هى واحـدة من هـذه البلدان التى تسير بثقـة وثبات فى طريق التوجه الاشتراكى • والسؤال هو كيف أمكنها تحقيق هـذه الطفرة الثورية ، رغم انها لم تلتحق بركب حركة التحرر الوطنى العربية والعالمية الا فى وقت متأخر جـدا ، ولم يتسرب اليها أشعة الثقافة الثورية ، والوعى الديمقراطى والوعى الاشتراكى ، الا مع الخمسينيات ؟

هناك عوامل عامة ، وعوامل خاصة ، ساعدت اليمن الديمقراطية على انجاز مثل هـذه القفزة الثورية :

١ ــ أن الحركة الوطنية اليمنية التى كان مركزها الأساسى فى عدن ظهرت فى مرحلة تاريخية متطوره كان المعسكر الاشتراكى ، وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى ، قـد أصبح يمسك خلالها بزمام المبادرة الثوريه والتاريخية ، بعـد اندحار الفاشية وتصدع جبهة الامبريالية العالمية ، وأصبح للافكار الاشتراكية جاذبية لا تقاوم •

٢ ــ أنها انبثقت فى مرحلة تاريخية كانت فيها حركة التحرر الوطنى العالمية فى حالة من المـد المتصاعد • وكانت فصائل من هـذه الحركة تنتقل الى مواقـع الديمقراطية الثورية ، والى مواقـع الاشتراكية العلمية • وتدفع بشعوبها فى طريق الاشتراكية •

٣ ــ انها انطلقت فى حقبة تاريخية كانت فيها حركة التحرر الوطنى العربية فى عنفوانها ، وكانت مصر الناصرية أثناءها ــ أيا كانت ذبذبات نهجها القومى ــ تلعب دورا قياديا فيها • وتعمل على دعم ومساندة كل تحرك ثورى عربى ضـد الاستعمار والرجعية • بما فى ذلك التحرك

الثورى فى اليمن ، الذى عبرت عنه ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ ٠

٤ ــ انها برزت فى وقت كانت فيه أقسام من حركة التحرر الوطنى العربية تطور مفاهيمها الثورية فى اتجاه ديمقراطى جــذرى وتتطلع الى تبنى الفكرى الاشتراكى العلمى ، أيا كانت مداخلها اليه ٠

٥ ــ أن الجبهة القومية ، التى كانت الحلقة الوسطى فى الحركة الوطنية اليمنية ، كانت تتقــدم منذ منتصف الستينيات فكريا وسياسيا ونضاليا ٠ وتمضى فى خط متصاعد نحو امتلاك الرؤية الديمقرطية الثورية المنسجمة ، وتتحرك منذ مطلع السبعينيات نحو تبنى الفكر الاشتراكى العلمى ، شأنها فى ذلك شأن حركة القوميين العرب التى كانت تاريخيــا أحــد فروعها ٠

٦ ــ أن ظهور الحركة الوطنية اليمنية فى منتصف الخمسينيات قــد تواكب مع ظهور الحركة العمالية التى اقتحمت المعركة الوطنيــة بوسائل وطرائق بروليتارية ثورية فى النضال كالمسيرات والمظــاهرات والاحتشادات الجماهيرية بكل ما كان يؤدى اليه ذلك من التحام واشتباك مباشر مــع المستعمر ، ومن شــحذ العزائم الثورية ، ومن خبرة نضالية متنامية ، ومن بلورة تقاليد كفاحية راسخة ٠

٧ ــ أن نواة الوعى الاشتراكى التى بزغت منذ هــذا الوقت لم تقتصر على نخبة محــدودة من المثقفين الثوريين ، وانما نفــذت بهــذا القــدر أو ذاك الى صفوف الطبقة العاملة ٠

٨ ــ أن القاعــدة التى كانت تستند اليها الجبهة القومية كانت جبهة شعبية واسعة بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، جبهــة تمتد من

البرجوازية الوسطى والصغيرة والمثقفين الوطنيين والديمقراطيين ، وانتهاء بالعمال ، بما في ذلك عمال المصافى •

٩ — أن محاولة ممثلى البرجوازية الوسطى — بعد الاستقلال — دفع حركة التطور في الاتجاه الرأسمالي الليبرالي الاصلاحي ، بكل ما يؤدي اليه ذلك من الدوران في فلك التبعيـة الاقتصادية والسياسية والثقافية للرأسمال الامبريالي ، قد اصطدمت بمقاومة واسعة من هـذه القاعـدة الشعبية العريضة التي كانت تستند اليها الجبهـة القومية والمسنوده أيضا بالقوى والفصائل الديمقراطيـة والتقـدمية الأخرى خارجها •

١٠ — أن محاولة ممثلى البرجوازية الصغيرة النزقة ارباك المسيرة الديمقراطية الثورية التي كانت قـد بدأتها الثورة منذ قيام حركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ بتجنحاتهم اليسارية المتطرفة الفوضوية أول الأمر ، وبانعطافهم ذات اليمين آخر الأمر قـد اصـطدمت هي الأخرى بهـذه القاعـدة العريضة من الجماهير الشعبية والقـوى الثورية التي كانت قـد تاطرت في التنظيم السياسي الموحـد — الجبهة القومية منذ أكتوبر ١٩٧٥ ، مـا أتاح لهـا الخلاص من مخاطر هـذه الزمرة المغامرة بانتصارها عليها في ٢٦ يونيو ١٩٧٨ •

١١ — أن تبني التنظيم السياسي الموحـد — الجبهـة القـومية للفكر الاشتراكي العلمي قـد حتم — بعـد ازاحة حجر البرجوازية الصغيرة المسعورة من الطريق — تحويل هـذا التنظيم الى حزب من طراز جـديد ، حزب اشتراكي علمي ، هـو الحزب الاشتراكي اليمني الذي أعلن في أكتوبر ١٩٧٨ •

١٢ — أن ما ساعد على المضي في هـذا الخط الثـوري الصاعد

اليمـن الديمقـراطية ...

وحصـــاد عقـــدين ...

مـــن النضـــال ...(*)

لم يعــد للاسطورة والمعجزة مكان فى عصرنا . غير أن هنــاك من الحقائق ما يكاد يشبه فى غرابته ومفارقته الاسطورة والمعجزة .

والا فكيف يمكن فهم هــذا الذى حــدث خلال عقــدين من الزمن فى هــذا الجزء من الوطن العربى ، وهــذا الشطر من اليمن .

ميناؤه الشهير منذ أقــدم العصور ، والذى كان احــدى حلقات للوصل الهامة بين الشرق والغرب ، وأحــد الشرايين التجارية والحضارية الواصــلة بينهما ، والذى كان لذلك مطمعاــ للغــزاة وللفــاتحين منذ الامبراطورية الفارسية واليــونانية حتى الامبراطورية العثمــانية والبريطانية ــ كيف أمكن أن يدور مع الزمن دورة كاملة ، ويتحــول فجأة ــ فى ظرف عقــدين من الزمن فقط ــ من موضوع للتاريخ الى ذات له ، من حجر فى بناء صرح الامبراطوريات العالمية القــديمة والجــديدة ، الى واحــد من أنشط معاول الهــدم للامبراطورية ، التى لم تكن تغرب

(*) نشرت فى صحيفة « ١٤ أكتوبر » فى ١٩٨٧/١٢/١ .

أبدا أن اليمن الديمقراطية ، على عكس البلدان العربية الأخرى ، لم تكن تعانى من وطـأة الفكر السـلفى وتجمعـاته ، وان البرجوازية الكومبرادورية وقـوى الاقطاع فيها كانت مجرد ظـل للاستعمار وان البرجوازية الوسطى كانت شريحة رقيقة ، وان لواء القيادة فى حركة التحرر الوطنى فى جنوب الوطن اليمنى كان معقودا منذ البـدايه للجماهير الشعبية الكادحة والعريضة والمنظمة والمسيسة والتى اخـذت تنتقل بسرعة غير عادية من امتلاك الوعى الوطنى ، الى امتلاك الوعى الديمقراطى ، الى تبنى الوعى الاشتراكى ، الذى لا يبرح يتجـذر ويتعمق ويترسخ فى صفوفها •

وبين جميع هـذه العوامل يبدو واضحا أن تملك الثقافة الثورية ، بدءا من الثقافة الوطنية ، مرورا بالثقافة الديمقراطية ، وانتهاء بالثقافة الاشتراكية ، بكل ما تنطوى عليه من بعـد أممى ، وتجسيد هـذه الثقافة الثورية فى تنظيم سياسى أخـذ بتكيف ويتطور باستمرار وفق درجة التطور التى بلغتها هـذه الثقافة — أن ذلك كان العامل الرئيسى وراء هـذا الخط البيانى الصاعد أبدا الذى سارت فيه ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ ، حتى بلغت اليوم مرحلة التوجه الاشتراكى •

ورغم الازمة الثقافية التى مرت بها التجربة الثورية خلال هـذا العقد ، ورغم تأثير « الأزمات التى أضعفت الوحدة الفكرية والسياسية والتنظيمية للحزب » حسب تعبير (الوثيقة النقـدية التحليلية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية (١٩٧٨ — ١٩٨٦ ، ص ٥٣) والتى كانت أحداث ١٣ يناير أبرز تجلياتها ، فان صمود الحزب لها ، وانطلاقه بمضاء نحـو تجاوز آثارها ، ودعوته لاشاعة الثورة الثقافية وتعميق مجرى الثورة أكثر فأكثر ، يؤكد على نحو قاطع على أن تجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية تمتلك أسباب بقائها ونموها وتقـدمها وتحولها من مرحلة تاريخية الى مرحلة تاريخية أعلى •

عنها الشمس ، والى واحـــدة من أبدع أدوات البناء للعالم الجـــديد الذى لامكان فيه قط لغير الحضارة التى تليق بشرف وكرامة الانسان ؟ !

كيف أمكن لهـــذا الميناء ـــ ميناء عـــدن ـــ الذى أسماه محمد على باشا حاكم مصر بأنه « عين اليمن » التى أخـــذتها بريطانيا باستيلائها عليه عام ١٨٣٩ ، بينما كانت قواته فى طريقها اليه انطلاقا من « المخا » التى كانت قـــد بلغتها فى محاولة لاقامة امبراطورية الضاد ـــ حسب تعبير نجله ابراهيم باشا ـــ كيف أمكن له أن يستعيد نور عينه التى خيل للامبراطورية البريطانية انها قـــد فقأتها ، وأصابت اليمن كلها بعمى أبدى ؟ !

كيف أمكن أن تتحول عـــدن من مجرد واحـــدة من الدرر التى رصع بها التاج البريطانى الى غرة من الغرر السنية فى جبين الثـــورة العالميـــــة ؟ !

هل يعود ذلك الى أن الثورة فيه لم تتم بانقلاب من أعلى ، والى أنها ـــ وان بدت فى الأصل كامتداد لثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ فى شمال الوطن ـــ كانت انقلابا من أسفل ، انفجارا شعبيا من الأعماق ، تحركا جماهيريا أفقيا ورأسيا شمل كل الطبقات والقوى الأساسية والجـــذرية فى المجتمع من فلاحين وعمال ومثقفين وفئات وسطى ؟

هل مرد ذلك الى أن الثورة فيه ـــ فى هذا الجزء من الوطن اليمنى .. كانت واحـــدة من الثورات القليلة فى منطقة التحرر الوطنى العالمية التى اكتسبت طابع حرب شعبية انصهرت وتبلورت فيها قوى البلاد الحية ، وتخلقت فى أتونها حركة وطنية ديمقراطية أصيلة لا تستطيع كل رمال الصحراء أن تطفىء وهجها ، كما لا تستطيع كل قوى التآمر الخارجية أن تكسر شأفتها ؟

هل مرجع ذلك أن هــذه الثورة بحكم طبيعتها « العامية » هــذه تخلصت على الفور من قشرة المجتمع العليا المتكلسة فور التخلص من المحتل الدخيل ، وكشفت بذلك عن المياه الجوفية الفوارة المتدفقة فى قاع المجتمع ، وأطلقت « العفريت الشعبى » من القمقم الذى ظل حبيسا فيه ، وتركته يصفى الحساب مع سجانيه ومهــدرى آدميته ومستبيحى حقــــوقه ؟ !

هل يكمن السبب فى أن هــذه الثــورة بسبب طبيعتها الشعبية القارحة هــذه لم تستطع احتمال ظهور بثور وقروح ودمامل على وجهها وفى جسمها ، فعملت باستمرار على التخلص منها ، حتى ولو اقتضى الأمر اجراء عمليات جراحية سريعة تقوم بها ، وهى ماضية فى دربها ؟

هل عملية التطهير والتطهير الذاتى الدائبة والمستمرة هى سبب احتفاظ الثورة بلياقتها وسمتها وعافيتها ، رغم النزيف الدموى الذى ترتب عليها ، والذى يكاد يكون قياسيا وفائق الحــد بالنسبة لثــورة كمثلهـــا ؟

هل قــدرة الثورة على توليد نواة طليعية من صلبها تمسك بقيادها وترتاد بها طريقا وعرا وشائكا وغير مطروق من قبل فى منطقة كالمنطقة التى تنتمى اليها ، والتى كما يجثم عليها ارث تاريخى ثقيل ما يزال يجثم عليها نفوذ « استبدادى شرقى » واستعمارى غربى ساحق ومزدوج ـــ هل ذلك هــو سر صمود الثورة ومضيها بخطى واثقـــة فى الدرب الصعب والخطر الذى اختارته فيما يشبه التحــدى الذى لا عودة عنه ؟

هل صفاء رؤية الثورة ، ورفضها الحاسم لكل التنظيرات الانتهازية القـــائلة بالمساواة ما بين الشرق والغرب ، ما بين معسكر الاشتراكية

ومعسكر الامبريالية ، ما بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا ، ما بين الصديق والعـدو ، ورفضها من ثم لسياسة « الموازنة والتوازن » بينهما ، واتخاذها موقعها اللائق بها كثورة شعبية فى معسكر قوى الثورة العالمية ، واضطلاعها بمسئوليتها فيه ، واعلانها صراحة أنها فيصل أصيل فى جيش هـذه الثورة الأممية ، وتحويل نفسها الى جزء من هـذا الكل الذى لا يقهر ولا يغلب ، ونقلها عـدن — عاصمة هـذه الثورة — من موضعها الذليل السابق كموطىء من مواطىء القـدم للامبريالية العـالمية الى مكانها العزيز السامق اليوم كموقع متقـدم فى جبهة الثورة التقـدمه العالمية — هل ذلك هـو سر الأسرار فى تمكن اليمن الديمقراطية — خلال عقـدين من الزمن فقط من نيلها للاستقلال الوطنى — من بلوغ المكانة المشرفة التى بلغتها اليوم بين الثررات التحررية الوطنية الديمقراطية المتأججة والسائرة فى طريق التوجه الاشتراكى ؟

ان مجمل ما أوردناه من تساؤلات تتضمن اجاباتها هو الذى يفسر هـذا الخط البيانى الصاعـد الذى تسير فيه اليمن الديمقراطية ، وهو الذى يفسر هـذه الحيوية الفائقة الحـد التى تتمتع بها ثورتها ، وهـذا التطلع نحو آفاق أكثر رحابة واشراقا •

ومجمل ما أوردناه هـو الذى يوضح بجلاء ما بعـده جلاء سر اصرار الثوار اليمنيين على أن تتحقق وحـدة اليمن ضمن هـذا الخط البيانى الصاعد ، وفى سياق هـذا المنحى الثورى المتسامق ، لا ان يدفع بها خارج هـذا الخط ، وبعيدا عن هـذا السياق ، مما يعنى عـدم تحققها على الاطلاق •

يقـول المصـياحون والمتصـايحون ، كما قـد يقـول المحبـون والمشفقون ، ولكن ثورتكم هـذه كلفتكم الكثير ، وأكثر من الكثير • لقـد التهمت نيرانها حتى بعضا من بنيها ، بل وخيرة من بنيها ، ناهيك

أنها التهمت — اخيرا — حتى أولئـــك الذين كانوا من اوائل مشعليها وطلائع قادتها ، فأى ثورة هــذه ، واى ثوار انتم ، وأى نهاية تنتظركم اذا كان هــذا الطريق الدامى هو طريقكم ؟ !

حقا ان الثورة هى هــدم للقــديم المتعفن الفاسد ، وبناء للجديد الناهض والسليم ، وان الانسان هــو أثمن رأسمال لديها ، وأنه هــو هــدف الثورة بقــدر ما أنه هــو وسيلة تحقيقها ؛ وان العنف فى عرف الثورة هــو التحويل السريع والحاسم للواقع المـادى الذى أنبت الشرور الاجتماعية ، واستبداله بواقع مادى يلبى حاجات الناس جميعا ، ويشبع طموحاتهم ، ويتيح لكل فرد منهم التطوير الحر والكامل لنفسه كشرط للتطور الحر والكامل للجميع — حسب صيغة ماركس — •

ولكن السؤال هــو : أية ثورة خلت من الدماء والآلام ، والأخطاء والخطايا ؟ فليست الثورات البرجوازية وحــدها هى التى واجهت هذا الامتحان ، حتى لقــد أكلت الثورة الفرنسية المع زعمائها ، وعلى رأسهم روبسبير ، وانما حتى الثورات الاشتراكية لم تسلم من هــذا الامتحان •

وحتى وطن الاشتراكية الأول ، وحزب لينين العظيم ، لم يفلتا — بعــد رحيل ربان الثورة لينين — من الوقوع فى مثل هــذه المحن •

وفى الذكرى السبعين لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وقف حزب البلاشفة عبر تقرير أمينه العام ميخائيل جورباتشوف أمام عينة من هــذه المحن ، لا باعتبار ذلك فقط وقفة نقــدية أمام المــاضى ، وانما أيضا بغية الاعتبار بها للسير نحــو المستقبل على نحو أكثر رشــدا وأمانا ، وأكثر استقامة وانسانية •

« واذا كنا اليوم ننظر الى تاريخنا ، وبروح انتقادية أحيانا ، فذلك فقط لاننا نريد أن نتصور الطريق الى المستقبل بشكل أفضل وأكمل •

وينبغى تقييم الماضى بشعور من المسئولية التاريخية وعلى أساس الحقيقة التاريخية » حسب تعبير جورباتشوف ، ويضيف :

« وأخيرا ، نحن بحاجة الى تقييمات صادقة لهذه الفترة وكل الفترات الأخرى فى تاريخنا » ونحن نحتاج الى ذلك اليوم على نحو خاص « حيث تجرى عملية التغيير — بيريسترويكا — • نحن بحاجة الى تلك التقييمات ليس لتسوية الحسابات السياسية أو لاثارة مشاعر مؤلمة ، كما يقال ، بل لتقدير كل ما هو بطولى فى الماضى حق قدره واستخلاص العبر من الأخطاء والهفوات » •

واذا كانت ١٥ سنة من وفاة لينين قد شهدت حركة التصنيع الجبارة ، والكلخوزات والسوفخوزات الواسعة والثورة الثقافية الغامرة ، وانتصاب دولة الاتحاد السوفيتى العملاقة ، وترسخ مواقعها على النطاق الدولى ، وابتداع الأشكال الجديدة لادارة الاقتصاد الوطنى وتنظيم المجتمع ، والتأثير على مصائر حركة التحرر والتقدم فى العالم كله ، فانها شهدت أيضا سلبيات وخسائر أضعفت من المثل الاشتراكى ، وبهتت من الديمقراطية الاشتراكية ، والقت الضباب على الجوهر الانسانى للاشتراكية ، وأخلت بمعادلة المركزية الديمقراطية ، حيث أفسحت المجال للمركزية الشديدة ، والبيروقراطية المفرطة ، والنزعة الفردية التحكمية ، وعبادة الذات ، مما عكس نفسه على حياة الحزب والدولة والمجتمع وعلاقات الناس •

« لكى يفهم المرء وضع تلك الأعوام ينبغى له أن يأخذ فى الحسبان أن النظام الادارى — الأوامرى الذى بدأ يتكون ابان عملية التصنيع وتلقى زخما جديدا أثناء اشاعة الكلخوزات قد انعكس على مجمل حياة البلاد الاجتماعية — السياسية • وبعد أن ترسخ هذا النظام فى الاقتصاد أخذ يمتد الى البناء الفوقى أيضا ، فيحد

من انتشار القـدرة الديمقراطية للاشتراكية ، ويعـوق تقـدم الاشتراكية » .

« لقـد زاول كل ذلك تأثيرا وبيـلا على التطور الاجتماعى — السياسى للبلاد ، وأسفر عن عواقب وخيمة .

انه من الواضح تماما أن عـدم وجود المستوى اللازم لاشـاعة الديمقراطية فى المجتمع السوفيتى هـو بالذات الذى جعل أمرا ممكنا عبادة الفرد ، وانتهاك الشرعية ، والتعسف والتنكيل فى الثلاثينات .

وأقول بصراحة أنها جرائم حقيقية ترتكب على أرضيةّ السلطة . لقـد تعرض لأعمال تنكيل جماعية آلاف عـديدة من أعضاء الحزب ويجب علينا أن نتكلم عن ذلك بكل صراحة . فهـذا ما لابد منه لأجل ترسيخ مثال الاشتراكية اللينينى ترسيخا نهائيا ولا رجعة فيه » .

وينبه جورباتشوف الى « أن الفهم النزيه لمنجزاتنا الهـائلة وللمصائب المـاضية على السواء ، وتقييمها السياسى التام والصائب ، سيعطيان مرشدا أدبيا حقيقيا من أجل المستقبل » .

من أجل ذلك فان المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى شكل — كما يقول جورباتشوف — « لجنة لأجل البحث من جميع النواحى فى الوقائع والوثائق الجـديدة » المتعلقة بسلبيات المرحلة المـاضية ، وذلك كله « سوف ينعكس أيضـا فى تدوين تاريخ الحزب الشيوعى السوفيتى ، الذى ستكلف لجنة خاصة تابعة للجنة المركزية باعداده » .

لقـد تعمـدنا ايراد هـذه المقتبسات من تقرير جورباتشوف للاعتبار بها ، ونحن نلقى نظرة على حصيلة عقـدين من الزمن منـذ

الاستقلال بايجابياتها وسلبياتها ، وحتى لا تركبنا عقـدة ذنب تجـاه ما امتحنت به البلاد من الأخطاء والخطايا خلال عملية البناء والتجـديد الثوريين ، وحتى لا يسترسل الذين لا يروق لهم نهج التوجه الاشتراكى من أساسه فى غيهم بتصوير أن الثورة فى اليمن الديمقراطية استثناء بين الثورات من حيث كم ما نزف فيها من دماء ، وحجم ما تعرضت لـه من رزايا ، وقـدر ما اقترف فى حـق صفوف عـديدة من مناضليها وأبنائها البررة من حماقات وآثام .

وليس هنـاك من يسعى الى تبرير السلبيات التى رافقت مجرى الثورة ، كما أنه لا مصلحة لأحـد فى تجسيم ايجابياتها .

لقـد كانت فترة انتقال صعبة ومعقدة ، شأن كل فترات الانتقال فى كل زمان ومكان ، وما كان يمكن توليد مجتمع جـديد من رحم مجتمع قـديم بدون نزيف وآلام ، فذلك لا يحـدث لا فى مملكة الحيوان ولا فى مملكة الانسان ، ناهيك عن مملكة المجتمع التى تنطوى على أشكال من التناقضات الحادة الموضوعية والذاتية التى تؤدى الى الصـدام ، الذى قـد يكتسب أحيانا طابعا دراميا .

وعندما لا يكون مثل هـذا المجتمع قـد عرف تقاليد ديمقراطية أو حتى ليبرالية ، وعندما تتشابك فيه مختلف الأنماط الاقتصـادية ـ الاجتماعية التى عرفهـا التاريخ ، بكل ما تفرزه من أيديولوجيات وعادات متباينة ، وعندما لا يكون قـد بلغ مرحلة تكون الدولة المركزية الواحـدة التى تساعد بطبيعة وجودها على صهر المجتمع فى بوتقـة وطنية واحـدة ، وعلى تشكيل لحمة وطنية واجتماعية على انقـاض الأواصر المحـدودة والمغلقة الاقليمية ، والقروية والقبلية ، والبطريكية والعرقية ، والطائفية ، وعندما يطلب من الثورة والدولة الجـديدة التى

صنعتها معالجة مثل هـذه التركة التاريخية الثقيلة ، واصلاح ما أفسدته قرون من التخلف والركود والأوتوقراطية ، والاستبداد ، والاقطـاع والرجعية ، والاستعمار ، وأن يتم انجاز ذلك كله فى أقصر وأسرع الآجال — عندما يكون الأمر كذلك فانه لا ينبغى توقع أن تسير حركة البناء والتجـديد والتطوير والتحضير بدون معوقات أو عراقيل ، ومن دون مقاومة من قبل قـوى المـاضى ومخلفـاته ورواسبه ومن دون مقاومة قـوى الثورة المضادة فى الداخل والخارج .

ففى فترات الانتقال تصطرع باستمرار آلية وعقلية وتوجهات المـاضى مع آلية وعقلية وتوجهات الحاضر . والمستقبل يظل مرهونا على نتيجة المعركة بينهما .

والراصد لحركة الأحـداث منذ الاستقلال والى اليوم يدرك انه رغم الأزمات الاجتماعية والسياسية والحزبية والنفسية التى مرت بها تجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية ، الا أن ميل ميزان القوى ظـل دائما فى يد قـوى المجتمع الحية ، يد قوى العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين — عسكريين ومدنيين — وغيرهم من الفئات الكادحة ، والساعية الى المضى قـدما نحـو ترسيخ البنية الاقتصادية والاجتماعية ذات الطابع الديمقراطى الثورى والتوجه الاشتراكى وتغليبها على الأنماط السابقة الموروثة عن المجتمع القـديم ، ونحو تسويد نظرية العصر التى لا بديل لهـا ، نظرية الاشتراكية العلمية ، وتمكينها من دحر بقـايا الأيديولوجيات الأخرى المناهضة ، ونحو اقامة أمتن وحـدة اجتماعية ووطنية وحزبية ، وأسس حضارية جـديدة ، ونحـو بناء دولة يمنية مركزية موحـدة وطنية ديمقراطية .

ورغم أن الثورة فى اليمن الديمقراطية تتحقق فى واحـد من أكثر أجزاء الوطن العربى تخلفا ، الا أن النقلة النوعية الاجتماعية والسياسية

والتنظيمية والفكرية فيه لم يصل الى مستواها أى قطر أو نظام عربى قادت الثورة فيه البرجوازية الصغيرة ، ولن يستطيع الوصول اليها الا اذا أصبحت السلطة فيه فى يد قوى أكثر ثورية وجـذرية •

ورغم الكوارث والمحن التى جابهتها هـذه الثورة • والتى كادت تهزها من الأعماق ، وتزعزع المكانة المتميزة التى احتلتها على الصعيد القومى والدولى ، فان الثورة بحيويتها واصالتها ، وعمق انتمائها الى جماهير الكادحين ، وصـدق توجهها الشعبى وصلابتها ايمانها بالمستقبل وكل قوى المستقبل فى العالم تجاوزت هـذه الكوارث والمحن التى كانت أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ الذروة العليا لهـا ، والتى قـدمت مـع ذلك عبرة تاريخية تفيد منها جميع الثورات فى العالم النامى ، مفادها أنه — أيا كانت الخلافات داخل الحزب الطليعى — فانه لا مجال لحلها بغير الديمقراطية الداخلية فى الحزب ، وبغير اشاعة الديمقراطية ، والمزيد من الديمقراطية فى الدولة والمجتمع •

وذلك أيضا هـو الاستخلاص الذى وصل اليه حزب لينين ، وذلك هـو مغزى « التفكير السياسى الجـديد » الذى لا ينطوى على أهمية خاصة بالاتحاد السوفيتى وحـده • وانما يحمل مداولا تاريخيا — علميا ، فوق أنه « يعنى كذلك أخلاقيات جـديدة ، ونفسية جـديدة » — كما قال جورباتشوف فى اللقـاء الذى افتتح فى ٤ نوفمبر ١٩٨٧ لممثلى الأحزاب والحركات التى شاركت فى احتفالات الذكرى السبعين لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى •

ولم تغفل ثورة ١٤ أكتوبر أهمية الوقفات النقـدية مع النفس لقـد فعلت ذلك بعـد حركة ٢٢ يونيو التصحيحية ١٩٦٩ ، وحاولت ذلك بعـد الخلاص من التيار اليسارى الانتهازى فى ٢٦ يونيو ١٩٧٨ وفعلت ذلك — بعـد أحـداث ١٣ يناير الدامية ١٩٨٦ — وهـو ما

تجلى فى « الوثيقة النقدية التحليلية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية (١٩٧٨ — ١٩٨٦) » كما تجلى فى « تقرير اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى الى الكونفرنس الحزبى العام » الذى « قدمه الرفيق على سالم البيض الأمين العام للجنة المركزية » للحزب ، وهما الوثيقتان اللتان أقرهما الكونفرنس خلال فترة انعقاده ما بين ٢٠ — ٢١ يونيو ١٩٨٧ م •

حقا أن هاتين الوثيقتين تمثلان وقفتين على طريق طويل ممتد ستتعدد عليه الوقفات النقدية ، غير أن ما ورد فيهما حول تقييم ايجابيات وسلبيات التجربة الثورية لابد أن يؤخذ بالحسبان باعتباره ضوءا كاشفا لا بالنسبة لماضى التجربة فحسب ، وانما بالنسبة لمستقبلها أيضا •

لم يكن من باب ارضاء النفس ما جاء فى الوثيقة النقدية التحليلية حول الأهمية الخاصة لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية بالنسبة لمجمل الثورات العربية :

« تمثل التجربة الثورية لليمن الديمقراطية نموذجا فريدا فى المنطقة العربية ، وهى جزء لا ينفصم من حركة التحرر الوطنى العربية والعالمية ، فقد انطلقت الثورة الشعبية المسلحة امتدادا لتراث الحركة الوطنية اليمنية ، وتلاحم النضال الوطنى ضد الاستعمار بالنضال الاجتماعى ضد الرأسمال والاقطاع • ومنذ ٢٢ يونيو ١٩٦٩ ، اتخذت اجراءات جذرية لضرب مصالح الشركات الاحتكارية الأجنبية والمحلية •• والاقطاع ، وتثبيت أسس سلطة وطنية ديمقراطية يتطور مضمونها نحو الديمقراطية الشعبية •

ان الالتزام بنظرية الاشتراكية العلمية — أيديولوجية الطبقة

العاملة — والسعى لتطبيقها على الواقــع اليمنى بصورة خلاقه ٠٠ وبناء حزب طليعى للعمال وحفائهم الفلاحين ، والسير بثبات لانجـاز مهام مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية بآفاقها الاشتراكية والتحالف المبدئى مع المنظومة الاشتراكية ، وفى مقــدمتها الاتحاد السوفيتى ، هى أبرز مميزات هــذه التجربة » (ص ٤ — ٥) ٠

أما العوامل الموضوعية والذاتية التى تسببت فيما تعرضت لــه التجربة والحزب من معضلات وانحرافات فتلخصها الوثيقة فى الصيغة العامة التالية التى لا يستطيع أحــد الاعتراض عليها :

« لقــد عانى الحزب فى غضون تلك الفترة من صعوبات ومشاكل كبيرة ، وانحرافات يمينية ويسارية خطيرة ، لم تضر الحزب وتمس وحــدته الكفاحية فحسب ، بل كادت أن تقضى عليه وتجهض التوجه الاشتراكى برمته ٠

أن مصادر المصاعب والانحرافات الانتهازية التى واجهها الحزب تعود الى عــدد من الأسباب الموضوعية والذاتية المتعلقة بنشأة الحزب وتطوره من جانب ، وبطبيعة التركيب الاقتصادى والاجتماعى للمجتمع والصراعات الطبيعية المحتملة فيه من جانب آخر ومؤامرات وتخريب القوى الامبريالية والرجعية ٠

وتتمثل الأسباب الموضوعية فى تدنى نسبة الطبقة العاملة فى اطار الحزب والمجتمع ، وشيوع فئات البرجوازية الصغيرة وتأثيرها على الحزب ، وضغط فئات الرأسمال المحلى والاجنبى وقوى الثورة المضادة الداخلية والخارجية ، والاشكالات والمصاعب الموضوعية لعملية التطور الاقتصادى والاجتماعى فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وبقاء النزعات المناطقية كنتيجة لعــدم نضج واكتمال الأساس الاقتصــادى والاجتماعى للوحــدة الوطنية ٠

وتكمن الأسباب الذاتية فى صعوبات الانتقال من مواقع الديمقراطية الثورية الى مواقع الاشتراكية العلمية ، وعدم قدرة واستعداد بعض الأعضاء فى القيادة وفى الحزب بصورة عامة على استيعاب ودراسة الفكر الجديد والاهتداء به ، وضغط تأثيرات الأيديولوجيات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة وبقايا الأفكار التقليدية ، والتساهل تجاه الاتجاهات المغايرة لخط الحزب ، وخرق مبادىء المركزية الديمقراطية والقيادة الجماعية والنقد والنقد الذاتى ، الى جانب الميول التكتلية وعدم مراعاة المعايير المبدئية فى اختيار وانتخاب الكوادر والقيادات الحزبية والاستعاضة عنها باعتماد أسلوب التوازنات ومراكز القوى والولاءات الشخصية ، وضعف أشكال المراقبة الحزبية والجماهيرية والنقد والمحاسبة ، والتساهل تجاه عناصر التيارات الانتهازية » (ص ٣٩) •

ان التغلب على العوامل الموضوعية والذاتية الآنفة الذكر يعنى حدوث انعطافة نوعية حاسمة فى حياة الثورة والحزب والدولة والمجتمع ، بل وفى حياة الوطن اليمنى كله ، مما يسهل عملية النضال من أجل تحقيق مجمل أهداف قوى البلاد الحية والتقدمية فى التحرر الوطنى الكامل ، والتقدم الاجتماعى الشامل ، والديمقراطية السياسية الغامرة ، والوحدة اليمنية التامة ، والاشتراكية المنشودة •

ولذلك فان « تقرير اللجنة المركزية » الذى القاه الأمين العام الرفيق على سالم البيض أمام الكونفرنس الحزبى العام يشير الى أن بلوغ الثورة أهدافها هذه يتطلب التعجيل بعملية التغلب على هذه العوامل الموضوعية والذاتية التى عطلت انطلاق قوى الثورة بكامل امكانياتها المكتنزة فى أعماقها ، كما يتطلب التقيد الصارم بالأسس الفكرية والمبادىء التنظيمية التى لا يستطيع أى حزب طليعى المضى الى الأمام بدون مراعاتها الدقيقة والصارمة ، وذلك أيضا ما علمتنا اياه تجربة الثورة والحزب خلال الفترة الماضية •

« وفى هـذا السياق أكدت التجرتة على ضرورة وجـود الأعمال الملموسة الصادقة والتعـامل المبدئى الصارم مـع هـذه المبادىء لأنهـا تشـكل ضـمانة للحـزب من أى انحرافات يسارية كانت أم يمينية ، وفى هـذه الأعمال الملموسة ينبغى الربط المحكم بين الديمقراطيه التى تعنى اطلاق مبادرة الأعضاء ، وحقهم فى النقاش الديمقراطى ، الى اتخاذ القرار بالأغلبية ، وانتخاب هيئات الحزب ، وبين المركزية والانضباط الحزبى الواعى والصارم والنظام التداخلى ، والقيـادة المنتخبة ، والقرارات المتخـذة بالأغلبية •

وبالعودة الى تجربة حزبنا فأننا نشعر أننا بحاجـة الى تصحيح فهم وممارسة أعضاء ومرشحى الحزب للديمقراطيه ، ليدرك الجميع انها مسئولية كبيرة ، وأن لهـا حـدودا : هى وثائق الحزب وقرارات هيئاته ، وهى لا تكتمل الا بالانضباط الحزبى الحـديدى بوثائق الحزب وارادته الجمـاعية ، وفى نفس الوقت يجب أن تقف بحـزم أمام اى ظـواهر لمصادرة الديمقراطية من خلال فرض الراى والتعصب واصـدار الأحكام المسبقة وردود الأفعال ، واضطهاد الاعضاء المرشحين ، ومصادرة حقوقهم فى طرح آرائهم وملاحظاتهم وعـدم احترامهم والاستخفاف بها •

ويعتبر مبدأ النقـد والنقـد الذاتى سلاحا بيد الحزب وأعضائه للحفاظ على نقاوة الحزب وتطويره بصورة مستمرة • ولذا ينبغى أن نعزز ممارسته ، ولا نسمح بردود الأفعال الضيقة ، والتحسس تجـاه النقـد والنقـد الذاتى الجزبى والمبدئى البناء ، أو ممارسة هـذا المبدأ الحزبى الهام فى المسائل الهامشية والشكلية واستخدامه بصورة تعكس الاحقاد وتصفية الحسابات » (ص ٧) •

ان ديالكتيك حركة الثورة فى اليمن الديمقراطية يبين بجلاء قاطع انها — رغم الهزات والاختناقات والأزمات والكوارث — تسير باستمرار

الى الأمام ، وانها فى صعوبة دائب ، وانها تنتقل دائما من الأدنى الى الأعلى •

وذلك هو مقياس المقاييس فى تقييم مدى اصالة وجذرية وعمق الثورات ، وليس ما تتعرض له عبر حركتها المتقدمة المتنامية هذه من التأزمات ومن المحن والكوارث •

وكما أوضح لينين — بالاستناد الى ماركس وانجلز : — « لقد كان ماركس وانجلس يريان فى ديالكتيك هيغل أوسع مذهب من مذاهب التطور وأوفرها مضمونا ، وأشدها عمقا ، وأثمن اكتساب حققته الفلسفة الكلاسيكية الألمانية • وكانت كل صيغة أخرى لمبدأ التطور تتراءى لهما وحيدة الجانب ، فقيرة المضمون ، تشوه وتفسد السير الواقعى للتطور (الذى يتميز أحيانا بقفزات وكوارث وثورات) فى الطبيعة والمجتمع » • (لينين مصادر الماركسية الثلاثة وأقسامها المكونة الثلاثة ، دار التقدم ص ٢٥) •

بل انه قد تحدث ردة للثورات قد تتلوها حركة تصحيح لمسارها • ومما تتميز به ثورة ١٤ أكتوبر فى اليمن الديمقراطية أنها لم تنتكس قط ، وانها ظلت قادرة على معالجة وتجاوز عثرات الطريق وعلى القفز خطوات أبعد الى الأمام •

هناك من يحلو له أن يشنع على هذه الثورة ويتهمها بمحاولة حرق المراحل ، ويرى فى ذلك السبب العميق لكل ما واجهها من محن اجتماعية وسياسية •

والواقع أنه ليس هناك حرق مراحل فى سيرة هذه الثورة ، وانما هناك ايمان عميق وأصيل بامكانية تجاوز مرحلة الرأسمالية ،

والسير فى طريق التوجه الاشتراكى صوب أفق الاشتراكية الوضاء ، وهى مقولة لينينية أثبتت صحتها العديد من الثورات التى مرت وتمر بظروف مشابهة لظروف اليمن الديمقراطية .

حقا أن تركة التخلف الثقيلة — اضافة الى الظروف المعاكسة المحيطة باليمن الديمقراطية — تلعب دورا لا يستهان به فى عرقلة سير هذه الثورة . غير أن ما يستحق التنويه أنه رغم ذلك كله أمكن لهذه الثورة أن تعيش وان تنمو وان تسير فى خط صاعد باستمرار .

وبقدر ما تتمكن هذه الثورة من حل تناقضاتها الطبيعية ، ومن ترصين وحدة أداتها القيادية الطليعية ، ومن تعزيز وحدة البلاد الوطنية والمجتمعية ، ومن تمتين وحدة الحزب والشعب ، ومن تعميق الايمان بسلامة نهج التوجه الاشتراكى وسط الجماهير العريضة . ومن السيطرة على النظرية وحسن تطبيقها من قبل الحزب ، ومن معالجة المعضلات الداخلية والخارجية بمقدرة ومرونة ، ومن ترسيخ العلاقات الاممية مع أحزاب الطبقة العاملة والثورية فى العالم كله ، وفى مقدمتها حزب لينين العظيم ، بقدر ما تتمكن الثورة من ذلك كله ، بقدر ما تتوفر شروط موضوعية وذاتية داخلية وخارجية ، أكثر مواتاة لمضيها فى الدرب الذى اختارته ، درب التحرر الوطنى ، والتقدم الاجتماعى ، والديمقراطية الشعبية ، والوحدة اليمنية الديمقراطية .

الخـــاص والعـــام ...
فى عمليـــة التجـديد الديمقراطى ...
التراث الثقـافى ـ السياسى ...
فى الوطـن اليمنى ..

عند تقييم تراث أى وطن من الأوطان لا محيص من التشاور مع لينين الذى يقف جميع الشرفاء والاخيار فى العالم وقفة اجلال واكبار وتقدير وامتنان أمام ما خلفه فى هـذا المضمار ، فهـذا المفكر العبقرى الفـذ ، وهـذا المعلم الانسانى العظيم ، قـد ترك لنا كنزا نظريا لاحد لخصوبته وتنوعه ، وشموليته ، وعمقـه ، وقـدرته على الاستمرار والتجـدد ، وعلى الاحتفاظ بشعلته العلمية المضيئة وهاجة متلالئة أبدا .

وأى باحث فى علوم الفلسفة والاجتماع والاقتصاد ، والتاريخ ، وغيرها من العلوم سيجد أمامه دائما هـذا المعين الذى لا ينضـب ولا يغيض .

وفى كل قضية من قضايا الناس الحية ـ للينين فيها رأى ، ورأى عميـق مدروس .

ان من هـذه القضايا التى حسمها لينين بالرأى السديد القاطع : قضية العمومية ، والخصوصية فى التراث ، أى تراث ، والايجـابى ، والسلبى فيه ، وما يمكن أخـذه أو نبـذه منه .

ففى الوقت الذى يضع فيه حـدا فاصلا بين الثقافة البرجوازية المعبرة عن أيديولوجية الطبقة الرأسمالية ، وبين الثقافة البروليتارية المعبرة عن أيديولوجية الطبقة العاملة ، ويشجب فيه القول بوجود ثقافة قومية لا طبقية . واعتبار « الثقافة الاممية ثقافة لا قومية » ، فأنه انطلاقا من المفهوم المـادى التاريخى الديالكتيكى ذاته ومن واقع أن تاريخ البشرية هـو تاريخ الصراع الطبقى ، الذى يولد أيديولوجيات وثقـافات متصارعة ، يؤكد « ان كل ثقافة قومية تحتوى عناصر ، وان غير متطورة ، من ثقافة ديموقراطية واشتراكية ، لأنه يوجـد فى كل أمة جمهور كادح مستثمر ، تولد ظروفه الحياتية بالضرورة أفكارا ديموقراطية واشتراكية . ولكنه توجـد أيضا فى كل أمة ثقافةبرجوازية (غالبا ما تكون أكليريكية ومغرقة فى الرجعية) لا تبدو بشكل « عناصر » وحسب ، بل بشـكل ثقافة سائدة . ولذا فان « ثقافة القومية » بوجه عام ، هى ثقافة الملاكين العقاريين ، ورجال الدين ، والبرجوازية . وتأسيسا على ذلك « فاننا اذ نضع شعار « الثقافة الاممية ، ثقافة النزعـــة الديموقراطية والحركة العمالية العالمية » انما نستخلص من كل ثقافة قومية مجـرد عناصرها الديمقراطية والاشتراكية ، ونستخلصها بوجـه الحصر واطـلاقا ، لمعارضة الثقافة البرجوازية ، لمعارضة التعصب القومى البرجوازى فى كل أمة من الأمم » . (لينين ، فى الثقافة والثورة الثقافية ، موسـكو (الترجمة العربية) ص ١٦ — ١٧) .

كان لينين بمثل هـذا الطرح الجـدلى لقضية التراث يجادل أولئك الذين تملكتهم الطفولة اليسارية ، من ذوى النظرة الطبقية المحـدودة والقاصرة ، ومن ثم الجاهلة ، الذين كانت تنقصهم المعرفـة الموسوعية الشاملة التى تميز بها لينين ، وتميز بها من قبـله مؤسسا الاشتراكيه العلمية :ماركس ، وانجلز ؛ وكان بذلك ينكر نظرتهم العـدمية الى التراث ، والى كل الثقافات السابقة ، وينبههم الى أن مثل هـذا الموقف المتعنت والمقفل ازاء كل ما أنجز من فكر من قبل ، والرافض رفضا تاما

له ، هـو موقف لا علاقة له البتة بالثورة الثقافية ، ولا يفيد الثقافة البروليتارية قط ، كما أنه موقف غير جـدلى ، ومن ثم غير علمى ، من حيث أنه لم ير من الثقافات السابقة الا ما كان سائدا منها ، ثقافة الطبقات المستغلة المسيطرة ، ولم يمتد بصره ليرى ما خلف الأكمة ، ليرى ثقافة الطبقات الشعبية المسحوقة ، التى لا محيص من التفتيش عنهـا تحت أتربة وركام الثقافات الارستقراطية المتحكمة ، والتى كثيرا ما شوهتها هـذه الثقافات ، أو اخضعتها لهـا •

أما قال ماركس وانجلز — قبل لينين — فهو : « ان أفكار الطبقة الحاكمة هى ، فى كل عصر من العصور ، الأفكار السائدة ، والطبقـة التى تتصرف بوسائل الانتاج المـادى ، تتصرف فى الوقت نفسه ، وبالتالى ، بوسـائل الانتاج الفكرى ، حتى أنه تخضع لهـا فى الوقت نفسه ، وبصورة وسطية ، أفكار أولئك الذين هم محرومون من وسائل التعبير الفكرى • ان الأفكار السائدة ليست الا التعبير الفكرى عـن الشروط المـادية السائدة » (ف• كونستانتينوف • دور الأفكار التقدمية فى تطوير المجتمع • (الترجمة العربية) دمشق ١٩٧٤ ، ص ٦٢ — ٦٣) •

ولتبيان مدى خطـأ النظرة العـدمية الى التراث أوضح لينين فى مقاله الشهير الذى كتبه فى مارس ١٩١٣ بعنوان (مصادر المـاركسية الثلاثة والأقسام المكونة لهـا) أنه حتى المـاركسية نفسها ، انمـا هى تتمة وتتويج « لنظريات الممثلين الأكثر أصالة للفلسفة ، والاقتصاد السياسى ، والاشتراكية » • وان « نظرية ماركس » انما « هى الوريث الشرعى لأفضل ما انجبته البشرية فى القرن التاسع عشر : الفلسـفة الألمـانية ، الاقتصاد السياسى الانكليزى ، والاشتراكية الفرنسية » •

ومن أجل الاجهاز على مفهوم « الثقافة البروليتارية » الخالصة ، والخالية من شوائب الثقافات الأخرى ، والنقية ، والتى ينبغى البدء

فيها من نقطة الصفر ، من أجل الاجهاز على هـذا المفهوم الخيالى المثالى البرجوازى الصغير الذى كان يروج له قادة ما اسمى « حركة الثقافة البروليتارية » التى تأسست فى الاتحاد السوفيتى عام ١٩١٧ بقيادة بوجدانوف ، فان لينين صاغ فى ٨ أكتوبر ١٩٢٠ مشروع قرار بمناسبة انعقاد مؤتمر « بروليتكولت » ــ منظمة الثقافة البروليتارية هـذه ــ جاء فيه من جملة ما جاء فيه « لقـد اكتسبت الماركسية أهميتها التاريخية العالمية بوصفها أيديولوجية البروليتاريا الثورية ، لأن الماركسية لم تطرح جانبا على الاطلاق أثمن مكتسبات العهـد البرجوازى ، بل بالعكس ، استوعبت وأعادت صياغة كل ما كان ذا قيمة فى تطور الفكر البشرى ، والثقافة البشرية خلال أكثر من ألفى سـنة وان العمل اللاحق على هـذا الأساس ، وفى هـذا الاتجاه بالذات ، العمل الذى يستوحى التجربة العملية لديكتاتورية البروليتاريا بوصفها نضال البروليتاريا الأخير ضـد كل استثمار ، هـو وحـده الذى يمكن اعتباره تطويرا للثقافة البروليتارية فعلا » .

كما جاء فيه : « ان مؤتمره « بروليتكولت » لعامة روسيا يتمسك بثبات بوجهة النظر المبدئية هـذه ، ويرفض بأحزم وجه جميع المحاولات الرامية الى تلفيق ثقافة متميزة .. » .

كما جاء فى « مسودة قرار عن الثقافة البروليتارية » الذى صاغه لينين فى اليوم التالى باسم المؤتمر والذى رفض فيه كل محاولة لاستنباط ثقـافة خاصة من العـدم للبروليتاريا جاء فيه : « لا اختلاق ثقـافة بروليتارية جـديدة ، بل تطوير خيرة نماذج وتقاليد ونتائج الثقـافة الموجودة من وجهة نظر الماركسية عن العالم وظروف حياة ونضـال البروليتاريا فى عهد ديكتاتوريتها » . (لينين ، فى الثقافة والثـورة الثقافية . ص ٤٦ ــ ٤٩) .

وفى حـديثه الى الشباب الشيوعيين الـذى أجراه عام ١٩٢٠ أيضا ، وأكد فيه أنه ما كان ممكنا أن يحـدد ماركس الأسس النظرية للثورة الثقافية ، لو لم يكن مستوعبا « كل ما انتجه العلم القـديم » ولو لم يقرأه « بفـكر نقـدى » قال موضـحا علاقة التراث بالثقـافة البروليتارية : « يجب أن نفكر ، عندما نتكلم عن الثقافة البروليتارية بكل هـذا • لم يكن بوسعنا أن نحل هـذه المسألة ، لو لم نكن مستوعبين تماما للثقافة التى انتجتها الانسانية عبر العصور ، ولدور هذه الثقافة الأساسى فى مساعدتنا على خلق الثقافة البروليتارية • لا تنبثق الثقافة البروليتارية من مكان مجهول •

وهى ليست اختراع أشخاص أخصائيين فى الموضوع • هـكذا قول ، هـو حماقة ليس الا • يجب على الثقافة البروليتارية أن تكون التطوير المنطقى لمجموع المعارف التى راكمتها الانسانية تحت نير المجتمع الرأسمالى ، والملاكين العقاريين ، والبيروقراطيين • أن كل هـذه الطرق والمسالك قـد قادت وستقود الى الثقافة البروليتارية ، تماما ، كما أن الاقتصـاد السياسى الذى أعـاد ماركس التفكير فيه ، قـد بين لنـا مصير المجتمع الانسانى ، وعين لنـا الانتقال الى الصراع الطبقى ، فى بداية الثورة البروليتارية » •

وينبه لينين الشـباب الشيوعى الى أنه لا يستطيع أن يجـدد عالمه ، ويعيد صياغته بمجرد « الاكتفاء بالاستنتاجات الشيوعية ، وتعلم الشعارات الشيوعية فحسب • ليست هـذه هى الطريقة لبناء الشيوعية • ولا يمكن للمرء أن يكون شيوعيا ، الا اذا أغنى ذاكرته بكل المعارف التى خلفتها البشرية » • (جاك ميلو ، ميشيل سيمون ، غى بس • لينين ، الفلسفة والثقافة ، بيروت ، (الترجمة العربية) ١٩٧١ • ص ١٤٦ — ١٤٨) •

فى ضوء هـذه القانونية التاريخية العامة المتعلقة بالتراث عموما ، والتى بسطتها أمامنا بوضوح كامل المـاركسية — اللينينية ، كما يتضح ذلك من النصوص السابقة — ترى أى نوع من التراث ينبغى علينـا التنقيب عنه واستحضاره ، ووضعه فى مكانه من عمليـة التجـديد الديمقراطى لحياة شعبنا ووطننا اليمنى ؟

اذا أخـذنا مفهوم التراث بشقيه : المـادى ، والفكرى ، فأن بامكاننا أن ننظر باعتزاز كبير الى ما صنعته أيدى الجماهير اليمنيـه الحاذقة من منشآت تكنيكية . ومآثر حضارية عالية التطـور بمقياس زمانها ، والتى تأتى السدود ، وعلى رأسها سد مأرب ،أحـد عجائب هذا العصر ، فى الصـدارة منها .

حقا أن المجتمع اليمنى فى هـذا التاريخ القـديم كان مجتمعـا شبه عبودى ، فان الذين كانوا يهيمنون على هـذه المنجزات ، ويتمتعون بثمارها ، ويتخـذون منها أدوات قـوة لمواقعهم الطبقية الحاكمـة والمتحكمة ، هم السادة من الأقيال ، والأقيان ، والأذواء ، والكبراء ، وفى مقـدمتهم الملوك التبابعة .

غير أن هـذه الحقيقـة التاريخية لا تنفى أن الأيدى المـاهرة الحاذقة العاملة التى حملت العبء الأساسى فى صنع هـذه الحضارة اليمنية المبكرة ، بكل انجازاتها المتنوعة هى أيدى الشعب ، أيدى القوى العاملة والمنتجة فيه وليست أيدى السادة القابعين على عروشهم ، ولا أيدى رجالات « المزود » — مجالس الشورى — التى لم تكن تضم سوى علية القوم من رؤساء القبائل ، وأصحاب الأراضى ، والكهنة ، وغيرهم من السادة النبلاء .

واذا تركنا جانبا الدور الذى نهضت به اليمن فى انجاح الدعوة

والحركة الاسلامية التى انطوت على بعـد قومى فى مواجهة التسلط البيزنطى والفارسى ، وبعـد اجتماعى فى مواجهة الاستغلال التجارى لبعض البيوت الكبيرة القرشية فى مكة ، ودورها فى اقامة الامبراطورية العربية الاسلامية ، هـذا الدور الذى امتزج فيه الشعور بالغبطـة والبهجة لنهوض اليمنيين بقسط وافر فى اعلاء الراية الاسلامية ، وفى الانتصار للدعـوة المحمدية ، بالشعور بالغبن والاحباط ، لان الذين أسهموا بهـذا النصيب الضخم ، لم يحصلوا على المكانة السياسية الملائمة واللائقة فى ظـل الخلافة الاسلامية ، أقول اذا تركنا هـذا الدور جانبا ، فاننا سنجد أن اليمنيين شـاركوا فى كل الحركات السياسية المعارضة التى قامت فى وجه الخلفاء وخاصة منذ الخليفة الرابع عثمان بن عفان ، الى آخر خليفة أموى ، ومن أول خليفة عباسى أسهموا فى مبدأ الأمر فى اقامة حكمه ، الى أقوى خليفة عباسى عرفه العصر الذهبى العباسى ، وهـو المـأمون ، كما شاركوا فى قيادة المعارضة الشيعية ، سـواء ضـد الخلافة الأموية ، أو العباسية ، وسـواء فى شتى أصقاع العالم العربى — الاسلامى ، أو فى اليمن ذاتها .

وكما كانت اليمن مكتبة للفكر المعتزلى العقلانى — بعـد أن طاردته الخلافة العباسية ، بعـد عصر المـأمون — فأنها كانت منطلقا لواحدة من أكثر الحركات الاجتماعية ديمقراطية فى التاريخ الاسلامى كله ، الا وهى الحركة القرمطية التى تمكنت حتى من تأسيس دولة لهـا فيها دامت حوالى عقـدين من الزمن ، قبل أن تأتى عليها سيوف قـوى الاقطاع التى أحاطت بها من كل مكان فى اليمن .

وإربما كانت المآثر التاريخية التى حققها الشعب اليمنى فى مواجهة حملات الاضطهاد القومى التى قادتها الخلافة الاقطاعية العثمانية — التى حلت محل الخلافة العباسية — منذ مطلع القرن السادس عشر والى

القرن العشرين ضـد اليمن والعرب جميعا — ربما كانت هـذه المآثر التاريخية ليس مبعث فخر اليمن واليمنيين فحسب ، وانما أيضا مبعث فخر جميع العرب .

حقا لم تخلف اليمن — على المستوى الفكرى — مآثر باقية بذات الحجم ، حيث ظلت فى هـذا الميدان متخلفة عن مراكز دولة الخلافة ، وحيث أفقـدتها الفتن الداخلية بين أئمتها وامرائها ، وصراعاتهم اللاهبة على السلطة ، والحروب الخارجية التى شنت عليها : افقدتها الاستقرار ، وحرمت مفكريها من الفرص اللازمة للاسهام بالقسط المطلوب فى ميدان الابداع الفكرى ، والثقافى .

وكانعكاس للبنية الاقتصادية — الاجتماعية ذات الطابع شـبه الاقطاعى شبه القبلى ، فأن الثقافة التى كانت سائدة خلال هـذه الحقبة التاريخية الطويلة التى امتدت منذ صـدر الاسلام الى القرن العشرين كانت ثقافة القوى الاقطاعية القبلية ، بكل نزاعاتها واحنهـا ، وكل افرازاتها المذهبية ، وكل أشكالها الطائفية ، والعرقية ، التى كانت تعبر — فى الواقع ، وان فى تلاوين محرفة — عن صراعاتها على السـلطة السياسـية .

واذا كان من حق المؤرخين أن يحققوا ويمحصوا أحـداث هـذه الحقبة التاريخية المـديدة ، بكل انعكاساتها ، وافرازاتها ، فأنه لا يهم الباحث فى التراث والباحث عمـا يفيد منـه حركة النهـوض الوطنى والاجتماعى اليمنية الحـديثة ، سوى تلك الجوانب الايجابية والمضيئة المعبرة — على المستوى الفكرى — عن العقـلانية ، والمعبرة — على المستوى الاجتماعى — عن التطلع الى العـدالة .

وبتصفح التراث اليمنى خلال هـذه الحقبة سيعثر الباحث على صفحات كثيرة تعكس النزعة العقلانية ، وروح التطلع الى العـدالة .

ولأننا لسنا هنا فى مضمار تتبع هـذه الصفحات ، فاننا نكتفى بايراد مثل واحـد فقط ، يعبر عن الرفض لشريعة الجـور الاجتماعى التى كان يطبقها الأئمة على الشعب ، ويستنزفون بها خيراته .

يقول محمد بن اسماعيل الأمير — احـد علماء الدين — والذى عاش ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، فى هـذا الصـدد :

انى ومن بيت الامـام عصابة   فى العـد قـد زادوا على الآلاف
مسترزقون من الرعـايا ليتهم   قنعوا بأكل فرائض الأصـناف
بل يأخـذون من الرعـايا كل ما   يحـوونه كرهاً بـلا استنكاف

[ابن الأمير وعصره . مجموعة مؤلفين يمنيين . ص ١٥] .

وفى مضمار دفاعه عن وطنه الذى كان قد بدأ الوهابيون النجديون بقيادة السلطان عبد العزيز بن محمد بن سعود فى انتهاكه ، ورفضـه لدعوة محمد بن عبد الوهاب الدينية المتطرفة ، التى تبنتها أسرة آل سعود ، وأخـذت تتوسع تحت ستارها ، فى مضمار ذلك يقول :

وقد جاء من تأليفـــه برسائل   يكفر أهل الأرض فيها على عمـد
ولفق فى تكفيرهم كل حجـــة   تراها كبيت العنكبوت لدى النقد

[محمد يحيى الحـداد . تاريخ اليمن السياسى . القـاهرة . ١٩٧٦ . ص ٣٤٠] .

وباستثناء ما يمكن العثور عليه من أفكار اصلاحية عامة فى الأطار الاسلامى فى « مجلة الحكمة اليمانية » التى أصدرتها مجموعة من المثقفين الدينيين بتشجيع من نجل الامام يحيى حيمد الدين ، السيف عبد الله ؛ ما بين ديسمبر ١٩٣٨ — فبراير ١٩٤١ ومن أفكار اصلاحية فى هـذا

الاطار ، وفى اطار ليبرالى غربى لدى حركة المعارضة التى قامت ضـــد حكم الامام يحيى ونجله الامام احمد ، والتى اشتهرت باسم حركة الأحرار اليمنيين ، واستمرت قائمه منذ نهاية الحرب العالمية الثانيه الى حين قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ التى قادتها مجموعة من اضباط ، بدعم من البورجوازيه الوسطى التجارية ، وتأييـــد كامل من مصر الناصرية ، أقول باستثناء ذلك كله ، فأننا لا نعثر لا فى مجلة « الحكمة » ولا فى كتابات حركة الأحرار على تراث ذى طابع وطنى ديمقراطى ، يمكن الافادة منه فى مجال اعادة صياغة الثقافة اليمنية الحـــديثة •

ان السبب فى ذلك يعود الى أن هـــذا التيار التقليدى لم يتطور ليصبح حركة وطنية مناهضة للاستعمار البريطانى فى جنوب البلاد ، ولسياسة التوسع السعودى فى شمالها ، ولم ينم ليصبح حركة تجديديه تستهدف الاطاحة بالنظام الاقطاعى — القبلى — الكهنوتى من أساسه ، وظل عند حـــدوده المتواضعة ، حـــدود ادخال اصلاحات وتحسينات على النظام القائم ذاته ، بما يسمح للطبقة الاقطاعية بمجملها ، وللفئة الكومبرادورية الناشئة ، من الاسهام فى ادارة دفة الحكم •

وعندما رفعت حركة الأحرار شعار الجمهورية منذ عام ١٩٥٦ ، بشكل خجول ومتردد ومتقطع ، فأنهـــا لم تقصـــد بها الجمهورية البرجوازية الديمقراطية ، ولذلك فأنها رشحت لرئاستها عـــام ١٩٥٩ شيخا اقطاعيا كبيرا ، هـــو الشيخ حسين بن ناصر الأحمر ، على أن ينوب عنه فى ادارتها — فى حالة قيامها — أحـــد رجالات الكهنـــوت المعبرين — بطبيعة تفكيرهم — عن مصالح وأيديولوجية القـــــوى الاقطاعيـــــة •

وكما لم يترك الاقطاع اليمنى — بشقيه الحاكم والمعارض — سوى

ثقافة صفراء متخلفة . فأن البرجوازية اليمنية ، التى كانت طفيلية أساسا من حيث أنها لم تكن منتجة ، لم تخلف سوى العقم والأجداب ، ولم تدع لغير تبنى الثقافة الاستعمارية ، تعبيرا عن خوائها وذيليتها .

ان جميع الأحزاب البرجوازية ، ابتداء من الجمعية العدنية ، وما تفرع منها من أحزاب ، مرورا برابطة أبناء الجنوب العربى ، وحزب الشعب الاشتراكى ، وانتهاء بحزب الأحرار اليمنيين الذى مثل — شأن الرابطة — مصالح الاقطاع والبرجوازية معا — هى التعبير السياسى والفكرى البائس عن هـذا الواقع المجـدب العقيم .

فقط مع نمو الطبقة العاملة اليمنية ، وظهورها على المسرح السياسى منذ منتصف الخمسينيات ، وبروز الأحزاب والتجمعات الوطنية التى عبرت فى أغلب الأمر عن فئات البرجوازية الصغيرة ، والشرائح الدنيا من البرجوازية الوسطى ، أخـذت تبرز شعارات وتطرح أفكار ذات طابع وطنى ديمقراطى ، وان تفاوت حظها من حيث الوضوح والعمق والشـمول .

ان أبرز هـذه الأحزاب والتجمعات التى أخـذت فى الظهور منذ نهاية الخمسينيات حركة القوميين العرب ، التيار الناصرى ، حزب البعث ، الذى كان يصطرع فيه تياران : يمينى يراهن على الجماعات الاصلاحية الانتهازية البرجوازية فى جنوب الوطن ، وعلى الجناح الاقطاعى — الاصلاحى — الانتهازى فى شماله ، ويسارى يطمح الى التعاون مع أطراف الحركة الوطنية اليمنية .

على أن التجمع الماركسى الذى أخـذ يتكون منـذ منتصف الخمسينيات ، والذى غـدا تنظيما علنيا منذ عام ١٩٦١ ، وان لم يعتبر نفسه حزبا شيوعيا ، وانما تجمعا وطنيا ديمقراطيا ، ومن هنا تسمية

نفسه بـ « الاتحاد الشعبى الديمقراطى » قد طرح أكثر الشعارات السياسية وضوحا ، وقدم أكثر الأفكار الوطنية والاجتماعية ، والديمقراطية ، والتقدمية ، تبلورا .

•

ان المحصلة الثقافية للنشاط السياسى والفكرى ، والأدبى ، والصحفى ، لهذا التجمع منذ منتصف الخمسينيات ، وان « الميثاق الوطنى » الذى جاء تتويجا لهذا النشاط ، تضع هذه الطليعة الماركسية المبكرة بقيادة عبد الله باذيب — ودون منازع — فى مكان الصدارة من التراث الثقافى الوطنى .

ان مجمل التراث السياسى والفكرى الذى خلفته لنا أطراف الحركة الوطنية اليمنية ومجمل النضالات التى خاضتها قد مهدت لقيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، ولانفجار وليدها الحى ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ .

على أن هذا التراث الثقافى الثوري ما كان بامكانه أن يتحول الى مستوى أن يكون ثورة ثقافية ، ذلك أن مثل هذه الثورة لا تتحقق قبل قيام الثورة السياسية والاجتماعية التى تغير البنيان التحتى للمجتمع ، وتعيد صياغة العلاقات الانتاجية والاجتماعيه فيه .

ولكن هذه الثورة الوطنية الاجتماعية لم تشمل الوطن كله ، ومن ثم فان الثورة الثقافية قد تعثرت فيه .

فالثورة العسكرية والسياسية التى قامت فى شمال الوطن لم تستطع — نتيجة سيادة الفكر الاصلاحى ، ونقص الفكر الثورى ، ونتيجة قوة وخشونة الوضع الاقطاعى — القبلى ، وضعف وعجز البرجوازية الوسطى والصغيرة ، المدنية والعسكرية — لم تستطع أن تنمو وتتحول الى ثورة اجتماعية تخلع الطبقة الاقطاعية من جذورها ،

ودخلت ــ بدلا من ذلك ــ فى مصالحات ومساومات معها ، انتهت الى اجهاض الثورة العسكرية والسياسية ذاتها ، والى استيلاء الاقطاع والكومبرادور على السلطة فى ٥ نوفمبر ١٩٦٧ ، وفتح شمال الوطن للنفوذ الرجعى والاستعمارى ، وفى مقدمته النفوذ الرجعى السعودى ، والامبريالى الأمريكى .

ان هذه الردة التى ما يزال يعيشها شمال الوطن الى اليوم لم تسمح حتى بشيوع تلك الثقافة الثورية التى كانت أطراف الحركة الوطنية اليمنية قد بدأت فى بثها قبل قيام ثورة سبتمبر .

وبدلا من هذه الثقافة الثورية ، وبدلا من تنميتها وتعميقها ، ظهرت الى العلن من جديد الثقافة الاقطاعية المتخلفة والمفظة ، بكل افرازاتها المريضة والموبؤة ، كما ظهرت من جديد الثقافة الأوتوقراطية ، التى تقوم على تقديس وتمجيد الفرد ، وبالذات الفرد الحاكم ، وعلى التطبيل والتزمير له ، وعلى النفاق الذى لا حد له فى نفس الوقت الذى أخذت تشيع فيه الثقافة الليبرالية البرجوازية ، بكل قيمها النفعية ، والبراجماتية ، والمصلحية ، والأنانية ، وبكل تفسخها وتحللها وفسادها ، ناهيك عن انتشار الأساليب الدعائية للحكم على مستوى أجهزة الاعلام ، والمفرطة فى ديماجوجيتها وفى تخريبها وتزيبفها للوعى الوطنى والاجتماعى .

ان العكس من ذلك هو ما حدث فى جنوب الوطن فالثورة المسلحة التى انطلقت شراراتها فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ ضد المستعمر البريطانى وضد صنائعه وركائزه من السلاطين والأمراء الاقطاعيين قد صهرت فى أتونها قوى الثورة ، وأنضجتها ، وكما بلورت قسمات قوى التقدم فيها ، فانها كشفت ملامح العناصر البرجوازية الوسطية المتخلفة بين صفوفها .

وكان لابد أن تخلى الثورة المسلحة بطرد المستعمر البريطانى ، بعد احتلال دام أكثر من قرن وربع قرن . كما كان لأبد ان تتعمق الثقافة الثورية بعد نيل الاستقلال فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ ، وأن تقصى العناصر البرجوازية الوسطية المتخلفة التى أمسكت بالسلطة غداة الاستقلال ، وان تتفجر الثورة السياسيه والاجتماعيه فور اقصاء هذه العناصر بحركة ٢٢ يونيو التصحيحيه عام ١٩٦٩ التى قادها الجناح التقدمى فى الجبهة القومية ، ولقى فيها كامل الدعم من انفصائل الديمقراطية الأخرى .

على أنه ما لبث أن حدثت مفارقة غريبة . فبينما أمكن تغيير البنية الاقتصادية — الاجتماعية ، بكل أشكالها الاقطاعية ، وشبه الاقطاعية ، والكومبرادورية ، والاستعمارية ، وتحرير الاقتصاد الوطنى ، والمضى على طريق التقدم الاجتماعى ، والتطور الاقتصادى . أخذت تظهر منذ مطلع السبعينيات مخاطر تيار يسارى طفولى مغامر تمتزج فيه ملامح المشاعية البطريركية البدائية ، بملامح « شيوعية الثكنات » التى لا تقل بدائية وفظاظة عن المشاعيه البطريركية ، والتى تقوم على مصادرة حتى الملكيات الصغيرة ، الفلاحية ، والحرفية ، وفرض التعاونيات فرضا ، وعلى المساواة فى التقشف . وعلى الديكتاتورية الفردية ، وحب الزعامة الذى يبلغ حد رفض كل شكل من اشكال الديمقراطية الحزبية والجماعية ، وعلى التطرف ، والعفوية ، والانفعال فى كل تصرف ، وكل اجراء ، وعلى احتقار التاريخ ، والتراث ، والثقافة ، وعلى الانعزال عن الهموم الوطنية ، والقومية ، والانسانية ، والانكفاء على النفس ، وعبادة الذات .

وتأثرا بالثورة الثقافية المادية التى كانت المثال النموذجى لهذا التيار اليسارى الطفولى المغامر ، دعا هذا التيار الى نوع من الثورة الثقافية التى كانت تهدف أول ما تهدف الى تحطيم المثقفين الثوريين

قبل غيرهم ، والى اشاعة الجهل ، والفوضى والخشونة ، والارهاب ، والذعر ، فى صفوف الشعب ، وفى صفوف قواه التقــدمية •

ان أحــداث الأيام السبعة العجــاف التى امتحن بهــا التنظيم السياسى ، الجبهة القومية ، وامتحن بها معه الجميع ، خلال شـــهر أغسطس ١٩٧٢ ، هى مجرد رمز لهــذا النمط من التفــكير اليسارى العفــوى الفوضــوى •

على أن التنظيم السياسى ، ومعــه كل فصــائل وعناصر الحركة الوطنية والتقــدمية اليمنية تمكن فى آخر الأمر من محاصرة هــذا التيار المغامر ، ومن ثم من التغلب عليه وعلى محاولته الانقــلابية الطائشة فى ٢٦ يونيو ١٩٧٨ ، ومن وضع حــد نهائى للانتهازية اليسارية من أساسها ، وان لم يقض على تركتها ونهجها تماما •

وبذلك « فتح » المجال ليس فقط لاشاعة الديمقراطية الحزبية فى التنظيم ، والديمقراطية السياسية فى صفوف الشعب ، وانما أيضا لتحويل التنظيم ذاته من تنظيم ديمقراطى ثورى ، الى حزب طليعى من طراز جــديد ، حزب يحتضن قضية الوطن بمجملها ، فى نفس الوقت الذى يحتضن فيه القضية القومية ، والقضية الأممية ، حزب طبقى جماهيرى ، حزب اشتراكى يمنى ، يقود مسيرة الثورة اليمنية المعاصرة بكل أبعادها ، الوطنية ، والاجتماعية ، والثقافية ، وبكل آفاقها القومية التقــدمية والانسانية الأممية •

وأيا كانت الأزمات التى تعرض لهــا هــذا الحزب والتى شرع الآن فى ستخلاص العبر والدروس منها ، وفى تقــديم المعالجــات الصائبة لها ، وفى البحث عن مخارج أوسع لحل أزمة العمــل الوطنى الديمقراطى عموما ، فأنه لا محيص من تبيان الأهمية التاريخية لقيامه •

فبقيام الحزب الاشتراكي اليمني ، الذى انبثق مع انعقاد مؤتمره الأول خلال الفترة ما بين ١١ — ١٣ اكتوبر ١٩٧٨ بدأت مرحلة تاريخية جـديدة فى مضمار العمل السياسى .

وبقيامه « فتح » الطريق — لأول مرة — نصهر وصـياغة الأداة القيادية الواحـدة للثورة اليمنية المعاصرة ، بكل آهـدافها الراهنـة والمستقبلية ، وكل مهامها المرحلية ، والتاريخية وبكل أعماقها الوطنيـة الديمقراطية ، والديمقراطية الاشتراكية .

وبقيامه وجـد الاطار التنظيمى الذى لا تتشكل وتترصن ونتوحد فيه الطلائع الاشتراكية اليمنية فحسب ، وانما تتوحـد وتتبلور وتنضج وتكتمل فيه رؤيتها الوطنية — الاجتماعية — الديمقراطية — الاشتراكية — الأممية الواحـدة ، وتتجسد وتتأكد فيـه هـذه الرؤية سياسيا وتنظيميا ونضاليا .

وبقيامه قام جسر العبور الوطنى للانتقال باليمن من وهدة الانفصال والانعزال والتجزئة والتفتت التى أسقطتها فيها القـوى الاستعمارية والاقطاعية الى مستوى التوحـد الوطنى ، واعـادة نسج الشخصية الوطنية اليمنية الحـديثة المتكاملة السوية ، وقيـام دولتهـا المركزية الموحدة ، الوطنية الديمقراطية . ومن ثم الديمقراطية الاشتراكية .

وبقيامه لم تتثبت وتترسخ السلطة الثورية والنظام الديمقراطى التقـدمى فى جنوب الوطن اليمنى فقط ، وانما مضت به وتحت قيادته أيضا ثورة التحرر والتوحـد الوطنى وعملية التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى وبزغت بشائر الثورة الثقافية المنشودة .

وبقيامه وجـدت الأداة الطليعيـة المنظمـة التى تتحسس اتجاه حركة التاريخ عموما ، وتتعرف على قوانينها الموضوعية العـامة

المسيرة لهـا ، كما تتحسس فى ضوئها اتجاه حركة التاريخ فى وطنهـا ، وتتعرف على قوانينها الموضوعية الخاصة المحركة لهـا ، وتعمل على السيطرة عليها ، وعلى ترشيد حركة التطور ، والتعجيل بعملية التجديد الديمقراطى والثورى لمجتمعها على هـداها •

وبقيام الحزب الاشتراكى اليمنى وتحت قيـادته أخـذت تدخل اليمن — موضوعيا — فيما يمـكن تسميته عصر الصـحوة الوطنية والاجتماعية والتاريخية والفكرية التى تتيح لهـا ليس فقط اعـادة كتابة تاريخها كتابة علمية موضوعية وفق منهج المـادية التاريخية ، وليس فحسب بعث تراثها ، وغربلته غربلة شـديدة صارمة فى ضـوء ذات المنهج ، وانتباذ الرجعى منه ، ودفنه دفنا ، والاحتفاظ بالديمقراطى منه ، واحيائه احياء ، وانما تتيح لهـا أيضا تمثل واستيعاب الثقافة العربية والعالمية التقـدمية ، بل وتتيح لهـا اغناءها بتجربتها الثورية الخاصـة •

والحـزب الاشتراكى اليمنى ، الذى يعتبر أول حـزب طليعى اشتراكى علمى حاكم فى المنطقة العربية كلها ، يمثل بكل ولكل ما سبق أول تجربة ثورية رائدة فى الوطن العربى ، وهى تجربة وان كانت حتى الآن خاصة من خصائص الثورة اليمنية ، الا أنها قابلة للتعميم ، ولـو فى أشكال مختلفة ، بالنسبة للوطن القومى الأكبر ، وخاصـة بالنسبة للأقطار العربية المتقـدمة فيه ، وهى من ثم تجربة ثورية ملهمة بكل مقياس من المقاييس •

وهـو بكل ولكل ما سبق أيضا يجمع فى ذاته الخاص ، والعـام معا : الخاص الوطنى ، والعام الأممى ، ويوحـدهما فى وحـدة عضوية ثورية هرمونية متنامية متعاظمة •

ولا يغير من هــذه الحقيقة ما حــدث فى ١٣ يناير ١٩٨٦ • بل أن قــدرة الحزب على تجاوز الكارثة ، وعلى المضى بالمسيرة الثــورية الديمقراطية بتوجهها الاشتراكى الى الأمام هــو شهادة له ، وشهادة أيضا على أنه وجــد ليبقى ، وليظل ممسكا بزمام المبادرة التاريخية ، وليدفع باليمن فى اتجاه تحقيق أهــداف الثورة اليمنية فى التحــرر الوطنى الكامل ، والتقــدم الاجتماعى الشــامل ، والوحــدة اليمنية الديمقراطية ، والاشتراكية •

وما من شك فى أن حركات التحرر الوطنية الديمقراطية ــ ولا سيما فى الوطن العربى ــ ستجد فى هذا التراث الثقافى والسياسى الديمقراطى ما هــو عام صالح للافادة منه والاضافة اليه •

ولا يتناقض مع هــذا الموقــــع التاريخى والســياسى المتميز الحزب الاشتراكى اليمنى أن يكون سباقا الى اطــلاق شعار الحريات الديمقراطية لكل قوى المرحلة التاريخية الوطنية والقومية والديمقراطية والاشتراكية ، والى السماح لهــا بتشكيل أحزابهــا المستقلة ، والى دعوتها الى الدخول فى تحالف جبهــوى سواء على مستوى كل من شطرى اليمن أو على النطاق اليمنى كله ، يحتل فيه موقعه اللائق به •

ان عملا كهذا من شأنه أن يوحــد كل قوى التجــديد والبعث والتقــدم فى اليمن ، وان يوجــد جبهة وطنية ديمقراطية عريضة تكون الدعامة الأساسية لقيام اليمن الديمقراطى الموحــد • وان يؤسس لــه مكانا طليعيا فيها • وأن يكسبه الجماهيرية التى كانت للجبهة القــومية أثناء حرب التحرير ضــد المستعمر ، وأن يبلور مكانته العربية والعالمية ، ويجعل منه تجربة جــديرة بالتأمل والتمثل والاحتذاء فى بلدان التوجه الاشتراكى •

اليمـن الديمقراطية فى
مرحلة البنـاء واعـادة البنـاء الديمقراطى
فى ضـــوء « البيريسترويكا »(*)

اثارت حركة التجـديد الثورى الديمقراطى الاشتراكى الواسعة النطاق فى الاتحاد السوفيتى والتى دخلت التاريخ باسم اعادة البناء أو (البيريسترويكا) وما زالت تثير جـدلا غير مسبوق ولا معهود فى عالمنا . وكان لابد أن تغمر موجتها عالمنا العربى ، وان يصيبنا — نحن فى اليمن — رشاش منها أو حتى قطرات ، وهـو ما ظهر بالفعل على صـدر صحفنا . وكان لابد أن تتعـدد الآراء حولها — شأن ما هـو حادث بالفعل فى كل مكان ، حتى فى الاتحاد السوفيتى نفسه — .

وكما دشنت ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى عصرا جـديدا فى تاريخ البشرية ، فان ثورة التغيير واعادة البناء هـذه أكدت مجـددا أن هـذه الثورة ما تزال تمسك بزمام المبادرة التاريخية فى يدها ، وانهـا لا تملك القـدرة فقط على حل تناقضاتها وتجـديد ذاتها ، والانتقال الى مرحلة أعلى أكثر تطـورا ورقيا فى سعيها الدائب والثابت نحـو اقامة المجتمع الشيوعى ، وانما تحرك أيضا سكون العـالم ، وتبعث الحيوية فى جسم الحركة الثورية العالمية ، وتتقـدم الصفوف لحـل

(*) نشرت فى « ١٤ اكتوبر » عـدد ١٢—٧—١٩٨٨ و ١٣—٧—١٩٨٨ و ١٤—٧—١٩٨٨ .

مشاكل العالم الكبرى ، وعلى رأسها مشكلة نزع السلاح واقرار السلام العـــالمى •

ولأن تناول ثورة التغيير واعادة البناء هـذه فى صحافتنا اليمنية لم يكن بذات المستوى والعمق والاهتمام الذى تنولت به فى الصحافة العالمية والعربية فان الفرصة ما تزال متاحة أمام رجالات الفكر والقلم فى اليمن للوقوف أمام هـذه الثـورة بالتـأمل والتحليـل والتقييم واستخلاص الدرس التاريخى منها ، واستنباط ما هـو عام وعالمى وشامل ، ومن ثم صالح لكل الثورات الاشتراكية والثورات السائرة فى طريق التوجـه الاشتراكى •

على أن وقفة متمعنـــة متأملة مستبصرة كهـذه قـد لا تغطيها المقالات السريعة ، ولا الأبحاث الفردية ، وانمـا قـد تتطلب جهـدا منظما فى شكل ندوات علمية جامعية وحزبية وتخصصية •

غير أن أى جهـد أولى وفردى يظـل مطلوبا فى هـذا الصـدد حتى تتاح مثل هـذه الندوات العلمية التى قـد تنظم على مستوى عالمى أو اقليمى أو قطرى •

ولعل شيئا من ذلك قـد بدأ يحـدث منذ الآن ، وهـو ما نلمسه مثلا فى الندوة التى نظمتها مجلة « المستقبل العربى » بعنوان (اشكالية الاشتراكية) ، والتى نشرتها فى عـدد ٧ — ١٩٨٨ منها •

واحساسا بالحاجة لأية معالجة — ولو أولية وفردية — فان صحيفة ١٤ أكتوبر لم تقنع بمـا نشر على صـدر صفحاتها من آراء متباينة حول البيريسترويكا وموقع الثورة اليمنية منها ، وانما طالبت أولى الرأى بالمضى فى الحوار أكثر • ومن هنا دعـوة رئيس تحريرها الزميل محمد

حسين محمد « الى مزيد من الحوارات والنقاشات ، ولكن الهادفة فعلا ، والمستجيبة لمهام المرحلة — مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية — وفق سياسة وتوجـه الحزب الاشتراكى اليمنى وعلى قاعـدة خصوصيات الواقع المعاش » • (صفحة ١٤ أكتوبر ٧—٧—١٩٨٨ م) •

والمتابع للحوارات التى جرت حتى الآن يلاحظ أن هناك اتفـاقا عاما بين المتحاورين على الأهمية الفائقة لثورة التغيير واعادة البنـاء الجارية فى الاتحاد السوفيتى لا بالنسبة لموطـن الاشتراكية الأول فحسب ، وانما أيضا على النطاق العالمى •

ولعل نقطة الجـدل أو الخلاف تتمثل فى مدى عـلاقتنا بذلك • ومدى قربنا أو بعـدنا من هـذه الثورة ، ثورة التصحيح والتجـذير والتطوير لمثل الاشتراكية ، بعـد أن لحق بالاشتراكية — عمليا — عبر فترة ستالين وبريجنيف ما لحق بها من تشويه أو تسطيح أو تأليـه أو ركود أو بيروقراطية أو حتى انحراف أو اجرام أو امتهان لانسـانية الانسـان ؟

ولذلك طرح السؤال الطبيعى نفسه عما اذا كنا قـد بنينا فعلا ، حتى نقوم باعادة البناء من جـديد ، تصحيحا وتقويما لمـا يمكن أن يكون قـد حـدث خلال عملية البناء من خروج على مبادىء ومثـل الثورة الوطنية الديمقراطية بتوجهها الاشتراكى وعما اذا كان هناك ما يمكن الافادة منـه فى هـذا المضمار من عمليـة التصحيح والتقويم الجارية فى الاتحاد السوفيتى ؟

ومما كتب يتضح أن هناك رأيين : رأى يقول اننا ما نزال فى مرحلة البناء ، وان تلقف شعارات الانعطافة التاريخية التى تجرى فى الاتحاد

السوفيتي هـو نوع من النقل الميكانيكي ، أو التعامل العاطفي مع هـذه الشعارات التي لا يستوعبها واقعنا الخاص والمعقد والذي لم يضـع قـدمه حتى على أولى درجات السلم الاشتراكي ، حيث ما يزال يتعثر في طريق الثورة الوطنية الديمقراطية الصعب الذي اختاره .

ورأى آخر يميل الى القول بأنه من الممكن الافادة ممـا يجرى في الاتحاد السوفيتي - حتى ولو كنا ما نزال نمر بمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وأنه « في سبيل تلافي اخفاقاتنا وتجاوز سلبياتنا ووضـع أسس متينة لبناء حاضرنا ومستقبلنا فأنه لا ضير من اطلاق أية تسميات متواضعة أقـل من اعادة البناء ، المهم جوهر الأمور ، وليست التسميات أو المصطلحات » ـ كما جاء في مقال الزميل محمد حسين الآنف الذكر ـ .

وعندما عـدت الى بعض ما كتبت بعـد أحـداث ١٣ ينـايـر ١٩٨٦ م المـاساوية ، في محاولة للاجابة على سؤال : كيف أمكن أن يحـدث شيء كهـذا في حزب كهـذا ؟ وكيف جاز اللجوء الى الأسلوب التآمري في حل قضايا الخلاف في حزب يتبنى أيديولوجية الطبقـة العاملة ، وجـدتني أستنجد بماركس وانجـلز ولينين في تفسير ما حـدث ، واستعين بمـا حـدث في الاتحاد السوفيتي خـلال فترة ستالين ، وأتوقف في هـذا الصـدد عند ثورة التقـويم والتصحيح والتغيير التي يقودها جورباتشوف .

ولربما كانت المقالتان المطولتان اللتان نشرتهما مجلة قضايا العصر في عـدد مايو ويونيو ١٩٨٧ م بعنوان « ثورة ١٤ أكتوبر ليست حركة القرامطة ولا كومونة باريس » ، و « نظرة على تجربة الثورة في اليمن الديمقراطية وافاقها المستقبلية » يجسدان واحـدا من الأمثلة على ذلك .

وكان رأيي أن عـدم التقيد بـ « الديمقراطية المستقيمة » ـ حسب

تعبير لينين — هـو أسس الأسس فى حدوث ما حدث • و « الديمقراطية المستقيمة لا تحتمل أى شكل من أشكال العمل السياسى والحزبى الملتوى والتآمرى ، فالجماهير ذات المصلحة فى الثورة الديمقراطية والمتطلعة الى بلوغ الاشتراكية عبر الممارسة الديمقراطية الحزبية والشعبية ووفـق وثائق الحزب ودستور الدولة المقرة والموضوعة من وجهة نظر الاشتراكية العلمية فى غير حاجة الى الممارسة الملتوية والتآمرية ، فذلك ما لا يتفق مع طابعها الشعبى ومصلحتها السياسية ولا يتناغم مع سعيها نحـو الديمقراطية والمزيد من الديمقراطية •

الالتواء فى العمل السياسى هـو دأب قـوى اجتماعية أخرى غير مؤمنة ولا متشبعة بالديمقراطية ، ولا مستعدة لتقبل مفهوم الديمقراطية المستقيمة بكل ما يقود اليه من تحـويل المجتمع والدولة فى اتجـاه الاشتراكية ، وفى اتجاه بناء صرح الديمقراطية الاشتراكية ، أكمل وأرقى شـكل للديمقراطية •

يكفى أن نستحضر هنـا فى مضمار التأكيـد على أهميـة اشاعة الديمقراطية الشعبية بأوسع معانيها فى حياة البلاد تلك الحملة الشاملة التى يقودها الحزب الشيوعى السيوفيتى بقيادة أمينه العام جورباتشوف منذ الاجتماع الكامل للجنـة المركزية للحزب فى أبريل ١٩٨٥ والمؤتمر السابع والعشرين للحزب ، والتى تتخـذ من عملية تعميق الديمقراطية الاشتراكية والتغيير الاجتماعى عنوانا لهـا ، والتى طالت بالنقـد والنقـد الذاتى كل شىء فى المجتمع والدولة والحزب ، واعتبرت أنه ليست هناك مناطق محظورة و محرمة أو محايدة لا يمكن الوصـول اليها واخضاعها من جـديد للفحص والمراجعـة والتقييم والتصحيح والتقويم ، بمـا فى ذلك تاريخ الحزب وتاريخ التجربة الاشتراكية » الى اخر ما جاء فى المقال الأخير • ص ١٤٧ •

بل اننى أوردت عينات من ملاحظات جوربوتشوف الانتقـادية كما أوردت الضمانات التى حـددها حتى تمضى عملية التغيير واعادة البناء قـدما الى الأمام ٠

واعتبرت ذلك كله أمثلة ثورية يقـدمها حزب لينين لكل أحزاب الطبقة العاملة ، ولا سيما الحاكمة منها ، فى مضمار عمليـة التغيير والتجـديد والديمقراطية سواء داخل الحزب أو المجتمع أو الدولة ، وقلت : « على أن اجابات جورباتشوف عن توافر ضمانات الانعطـافة الثورية فى الاتحاد السوفيتى تصلح أيضا لجميع البلدان الاشتراكية ، **كما تصلح كذلك لبلدان التوجه الاشتراكى ، ومنها اليمن الديمقراطية ، حتى مـع وجود فوارق فى مستويات التطور التاريخى بين الاتحـاد السوفيتى وهـذه البلدان ٠**

فالمهم فى جميع الأحوال هـو وجـود الحزب الطليعى القـائد للعملية الثورية ووحـدة عمله ، والتفاف الشعب حـوله ، والسـاعة الديمقراطية الواسعة والعميقة فى صفوفه وفى الدولة والمجتمع وضمان الاشراك الكامل للشعب فى العملية الثورية ، والانضباط التام والواعى للمبادىء التنظيمية اللينينية فى حياة الحزب ، وجعل الجماهير الشعبية شريكا فعالا فى الرقابة الاجتماعية الى جانب الرقابة الحزبية العليـا ، وممارسـة النقـد والنقـد الذاتى باستمرار ، والتحلى بالاستقامة والنزاهة ، والتجرد والمبدئية عند مباشرة أى مسئولية ، وربط الأقوال بالأفعال ، وقـدرة الحزب على تطوير نفسه ، باستمرار وتربية واعادة تربية أعضائه وكوادره وقياداته والابتكار الدائم لوسائل وأشـكال العمل الأكثر ملاءمة وفعالية وجـدوى ، وامتلاك الروح الخلاقة والمبدعة والمجـددة أبدا ، واستشراف المستقبل دائما والتحـديد العلمى الطرق العملية الضامنة لبلوغه ... الخ [ص ١٥٠ — ١٥١] ٠

ذلك ما هـو عام ومشترك فى البيريسترويكا ، والذى يصنح من ثم لكل حزب عمالى يبنى تجربة اشتراكية أو يتطلع الى بنائهـا ، سواء كان ينتمى الى عالم الشرق أو الغرب أو الى العالم النامى •

وهـو يكاد يكون كشفا جـديدا لقانون ماركسى — لينينى مستبطن كل التراث النظرى الذى خلفه مؤسسو هـذا الفكر ، والذى كاد يرين عليه الصـدأ خـلال فترة « الاشتراكية التعبوية » لحـكم سـتالين « اشتراكية الثكنة العسكرية » التى حـذر منهـا ماركس ، اشتراكية البيروقراطية المفرطة ، وتركيز كل خيوط السلطة فى يد الزعيم الفرد ، بكل ما يترتب على ذلك من سوء استخدام لهـا يبلغ حـد خرق قوانين الدولة المرعية ، ناهيك عن الخروج على الديمقراطية الاشتراكية ذاتها ، وعلى روح السماحة الانسانية التى تميز الاشتراكى عن غيره ، وهـو ما نبه اليه لينين ، وحـذر بفصيح العبارة من حـدوثه على يد ستالين نفسه : « ان الرفيق ستالين ، الذى أصبح أمينا عاما ، قـد حصر فى يديه سلطة لا حـد لهـا ، وأنا لست على ثقة فى أنه سيعرف على الدوام كيف يستعمل هـذه السلطة بما يكفى من الاحتراس » •

هـذا التنبيه الذى يبلغ حـد دق جرس الانذار الذى اطلقـه لينين فى ٢٥—١٢—١٩٢٢ م كرره بعبارة أقـوى فى ٤—١—١٩٢٣ م : « ان ستالين مفرط فى الفظاظة ، وهـذه النقيصة التى يمكن احتمالهـا تماما فى بيئتنا نحن الشيوعيين وفى الاتصالات فيما بيننا ، تصبح أمرا غير محتمل فى منصب الأمين العام • ولهـذا اقترح على الرفاق أن يفكروا فى أسلوب لنقل ستالين من هـذا المنصب وتعيين شخص آخر لهـذا المنصب ، يمتاز من جميع النواحى الأخرى عن الرفيق ستالين بميزة واحـدة فقط ، هى أن يكون أكثر تسامحا ، وأكثر ولاء ، وأوفر لطفا ، وأشد انتباها للرفاق ، وأقـل تقلبا فى الأهـواء ... الخ » (لينين

المختارات فى ١٠ مجلدات ، المجلد ١٠ دار التقــدم موسكو ١٩٧٨ ، ص ٥٣٠ — ٥٣١ — ٥٣٢) •

لم يكن هــذا المنحى البيروقراطى الفردى المجافى لروح ومنطوق الديمقراطية الاشتراكية بدون مقاومة داخلية من الحزب البلشفى • غير أن النجاحات الهائلة فى بناء الاشتراكية وفى الدفاع عنها ، ولا سيما خلال الحرب العالمية الثانية ، وفى اقامة منظومة اشتراكية عالمية من حول الاتحاد السوفيتى ، جعل من ستالين أسطورة تاريخية بزت أسطوره هتلر ، ولذلك لم يكن فى الامكان التغلب على الجانب الاستبدادى فيــه طيــلة حيــاته •

غير أنه أمكن للحزب عام ١٩٥٦ من خلال المؤتمر العشرين له ان يقف وقفة نقــدية حازمة أمام سلبيات وأخطاء الفترة الستالينية ، هذه الوقفة التى ارتبطت بالأمين العام الجــديد للحزب خروشوف • ورغم تغلب الفريق المحافظ بقيادة بريجنيف على الفريق المجــدد ، ممــا فرض فترة ركـــــود وبيروقراطية أخرى ، الا أن الحزب تمكن بعــد موت بريجنيف وتحت قيادة أندروبوف من الامساك بزمام المبادرة من جديد ، ومن التحكم فى قيادتها ، ودفعها الى أفق تاريخى جــديد تماما منذ تسلم جورباتشوف دفــة الأمور فى أبريل ١٩٨٥ م •

ان الخطاب السياسى الجــديد الذى يوجهــه حزب لينين ليس مقصورا على الاتحاد السوفيتى ولا على المنظومة الاشتراكية ، ولا على الأحزاب المــاركسية — اللينينية فى العالم ، فهــو خطاب الاشتراكية الى العالم كله ، الى مستقبل البشرية كلها •

والمعنيون به قبل غيرهم هم قوى التحرير والتطـــور والتغيير والديمقراطية والتقــدم والاشتراكية والسلام فى العالم •

أما كيف يترجم على مستوى الشـــعوب وحركات التجـديد والأحزاب والأنظمـة الوطنية والديمقراطية والاشتراكية ، فذلك ما يخضع للملابسات الموضوعية الاجتماعية والتاريخية لكل منها على حدة .

واليمن الديمقراطية واحـدة من الأنظمة الديمقراطية الثـورية ذات التوجه الاشتراكى التى يقود مسيرتها حزب يعتبر نفسه فصيلا فى جيش الثورة العالمية والأممية البروليتارية .

وهى من ثم معنية حتى النخاع بهـذا الخطاب . وتكمن قـدرتها الابداعية واسهامها الوطنى ومن ثم القومى والأممى ، فى كيفيـــة استخلاص اللباب والجوهر والروح التى تحايثه وتسرى فى أعمـاقه وتتلبس كل كلمة فيه ، وتحسن تطبيق ذلك كله على ظروفها الموضوعية الخاصـة ، بكل قسماتها التراثية والثقافية ، وكل سماتها الاقتصادية والاجتماعية ، بل وبكل الظروف المحيطة بتجربتها المتميزة فى المنطقة ، سواء الظروف الوطنية أو القومية أو الاسلامية .

ان أصالة هـذه التجربة الثورية المتفردة والمقـدامة تتجلى هنا بالضبط : فى كيفية تمثل واستيعاب وممارسة الخطاب الاشتراكى الأممى على نحو مبدع وفعال ، وبذلك تصبح تجربتها الخاصـة هـذه جزءا لا يتجزأ من رصيد هـذا الخطاب العام .

وذلك ما يبدو أن الحزب قـد أدركه جيدا ، بل ان ذلك ما عبرت عنه أيضا « الوثيقة النقدية التحليلية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية ١٩٧٨ — ١٩٨٦ » وما عبر عنه أيضا تقرير اللجنـة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى الى الكونفرنس الحزبى العام الذى قـدمه الرفيق على سالم البيض الأمين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى .

فالروح العامة التى تجرى فى هاتين الوثيقتين اللتين أقرهما كونفرنس الحزب الذى عقد ما بين ٢٠ — ٢١ يونيو ١٩٨٧ كما تنطوى على تقييم نقدى للفترة الماضية ، ولا سيما الفترة الواقعة ما بين نشوء الحزب وأحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ ، فانها تقدم معالجات نظرية وأيديولوجية وسياسية وعملية محددة لتصحيح وتقويم وتجذير وتعميق مسيرة الحزب والدولة والمجتمع ، ومن ثم التجربة الثورية •

بل ان التقرير ينطوى على معالجات نقدية للفترة الواقعة ما بين أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ وانعقاد الكونفرنس ، أى أنه انطوى على نقد ذاتى ، وعلى دعوة للنفس للمسارعة فى اصلاح النفس •

ولعمرى ذلك هـــو جوهر ومغزى البيريسترويكا ٠

أكثر من ذلك فان الوثيقتين الحزبيتين كما تدعـوان الى الانخراط فى عملية البناء للنظام الديمقراطى الثورى ، فانهما تدعوان الى اعادة البناء لهـذا النظام الذى تعرضت مسيرته الثورية الديمقراطية وتعرض حزبه ودولته ومؤسساته الرسمية والمدنية والعسكرية ، ومنظـــوماته السياسية ووحـــدته الوطنية والشعبية والمجتمعية ، وقيمه ومثله ومجمل المبادىء التى قام على أساسها ، لأضرار وخسائر لا تحتمل ، ناهيـك عن الضرر النفسى والروحى الذى أصاب الناس جميعا ، وكاد يفقدهم الثقـــة فى سلامة المسيرة الثورية من أساسها ٠

ولا حاجة للحـــديث عن الأضرار التى أصابت مكانة وسمعة التجربة الثورية على النطاق الوطنى والقومى والعالمى ٠

أليس ذلك كله فى حاجة الى « اعادة البناء » قـــد تغـوص حتى الجـــذور والأعماق والى اعادة نظر فى كثير من الأساليب والوســـائل والأشكال التى أثبتت التجربة المـأساوية ان استمرارها كفيل بتعطيل آلية التجربة الثورية من أساسها واصابتها بالعطب والهلاك ؟ ٠

االيس ذلك هـو ما تنبه اليه الوثيقتان الحزبيتان اللتـان لخصتا خبرة الحزب التى استخلصها من قلب المـأساة ومن عمق أعماق التجربة كلها منذ الاستقلال وحتى لحظة اقرارهما ؟

الا يتفق ذلك أيضا مع مغزى ما تدعو اليه البيريسترويكا ؟

هل نحن فى حاجة الى ايراد فقرات من الوثيقتين تؤكد ذلك ، كما تؤكد أن الحزب ، وهـو يضعهما كان فى خلفيـة تفكيره المثـال الذى يضربه حزب اينين العظيم فى نقـد وتصحيح وتقـويم مسار التجربة السوفيتية ؛ واستلهامه روح الشجاعة ذاتها فى محاسبة النفس ، وحملها على تحمل المسئولية التاريخية بجـدارة ونزاهـة وتجرد ومبدئية واسـتقامة ؟

فحـول مقولة البناء جاء فى « الوثيقة النقـدية ... » : « فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ بدأت عملية بناء الدولة الوطنية الديمقراطية وسـط ظروف يمنية وعربية بالغة التعقيد ، اذ ورثت البلاد أوضاعا اقتصادية واجتماعية وثقافية متخلفة ، ولم تعرف نظام الدولة المركزية ولا نظاما قانونيا موحـدا ... » (ص ٤٥) .

وحول الأسلوب غير الديمقراطى الذى كانت تداربه السلطة فى فترات عـديدة ، حتى بلغت الأمور ذروتها فى ١٣ يناير الدامى وما تلاه من احـداث ماساوية جاء فيها : « وفى فترات مختلفة بعـد الاستقلال برزت اجـواء من الشكوك المتبادلة وضعف الثقة ، روح التآمر والارهاب ومحاولات التخلص من المخالفين فى الرأى من المناضلين بطريقة عنيفة غير قانونية وخرق دستور البلاد والقوانين النافذة والمبادىء الديمقراطية فى حياة التنظيم والحزب والمجتمع ، وأفسح المجال للتخوف والانتقام ،

وقـد استخدمت القيادات الانحرافية الانتهازية اليسارية واليمينية هـذه الأساليب التآمرية لتثبيت مواقعها فى السلطة » • (ص ١٠٠ — ١٠١) •

وتعيد الوثيقة جـذور نزعة التسلط الفردى الى فترة « سالمين » وتشدد على ذلك بخطـوط سـوداء تحت كل سـطر : **« ان ظـاهرة النزعة الفردية التى كرسها سالم ربيع تبرهن بأن التهاون تجاه دراسة واستيعاب الفكر الاشتراكى العلمى ، والانشداد نحـو رجاحة ونفوذ السلطة ، وعـدم ممارسة المركزية الديمقراطية ، والقيادة الجماعية ، والنقـد والنقـد الذاتى وغياب الرقابة فى أعمال التنظيم والدولة ، يمكن أن تزرع بالقائد — مهما كان رصيده النضالى — مظاهر حب الذات والعظمـة والغطرسـة والفردية ، بل تؤدى به الى الانحراف »** (ص ٢٣) •

ولاستئصال هـذه النزعة من جـذورها ، والحيلولة دون ظهورها فى أى شكل وعلى أى مستوى فان الوثيقة تدعو الى ممارسة النقـد وتعميق الديمقراطية الحزبية والشعبية والتشريعية •

وتلقى فى هـذا الصدد مسئولية خاصة على الأجهزة الأيديولوجية التى تتحمل عبء صياغة الرأى العام ، وبلـورة الوجـدان الوطنى وتسهم بقـدر كبير فى خلق الانسان الجـديد المتحرر من عـلاقات المـاضى المحلية والمحـدودة والضيقة الأفق :

• « وحول المسألة الثقافية تتحـدد مهامنا فى تنمية الثقافة الوطنية والتقـدمية ، والعمل على تضافر الجهود من قبل وزارة الثقافة والاعلام والاتحادات الابداعية ، لوضع خطط مستقبلية منسقة ، وتوفير كافـة

الامكانات لتشجيع ازدهار الثقـافة ، وتوفير جـو من حرية الابداع والنقـد والدعم المـادى والمعنوى للمثقفين ، ووسائل نشر الثقافـه بحيث تسهم النتاجات الأدبية والفنية فى عكس تاريخنا النضـالى وتضحيات الكادحـين وبطـولاتهم والكشف عن النواقص من أجـل تجاوزها ، وغرس القيم الجـديدة ، وبناء الانسان الثورى الجديد » .
(ص ٦٨).

وتتداخل مع عملية « البناء » هـذه وتتكامل معها عملية « اعادة البناء » لكل شىء ، بدءا من الهياكل الاقتصادية والاجتماعية ، مرورا بالمؤسسات الحزبية والشعبية والتشريعية والتنفيذية ، وانتهاء بالنفوس والأرواح التى تعرضت جميعها للأضرار والأذى ، والتى تتطلب دائما البناء واعادة البناء باستمرار حتى بدون أن تتعرض لأعراض داهمة ، وأحـداث جسيمة كتلك التى تعرضت لهـا اليمن الديمقراطية بشكل شبه دورى خلال مسيرتها الثورية الصعبة والمجيدة .

ان مما يلفت الانتباه — وذلك ليس بصدفة — ان تعبير « اعادة البناء » قـد ورد فى وثيقتى الحزب ، ولا سيما فى « التقرير » بل انه تكرر فى « التقرير » كثيرا ، حتى بدا كما لو أن مقولة « اعادة البناء » قـد احتلت الأولوية ، مما يشير الى أن هناك احساسا عاما كان طاغيا بان تلفا كبيرا لحق حياة البلاد المـادية والروحية ، ينبغى اصلاحه ، واعادة تعمير حياة الناس ، وبأن ابنية شكلية قـد أقيمت على أسس غير سليمة أو بطريقة غير صحيحة ، ومن ثم لابد من اصلاحها واعادة بنائها على نحو متين وسليم ، وحتى بدا كما لو أن منطق البيريسترويكا الجارية فى الاتحاد السوفيتى كان هناك فى الأفق فى مثل نجمة هادية ، عندما كان الحزب يصوغ وثائق التصحيح هـذه ، وعندما كان يأتمر ، وعندما كان يتخـذ قراراته فى كونفرنسه العام .

لا بأس من اقتباس بعض النصوص التى تدلل على ذلك •

حـول اعـــادة فهم الديمقراطية الحزبية جاء فى « التقرير » : و « بالعودة الى تجربة حزبنا ، فاننا نشعر أننا بحاجة الى تصحيح فهم وممارسة أعضاء ومرشحى الحزب للديمقراطية ، لبدرك الجميع أنهـا مسئولية كبيرة ، وان لهـا حـدودا : هى وثائق الحزب وقرارات هيئاته وهى لا تكتمل الا بالانضباط الحزبى الحـديدى لوثائق الحزب وارادته الجماعية • وفى نفس الوقت يجب أن تقف بحزم أمام أى ظواهر لمصادرة الديمقراطية من خـــلال فرض الرأى والتعصب واصـدار الأحكام المسبقة وردود الأفعال واضطهاد الأعضاء والأعضاء المرشحين ومصادرة حقوقهم فى طرح آرائهم وملاحظاتهم ، وعـدم احترامها والاستخفاف بهـــا •

ويعتبر مبدأ النقـد والنقـد الذاتى سلاحا بيد الحزب وأعضائه للحفاظ على نقاوة الحزب وتطويره بصورة مستمرة لذا ينبغى أن نعزز ممارساته ولا نسمح بردود للافعال الضـيقة والتحسس تجاه النقـد والنقـد الذاتى الحزبى والمبدئى البناء أو ممارسة هـذا المبدأ الحزبى الهام فى المسائل الهامشية والشكلية ، أو استخدامه بصـــورة تعكس الاحقاد وتصفية الحسابات » • (ص ٧) •

وعن محاربة النزعة الفردية والبيروقراطية أكد « التقرير » أنه لا مجال لعودة النزعة الفردية و « ان مناضلى حزبنا وجماهير شعبنا يدركون من تجربتهم الخاصة ، تجربة المعاناة والآلام ، هـذه الحقيقة ، ومن غير الممكن أن يسمحوا بتكرارها مجـددا » (ص ٦) كما أكد أنه لابد من أدارة « وشن حرب لا هـوادة فيها ضـد البيروقراطية ومظاهر الفساد والرشوة والتعالى على الجماهير والتظاهر • ويجب توســـيع

الديمقراطية فى أوساط العاملين لزيادة دورهم فى ادارة سـلطة الدولة » (ص ١٣) •

وحـول « بناء » و « اعادة بناء » مؤسسات الدولة ورد فيـه « ان نجاحات كبيرة على هـذا الطريق قـد تحققت ، غير أن الواقع المعاش يملى علينا واجب الاعتراف بأننا ما زلنا بحاجة الى المزيد من النضال الذى لا هـوادة فيه فى سبيل استكمال واعادة بناء عـدد من أجهزة ومؤسسات الدولة على أسس ثورية مبدئية والامساك بالحلقة الهامة فى هـذه العملية الحاسمة والمتمثلة بالكادر وسياسة العمل معه • لقـد قطعنا شوطا طيبا على صعيد بناء أجهزة ادارة الدولة المختلفة خلال الفترة المـاضية بهدف بناء جهاز حديث للدولة فى اليمن الديمقراطية ، ملبيا لمتطلبات المرحلة التاريخية الراهنة التى تمر بها تجربة الثورية فى بلادنا رغم كل الصعوبات الجـدية العـديدة التى صاحبت عمليـة البناء واعادة البناء لمختلف أجهزة ومؤسسات الدولة ، والتى لا زالت بعضها قائمة حتى اليوم • لذلك فان جهدا كبيرا ونضالا صبورا ومثابرا ينبغى أن يبذل على هـذا الطريق حتى نتمكن من استكمال بنـاء جهاز الدولة الحـديث والادارة الكفؤة المخلصة لنهج الحزب » (ص ٢٠ — ٢١) •

ولتعميق الطابع الديمقراطى الشعبى للسلطة دعا « التقرير » الى اعطاء فاعلية أكبر للمجالس الشعبية ولمجلس الشعب الأعلى ومنحها حق ممارسة مبدأ « العلنية » لاشراك جماهير الشعب فى معركة كيف تدار وتناقش قضاياها فى هـذه المجالس الممثلة لارادتها ومصالحها : « ان زيادة دور ومكانة مجلس الشعب الأعلى والهيئات المنتخبة من قبله كهيئة الرئاسة واللجان الدائمة ، وكذلك الحال لمجالس الشعب المحلية ، والمكاتب التنفيذية ، واللجنة الدائمة فيها فى غاية الأهمية ، فينبغى توسيع أشكال

الممارسة الديمقراطية لهـذه الهيئات واللجان وزيادة فاعليتها كقيادات جماعية يومية تسهم فى تعزيز الطابع الديمقراطى الشعبى لسلطة الدولة ، كما تكتسب العلنية فى نشاط المجالس ••• » (ص ١٩ — ٢٠) •

بل ان مبدأ « العلنية » كشكل من أشـكال الممارسة الديمقراطية العامة ينبغى أن يعم حتى وسائل الاعـلام الجماهيرى ، ناهيـك عن المؤسسات التخصصية والنوعية : « ان تطبيق مبدأ العلنية وشموله أشكالا أخرى غير البث الاذاعى والتلفزيونى ، كعقـد الجلسات العلنية المفتوحة أمام الاختصاصيين والمهتمين أو العاملين فى الحقول المعنية لأمر هام وركن رئيسى من أركان حياتنا الديمقراطية المنظمة وفقا للدستور » • (ص ٢٠) •

ولأن المنظمات الجماهيرية لم تكن فى الوضع الملائم فأن « التقرير » دعا الحزب الى « اعادة ترتيب أوضاع المنظمات الجماهيرية » كما دعا هـذه المنظمات الى أن « تناضل بحزم ضـد بقايا الشكلية والعمـل المكتبى ونوازع اصـدار الأوامر من الأعلى » • (ص ٢٣) •

واعادة البناء المؤسساتية الديمقراطية التى تهـدف فى آخر الأمر الى خلق الانسان الجـديد ، والعضو المجتمعى السوى والمنتج تشمل أيضا المجـال الرياضى : « ان الاهتمام بالرياضة وتوسـع قاعـدتها الجماهيرية ، واكسابها طابعا وطنيا انسانية شاملا ، والاهتمام بالأندية الرياضية والرياضيين ، وتوفير مستلزمات نجاحها ، ومحـاربة ظاهرة التعصب هى جزء لا يتجزأ من قضية حزبنا فى بناء الانسان الجـديد ، واعـداده لعملية البناء والانتاج » • (ص ٢٦) •

وكان لابد أن تلقى المؤسسات العسكرية والأمنية نصيبها من اهتمام

« التقرير » وان يشاد بدور الاتحاد السوفيتى فى اعادة تجهيزها بكل المعدات اللازمة بعد كل ما تعرضت له من تدمير بفعل أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ م المشؤومة : « اننا بهذا الصدد نود أن نعبر باسم حزبنا وشعبنا عن أعظم الشكر والتقدير لأصدقائنا الأوفياء وحلفائنا الاستراتيجيين للاتحاد السوفيتى العظيم وحزبه اللينينى المجيد على كل المساعدات السخية والعاجلة التى قدمت لنا كى تستعيد قواتنا المسلحة جاهزيتها وبأفضل مما كانت عليه قبل يناير ١٩٨٦ » • (ص ٢٨) •

واعادة البناء لابد أن تشمل هيكل ومضمون العمل الأيديولوجى والثقافى والاعلامى والتربوى ، ولابد فى هذا الصدد من ايلاء مزيد من « الاهتمام لتحسين مضمون العملية الاعلامية والثقافية واعادة ترتيب أجهزتها ومؤسساتها المختلفة •

ولا ريب فى أن عملنا الأيديولوجى واجه وما زال يواجه العديد من المصاعب بسبب بقايا تأثير المفاهيم والقيم البالية ، والعلاقات الاجتماعية المتخلفة ، وقوة العادات القديمة ، وآثار الممارسات الانحرافية للتيارات الانتهازية ليمنية واليسارية على الصعيد الأيديولوجى ، حيث لم يعط أى اهتمام يذكر لقضية التثقيف والدراسة النظرية لأيديولوجية الحزب ووثائقه الا بشكل مبادرات ذاتية محدودة •• كما أن بعض القيادات قد تركت التثقيف الذاتى والدراسة النظرية جانبا لأسباب مختلفة أبرزها اعتقادها بعدم ضرورة ذلك ، واستعيض عنها بالوجاهة السياسية والاجتماعية ••• » • (ص ٣٢) •

ويواصـــل « التقـــرير » :

« وفى صراعنا الأيديولوجى مع القوى المعادية تلعب مؤسساتنا الاعلامية والثقافية والتربوية دورا مؤثرا من شـــأنها أن تكون أكثر فعالية اذا ارتبطت بجهود أعضاء الحزب من أجـــل ترسيخ المبادىء الثورية ، وتدعيم قيم ومثل المجتمع الجـــديد فى حيـــاتهم اليومية ، والنضال الحازم فى سبيل نقـــاوة السلوك الشخصى من الأخطـاء والانحرافات ، الأمر الذى سيزيد من تأثير عمل الحزب الفكرى والتربوى فى حياة المجتمع .. واذا ما قـــدمنا أيضا خيرة كوادر الحزب وأكثرها وعيا واخلاصا وحصانة فكرية للعمل فى أجهزة الاعلام والثقافة والتربية فالواقع الراهن لهـــذه الأجهزة يتطلب اعادة بنائها بصورة تحقق سياسة الحزب فى الجبهة الأيديولوجية والاعلامية » . (ص ٣٢) .

ويتوقف « التقرير » أمام قضايا التربية والتعليم ، وأمام دور جامعة عـــدن فى انشاء جيـــل قادر على التفكير والبحث والابداع ، والاسهام فى اعادة صنع العقل اليمنى بمـــا يتفق والنهج الأيديولوجى

والنظرى والعلمى الذى اختارته البلاد ، ويلاحظ أن هناك قصورا . وان سلك التعليم ، وعلى رأســه الجامعة لا يخرج الآن سوى حملة الشهادات ، لا حملة العلم والثقافة ورايات المستقبل وطلائع الفجــر الجـــديد :

« وعلى الرغم من الجهود التى تبذل لتطوير نشاط عمل جامعـــة عـــدن والمعاهـــد والمدارس التقنية والمهنية ومؤسسات التعليم العام ، لابد من الاشارة الى أنه ما زالت ماثلة أمامنا حتى الآن فى مركز الصدارة مهمة تحـــويل المؤسسات التعليمية الى مراكز للتربية العلمية والسياسية ، ومنابر للاشعاع الثقافى والفكرى ، وربطها بخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وتخليصها من الطابع التقليدى الذى يجعل من مؤسسات التعليم العام والجامعى مجرد قاعات للدراسة واكتساب الشهادات » . (ص ٣٤) .

ولذلك لابد من اعادة تأهيل المدرسين والأساتذة أنفسهم الى جانب الطلبة والتلاميذ ، وتمكينهم من امتلاك الفكر والنهج العلمى والأيديولوجى الجـــديد : « ويتعين على المنظمات الحزبية والقيادات الادارية ومنظمات أشيد الطلابية أن تستخدم لأجل هـــذه المهمة الحيوية مختلف أشكال العمل الفكرى والتربوى فى صفوف المدرسين والطلاب والتلاميذ .. واجتذاب الأساتذة والمدرسين اللاحزبيين لدراســـة الفكر الاشتراكى العلمى ، وتاريخ الحزب الاشتراكى ليمنى ووثائقه .. » (ص ٤) .

على أن الحلقة المركزية فى عملية اعادة البناء تمثلت فى القضية الاقتصادية حيث واجهت الحزب والبلاد — بعـــد أحـــداث ١٣ يناير التدميرية — مهمتان : السيطرة « على الحلقات الرئيسية فى الاقتصاد بصورة لا تسمح بنشوء أى مضاعفات لوضع كان فى غاية الخطـــورة ،

لا سيما بعـــد أن اهتزت العوامل التى كرست كأساس للنمو الاقتصادى خلال السنوات المـــاضية » و « العمل على اعادة ترتيب أولويات نضال الحزب على الصعيد الاقتصادى بصورة تتناغم جـدليا مع المضمــون السـياسى والطبقى لمرحلة الثـــورة الوطنية الديمقراطيـــة بآفاقهـــا الاشـــتراكية » .

وقـــد اقتضى ذلك كلـــه « ليس فقط محاصره العجز الناشىء عن الاختلال العميق بين الموارد والانفاق ، ولكن أيضا اعادة صياغة الوعى بالمشكلة الاقتصادية والمــالية ليصبح ذلك خطوة باتجاه العمل على اعادة التوازن الى الاقتصاد » .

ومن أجل النجاح فى عملية الاصلاح الاقتصادى هــذه فأنه « كان من الضرورى أن تتحول هــذه القرارات والاجراءات الى صيغة متكاملة للعمل السياسى التعبوى بين صفوف الكادحين من قبل الأعضاء والأعضاء المرشحين للحزب والهيئات الحزبية المختلفة والمنظمات الجمــاهيرية ووسائل الاعلام الجماهيرى المختلفة . واذا كنا خلال الفترة المــاضيه لم نبـــد الاهتمام الحرى بهـــذا العمل الهام ، فان الفترة القـــادمة تتطلب منا اتباع الأشكال المختلفة لتوضيح المصاعب الاقتصادية لجماهير الشعب عموما ، وحشد الطاقات والجهود للاسهام فى حلها ، ولكن علينا أن ندرك ن هناك عاملين يتحكمان فى اطـــار صـــــياغة متوازنة للوعى الاجتماعى همـــا :

العامل الأول يتمثل فى الشعور لدى الجماهير بصدق هذه الاجراءات وأهـــدافها على المدى البعيد ، والعامل الثانى يتمثل فى تعزيز الثقـــة لديها بالمستقبل من خلال الاستقرار السياسى وما يوفره من مناخ لتنمية اقتصادية واجتماعية جادة ، بأهـــداف مترابطة ، تصبح بوضوحها لدى

الجماهير موضوعا لنضالها الذى لن تتردد أن نقــدم من أجله مزيدا من التضحيات • (ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١) •

واذا كانت اجراءات التقشف من أجل ترميم الاقتصاد قــد مثلت المهمة الأولى والعاجلة فان مهمة اعادة البناء الاقتصادى أفقيا ورأسيا وفى مختلف ميادين الصناعة والزراعة والتجارة والثروة السمكية وغيرها قــد مثل المهمة المحــورية التى يدور عليها ويرتكز عليها مجمل عملية البناء الديمقراطية الثورية ومستقبل التجربة كلها • هــذه المهمة المتمثلة فى « اعادة أولويات نضال الحزب على صعيد الجبهة الاقتصــادية من خلال الربط المحكم بين القرار الاقتصادى ومضمونه الطبقى السياسى من ناحية ، ونقــل مركز الثقـــل لحركة الحزب الى داخل الحيــــاة الاقتصادية من ناحيـــــة أخرى ، ذلك لأن أهــداف نظــامنا الوطنى الديمقراطى لن تتحقق الا باقتصاد قوى ، يؤمن شروط ومقومات استكمال حلقات تطوره بصورة ثابته ، وتتعزز بصورة موازية لذلك ثقة الكادحين اليمنيين فى خياراته » • (ص ٤١) •

وفى هــذا الاطار بالذات يعتبر استخراج ثروات البلاد المعدنية ، وعلى رأسها النفط بالتعاون مع الرفاق السوفييت واحــدة من الروافع الاقتصادية والاجتماعية الأساسية التى توضع بها التجربة الثــورية الديمقراطية فى مدارها الذى يمكنها من التحليق أبعــد فأبعــد فى اتجاه تلبية مطالب الشعب ومطامحه المــادية والمعنوية ، وفى اتجاه التقــدم الاجتماعى والاقتصادى والثقافى الثابت والدائم : « ان اكتشاف النفط فى بلادنا من قبل الرفاق السوفييت هــو ثمرة للتعاون الاقتصادى بين بلادنا والاتحاد السوفيتى ، ويعــد برهانا اضافيا لأهمية دور المساعدة الأممية المقــدمة لبلادنا من البلدان الاشتراكية ، وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى ، لتطوير اقتصادنا الوطنى ودليلا على صحة سياسة حزبنــا

الموجهة نحـــو تطوير القاعـدة الانتاجيـــة الوطنية ، بالاعتماد على قوانا الذاتية وبمساعدة حلفائنا فى المنظومة الاشتراكية » • (ص ٤٤) •

وعملية اعادة البناء للبنية الاقتصادية والاجتماعيه ستشمل قطاع الدولة والمزارع التعاونية والمختلطة وكل منشأة صغيرة أو كبيرة بدءا من أول منشأة عرفتها البلاد — وهى ميناء عـــدن — حتى احـــدث منشأة تصلها بشتى أقطار الأرض ، حيث سيتم « العمل على اعادة تنظيم نشاط مؤسسات قطاع الدولة ، ورفع كفـــاءتها التشغيلية » وحيث ستتشكل « الجهود لتحسين العمل فى مختلف قطاعات الاقتصاد الوطنى عـــاملا مساعدا لتسريع نمو هـــذه القطاعات خلال الخطة الخمسية الثالثة ، ففى قطاع النقل والمواصلات فتح أول خـــط لربط بلادنا والبلـــدان الاشتراكية عبر المحطة «انترسبوتنيك» والشبكة الوطنية و (عرب سات) وسيتم تنفيذ عـــدد من المشاريع الهامة ، من أهمهـــا اعادة بناء ميناء عـــدن •• » (ص ٤٤) •

وعـــدا عملية الترميم للمساكن التى تضررت بفعل أحـــداث ١٣ ينـــاير فان توفير مساكن لجميع المواطنين هى احـــدى أهم المهـــام فى عملية صياغة تجربة ديمقراطية حقيقية تجعـــل من الانسان وسيلتها الأساسية وهـــدفها ، « فى الوقت الذى سيعمل الحزب فيه على بذل الجهود الكبيرة لحل هـــذه المشكلة من خلال مشاريع الخطة ، فان اشراك المواطنين فى بناء مساكن لهم عبر التسهيلات التى ستقدم من قبل الأجهزة المختصة سيدفع بالجهود المشتركة نحـــو التغلب على هـــذه المشـــكلة الحادة ، كما أنه من الضرورى العمل على تنظيم التسكين عبر المكاتب التنفيذية فى المحافظات ، ووضع نظم التسكين التى تحقق العـــدالة بين الناس ، اضافة الى ضرورة اعطاء اهتمام بصيانة المساكن » • (ص ٤٦) •

واذا كانت أحـــداث ١٣ يناير الدامية والمـــاساوية قـــد أحـــدثت

« هزة للقيم والأخــلاق الثورية لأوساط واسعة من شعبنا ولحالة الأمن والاســتقرار والاطمئنان السيكولوجي والاجتماعى » ــ كما جاء فى « الوثيقة النقــدية » ص ٣ ــ الا أن المضى فى عملية اعادة البناء الشاملة الآنفة الذكر من شأنه أن يثبت من جــديد ــ وعلى أسس ارسخ ــ كل القيم والأخلاق الثورية ، ويمكن للأمن والاستقرار من أن يستتب ، ويعيد الطمأنينة النفسية والاجتماعية لجميع الناس •

من مجمل ما سبق يتضح جليــا أن وثيقتى الكونفرنس الحزبى المدعمتين أيضا بالقرارات الصادرة عنه والمستوحاة منهما قــد أكدتا على مقولتى « البناء » و « اعادة البناء » وشددتا « على الديمقراطية » و « العلنية » كمبدئين لا بديل لهما لاستئصال « النزعة الفردية » والروح « التآمرية » واصــدار « الأوامر من أعلى » الى غير ذلك من المبادىء والمفاهيم القــويمة التى تكفل للتجربة الديمقراطية الثورية فى هــذا الجزء من الوطن اليمنى أن تمضى قــدما الى الأمام ، مقــدمة نفسها لجميع التجارب الثورية فى المنطقة العربية ميزاتها وفرادتها واستحقاقها بأن تكون التجربة البكر الرائدة والمقــدامة التى يقــودها حزب طليعى يتبنى الفكر الاشتراكى العلمى •

هذه المبادىء والقيم التى ركزت عليها وثيقتا الكونفرنس بعبارات وكلمات تذكر بعبارات وكلمات ثورة التغيير واعادة البناء «البيريسترويكا» فى الاتحاد السوفيتى ، تدلل وحــدها على أن الحزب الاشتراكى اليمنى كان يتفاعل بعمق وحرارة وصــدق مع ثورة التغيير واعادة البناء هــذه التى أخــذت تغمر اشعتها المنظومة الاشتراكية ، وتتسلل الى جميع الأحزاب الرافعة للواء المــاركسية ــ اللينينية فى شتى أنحاء الكوكب •

ويكفى الحزب الاشتراكى اليمنى فخــرا واعتزازا أنه كان من الأحزاب السباقة الى تفهم واستيعاب ثورة « البيرويسترويكا » هــذه .

وأنه مارس فى ضوئها نقد تجربته الثورية منذ قيامه حتى اللحظة التى عقد فيها الكونفرنس ، وأن نقده هذا لم يقتصر على الفترة الواقعة ما بين ١٩٧٨ — ١٩٨٦ ، وانما طال حتى الفترة اللاحقة الممتدة الى يونيو ١٩٨٧ ، مما مثل نقدا ونقدا ذاتيا شجاعا .

ويكفى الحزب فخرا واعتزازا أنه لم يكتف بالنقد والنقد الذاتى ، وانما دعا بقوة الى اجراء عملية تصحيح وتقويم وتغيير واعادة بناء شاملة على أساس من الديمقراطية الحزبية والشعبية والشرعية . وأنه أقر مبدأ « العلنية » فى ممارسة العمل السياسى والأيديولوجى سواء على نطاق مؤسسات الحزب والدولة أو المؤسسات الجماهيرية والنوعية ، بما فى ذلك المؤسسات الاعلامية .

ان هذا الحوار الديمقراطى الصريح والمفتوح حول أهم وأدق القضايا والذى لم تشهد البلاد له مثيلا ، من قبل والذى لا تحتضنه الصحافة فحسب ، وانما تدعو الناس اليه ، وتحدد محاوره ، هو برهان على مصداقية توجه الحزب نحو تعميق وتعميم « الديمقراطية المستقيمة » التى أكد عليها لينين ، والتى يتوقف عليها أمر تعبئة جماهير الشعب ورصها خلف الحزب لبناء واعادة بناء التجربة الديمقراطية الثورية ، والسير بها حتى النهاية ، ومن ثم التقدم الى الأمام صوب رحاب الاشتراكية .

وبذلك كله تقدم هذه التجربة نفسها لجميع جماهير الشعب اليمنى باعتبارها تجربتها هى التى يرتبط ببقائها واستمرارها وتطورها مستقبلها كله .

وبذلك ينفتح الطريق أمام الوحدة اليمنية التى ستصنعها هذه الجماهير ذاتها على مثالها وبطريقتها ، وبما يحقق مصالحها وطموحاتها

فى العـدالة الاجتماعية والديمقراطية السياسية ؛ والكرامة الوطنية ، والرقى الحضارى ، والسمو الروحى •

أفلا يحـق لنـا القـول — فى ضوء كل ما سبق — أن نجمـة « البيريسترويكا » كانت هناك فى الأفق الوضاح الصاف ، وان ابصار الحزب الاشتراكى اليمنى كانت شاخصة نحوها ، مستضيئة بنورها ، عندما كان يضع آخر وثائقه فى الكونفرنس الحزبى العام ، والتى تمثل اضافة نظرية وسياسية حقيقية ؟ ومع ذلك فانها لا تمثل كلمة الحزب الأخيرة والنهائية •

للاجابة على هـذا السؤال بطمأنينة وراحة بال ربما تطلب الأمر اعادة قراءة المقال من جـديد ! أو اعادة قراءة الوثائق ذاتها ، أو حتى متابعة تصريحات وخطابات قادة الحزب !

على أن مهمة المثقفين ، ورجالات الفكر والقلم منهم خاصة ، لا تقف عند هـذا الحـد ، وانما تمضى أبعـد فى اتجـاه اكتشاف آفاق جـديدة ، ووسائل وأشكال مبتكرة لعملية البناء واعادة البناء الثورية الديمقراطية بكل أبعادها الوطنية والاجتماعية والقومية والأمميـة والانسانية وكل تطلعاتها وتوجهاتها الاشتراكية •

المســـألة الزراعيـــة ...

والمســـألة الأيديولوجيـــة(*)

دعت صحيفتا « ١٤ أكتوبر » و « صوت العمال » المثقفين وأولي الاختصاص الى خـوض نقاش مفتوح حول وضع الزراعة ، والوضع الاقتصادي عموما ، لمعرفة الأسباب التي ادت الى حالة الركود ، وربما التردي في الانتاج الزراعي ، والتي صاحبت جميع العهود التي مرت بها الثورة بعـد الاستقلال مباشرة وحتى اليوم .

وهـو نقاش هام وحيوي ويمثل في صراحته وانفتاحه صفحة من صفحات مرحلة البناء واعادة البناء الديمقراطي التي أخـذت البلاد تسير فيها بثقة في النفس يدلل عليها مثل هـذا النقاش ذاته ، كما تدلل عليها مظاهر ملموسة أخرى .

ولا يهم أن يجتهد البعض منا ويخطئوا في اجتهادهم ، المهم أن يقول كل منا كلمته بأمانة واستقامة ، وأن يقولها انطلاقا من ايمـانه بالثورة ، وحرصه على استمرار مسيرتها ، ورغبته في تذليل المشاكل التي تواجهها ، وتصحيح وتقويم كل ما يستحق التصحيح والتقويم في أي مجال من مجالات الحياة الاجتماعية .

(*) نشرت في « ١٤ اكتوبر » عـــدد ١٩٨٨/٧/٢٧ .

والأهم من ذلك كله أن تتمكن جهات الرصـد والتتبع والاختصاص فى الحزب والدولة المعنية بشئون الزراعة والاقتصاد والتجارة ... الخ لا من جمع وتقييم كل ما يكتب فى هـذا الصـدد فقط ، وانما ايضـا من وضع اليد بالخبرات المتكدسة لديهـا وخبرات الدول الشقيقة والصـديقة ، وخاصة الدول الاشتراكية والدول السائرة فى طريق التوجه الاشتراكى ، على محامن العلل ، واصلاح جوانب الخلل ، والتغلب على حالة الركود والتردى فى مضمار العملية الانتاجية الزراعية قبل غيرها ، ومن ثم اثبات أن عملية التحويل الاجتماعى الديمقراطى للريف ولصالح الكادحين تؤدى فعلا — لا قولا — الى اطلاق قوى الانتاج فيه — وفق ما تقول النظرية — والى احـداث نهوض زراعى ، وتحسين فى مستوى معيشة الريف ، وازدهار انتاجى يغطى حاجيات الريف والمدينة معا ، الى حـد الاكتفاء الذاتى ، بل والى تصـدير الفائض منه للسوق الخـارجى .

وبذلك نثبت صحة خيارنا التاريخى ، وافضلية مشروعنا الديمقراطى الثورى بتوجهه الاشتراكى ، ومصداقية وثائق الحزب والدولة التى تؤكد ذلك كله .

ان فتح ملف الزراعة والاقتصاد بهـدف اعادة قراءته فى ضـوء معطيات الواقع الفعلى ، وسـد الثغرات ، وتلافى الأخطاء ، وتصويب المسيرة الانتاجية بمجملها — وهـو ما شددت عليه وثائق الكونفرنس الحزبى العام — ان ذلك لا يستقيم ولا يكتمل بدون أن تتواكب معـه اجراءات أخرى ، بدون فتح الملف الأيديولوجى — الثقافى ، ملف العقلية والروحية التى تسير آلية المجتمع كله ، بما فى ذلك العملية الانتاجية عامة ، وضمنها العملية الزراعية .

حقا أن علاقات الانتاج هى الأساس الذى يقوم عليه مجمل البناء

الفوقى السياسى والحقوقى والفلسفى والثقاف والأيديولوجى . غير أن هـذا البناء يعود بدوره فيؤثر اما سلبا أو ايجابا على هذا الأساس ذاته ، بل انه يدخل كعنصر أساسى فاعل فيه ، كأداة انتاج واعادة انتاج له . فليست هناك حـدود مطلقـة لا فى الطبيعة ولا فى المجتمع بين الظواهر والأشياء . هناك تداخل دائما . والمقـدمة قـد تصبح نتيجه ، والنتيجة تصبح سببا ، وهكذا دواليك فى حركة جـدلية لا نهاية لهـا من التفاعل بين العمليات الطبيعية والاجتماعية .

وجزء مما تعرضت له الأوضاع الزراعية من ركود وحتى تردى تعود الى الانسان ذاته . وكما ان الاشتراكية لا يصنعها الا الاشتراكيون ، فان المجتمع السائر فى طريق الديمقراطية والتوجه الاشتراكى لا يصنعه الا الديمقراطيون والمؤمنون حقا بالتوجه الاشتراكى .

والفلاح الذى لم يهيأ فكريا وروحيا ، ولم يعـد تثقيفه وتوعيته بمـدى ارتباط مصلحته بمقولة « الأرض لمن يفلحها » كأساس لعمليـة الاصلاح الزراعى الديمقراطية ، وارتباطها كاملا بنظرية تحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية — هـذا الفلاح من الصعب عليه ان يتعامل مع الأرض — وقـد أصبحت تعاونية أو ملكا من أملاك الدولة — بذات الارتباط السابق والخاص بها ، والحب لهـا ، والحرص عليها ، والحرارة فى العمل فيها ، والحماس فى الذود عنها فى مواجهة أى عملية تلاعب فيها ، أو اخلال بالعمل بها من أى كان .

والمسئول الادارى — أيا كانت درجته — لا يستطيع أن يكون فى وضع أفضل من هـذا الفلاح ما لم يتشبع هـو نفسه بذات العقلية والروحية الديمقراطية الاشتراكية ، وما لم تحكم سلوكه بمجمله وهـو يتعامل مع الأرض المملكة للتعاونية أو الدولة والعاملين عليها .

وأعمال التلاعب بالأرض وفى الأرض الجديدة بشكليها الاقتصاديين الجديدين ، وهو ما تطرقت اليه الصحافة منذ حين ، لا يتحمل مسئوليتها الفلاح وحده ، ولربما كانت مسئولية الادارة اكبر .

كان لينين يقول ان علينا أن نبنى الاشتراكية بالمادة التى خلفتها لنا الرأسمالية . ومهمة الاشتراكيين أن يبذلوا اقصى ما لديهم من جهد من أجل تطوير وتحسين هذه المادة الاجتماعية ـ البشرية ، حتى تكون مهيأة لاقامة صرح الاشتراكية .

ونحن لم نرث من المجتمع السابق للرأسمالية ، المجتمع شبه القبلى ـ شبه الاقطاعى ـ الكمبرادورى ـ الاستعمارى مادة أفضل من تلك المادة التى انتجها المجتمع الرأسمالى المتطور ، بل لعلها مادة اجتماعية ـ بشرية أشد تعقيدا بكثير بفعل تعقد الوضع التاريخى ـ الاجتماعى المتشابك ـ المتداخل ذاته ، وتعقد الروحية والنفسية المنحدرة عنه .

غير أن الطليعة الاشتراكية حاملة الأيديولوجية والثقافة ، هى المعنية باعادة انتاج وصقل هذه المادة الاجتماعية ـ البشرية . وعلى قدر ما تكون هى ، تكون هذه المادة التى منها ذاتها يتكون صرح بناء المجتمع الجديد .

وهذه الطليعة هى أحوج ما تكون الى نظرية الطليعة عندما تكون ما تزال « فى دور التكوين » ، حسب تعبير لينين فى « ما العمل ؟ » وذلك يعنى أيضا تملك خبرة من سبقوا فى مضمار الممارسة العملية لهذه النظرية . ذلك « أن الحركة المبتدئة فى بلاد فتية لا يمكن أن تكون ناجحة الا اذا استوعبت تجربة البلدان الأخرى . ولبلوغ ذلك لا يكفى مجرد الاطلاع على هذه التجربة أو مجرد نسخ القرارات الأخيرة . انما

يتطلب هـذا من المرء أن يمحص هـذه التجربة وان يتحقق منها بنفسه • وكل من يستطيع أن يتصور مبلغ اتساع وتشعب حركة العمال المعاصرة يفهم مبلغ ما يتطلبه القيام بهـذه المهمة من احتياطى من القوى النظريه والتجربة السياسية والثورية أيضا » (ص ٢٦) •

ما من شك أن امتلاء المرء بشعور من الثقة بأنه أصبح اشتراكيا مائة فى المـائة شىء رائع ، غير أن ذلك ما لم يترجم فى الممارسة العملية يظل مجرد ادعاء أو حتى فرضية نظرية ، شـأن أى فرضية ، تتطلب الاثبـات •

وتبوء كل أو بعض منا مركز الاستاذية والريادة فى هـذا الصـدد هـو أكثر من رائع ، شريطة أن يبرهن على ذلك السلوك العملى، السلوك الذى يتسم بالطليعية ، ويعطى المثل النموذج الرائد والملهم •

والحزب الاشتراكى اليمنى هـو الذى يحتل اليوم — تاريخيـا وسياسيا — هـذا الموقع ، ولا يملك الا أن يكون كذلك نظريا وعمليا . وذلك « **أنه لا يستطيع القيام بدور مناضل الطليعة الا حزب يسترشد بنظرية الطليعة** » • (ص ٢٧) •

وقـد لاحظ « تقرير اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى الى الكونفرنس الحزبى العام » الذى « قـدمه الرفيق على سـالم البيض الأمين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى » أن هناك ثغرات ونواقص نظرية وأيديولوجية فى صفوف الحزب تتطلب المعالجة : « وبهـذا الصـدد ينبغى العمل على تحرير أساليب عملنا الأيديولوجى وبصورة مستمرة من الشكلية والمواعظ والموسمية والهتاف بالجمـل الثورية المجردة والبعيدة عن الواقع •• لأن انفصال الكلمة عن الواقع يؤدى الى اضعاف قيمة الجهود العظيمة المبذولة فى مختلف الميادين » (ص ٣٣) •

ويقترن بالاستيعاب الفكرى للأيديولوجية والنظرية الطليعية الدراسة الميدانية للبنية الاجتماعية ذاتها داخل البلاد بكل أبعادها التحتية والفوقية ومستوى التطور الذى حققته . ولذلك لابد من « رفع مستوى الدراسة المنهاجية لنظرية الاشتراكية العلمية ، ودراسة قضايا التطور الاقتصادى والاجتماعى والثقافى للبلاد ، والتأهيل النظرى للكوادر الحزبية » (ص ٣٣) .

قد يتمكن الاختصاصيون من وضع أيديهم على العلل الحقيقية لتعثر العملية الانتاجية فى ميدان الزراعة وغيره من الميادين ، غير أن خلفية ستبقى هناك : الخلفية النظرية والأيديولوجية والسيكولوجية التى تسير بها هذه العملية بكل ثغراتها ونواقصها الطبيعية والمفترضة فى مجتمع ما يزال يخطو خطواته الأولى فى طريق تمثل نظرية ورؤية جديدة لبناء حياته وبناء الحياة والكون من حوله .

وهى نظرية ورؤية ما برحت تطور وتعمق فى ضوء الخبرات التاريخية المكتسبة لبلد الاشتراكية الأول والبلدان الاشتراكية الأخرى وأحزاب الاشتراكية العلمية فى كل مكان .

وذلك ما تعلمنا اياه أيضا الثورة النظرية والعملية الجارية اليوم فى الاتحاد السوفيتى — بكل آثارها العالمية — باسم « البيريسترويكا » :

ان اعادة فحص واقعنا برؤية نقدية — وهو ما شرعته وثائق الكونفرنس وهو ما بدأته الصحافة أيضا — هو ملمح من ملامح الاصرار على أن تسير عجلة البناء واعادة البناء الديمقراطى دون توقف ، لا على المستوى الاقتصادى والسياسى فحسب ، وانما كذلك على المستوى النظرى .

وذلك يعنى أن مهمة المثقفين الثوريين هى فتح ملف الوضع الثقافى والأيديولوجى ، ملف حيـاة الانسان الروحية والسيكولوجية ، وتلمس مدى التطور الذى تحقق فى هـذا الصـدد ، وجوانب النقص والقصور التى ما تزال موجودة هناك •

فليس هناك تطور حقيقى ما لم يقم على الأساس المـادى والروحى معا ، فالرأسمالية حققت وتحقق قـدرا كبيرا من التطـور المـادى والتكنيكى والعلمى • غير أن الاشتراكية هى وحـدها التى تحقق الى جانب ذلك التطور الروحى والمعنوى والخلقى ، والتى تخلق الانسان المتكامل الشخصية ، الانسان الجـديد ، والفرد الحر • فحتى التطور المجتمعى العام والحر غير ممكن تحقيقه الا بالتطـور الحر للانسان الفرد ، ولا انسانية حرة الا بانسان حر • ذلك مغزى مقولة ماركس : « التطور الحر لكل فرد ، شرط للتطور الحر للجميع » • وذلك أيضا هو مدلول البيريسترويكا • فلا اشتراكية متطورة حقـا بدون اشتراكيين متطورى السمات الانسانية ، رفيعى الخلق ، حميدى الخصال ، كريمى السلوك مع أنفسهم ومع كل فرد فى المجتمع •

ويمكن القول كذلك أنه لا مجتمع ديمقراطى سائر فى طريق التوجه الاشتراكى حقا بدون اناس ديمقراطيين واشتراكيين يعملون على صياغة الرأى العام فى المدينة والريف معـا وفـق مثـل وقيم الديمقراطية والاشتراكية ، ويقـدمون المثل النموذجى والرائد على ذلك بمسلكهم العملى ، وكل ما يأتون ويدعون •

ان حـل المسألة الزراعية ، والمسألة الانتاجية عموما ، كما يحتاج الى جهد المتخصصين — وذلك ما ركز عليه لينين حتى لو كان هـؤلاء برجوازيين — فانه أحـوج ما يكون الى جهد الأيديولوجيين القادرين على تربية النـاس تربية جـديدة ، تربية ديمقراطية ، واشتراكية ، باعتبارهم القوة الانسانية الفعالة والواعية بين جميع قوى الانتـاج الأخرى ، غير أن هؤلاء الأيديولوجيين هم فى حاجة كذلك الى أن يتعهدوا

أنفسهم بالتربية الأيديولوجية والنظرية دائمــا وباستمرار والى أن يجسدوا ذلك عمليا وعلى أرض الواقع •

ذلك هــو لب نظــرية الاشتراكية العلميــة وفلسفتها المــادية الديكالكتيكية •

وحسب موضوعة ماركس الثالثة عن فورباخ فان « النظرية المــادية التى تقر بأن الناس هم نتاج الظروف والتربية ، وبالتالى بأن النــاس الذين تغيروا هم نتاج ظروف أخرى وتربية متغيرة ، ـــ هــذه النظرية تنسى أن الناس هم الذين يغيرون الظروف وأن المربى هــو نفســه بحاجة للتربية » • (ماركس ـــ انجلس ، منتخبات فى ثلاثة مجلدات ، المجلد ١ ، الجزء ١ ، دار التقــدم ، موسكو ، ١٩٨٠ ، ص ٧ ـــ ٨) •

ان العمل على تغيير الواقع الاجتماعى ، بما فى ذلك واقع الريف ، لابد أن يسير جنبا الى جنب مــــع العمل على تغيير أنفسنا ، وتغيير ما بأنفسنا •

وكما أنه لا انفصام بين القاعــدة المــادية والبنية الفوقية التى تطابقها ، فأنه لا تطور ناجح لهــذه القاعــدة بدون أن تدخل البنية الفوقية كشريك فعال فى عملية تطويرها •

واذا كانت السلطة السياسية ، هى أهم مسألة فى الثورة وفى مجمل البناء الفوقى ، فان هذه السلطة السياسية لن تستطيع تحقيق مشروعيتها بدون الأيديولوجية المبررة لهــا ، المقنعة للناس بأحقيتها ومصداقيتها •

ونفس الشىء يمكن قوله بالنسبة للعملية الانتاجية التى لا تستطيع أن تتحرك بكامل طاقتها لصالح القوى الكادحة بدون اقتناع هـــذه القوى بذلك ، أى بدون ترسخ الوعى الأيديولوجى لديهــا بأنهــا هى التى تقطف ثمرة جهدها ، وبدون أن ترى ذلك يتحقق بالفعل •

وهكذا تقترن المسألة الزراعية أيضا بالمسألة الأيديولوجية •

من أجل اعادة فتح ...

الملف الثقافى اليمنى(*)

فى عدد أغسطس ١٩٨٨ ، وبمناسبة مرور ١٨ عاما على ميلاد مجلة « الثقافة الجديدة » التى تصدرها وزارة الثقافة والاعلام : وجه عضو اللجنة المركزية وزير الثقافة والاعلام الرفيق الدكتور محمد أحمد جرهوم فى كلمته الافتتاحية للمجلة دعوة مفتوحة للمثقفين اليمنيين ولكل أبناء الشعب اليمنى ، ولكل المهتمين بثقافة وتاريخ اليمن من أشقاء وأصدقاء للمشاركة فى بحث مختلف محاور هذا المشروع المكونه من أربعة : قضايا الثقافة اليمنية ــ الثقافة الديمقراطية ــ الثقافة والابداع ــ المؤسسات الثقافية والاعلامية .. ودورها فى نشر وتعميم الثقافة .

وفى تواضع جم يؤكد « ملف المشروع الثقافى اليمنى » المطلوب فتحه « ان طرح أشكاليات الثقافة اليمنية لا يهدف الى تعجل النتائج أو ابتسار الخلاصات . وهذا المشروع لا يقدم أجوبة بقدر ما يحاول أن يثير أسئلة تضع اشكاليات الثقافة والمجتمع على بساط البحث دون أن تضع اشارات حظر التجول أو تحول دون اثارة نقاش بناء وهادف حول ثقافتنا اليمنية المعاصرة بأبعادها الوطنية الديمقراطية » .

(*) نشرت فى « ١٤ اكتوبر » عدد ١٩٨٨/١٠/٣١ .

أما الهـــدف المتوخى — فى خاتمة المطاف — فهو بلورة السياسة الثقافية ، ذلك « أهمية وجود سياسة ثقافية تعمل على تحويل المؤشرات النظرية العامة فى الخطة الى برنامج تنفيذى ملزم لكافـــة المؤسسات الاعلامية والثقافية وبواسطتها يمكن تحـــديد الانجاز السنوى ومؤشرات الواقـــع الثقـــافى » •

وبطريقة ضمنية زكى وأكـــد الأخ هشام على مساعد نائب وزير الثقافة والاعلام فى مقالته التى نشرها فى عـــدد ١٣—١٠—١٩٨٨ من صحيفة « ١٤ أكتوبر » بعنوان « الثقافة والمجتمع فى اليمن » أهمية فتح هـــذا الملف الثقافى : « ولعل الوقت قـــد حان للقيام بمراجعة نقـــدية لواقعنا الثقافى ، لا سيما بعـــد المسار الزمنى للثورة اليمنية ، أى بعـــد انقضاء ٢٦ عاما على ثورة سبتمبر و ٢٥ عاما على ثورة أكتوبر • وفى اعتقادى ان هـــذه الفترة الطويلة نسبيا تقتضى هـــذه المراجعة النقدية لمعرفة مدى التغيير الذى الحق بالبنية الثقافية للمجتمع » •

أما الغاية من ذلك فهى « الاتجاه نحو التغيير الثقافى بارادة مسبقة وبتخطيط واع ومدروس يفوق التخطيط لعمليات التغيير الاقتصادى » •

ولا أعتقد أن أحـــدا من مثقفى هـــذا الوطن الجادين — حزبيين وغير حزبيين — لا يدركون أهمية فتح هـــذا الملف الثقافى ، بل وابقاءه مفتوحا باستمرار •

ولقـــد كان هناك احساس مبكر بالحاجة الى طرق باب « المسألة الثقافية » وبالعـــودة الى الصحافة اليمنية والى الكتب والكتيبات التى صدرت فى المراحل المتعاقبة من سير الثورة يتضح جيدا أنه كان هنـــاك تنبه الى أن المستوى الثقافى لم يتواكب مع المستوى العام الذى بلغته الثورة فى تطورها ، ممـــا عكس نفسه سلبيا على هـــذا المستوى العام ذاته •

وقــد تعــددت التصورات حول م ا اذ كانت الثقافة اليمنية تمر بحالة أزمة أو ركود •

وقــد جمع كتاب « مناقشات حول الثقافة اليمنية » الذى صــدر عام ١٩٧٥ بعضا من هــذه التصورات •

ولم تجمع بعــد المناقشات التى سبقت أحــداث ١٣ يناير ١٩٨٦ الدامية ، والتى أعادت طرح ذات السؤال الذى تعددت حوله الاجابات •

وقــد لاحظت « الوثيقة النقــدية التحليلية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية ١٩٧٨ ـــ ١٩٨٦ » ان الثورة واجهت ما هــو أكثر من الازمة الثقافية ، ونبهت الى ما أسمته فاعلية « وتأثير الازمات التى أضـــعفت الوحــدة الفـــكرية والسياسية والتنظيمية للحزب » • (ص ٥٣) •

ولعلنا ممن أحسوا بوطــأة هــذه المعضلة ، معضلة تملك الثقافة الوطنية والديمقراطية والتقــدمية التى من الصعب تصور مضى قطار الثورة عبر جميع محطاته الاجتماعية والتاريخية بدون توافرها وبدون أن تحتل مكانها القيادى فى القاطرة ذاتها •

ومنذ كتابة مسلسلنا « الخروج من نفق الاغتراب •• واحــداث ثورة ثقافية فى اليمن » الذى نشرته صحيفة « ١٤ أكتوبر » على مدى عامين تقريبا بدءا من عام ١٩٧٩ الى آخر مقال لنا بعنوان « المسألة الزراعيـــة •• والمسألة الأيديولوجية » الذى نشرته الصــحيفة فى ٢٧ــ٢ــ١٩٨٨ ونحن يتملكنا ذات الاحساس الذى يملأ وجــدانات خيرة مثقفينا بأنه لا بديل لاعطاء المسألة الثقافية حقهــا من الاهتمام والتقـــدير •

ومما جاء فى هـذا المقال : « ان اعادة فحص واقعنا برؤية نقـدية ــ وهـو ما شرعته وثائق الكونفرنس ، وهـو ما بدأته الصحافة أيضا ــ هـو ملمح من ملامح الاصرار على أن تسير عجلة البناء واعادة البناء الديمقراطى دون توقـف ، لا على المستوى الاقتصادى والسياسى فحسب ، وانما كذلك على المستوى النظرى .

وذلك يعنى أن مهمة المثقفين الثوريين هى فتح ملف الوضع الثقافى والأيديولوجى ، ملف حياة الانسان الروحية والسيكولوجية وتلمس مدى التطور الذى تحقق فى هـذا الصـدد وجوانب النقص والقصور التى ما تزال موجودة هناك .

فليس هناك تطور حقيقى ما لم يقم على الأسـاس المـادى والروحى معا . ونزعم أن دراستنا المطولة التى بلغت ١١٣ صفحة التى تقـدمنا بها الى الندوة الثقافية التى نظمتها الدائرة الأيديولوجية التابعة للجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى بالتعاون مع مجلة « النهج » ما بين ٢٨ ــ ٣٠ مارس ١٩٨٨ فى عـدن كانت ممارسة تطبيقية من جانبنا لهـذه الدعوة الخاصة بفتح الملف الثقافى اليمنى ، حيث عالجت مداخلتنا هـذه التى لم يوزع منها فى الندوة سوى ملخصها الوضـع الثقافى فى اليمن قبل الثورة وبعـده ، وذلك ما يتضح حتى من عنـوان المداخلة : « المشاريع والتيارات الثقافية الديمقراطية والبيروقراطيـة والسلفية والاصلاحية والانعزالية فى اليمن » .

ونعتقد أن توفير فرص النشر لمـا كتب حتى الآن من قبل العديد من المثقفين حول الوضع الثقافى من شأنه أن يضع تحت تصرف الرأى العام مادة فكرية وروحية ستسهم فى تكوين رؤية عامة حـول ماضى وحاضر الثقافة اليمنية ، وفى الاطلال على آفاق مستقبلها .

ان ذلك يمثل احـدى الخطوات العلمية لتنفيذ مشروع وزير الثقافة الخاص باعطاء الثقافة حقها من الاهتمام اللازم باعتبارها جزءا لا يتجزأ من عملية بناء المجتمع الجـديد •

ان افساح المجال فى الصحافة وفى شتى وسائل الاعلام لمناقشة حرة ومفتوحة حول الثقافة — اضافة الى عقـد ندوات خاصه بذلك — يمثل شكلا من أشكال الاستجابة الفعلية لهـذه الدعوة •

وربما كان الحوار الذى أجرته صحيفة « ١٤ أكتوبر » مع الزميل عمر الجاوى الأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ونشرته فى عـدد ٢١ــ١٠ــ١٩٨٨ تحت عنوان « آراء للمناقشة » هـو شروع فى فتح أو اعادة فتح ملف الثقافة ، ممـا يعنى أن دعوة وزير الثقـافة والاعلام قـد أخـذت تخرج الى حيز التنفيذ وان المثقفين مدعوون للاسهام فى تقـديم تصوراتهم حول ماضى وحاضر ومستقبل الثقافـة فى اليمن •

وحتى توضع « ورقة عمل » أكثر تحـديدا ، وتعقد ندوات خاصة بذلك تنتقل بها دعوة الأخ الوزير الى ميدان الممارسة المرجـوة فان دراستى المطولة الآنفة الذكر هى آخر كلمة عندى ، اذا ما أتيح لهـا مجال النشر •

وحتى ذاك فاننى اكتفى بالتوقف عندما نشر حتى الآن ، وهـو مقال الزميل عمر الجاوى الذى قـدمته الصحيفة لا باعتباره رأيها ، وانما آراء للمناقشة ، اعتبرتها فاتحة لحفز ودعوة الكتاب لمناقشة الوضع الثقافى فى ضوء « دعوة نحو فتح ملف المشروع الثقافى اليمنى » التى وجهها الرفيق وزير الثقافة والاعلام •

عند رسمه للخارطة الثقافية فى اليمن قبل الثورة وبعـدها يرى

الزميل الجاوى أن هناك « اتجاهات ثلاثة فى الثقافة الوطنية •• وهى : اتجاه وطنى •• واتجاه قومى •• واتجاه أممى •• » وهى « موجـودة بالفعل فى كل أنواع الابداع القائمة » والمدارس الأدبيه الراهنـــه ، « وعلى نفس النسق الموجود فى العالم العربى » وكانت هـذه الاتجاهات مرتبطة بالحركة الوطنية اليمنية ، ومن ثم فى حالة صراع مـع قـوى القـديم وتياراته « وحركة الردة القائمة » ومثلت من ثم منحى يساريا انتظم فيه الجميع من « ناصرين وبعثيين وقوميين وغيرهم »•

غير أنه لا يلبث أن يخرج الاتجاه الأممى من مكانه فى خارطتـه الثقافية ويحكم عليه بالعطالة والخواء ، سواء فى ميدان الانتاج الثقافى عموما أو فى ميدان الانتاج الأدبى والفنى • تماما كما يحكم على ثوره ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ بأنها لا تعـدو أن تكون طلقة رصاص سمعت فى ردفان دفاعا عن شرف البندقية التى أراد الانجليز نزعها من أيدى لردفانيين عند عودتهم بها من شمال الوطن ، وهـو ذات الحكم العـدمى الذى يصـدره على طريق التوجه الاشتراكى الذى اقتحمته الثورة ، ويرى أنه لا وجود له وان بلوغه يشترط أولا تحقيق وحـدة اليمن •

ومن العرض يتضح أن رئيس تحرير مجلة « الحكمة » يرى أن هناك ثقافتين : ثقافة شعارات تزوج لهـا السلطة ، وترقم بها عـدد المراحل الانقلابية التى مرت بها ، ولا تجـد لهـا أدنى انعكاس على صعيد الأدب والفن ، أو صعيد الثقافة الوطنية الحقيقية ، ثم الثقافة الوطنية الشعبية الحقة المعبرة عن جوهر مصالح ومطالب وطمـوح الشعب الأصيلة والتى تتجسد أيضا فى صيغ أمية وفنية راقية تعتبر « الحكمة » منبرها الفعلى البليغ ، كما يعتبر اتحـاد الأدباء ، والكتاب اليمنيين وجـدانها الحى ، ولسانها الفصيح ، رغم كل الاغـلال التى تقيده بها السلطات الحاكمة •

من الجـدير بالتنويه أن صحيفة « ١٤ أكتوبر » قـد ابرزت فى العـديد من العناوين الكبيرة بعض هـذه الأطروحات مثل : « الثقافة اليمنية لا تواكب الشـعارات ، بل تمس جـوهر قضـايانا الوطنية » « الأغنيات والأناشيد التى تردد الأرقام التاريخية هى خارج الفـن والأدب » .

ولا محيص من ايراد بعض الفقرات التى يبين بها أن هناك نمطين من الثقافة : ثقافة الشعارات الجوفاء .. والثقافة الوطنية الحقه المؤثرة على الاتجاه التاريخى لحركة الشعب : « أقول ذلك لان حركه الثقافة الوطنية القائمة فى بلادنا عموما لا توحى الا بما اقوله هـذه اللحظة » أى أنها ثقافة لا تواكب الشعارات ، وانما الجوهر الذى يمس قضايانا الوطنية مباشرة وبمعزل عن أى افتعال لأى شعارات مطروحة ومؤقتة . ان ما يطرق الاذن من قصيدة وقصـة وأغنية ومسرح وغير ذلك من الأشكال الفنية تجنب الشعارات المصطنعة وذهب ليمارس قضية الشعب الثـورية .

لا يعنى أن قصائد وأغنيات وأناشيد قـد رددت كل الأرقـام التاريخية التى نسمعها عن الانتقاضات والمراحل .. ولكن هـذه مجرد انتاج مراحل لا يذكر الا بالمناسبات وهـو خارج الفن والأدب » .

وانتاج المراحل والمناسبات ــ أيا كان الشكل الذى اتخـذه ــ هـو الذى صور للنـاس بأن ما يسمى ثورة ١٤ أكتوبر قـد مرت بمنعطفات تاريخية عديدة حتى بلغت ما يسمى طريق التوجه الاشتراكى ، بينما الحقيقة غير ذلك تماما ، فلا هى بثورة ــ أيا كانت التطورات التى حـدثت ولم تكن فى حسبان الذين أطلقوا الرصاص فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ فى ردفان دفاعا عن بنادقهم التى أراد الانجليز نزعها منهم ــ ولا هـو

بتوجه اشتراكى ذلك المنحى الذى تسير فيه السلطة فى هـذا الجزء الجنوبى من الوطن • ذلك هـو فحوى اجابة أمين عام اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين على سؤال الصحيفة عليه والذى كان نصه : « كان هـدف تصفية الاستعمار البريطانى من شطرنا الجنوبى من الوطن الهـدف الأول لثورة أكتوبر • ولكن الثورة بعـد الاستقلال عاشـت خيارات فكرية وسياسية انتهت الى اختيار مسار التوجه الاشتراكى لتطور المجتمع اليمنى فهل سار الأدب والثقافة اليمنية ايضا بتلك التحولات الفكرية •• وكيف عايشها جماليا •• ؟ » •

أما نص الاجابة فكان : « اولا أود من صميم قلبى أن اتحـدث الى صحيفتكم الغراء بلغة أشعر بأنها لا تجانب الحقيقة ، خاصـة والمسألة تتعلق بمناسبة الذكرى الفضية لاندلاع شرارة ردفان • وعليه لابد من طرح الأمور كما أعرفها •• وعلى وجـه الخصوص أن اطلاق أول رصاصة فى ردفان كان بهدف آخر ، ولهدف آخر • غير أن التطورات حملت الشرارة مضامين تحررية عميقة •• أى انها كانت للدفاع عن ردفان وأصحاب ردفان •• فان (أى) العائدين من جبهات الدفاع عن ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وتحولت الى احـدى المراكز المجابهة لتدخـل الاستعمار والقوى المضادة للثورة والجمهورية فى بلادنا •• ثم بعـد ذلك حصلت التطورات السياسية المعروفة فى سير الأحـداث •• حتى طرد الانجليز •• والتغيرات السياسية حتى ارساء ما يسمى بنهج التوجه الاشتراكى فى هـذا الجزء من الوطن •

نحن جزء من الحركة الثورية التاريخية فى بلادنا • بما فى ذلك الشعارات المطروحة فى هـذا الجزء من الوطن والتى نشك فى أنهـا تمضى على طريق التوجه الاشتراكى • لانه لا يمكن تحقيق الاشتراكية دون تحقيق الهـدف الأول للشعب اليمنى ، وهـو توحيد الوطن »

ولان « حركة الثقافة الوطنية القائمة فى بلادنا عموما لا توحى الا بما أقــوله هــذه اللحظة » •

أما المكانة الخاصة التى تحتلها مجلة « الحكمة » والدور المتميز الذى تنهض به فى ميدان انتاج الثقافة الوطنية بكل أشكال تجلياتها فينبعان من أنها امتداد عصرى « للحكمة القــديمة » « التى صــدرت فى ١٩٣٨ تعبر عن أرضية ثقافية لمن نسميهم بالرعيل الأول من المثقفين اليمنيين ، أى المدارس لتى تجاوزت التقليدية والركود فى مصر والعراق وغيرها من البلدان العربية » وأنها « أسهمت فى تطوير الثقافة الوطنية بحكم طابعها كلسان حال اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، وهى قــدمت شيئا يمكن تحــديده بكونها فتحت بابا لقضية الابداع خارج الرسميات وبمعنى أدق تبنت حرية الكلمة غير المراقبة » •

القول بأن « الحكمة القــديمة » قــد تجاوزت حركة الثقافة فى مراكزها الأساسية فى مصر والعراق وغيرهما واضح أمر المبالغة فيه ، وينفيه أن أقطابها مثل « أحمد عبد الوهاب الوريث وأحمد المطــاع والمعزب وغيرهم » كانوا تلاميذ لاقطاب الثقافة العربية والاســلامية الحــديثة فى مصر وغيرها من أمثال الشيخ محمد عبده ، وطــه حسين ، وعباس محمود العقاد ••• الخ •

أما أن يشهد أقطاب « الحكمة الجــديدة » لأنفسهم فذلك أمر مفهوم ، ولا يعيبه الا شىء واحــد وهو أن التاريخ لا يأخــذ بشهادة المرء لنفسه ، وان كان يأخــذ بشهادته عليها تماما كما أنه لا يعتبره حكما موضوعيا ما يقوله عهــدما عن نفسه لمــا يخالطه من تصورات تضخم أفعاله ، ذلك أنه يكون دائما هناك اضطرار « عند وصف هــذا العهد التاريخى أو ذاك الى مشاطرة أوهام هــذا العهد » كما قال ماركس —

(ماركس ـــ انجلس منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ، الجزء ١ • دار التقـــدم ، مسكو ، ١٩٨٠ ، ص ٤٣) •

واذا كانت ثنائية « الثقافة والديمقراطية » قـــد مثلت احـــد المحاور فى ملف الثقافة الذى اقترح وزير الثقافة والاعلام فتحـــه ومناقشته فان رئيس تحرير « الحكمـــة » يرى أن هـــذه الثنائيـــة لم تشكل بعـــد معادلة متكاملة مرضية • فالثورة ـــ الثورة باطـلاق دون تحـــديد ما اذا كانت ثورة ٢٦ سبتمبر أو ثورة ١٤ أكتوبر أو كلاهما معا ـــ فتحت مجالا واسعا للطاقات الابداعية بصرف النظر عن المعـــوقات التى تحـــد من ذلك كتقليص الحريات وضرب الديمقراطية فى هـــذا الجزء من الوطن » •

نحن لا ننفى أنه ما تزال هنـــاك اشكاليات تتعلق باعطاء هامش أكبر من الحرية للثقافة والمثقفين حتى لا تفقد الثقافة وحاملوها دورهما الريادى فى مضمار استشفاف آفاق المستقبل وفى صياغة وبلورة الرؤية الكلية للطبقة أو الفئة التى يمثلونها •

وكما جاء فى مداخلتنا الأساسية التى تقـــدمنا بها الى النـــدوة العلمية المتعلقة بـــ « السياسة الثقافية وخبرة العمل بين المثقفين التى عقدت فى عـــدن ما بين ٢٨ ـــ ٣٠ مارس ١٩٨٨ والتى عالجت أشكالية العلاقة بين الثقافى والسياسى ، وأكدت على رفض استتباع الثقافى من قبل السياسى فان « هناك فارقا ما بين الطبقة وبين ممثليها من المثقفين • فالطبقـــة وان وعت مصالحها الآنية المباشرة وفكرت لنفسها ، فانهـــا لا تستطيع أن ترى مصالحها الآجلة والبعيدة ، وكثيرا ما يكون وعيها بهـــذه المصالح جزئيا لا كليا ، ومتعـــددا بتعـــدد فئاتها • والذى يتيح لهـــا النظر الكلى والشامل والبعيد والعميق لمصالحها هـــذه هم مثقفوها • وهم الذين يعملون على خلق التجانس والتناغم فى وعيها الطبقى • وهم

الذين يصوغون لهـا الفكر الاقتصادى والاجتماعى والسياسى الموحـد لهـا ، والموجه لخطاها ، والمنظم لهيمنتها الطبقيه ، والبانى لاجهزتهـا الأيديولوجيه المسيطرة فى الدوله والمجتمع .

فالمثقفون سـواء كانوا من اعضاء الطبقـه أو من المنتمين اليهـا أيديولوجيا ليسوا مجرد أفراد — وانما هم جماعة ذات وظيفه بالغـه الحساسية والأهمية ، وهم بحكم وظيفتهم العليا المتساميه هذه يمتلكون استقلالية نسبية تجاه طبقتهم ... » .

واذا كان مطلب المثقفين باعطائهم حيزا أكبر فى ساحة الديمقراطية مطلبا عادلا ومشروعا فأنهم ينقصون منه ويشككون فى مصداقيتـه ووجاهته عندما يتصرفون حيال بعضهم بعضا بما لا ينسجم معه ، حيث يحجبون حـق التعبير فى منبرهم الثقافى المتاح لهم عن البعض منهم بهـذه الحجة أو تلك . وقـد ترقى هـذه الحجـة الى مستوى أن تكون تهمة ادانة مختلقة لا تليق بهم ولا بمن توجه اليهم كالقول مثلا بأن هـذا البعض المحظور عليه الكتابة فى مجلة « الحكمة » يؤمن بتشطير الوطن ولا يدعو الى وحـدته ، رغم أن مجمل كتاباته وحتى أطروحته العلمية التى استحق من أجلها أن يحمل لقبا أكاديميا تتعلق بالوحـدة اليمنية ، وان كان المدخل التاريخى الذى يراه لتحقيقها غير ذلك المدخل الذى تقترحه « الحكمة » .

لا يخفى رئيس تحرير « الحكمة » هـذه المفارقة التى تقع فيها المجلة حيث تشكو من نقص الديمقراطية وتطالب بالمزيد منها ، فى الوقت الذى تقمع فيه الرأى الآخر لأنه لا يتفق مع وجهـة نظرها : « وحين أتحـدث عن حرية التعبير انما أقصـد مداها الكامل أيديولوجيا وفنيا » و « حتى لا يقال أننا نبالغ كثيرا فى قضية الحرية المفتوحة نقول نعم .. نمنع نشر الانتـاج الذى يدعـو الى النكوص والردة أى بقـاء التشطير » (!) .

لا ينبغى أن نعتبر أن رأى رئيس تحرير « الحكمة » فى أوضاع البلاد الثقافيه والسياسية هـو رأى جميع اعضاء اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، فالاتحاد يضم العديد من التيارات حتى وان بدا أن الطغيان فيه للجانب المهيمن على منبره الثقافى والاعلامى : « الحكمة » .

فهناك من يرى أنه لا حجر على احـد فى ممارسة حق التعبير بالرأى ومن يتفق مـع وزير الثقافة والاعلام بانه آن أوان مراجعـة وتدقيق ملف الثقافـه وطرح اشكالياتها واثارة الأسئلة المتعلقـة بهـا والمرتبطة بحركة المجتمع والهادفة الى ترشيد ودفع « حركته دون ان تضع اشارات حظر التحول ، أو تحول دون اثارة نقاش بنـاء وهادف حول ثقافتنا اليمنية المعاصرة بأبعادها الوطنية الديمقراطية » .

ليست هناك رؤية واحـدة ازاء وضع الثقافه فى اليمن ـــ ماضيا وحاضرا ومستقبلا ـــ هناك عـدة رؤى وما عرضناه آنفا هـو بعض منها . وسيظهر فتـح ملف الثقافة بالندوات التى ستعقد من أجـله ، والمناقشات الصحفية والاعلامية عموما التى ستدور حوله الخطـوط والملامح التفصيلية الدقيقة له والتيار الأساسى الذى يمتلك السـاحة الثقافية أو الذى هو فى طريقه الى تملكها .

وعـدا ذلك فان هـذه الندوات والحوارات المفتوحة أمام الرأى العام من شأنها أن تساعد على وضع سياسة ثقافية مستقبلية ، بل وسياسة اعلامية مستقبلية ، تمثل أحـد الروافـع التاريخية ـــ الروحيـة والأيديولوجية ـــ لحركة الشعب اليمنى المتجهة صوب ترسيخ قواعـد التجربة الثورية الدمقراطية فى جنوب الوطن ، والانطلاق بها قـدما الى الأمام فى طريق التوجه الاشتراكى وصوب توحيد أطراف الحركة الثورية اليمنية بجميع مشاربها الوطنية والديمقراطية والتقـدمية ، من أجـل اقامة اليمن الديمقراطى الموحـد ذى الآفاق القومية التقـدمية ، والأبعاد الانسانية الأممية .

فى اليمـــن الديمقراطيـــة

مشروع سياسى ثقـافى ديمقراطى

لا حصــار ثقـافى(*)

لم أجــد فى موضوع « الحصار الثقافى » للأخ محمد أبو بكر الحــداد المنشور فى عــدد يناير ١٩٨٩ من « الحكمــة » حيثيات تبرر خطورة عنوانه ، اللهم الا اذا كان المراد هــو رفض المشروع السياسى ـ الثقافى الذى تتبناه اليمن الديمقراطية كنواة قابلة للبلورة والتنمية والصقل والتطوير والتعميق ليصبح صالحا لليمن كله . والا اذا كان الهــدف هو الدعوة لمشروع سياسى ـ ثقافى مضاد .

ولفقــدان هــذه الحيثيات فاننى أكتفى هنا ـ كرد غير مباشر ـ بتقــديم الملامح العامة للمشروع السياسى ـ الثقافى الديمقراطى الذى ترفع لواءه اليمن الديمقراطية ـ ومعها الحركة الوطنية اليمنية كلها ـ والذى ما برح ينمو ويتكامل .

ففى مواجهة المشروع الثقافى السياسى للبيروقراطية البرجوازية والمتمازج مع العــديد من الثقافات السلفية والاصلاحية والاستعمارية ، ينتصب المشروع الثقافى السياسى الديمقراطى بتوجهه الاشتراكى فى

(*) نشرت فى « ١٤ اكتوبر » فى ١٩٨٩/٣/٢٦ .

جنوب الوطن والمتكامل مع المشروع الثقافى ــ السياسى الثورى الذى تقــدمه الحركة الوطنية اليمنية عموما ، وخاصة جناحها اليسارى .

ان مما يميز النظام الديمقراطى الثورى فى جنوب الوطن هــو المنهجية العلمية الواضحة ، والانتماء الطبقى الصريح ، ورفض الثنائية والازدواجية والانتقائية والتلفيقية فى الأيديولوجية والثقافة ، وهى الأمراض التى عانت منها الأنظمة الوطنية الديمقراطية العربية وغير العربية التى قادتها البرجوازية الصغيرة وقادت من ثم الى هلاكهــا ، والتى ما يزال يعانى منها البعض الآخر ، دون أن يكون هناك ضمان للافلات من ذات المصير .

ان هـــذا الحسم النظرى ، المبنى على المـــادية الدياكتيكية والمــادية التاريخية ، جنب هــذا المشروع أيضا من الوقوع فى اشكالية ثنائية من طراز آخر كالاصالة والمعاصرة ، والتراث والحــداثة ، والدين والدولة ، والثقافة والسلطة ، والوطنية والطبقية ، والقومية والأممــة ، اذ لا أشكالية حقيقية ، وانما تفاعل وتكامل بين طرفى المعادلة ، بمـــا يساعد على انجــاح المشروع الثقافى السياسى الديمقراطى بتوجهــه الاشـــتراكى .

وعبر مسيرة الثـــورة أمكن لهـــا أن تنشىء مثقفيها المتعـــددى الاختصاصات والمواهب والمؤمنين برسالتها ، أيا كان حظهم أو حظ كل منهم من العلم والثقافة والاستيعاب لأبعاد هــذا المشروع الاجتماعى ــ الثقافى ــ التاريخى .

واذا كانت البرجوازية تنشىء مثقفيها الذين يحــ نون ــ بالدرجــة الأولى ــ اتقان مهنة معينة ليصبحوا اختصاصيين فيها فان الاشتراكية لا تكتفى فقط بانشاء مثل هــذا المثقف المتخصص فهو يظل مثقفا ذا بعــد

واحــد ، وانما تعمل على تربيــة وصياغة مثقف نقى وذى رؤية تسع الكون كله وتعمل على تغييره عبر تغيير بنية مجتمعه ، وذلك هو المثقف التقنى — السياسى ، المثقف الاختصاصى — الثورى ، المثقف المنتج — القائد — المثقف البروليتارى — العضوى •

وما من شك فى أن اليمن الديمقراطية — حتى قبل أن تصــل الى المرحلة الاشتراكية — قــد شرعت فى صنع مثل هــذا الطراز من المثقفين العضويين ، بل ان الحزب الاشتراكى اليمنى أيا كانت الهزات والازمات التى تعرض لهــا — هــو هــذا المثقف الجماعى العضوى — حسب صيغة جرامشى — ومجرد تغلبه على هــذه الهزات والازمات هو دليل آخر على أنه ذو أصالة اجتماعية ليس من السهل أن تؤثر عليها الأحــداث ، وذو رؤية سياسية — ثقافية متينة غير قابلة للكسر •

وكان المثقفون منذ بداية الثورة وعبر جميع مراحلهــا هم الجسر الواصل بين مختلف الطبقات والفئات الشعبية ذات المصلحة فى الثــورة والحلقة الوسطى بين مجمل الفئات الوسطى التى أمسكت بقيادتها وتولت التعبير عن أيديولوجية الطبقات الثورية •

ومنذ البداية امتزج المثقفون المدنيون بالمثقفين الفدائيين والعسكريين المحترفين وخريجى الاكاديميات فيما بعــ
ظلت تنمو وتتسع وتتكامل حتى استوعبت ، خبرة

وحسب صيغة برنامج الحزب الا
مكانة هامة فى المجتمع اليمنى ، وقـ
خلال مراحل النضال التحررى الذى
كان المثقفون بين الصفوف الأمامية ،
مواقع الاشتراكية العلمية ، وأصبحت

على تنفيذ ارادة الشغيلة ، وخـدمة تطور مصالحها المـادية والروحيـة خلافا لممارسات ودور فئات أخرى من المثقفين الذين لم يكن لهم فى عهـد الاستعمار من هاجس سـوى الركض وراء الكسب الشخصى والتعـالى على الجمـاهير •

والى جانب ذلك فقد أفسحت الثورة مجالا لنشؤ فئة المثقفين الثوريين الكادحين والشغيلة ، وذلك من خلال اتاحة الفرص لدراستهم سـواء فى الجـديدة المتحـدة مع الطبقة العاملة والفلاحين والصيادين وغيرهم من الداخـل أو الخـارج •

وفى الوقت الحاضر تشترك الأغلبية الساحقة من المثقفين فى بنـاء الاقتصاد الوطنى وفى تطوير الحياة الثقافية والاجتماعية فى بلادنا » •

« ولقـد قامت الثورة بعـدد من الاجراءات فى مجال تطوير التعليم العام والعالى والثقافة فى البلاد ، مما أدى الى زيادة عـدد المثقفين » • (ص ٥٧ — ٥٨)

ولأنه لا تعايش أيديولوجى ، ولا مساومة طبقية ، ولا وفاق سياسى ولا مهادنة للفكر الاقطاعى السلفى ، والبرجوازى البراجماتى ، والدينى المتمزت والمشبوه ولكل الرواسب الفكرية المتخلفة والمنحدرة عن الأنماط الاجتماعية السابقة للمرحلة الرأسمالية والاقطاعية • كما أنه لا مجـال للثقافة الاستعمارية .. أيا كانت لبوسها — فان برنامج الحزب شرع فى شن الحرب الأيديولوجية عليها ، حتى يتم استئصالها نهـائيا من حيـاة المجتمع ومن رؤوس الناس وعاداتهم مع التسليم بأن حربا كهذه قد تطول أمدا من الزمن لتعقدها واتساع جبهتها ، وامتدادها عبر المـاضى والحاضر والمستقبل ، وارتباطها بالانسان نفسه الذى لا تغيره الثقافة وحـدها ،

وانمـا يغيره أيضا المجتمع ذاته وتطور علاقاته الانتاجية والاجتماعية والروحيـة ».

وكما جاء فى البرنامج : « وبفضل العمل الهادف الذى قـد قامت به الطليعـة السياسية والسلطة الثـورية والمنظمات الجماهيرية وجميع الشغيلة والكادحين ، وبالرغم من كافـة العوائق والعراقيل التى كانت تضعها الانتهازية اليمينية واليسارية فأنه قـد أحرزت فى هـذا المجال نتائج ايجابية ، حيث خطونا خطوة كبيرة على طريق التخلص من التركة الثقيلة التى خلفها الاستعمار والامبريالية والرجعية فى هـذا المضمار ، ووجهنا ضربات قـوية الى مواقع وجـذور الأيديولوجية البرجوازية ومخلفات الاقطاع والرواسب القبلية والانفصالية ، وحـدث ارتفاع ملحوظ للوعى الطبقى الثورى للجماهير الكادحة ، وكرست قيم ومفاهيم وعادات ثقافية ثورية جـديدة فى أوساطها ، كما تم أيضـا تحقيق اجراءات جـذرية خاصة بمحو الأمية وتعليم الجيل الجـديد وجماهير الكادحين الواسعة على أساس الأيديولوجية الثورية ومنجزات الثقافة الوطنية والانسانية التقـدمية . ان نشاط الجماهير الكادحة الواعى والمبرمج فى كافة ميادين الحياة الاجتماعية سيمكن بالضرورة من التغلب على المعتقدات البالية التى لا زالت تؤثر فى حياة الناس بحيث يعطون فى المطاف الأخير الولاء تدريجيا لنظام الدولة ويلتزمون بالاخلاص لقوانين وتشريعات سلطة الدولة . والحزب والدولة سيضعان حـدا حاسما لاية محاولات ترتدى اقنعـه المعتقدات الدينية وتجند نفسها باسم الدين لأغراض سياسية مشبوهة ضـد الثـورة والنظـام الجـديدة ولأية محاولات تستهدف عرقلة وتصفية منجزات ومكاسب الكادحين » .

« وينطلق الحزب من حقيقة مؤداها أن هـذه العملية معقـدة وتدريجية وطويلة ولا يجوز أن تجرى عفويا ، ويتطلب تحقيقها من الحزب والدولة والمنظمات الجماهيرية بذل جهد منهاجية متواصلة . لذلك

فان ما تم انجاز فى هـذا المجال لا يعتبر الا قاعـدة ضرورية لتحقيق تحولات أكثر جـذرية وعمقا » . (ص ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦) .

ان أصالة وميزة هـذا المشروع الثقـافى الديمقراطى هـو ذلك التفتح الدائب والمستمر الذى اتسم به منذ كان بذرة فى الميثاق الوطنى للجبهة القومية الى أن غـدا اليوم رؤية متكاملة وممارسة حية ، ورفضه من ثم الوقوف عند حـد ، أو المراوحة فى نقطة الوسط التى تختنق فيها الثورات والمشاريع الديمقراطية التى تقودها البرجوازية الصغيرة . كما تتجلى أصالته وميزته فى الاقتناع المبكر بأنه لا ديمقراطية ثورية بدون مواصلة السير نحو الاشتراكية ، حتى ولو كان فهمه للاشتراكية ذا مسحة برجوازية صغيرة ، ثم تحوله من مفهوم « الاشتراكية الثورية » الذى جاء فى « الميثاق الوطنى » الى مفهوم « الاشتراكية العلمية » الذى ما برح يتبلور فى ذهن المناضلين عبر عملية التثقيف الذاتية والمنهجية حتى اتخـذ ذلك الوضـــوح الفكرى الذى تجسد فى برنامج الحزب الاشتراكى اليمنى .

وما برح هـذا المشروع السياسى ـ الثقافى الديمقراطى بتوجهه الاشتراكى وعمقه الوطنى اليمنى ، وبعـده القومى التقـدمى ، وافقه الانسانى الأممى ـ ما برح يتأصل ويتفتح ويتنامى ويتكامل فى مناخ من الحريات الديمقراطية والعلنية الآخـذة فى الاتساع ـ ليغدو لا مشروعا صالحا لليمن الموحـد فقط ، وانما أيضا ركنا ركينا فى المشروع السياسى ـ الثقافى ـ الحضارى ـ النهضوى العربى ، وخيطا متينا فى المشروع السياسى ـ الثقافى الحضارى العالمى الذى تشترك فى نسجه الانسانية التقـدمية كلها .

التعمق في دراسة ...
الفكر الاشتراكي العلمي ...
وتعميم الثورة الثقافية ...
في اليمن الديمقراطية ...
سبيل انتصار
رسالة الحزب في اليمن(*)

يمثل قيام الحزب الاشتراكي اليمني كحزب للطبقة العاملة وحلفائها ومثقفيها ، وكحزب تكون من اندماج أكثر من فصيل ديمقراطي وقام على أساس الاشتراكية العلمية ، ليس تحولا فكريا أيديولوجيا مشهودا في الفكر اليمني فحسب ، وانما تجربة رائدة ومهمة في الوطن العربي كله أيضا .

وهو الحزب الوحيد في المنطقة العربية الذي يبني من موقع السلطة أول تجربة ديمقراطية ثورية في الاتجاه الاشتراكي ، بعكس التجارب الديمقراطية الثورية التي قادتها أحزاب البرجوازية الصغيرة وانتهت اما الى طريق مسدود ، أو رواحت في مكانها دون ظهور مؤشرات تؤكد قدرتها على تجاوز المأزق الذي دخلت فيه بفعل احتكار البرجوازية الصغيرة والفئات الوسطى البيروقراطية للسلطة .

لقد لخصت ديباجة برنامج الحزب الاشتراكي اليمني الأهمية الاستثنائية التي يمثلها الحزب ، والمهمة الاجتماعية ــ التاريخية التي ينهض بها على النحو التالي :

« الحزب الاشتراكي اليمني هو طليعة الطبقة العاملة اليمنية المتحالفة مع الفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الشعبية الكادحة

(*) نشرت في « ١٤ اكتوبر » في ١٩٨٩/١/١٩ .

الأخرى • وهـو التعبير الحى عن وعى الطبقـة لمصالحها الحقيقة ولمستقبلها ودورها التاريخى • وترتبط نشأة الحزب ارتباطا عضـويا بتراث شعبنا الكفاحى • وهـو يستلهم ويطور كل ما هو تقـدمى وثورى فى تراث الشعب اليمنى والقومى التقـدمى ، وهو المكمل لكل نضالات الشعب • وهـدف الحزب تحويل المجتمع تحويلا ثوريا لاستكمال الثورة الوطنية الديمقراطية ، والانتقال نحو الاشتراكية ، مسترشدا فى سبيل تحقيق هـذا الهـدف النبيل بنظرية لاشتراكية العلمية آخـذا بعين الاعتبار الخصائص المحلية لنمو وتطور الثورة الوطنية الديمقراطية فى بلادنا •

وينطلق الحزب الاشتراكى اليمنى فى برنامجه وسياسته وكافة ممارساته النظرية والعملية من الادراك الصحيح لطبيعة وجوهر المرحلة المعاصرة للتطور التاريخى وللعملية الثـورية العالميـة والاتجـاهات الأساسية لتطورها ، ومن طبيعـة الصراع بين حركة التحرر الوطنى للشعوب العربية كجزء من الحركة الثـورية العالمية وبين الامبرياليـة والصهيونية والرجعية » (ص ١) •

ان وثائق الحزب جميعا بدءا بالبرنامج ، وانتهاء بالوثيقة النقـدية التحليلية للكونفرنس الحزبى العام ، تشهد كلها بأنها وثائق نظـرية وسياسية متقدمة وناضجة — وان احتاجت الى مزيد من التدقيق — •

غير أن التحـدى الذى كان يواجه الحزب ، كما كان يواجه التنظيم السياسى الجبهة القومية ، والتنظيم السياسى الموحـد — الجبهـة القومية ، هـو فى مدى التقيد بهـذه الوثائق والاحتكام اليها ، وفى القـدرة على عبور الفجوة القائمة بين الفكر التقـدمى والمتقـدم الذى تجسده هـذه الوثائق والذى يحـدد كيفية ترشيد حركة المجتمع ، وبين الممارسة العملية لهـا ، ومن ثم دمج النظرية بالحركة واذابة الثقافى فى السياسى وتغليب الأيديولوجية العلمية التى تتضمنها هـذه الوثائق

على ما تبقى من الرؤى الأيديولوجية القـديمة ، المتخلفة الغائرة فى ثنايا المجتمع •

كانت المعضلة دائما تتمثل فى مدى الاستيعاب العميق لمحتـوى هـذه الوثائق وللنظرية الاشتراكية العلمية التى تستهدى بها ، فى التملك الفكرى الكامل لهـا ، فى التشبع الروحى بها ، فى الممارسة المنسجمة معها ، فى التطبيق الخلاق لهـا ، فى اعادة خلق بنية فكرية وسياسية وسيكلوجيـة جـديدة وفقـا لهـا ومن ثم متحررة من آثار البنى الأيديولوجية المتخلفة عن المـاضى ، وقادرة بالتالى — ودون عوائق — على قيادة عملية التجـديد الديمقراطى للمجتمع وتنميتها بفعالية كاملة والتعجيل بها الى أقصى مدى ممكن •

كان هناك نقص فى التزود بالثقافة الاشتراكية العلمية ، وقصور فى التمثل للفكر الذى تدعو لـه • وعـدم القـدرة على تسييد النظرة العلمية الموضوعية فى حل جميع المشاكل والتعقيدات والتناقضات التى تواجه الحزب والمجتمع • بل كان هناك نقص فى التمثل انكامل للأفكار والتصورات والقيم الديمقراطة والتقـدمية ، وفى تشربها وتحويلها الى نسغ فى عروق العضوية الحزبية ، والى حياة داخلية تتحكم فى روح وسلوك المناضل الحزبى •

ربما عاد ذلك الى أسباب عـديدة منها انشغال الحزب بالهمـوم الاقتصادية والاجتماعية وبعمليـة التحـويل الاجتماعى الديمقراطى لبنية المجتمع ، دون أن يجـد الوقت الكافى — نظرا لحـداثة نشأته أيضا — للانصراف الى الدراسة الفكرية المتعمقة للنظرية وتراثهـا النضالى • كانت عملية اقامة قاعـدة مادية تتوازن عليها حركة الثـورة وتنهض على أساسها دولتهـا الجـديدة ، واقامة هياكل اقتصـادية واجتماعية وادارية وانشاء مؤسسات لهـا ومنظومة سياسية تعبر عن قواها الاجتماعية وغير ذلك من الأطر والآليات الضرورية لتسهيل ومتابعة

حركه المجتمع فى الاتجاه الوطنى الديمقراطى — كان ذلك هـو الحلقه المركزيه التى ركزت عليها الدولة •

لا شك أن العمل من أجل بناء الحزب الطليعى كان هما مقيمـا منذ البدايه ، ولا سيما منذ المؤتمر الرابع للجبهة القومية • غير أن ميلاد هـذا الحزب كان ولادة عسيرة هى اقرب الى العملية القيصريه منهـا الى الولادة الطبيعية •

ولكى يستكمل نموه كان فى حاجة الى الوقت والاستقرار السياسى • وذلك ما لم يتح له دائما بفعل المؤامرات الخارجية والخروقات الداخليه حتى من داخل الحزب ، وهـو ما تمثل بصورة خاصة فى احداث ١٣ يناير ١٩٨٦ م التى كانت الحلقة العليا للأحـداث السابقة لهـا •

ما من شك فى أن بقايا الأيديولوجيات المعبرة عن الأنماط الأجتماعيه القـديمة وعن وجود النمط البرجوازى قـد عكست نفسها على الحزب ولعبت دورا فى الحيلولة دون تحقيق التجانس الأيديولوجى فى صفوفه ، وما من شك فى أن ترديد الشعارات والجمل الثورية قـد حل احيانا محل الدراسة المستانية والضرورية للنظرية •

على أن السبب الأساسى لذلك كله هـو صعوبة اطلاق وتعميم الثورة الثقافية التى يستحيل بدونها اكمـال مهـام الثـورة الوطنية الديمقراطية والشروع فى تحقيق الاشتراكية •

وصعوبة انجاز هـذه الثورة تنبع من أنها تتعلق بالانسان ذاته ، قبل أن تتعلق بالمجتمع وأنها تحتاج الى وقت طويل نسبيا ، على عكس الثورة العسكرية والسياسية والاجتماعية • وكان برنامج الحزب قـد نبه الى أهمية هـذه الثورة والى ارتباط مصير الثورة الاجتماعية بالمضى فيهـا :

« يشكل المجال الأيديولوجى والثقافى والاجتماعى أحـد المجالات الرئيسية الذى يسعى الحزب الى تغييره الثورى ، ولا يمكن التحقيق

الناجح لمهمات المرحلة الراهنة والمرحلة اللاحقة للثورة الا بالاستناد الى السياسة الطبقية الصحيحة فى حل المسائل المتعلقة بهـذا المجال •

وينطلق الحزب من حقيقة مؤداها أن هـذه العملية معقـدة وتدريجية وطويلة ولا يجوز أن تجرى عفـويا • ويتطلب تحقيقها من الحزب والدولة والمنظمات الجماهيرية بذل جهود منهاجية متواصلة • لذلك فان ما تم انجازه فى هـذا المجال لا يعتبر الا قاعـدة ضرورية لتحقيق تحولات أكثر جـذرية وعمقا •

ومن أجـل تحقيق الانقـلاب الجـذرى فى الحياة الأيديولوجية والثقافية لابد من القيام بالثورة الثقافية الحقيقية • ويرى الحزب ان الأهم لنجاح هـذه الثورة يكمن فى أن تكون كل اجراءاتها منطلقة من نظرية الاشتراكية العلمية وتجرى على أساسها • لذلك فان من الضرورى أن يحتل العمل على غرس قيم فكرية وثقافية وأخلاقية تعتمد على نظرية الاشتراكية العلمية مركز الصـدارة فى تحويل الحياة الأيديولوجيـة والثقافيـة للحزب والدولة والمنظمات الجماهيرية وجماهير الشـغيلة والكادحين » (ص ٦٣ ، ٦٤) •

وكان عبد الفتاح اسماعيل قـد أشار قبـل ذلك الى صـعوبة تحقيق هـذا التحول الفكرى والثقافى والأيديولوجى فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، بحيث يتمكن من حسم الصراع مع الأيديولوجيات والثقافات الأخرى المناهضة ، وتسييد أيديولوجية الاشتراكية العلمية ، وتمكينها من تجسيد نفسها فى واقع الحياة الاجتماعية ، وفى سـلوك البشر ،ونبه الى أن ذلك سيستغرق زمنا قـد يقصر وقـد يطول :

« وحتى الآن نحن فى درجة معينة من سلم التطور التاريخى فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية • واذا قسنا الثقافة فسنجدها انعكاسا لدرجة سلم ذلك التطور •• ذلك لأنها انعكاس دقيق لواقع حال القوى المنتجة الاقتصادى •• صحيح أننا أستطعنا أن نخطو خطوات ايجابية

على طريق اقتصادنا الوطنى من الاقطاع والرأسمال الأجنبى — وهى تعتبر الحـــد الأدنى فى هـــذا الطريق ، وذلك باقامه الأشكال الاقتصاديه الجـــديدة ، والمتمثلة بمؤسسات العمل التعاونى ومزارع الدولة والقطاع العام ، لكن لم نقض كلية بعـــد على الأفكار والنظرات والتقاليـــد الثقافية لشبه الاقطاع والرأسمالية ،فلا زالت جـــذور الثقافة القـــديمة فى مجتمعنا اليمنى عميقة الى حـــد يصعب استئصالها قبل مرور فترة زمنية من التطور الاقتصادى والثقافى الثوريين ، فأساس الأفكار ، كما نعرف فى المـــادية التاريخية ، ليس أسلوب الانتاج ، وانما جانب منه فقط هـــو علاقات الانتاج .. وفى هـــذا الجزء من بلادنا لازال أسلوب الانتاج أسلوبا انتقاليا يطابق مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية التى نمـــر بهـــا .

ونحن لا نستطيع القضاء دفعة واحـــدة على الثقافة القـــديمه المعادية للتطور والتقـــدم ، بل يلزمنا لذلك فترة تطول أو تقصر ، بحسب الظروف الذاتية والموضوعية لعملية التطور »(١) .

أن أصعب مرحلة تمر بها ثورة من الثورات هى الفترة الانتقالية التى تتسم دائما بالتعقيد الشديد . وكفترة انتقالية فانها ، ورغم محاولة تسييد الثقافة الجـــديدة تمتزج خلالها ثقافات وايديولوجيات عديدة . وتحمل بصمات المـــاضى والحاضر . وقبل ان تحسم الصراع مـــع مخلفات الفكر القـــديم التى تحتفظ بقـــدرة هائلة على المقاومة والبقاء لا تستطيع أن تكون مطلقة اليد فى عملية دفع الثورة الاجتماعية الى أبعادها النهائية ، وفى الخروج بها نهائيا من أسر المـــاضى الى رحاب المستقبل .

ولان مثقفى المرحلة الثورية التى تمر بها الثورة ما يزالون فى حالة

---

(١) عبد الفتاح اسماعيل ، ثقافتنا الوطنية من القـــديم الى الجـــديد ص ٢٥ — ٢٦ — ٢٧ .

تشكل وتكون ، ولم يستكملوا بناءهم النظرى والثقافى ، ولم يمتلكوا قـدرة كافية على اعادة تشكيل الرأى العام وفق متطلبات الثورة ووفق المفاهيم والقيم الفكرية الديمقراطية الجـديدة فان ذلك يعقـد عملية التطور الاجتماعى ، ويطيل أمد الفترة الانتقالية ، وقـد تنشأ عنـه اهتزات وأزمات تمس كيان الثورة ذاتها .

وحتى وان وجـد المثقفون الطليعيون ، فأنهم ازاء تركة التخلف الثقيلة وازاء فقـدان التجانس الأيديولوجى والوضوح النظرى داخل الحزب كـكل لا يستطيعون أن يملوا ارادتهم على الجميع ، ولا يملكون الا العمل البطىء والمثابر ، وترك الزمن والتجربة يلعبـان دورهما فى انضاج المفاهيم الجـديدة وفى صياغة الوحـدة الفكرية لكل أعضاء الحزب .

لقـد وقفت « الوثيقة النقـدية التحليلية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية ١٩٧٨ — ١٩٨٦ م » التى أقرها الكونفرنس الحزبى العام الذى عقد ما بين ٢٠ — ٢١ ونيو ١٩٨٧ م ووقف « تقرير اللجنـة المركزية » للحزب الاشتراكى اليمنى الذى قـدمه الرفيق على سالم البيض الأمين العام أمام العـديد من هـذه الصعوبات الموضـوعية والذاتية التى مر بها الحزب ومرت بها التجربة الثورية ككل ، وأمام العـديد من النواقص والثغرات وقـدم لهـا المعالجات الصائبة .

وليس فى امكاننا سوى الاشارة الى بعض ما ورد فيهما فى هـذا الصـدد كنموذج للممارسة الديمقراطية المسئولة ، وعلى العزم على تجاوز هـذه الصعوبات والنواقص والثغرات :

« ان المصاعب والانحرافات الانتهازية التى واجهها الحزب تعود الى عـدد من الأسباب الموضوعية والذاتية المتعلقة بنشأة الحزب وتطوره من جانب ، وبطبيعة التركيب الاقتصادى والاجتماعى للمجتمع والصراعات الطبقية المعتملة من جانب آخر ، ومؤامرات وتخريب القوى الامبريالية .

وتتمثل الأسباب الموضوعية فى تدنى نسبة الطبقة العاملة فى اطار الحزب والمجتمع وشيوع فئات البرجوازية الصغيرة وتاثيرها على الحزب ، وضغط فئات الرأسمال المحلى والأجنبى ، وقوى الثورة المضادة الداخلية والخارجية ، والاشكالات والمصاعب الموضوعية لعملية التطور الاقتصادى والاجتماعى فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وبقاء النزاعات المناطقية كنتيجة لعدم نضج واكتمال الأساس الاقتصادى والاجتماعى للوحدة الوطنية .

وتكمن الأسباب الذاتية فى صعوبات الانتقال من مواقع الديمقراطية الثورية الى مواقع الاشتراكية العلميه ، وعدم قدرة واستعداد بعض الأعضاء فى القيادة وفى الحزب بصورة عامة على استيعاب ودراسة الفكر الجديد والاهتداء به وضغط تاثيرات الايديولوجيات البرجوازيه والبرجوازية الصغيرة ، وبقايا الأفكار التقليديه ، والتساهل تجاه الاتجاهات المغايرة لخط الحزب ، وخرق مبادىء المركزية الديمقراطية الحزبية والاستعاضة عنها باعتماد أسلوب التوازنات ومراكز القوى وعدم مراعاة المعايير المبدئية فى اختيار وانتخاب الكوادر والقيادات والقيادة الجماعية والنقد والنقد الذاتى ، الى جانب الميول التكتليه ، والولاءات الشخصية ، وضعف أشكال المراقبة الحزبية والجماهيريه والنقد والمحاسبة ، والتساهل تجاه عناصر التيارات الانتهازية » . « الوثيقة » ، (ص ٣٩) .

وبذات الصراحة والمكاشفة الهادفة والمسئولة فى مضمار تبيان العيوب الذاتية التى لازمت حتى بعض القيادات فى الحزب يقول « تقرير اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى » : « ولا ريب أن عملنا الأيديولوجى واجه وما زال يواجه العديد من المصاعب بسبب بقايا تأثير المفاهيم والقيم البالية والعلاقات الاجتماعية المتخلفة وقوة العادات القديمة وآثار الممارسات الانحرافية للتيارات الانتهازية

اليمينية واليسارية على الصعيد الأيديولوجي • حيث لم يعط اى اهتمام يذكر لقضية التثقيف والدراسة النظرية لأيديولوجية الحزب ووثائقه الا بشكل مبادرات ذاتية محدودة • كما أن بعض القيادات قد تركت التثقيف الذاتى والدراسة النظرية جانبا لأسباب مختلفة أبرزها اعتقادها بعدم ضرورة ذلك واستعيض عنها بالوجاهة السياسية والاجتماعية ، وكذا بسبب النشاط الأيديولوجي المعادى الذى يقوم على خبرات متطورة وأساليب مجربة ، ولا يمكن اضعاف تأثير هذه المصاعب بدون عمل تربوى منها جى دؤوب » • (ص ٣١ — ٣٢) •

وكما أن التشخيص الموضوعى والأمين للمعضلات الاجتماعيه والسياسيه يساوى نصف حل ، فان النصف الآخر يتكفل به المضى الى الأمام فى تعميم الثورة الثقافيه فى شتى ربوع البلاد •

لقد شرع بتنفيذ هذه الثورة الثقافية بالفعل من خلال العمل الجاد والدؤوب لمحو الأمية الأبجدية واقامة المدارس الحديثه والجامعة ومراكز البحث العام والحزبى والمعاهد التخصصية ومعهد عبد الله باذيب للاشتراكية العلمية وفروعه وارسال البعثات الدراسية الى البلدان الاشتراكية ، واقامة الأجهزة الأيديولوجية الأخرى فى الدولة والحزب والمنظمات الجماهيرية ، ناهيك عن وسائل الاعلام •

غير أن هذه الثورة ما تزال فى بدايتها • فلم يقض على الأمية نهائيا ، ولم ينتشر الوعى الثورى الصحيح والشامل فى جميع أنحاء البلاد ، والتأهيل العلمى والأدبى والفنى واللغوى ما يزال دون المستوى المطلوب ، والاستيعاب النظرى للفكر الاشتراكى ولخبرات الأحزاب الشيوعية ما يزال ضعيفا ، كما أن التطبيق الخلاق والمبدع لذلك كله على خصوصيه الواقع اليمنى ما يزال دون الحد الضرورى •

ورغم أن الأيديولوجية السائدة هى أيديولوجية الاشتراكية العلميه • الا أن سيطرتها على عقول وقلوب الناس لم تتحقق بعد ،ولم يتحقق

اعادة البناء الثورى التى تأتى عملية اعادة بناء البنيه الأيديولوجيه — الثقافية فى مقـدمتها — نصح بالتركيز على خلق النوعية الجيدة حتى ولو كانت من حيث الكم قليلة • فالنوعية الجيدة هى القـدوة والمثـال والنموذج الجـدير بالاحتذاء والتمثل •

وحسب تعبير لينين : « ينبغى اتباع هـذه القاعدة : من الأفضل أقـل من حيث الكمية شرط أن يكون أحسن من حيث الكيفية • ينبغى اتباع هـذه القاعـدة : من الأفضل بعـد سنتين أو حتى بعـد ثلاث سنوات ، هـذا أفضل من تعجيل الأمور دون أى امل فى تكوين مادة بشرية جيدة »(٣) •

هـذه التوجيهـات اللينينية لا تخص ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وحـدها ، فهى بأصالتها وصدقها وعموميتها تخاطب كل ثورة ديمقراطية تبغى الايفاء بمهامها الخاصة هـذه ، والانتقال الى مرحلة الثورة الاشتراكية ، وهى من ثم تتعلق بالثورة الوطنية الديمقراطية فى هـذا الجزء من اليمن ، والتى لا غنى عنها من أجل مواصلة السير فى دما الى الأمام فى طريق ، ، وملامسة تخوم الاشتراكية

م حثيثا على هـذا الدرب يتطلب المزيد من الترصين والصقل للادارة الحزبية الطليعية القائدة والموجهة • وذلك ما نبهت اليه (الوثيقة النقـدية) حيث دعت الى « ضرورة تعزيز الوحـدة المبدئية للقيادة — اللجنة المركزية — المكتب السياسى ، على أساس الالتزام الصارم فى مجمل نشاطاتها وأساليب عملها ببرنامج الحزب ومبادىء الحياة الحزبية المحـددة فى النظام الداخلى ، وبالذات مبادىء المركزية الدميقراطية والقيادة الجماعية والنقـد والنقـد الذاتى ، والوقـوف ضـد أية ميول لخلق الانقسامات والتكتلات وانزال القناعات الذاتية

أو العمل خارج الأطر والهيئات الحزبية ؛ ووضع برنامج صارم لتأهيل أعضاء القيادة ورفع قدراتهم النظرية والعملية وتثقيفهم بأفكار الاشتراكية العلمية وتجارب الحركة الثورية العالمية وتجسيد المبادىء اللينينية للقيادة الحزبية » .

كما دعت الى « تعميق مستوى التربية الأيديولوجية للأعضاء والأعضاء المرشحين على أساس أفكار الاشتراكية العلمية ومقاومة تأثيرات الأفكار البرجوازية والبرجوازية الصغيرة وبقايا الأفكار التقليدية القديمة » .

ودعت فى ذات الوقت الى تعزيز البنية للحزب من بين أوساط المثقفين الثوريين والجنود والفئات التعاونية من الفلاحين والصيادين والحرفيين والحد من التأطير الى الحزب من بين صفوف البرجوازية الصغيرة والموظفين الا فى حالات استثنائية ، وبالذات من أولئك الذين يثبتون بالملموس انحيازهم التام الى جانب الطبقة العاملة وفكرها » (ص ٤٠) .

وأكدت الوثيقة على ضرورة مواجهة النزعات الشكلية والادارية والبروقراطية فى أساليب العمل وعلى « تعميق الطابع الديمقراطى لسلطة الدولة واشاعة الديمقراطية فى آلية سلطة الدولة وعلى صعيد المجتمع ، وتوسيع نطاق المشاركة الفعلية للكادحين فى الحياة السياسية وفى ادارة شئون التطور الاجتماعى والاقتصادى والثقافى فى البلاد من خلال رفع دور فاعلية مجاس الشعب الأعلى ومجالس الشعب المحلية ومنظمات الكادحين المهنية والابداعية ورفع مستوى مراقبة الجماهير على نشاط هيئات وأجهزة الدولة وكوادرها والعاملين فيها ، وتعزيز دور أجهزة حماية الشرعية الديمقراطية فى الرقابة على تنفيذ القوانين وحماية النظام التقدمى » . (ص ٥١ و ٥٤) كما أن « تقرير اللجنة المركزية » لفت الانتباه الى أهمية « تطبيق مبدأ العلنية وشموله أشكالا أخرى غير البث

الاذاعى والتلفزيونى كعقد الجلسات العلنية المفتوحة أمام الاختصاصيين والمهتمين أو العاملين فى الحقول المعلنة باعتبار ذلك ركنا هاما ورئيسيا من أركان حياتنا الديمقراطية المنظمة وفق الدستور » (ص ٢٠) .

لا نود الاطالة فى تتبع أبعاد الوقفة النقـدية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية وشتى المعالجات الصائبة التى تضمنها كل من (الوثيقة النقـدية التحليلية) و (تقرير اللجنة المركزة) المقرين من الكونفرنس الحزبى العام ، فما نشرناه يوضح الاتجاه الجاد الذى يمضى فيه الحزب لتقـويم كل أعـوجاج ، وتصويب كل مسلك ، وترشيد المسيرة كلها ، بما يكفل نهوضه برسالته التاريخية النبيلة ، وبما يؤكد مشروعية ومصداقية هـذه الرسالة التى يتسع نطاقها لليمن كلها ، والتى تتضمن النضال من أجـل اقامة اليمن الديمقراطى المتحرر الموحـد المتقـدم ، السائر على طريق الاشتراكية ، والكفاح من أجل معاضـدة كل أطراف حركة التحرر الوطنى العربية وأحزابها التقـدمية بما يساعد على اقامة نظام وطنى ديمقراطى فى كل بلد عربى ، واقامة جبهة تقـدمية عربية ، تمهيدا لتحقيق وحـدة الأمة العربية على أسس ديمقراطية حقة ، كما تتضمن الاشتراك فى النضال العام الذى تخوضه البشرية التقـدمية ، وفى طليعتهـا المعسكر الاشتراكى ، وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى ، من أجل رفع راية الديمقراطية والاشتراكية والسلام فى العالم أجمع .

رقم الايداع بدار الكتب القومية
٨٩/٩١٦٨

الترقيم الدولى
٧ — ١٤٧ — ١٣٣ — ٩٧٧

شركة دار الاشـعاع للطباعة

١٤ شارع عبد الحميد — جنينة قاميش
السيده زينب — القاهرة
ت : ٣٦٣٠٤٦٩